

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

حسن بن موسى الصفار

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

المجلد التاسع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

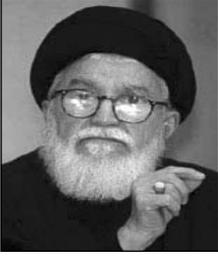
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٥]

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد
خاتم الأنبياء وتمام عدة المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقديم



بقلم: الدكتور السيد
محمد بحر العلوم^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الغرّ الميامين، وعلى أصحابه

المنتجين. وبعد:

(١)

ففي السبعينيات من القرن الماضي الميلادي قرأت لسماحة حجة الإسلام الشيخ حسن الصفار مقالات متنوعة هنا وهناك، واطلعت على بعض مؤلفاته، وهذه وتلك تحمل في طياتها أفكاراً إسلامية لم تخرج على المؤلف، ولم يشبها ما يسجل عليها نقاط

(١) آية الله الدكتور السيد محمد بن السيد علي بحر العلوم، شخصية علمية من النجف الأشرف، حصل على دكتوراة في الشريعة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. زعيم سياسي عراقي، أسس مركز أهل البيت العالمي في لندن، له العديد من المؤلفات تربو على ثلاثين كتاباً منها: الاجتهاد أصوله وأحكامه، من مدرسة الإمام علي عليه السلام، مصدر التشريع لنظام الحكم الإسلامي، بين يدي الرسول الأعظم.

ضعف، أو مبالغة أو تهويل أو إثارة مشاكل.

لقد كان معتدلاً في خطابه، ومنصفاً في كتاباته، يستشف منها اهتماماته بتنويعات ما يتناولها، محافظاً في خطه، متجاوزاً المطبات التي تثير عليه عواثر اللغظ والكلام، متجنباً زوابع العواصف التي تثار عليه من قبل الذين لا هم لهم إلا إثارة المشاكل للتصيد في الماء العكر.

و حين أرجع إلى قائمة إصداراته التي ألحقها بكتابه «أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع - المجلد التاسع» الذي أقدمه اليوم للقراء الكرام - أراها بلغت مائة وخمسة كتبٍ. وأغلبها طبعت عدة مرات، وقد تلمست في خلال تصفحي لعناوينها وجدتها عديدة واختياراته جيدة، أشير إلى بعضها، بعيداً عن الإطالة، منها:

١. البحث والتحليل في شخصية الرسول الأعظم، وآله الائمة الهداة الطيبين الطاهرين عليهم أفضل السلام، بما يعطي الصورة الواضحة عنهم، وبما لا يثير الجدل المقيح، والحساسيات الكريهة، والتبجح الفاشل، والنعرات الهدامة الباطلة .
٢. إنها تحمل روح «الإسلام المعتدل» الذي يتجنب فيها الزوابع والعواصف المثيرة للقلق والاستهجان والنقد المزعج، باحثاً عن فرص الوحدة بين المسلمين.
٣. التوجيهات السليمة الهادئة للمسلم الملتزم الذي يتوخى الصلاح الديني والسياسي للأمة. في ظرف يستوجب لمّ الشمل، وجمع الكلمة بلغة عصرية مرنة فواحة بالبشر.
٤. الثورة على التخلف الذي يمازج بعض شرائح مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، والإصرار المرير على نبش الطيف المزعج، في الوقت الذي يتقدم فيه العالم بما يدهش، وينور العقل السليم، في الوقت الذي يحاول بعض

المتعصبين الرجوع بالأمة الى المربع الماضي السحيق، الذي عانى شعبنا منه كل المعاناة.

٥. المرأة ومدى أهميتها في المجتمع الإنساني، والمسؤولية التي تتحملها في سبيل قضيتها الأساس، والثورة على العادات والتقاليد التي تعيق تقدمها في حدود القيم التي تتبناها مجتمعاتنا الإنسانية الإسلامية والعربية.

٦. التسامح وثقافة الاختلاف، وهما دعامة المجتمع التي تنسجم مع مفهوم الانطلاق العلمي والاجتماعي والعقائدي المتبصر في هذا الظرف، بعيداً عن المرتكزات الوهمية والمدسوسة.

٧. مسؤولية الشباب الواعي، الذي عليه بناء مجتمع اليوم، ويتطلع إليه الزمن بأنه مفتاح التطور الحياتي في ضوء القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

٨. آليات التسليح بالثقافة المعاصرة من أجل إنقاذ الفرد من مخالب الأخطار المحدق به.

٩. أن نتعلم كيف نقاوم الإعلام المضاد لقيمنا وإنسانيتنا المستوحاة من معالم الدين الميسر، لتتمكن من بث المفهوم العام عن عقيدتنا.

١٠. الحوار البناء الذي يدفعنا إلى الهدف المنشود، والبحث عن الجوانب الحية لأساليب الحوار، والانفتاح على الآخر.

وعلى هذا النمط التوجيهي كتب أخونا العزيز الشيخ الصفار ما ضمنه نتاجه الفكري المتناسق الأطراف.

ويطول الحديث لو حاولنا استقصاء المواضيع التي بحثها في إصداراته المتعددة، وأعماله الفكرية التي يحتاجها مجتمعنا اليوم.

إن مهمة الرجل الرسالي أن يكون همه الأكبر كيف يعالج القضايا التي تنفذ الأمة من بؤر التخلف، ومصائب التعصب الطائفي، وأدران الخبث والمغالاة في واقع مشوه

ومشبوته، وهي مهمة عسيرة للغاية في تناولها، والتعبير عنها، ومعالجتها، وخاصة في مجتمعات غير مهيأة لإثارة بحوث تثير الشبهة، والانزلاق في المستنقعات الراكدة التي تزكم الأنوف، وتفشي اللوعة والآلام، فإن دور رجل الدين الملتزم أن يلحظ منطقتيه وحث أبنائها بالاندماج الكامل، وعدم الانعزال تبعاً لتوجهات غير سليمة.

(٢)

إن الكتاب الذي أقدمه للقراء الكرام، وهو «أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع» في مجلده التاسع يعتبر رسالة حضارية يستفيد منها الإنسان الذي يبحث عن التغيير الإيماني في حياته العامة، التي تمر في ظروف قاسية مليئة بالفوضى العارمة، والتعمق في إبعاد الخلل الذي يصيب الإنسان من حيث يعرف أو لا يعرف من دائرة الضوء، والتخلص من الطوفان الزاحف من الغرب وأتباعه المنتشرين في البلاد العربية والإسلامية، وشجب ما هو مشين، وتجلية كل ما يدنس الضمير الحي، وهو ما يرمي إليه المصلحون من أبناء الأمة المسلمة الغيارى على قيمهم الدينية والاجتماعية والوطنية.

فإن الخطوة الرائعة التي اقتحمها الأخ العزيز ساحة العلامة الشيخ حسن الصفار المعروف باعتداله، وحسن أسلوبه، ونيته الحسنة، لتؤكد بوضوح على حسن اختياره في مسيرته المفعمة بالصلاح والإصلاح، ونبذ كل ما يثير الاحتراب الطائفي، ونبش التعصب المقيت، والعمل بجد على ارتفاع الكلمة الطيبة عن الانزلاق بها إلى مهاوي الجهل الأعمى.

فالكتاب الذي أعيشه، وأتنقل في واحاته، وأتصوع من عبير حروفه، أرى فيه ما يجي أمل التعايش السلمي في مجتمعاتنا، الذي نتطلبه جميعاً من أجل «تجديد الأمل في مسيرة الوحدة والتقارب» بين أطراف المجتمع الإسلامي والعربي، وإيجاد مرابع لسد «منافذ المحاولات (البائسة) الخارجية لإثارة الفتن الطائفية» وغلق سبل «الاحتراب

الداخلي والسقوط في الهاوية» من حيث نعلم أو لا نعلم، وذلك من خلال دعم منظمات المجتمع المدني؛ لأنها قوة المجتمع، وهكذا في اختيار النقاط الفكرية التي تحت الجماهير لتؤكد على وحدتهم، وتشد من تعاطفهم، وتوثق فيهم عرى المحبة والأخوة، والعمل الجاد في سبيل تحقيق القيم الإنسانية التي هي المبدأ الأساس لكل من يتحمل مسؤولية المبلّغ المؤمن، وتبقى الباب مفتوحة لنقاش علمي لبعض آرائه، إن اقتضى ذلك.

أشدُّ على يد الشيخ الجليل في مسيرته الرسالية، وله مني كل الاعتزاز والتقدير لمدرسته السيارة، التي أرجو لها كل الأمل في تحقيق الأهداف العالية التي يتبناها، والتواصل في إنتاجه الغزير بما ينفع المتعطش للمعرفة، وأما الزبد فيذهب جفاء، وغير مأسوف عليه.

ومن الله سبحانه له التسديد والتأييد، وهو وليّ التوفيق.

محمد بحر العلوم

النجف الأشرف

١٤٣٠ / ١١ / ١ هـ

تقديم



بقلم: آية الله الشيخ محمد
واعظ زاده الخراساني^(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله
الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد

فقد أُهديت إليّ ستّ مجلّدات من كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع)
من قبل مؤلّفها العالم الخبير والمصلح الكبير العلامة الشيخ حسن موسى الصفّار أيّده
الله تعالى في خدمة الدين الحنيف، والإصلاح بين المسلمين، إضافة إلى مجلّد كبير غير

(١) آية الله الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني، ولد في مدينة مشهد الإيرانية عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م،
مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية، وأستاذ علوم القرآن والحديث بكلية الإلهيات والمعارف
الإسلامية بجامعة مشهد، والأمين السابق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران،
طبعت له بعض الكتب: (صوت الوحدة)، (نداء الوحدة)، (رسالة الوحدة)، (الوحدة الإسلامية)،
(حياة الإمام البروجردي).

مطبوع. فتلقيتها بيد التكریم مقروناً بالشكر الجمیل وبكل إجلالٍ وتكریمٍ. فلاحظتها مجلداً بعد مجلّد، وبحثاً بعد بحث، حتى وقفت على مجموعة كبيرة من المعارف الإسلامية، والمباحث العلمية المتنوعة قلماً نجدتها مجموعة في كتاب، مما يحكي لنا ويرشدنا إلى أنّ مؤلّفها شيخنا المعظم له اهتمامٌ بالغٌ ليل ونهار، وفي جميع الأحوال بالعلم الدّيني ونشره، وبالثقافة الإسلامية الواسعة على مستوى الكتاب والسنة، وفي شعاع المذاهب الإسلامية كلها. فوجدته بحراً متلاطماً يثمر دوماً وفي كل الأيام والآتات، ويُعطينا دُرراً ثمينة، ولثالي قيّمة، لا ينصرف عنها فترة، ولا يترك عمله راحةً.

وقد كنتُ أعرفه منذ سنين، ووقفتُ على آثاره ومقالاته وكتبه من ذي قبل. وبالوقوف على هذه الأبحاث الجديدة، والآثار الطّيبة في هذه المجلّدات، فقد زادت معرفتي بهذه الشخصية الكبيرة التي يحتاج إليها الإسلام والمسلمون، لا سيما في هذا العصر المليء بالثقافات الغربية والشرقية مما قد يتصادم مع الثقافة الإسلامية العليا. والحق يقال: إنّ العلماء وإن كانوا كثيرين، إلّا أن العالم العارف بما يحتاج إليه العصر الحاضر، والذين هيئوا أنفسهم للإجابة بما يتطلّبه الزمان قليلون. ومن جملة هؤلاء القلّة عالمنا المثقّف حضرة الشيخ الصّفّار المعظم أدام الله أيامه وكثر الله أمثاله، وأعطاه كلّ خيرٍ يحبّ ويرضى.

وقد تضمّنت هذه المجلّدات ألواناً من المباحث والمواضيع من أبرزها: أولاً: خطب صلاة الجمعة بما فيها من الصنوف والفنون حسب المناسبات والأيام والأحداث، فإنّ هذا العالم علاوة على مشاغله الدّينية والاجتماعية، فإنه يتصدى لمنصب إمام الجمعة في بلده، فيراعى ويلاحظ في خطبته في كلّ جمعة ما مرّت عليه وعلى المجتمع الإسلامي في إسبوعه من الأحداث الإقليمية والعالمية ما يرى لزماً عليه الكلام حولها. فقسّم كبيراً من كلّ مجلّد منها خطباً قيّمةً متنوّعةً ومطوّلة.

ثانياً: مواضيع تقرّيبية بين المذاهب الإسلاميّة، وفي مواجهة الفتن الطائفية، ولا سيما بين السنّة والشيعّة في الأقطار الإسلاميّة بل في خارج العالم الإسلامي، وهذه المواضيع أكثر أبحاثه كمّاً وكيفاً.

فلهذا العالم سعيّ بليغ في سدّ أبواب الفتنة، وفي الدعوة إلى الوحدة والألفة بين أبناء الإسلام، ولا سيما بين علماء المذاهب والمثقفين منهم الذين هم دُعاة الأُمّة، والناطقون باسمها على الصعيد العلمي والاجتماعي، ولا سيما فيما يرجع إلى الدّين، ومعارفه، وأحكامه، وإلى موضع المسلمين أمام غيرهم من الأمم والملل.

اللهم أطل عمره، ووفّقه في المستقبل لأكثر مما وفّقته في الماضي، وآخر دعوانا أن الحمد لله، وسلامٌ على المرسلين.

كتبه محمد واعظ زاده الخراساني
 في مشهد المقدسة بلد الإمام
 الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام
 في ٧ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

أول الحديث

تنتظر المجتمعات الإسلامية من الخطاب الديني، أن يقدم حلولاً ومعالجات للمشاكل والتحديات التي تواجهها.

وهي مشاكل كبيرة وتحديات خطيرة، تبدأ من صعوبات التربية في عصر العولمة، حيث تدنت إمكانات تأثير الأسرة على الأبناء، لصالح تأثيرات وسائل الاتصال المتطورة، والإعلام الفضائي المفتوح.

مروراً بمشاكل التفكك الأسري، والأزمات الاقتصادية، وتخلف التنمية، وانتهاءً بهيمنة الاستبداد السياسي، وغياب المشاركة الشعبية، وما يؤدي إليه من فقدان الاستقرار والأمن، ونشوب الصراعات والنزاعات.

ثم ما تواجهه المجتمعات الإسلامية من عدوان صهيوني جائم على قلب الأمة، منذ أكثر من نصف قرن من الزمن، وكذلك محاولات الهيمنة والنفوذ من قبل مختلف قوى الاستكبار العالمي.

هذه التحديات والمشاكل تستوجب نهوض الأمة، وتجنيد قواها وطاقاتها، وتفعيل إمكاناتها وقدراتها، لتجاوز واقع التخلف، والالتحاق بركب الأمم المتقدمة، التي تنعم بالديمقراطية والاستقرار السياسي، وتتنافس في ميادين العلم والمعرفة، والتطور والتقدم الاقتصادي.

وإنهاض الأمة وتعبئتها لمواجهة المشاكل والتحديات، هي المهمة الأساس للخطاب الديني، لكن المؤسف أن بعض الخطاب الديني ينتج للأمة مشاكل إضافية،

ويشغلها عن مواجهة تحديات واقعها المعاصر، بنبش وإثارة مشاكل تاريخية قديمة، أكل عليها الدهر وشرب.

لقد حصلت في تاريخنا الماضي أحداث وصراعات سياسية واجتماعية كثيرة، ودارت خلافات ونزاعات كلامية وفقهية صاخبة، لم تكن بعيدة عن التأثير السياسي، ويحق لنا أن ندرس التاريخ، وأن نقرأ أحداثه ورجالاته، ونتعرف جذور التوجهات والتيارات السياسية والفكرية التي أسست للتنوع المذهبي القائم في الأمة.

لكن ذلك لا يعني البقاء في كهوف التاريخ، والتخندق في جبهات صراعاته، وإعادة تمثيل معاركه وحرابه، على حساب مصالح الحاضر، وهموم الواقع.

إن أتباع كل مذهب ومدرسة يجدون أنفسهم معنيين بتربية أبنائهم وفق انتماهم الديني المذهبي، ولهم الحق في التعبير عن آرائهم وتوجهاتهم، وإنتاج ثقافتهم المذهبية الخاصة.

كما أن الحوار والنقاش بين وجهات النظر المختلفة أمر مشروع ومطلوب، لإثراء المعرفة، وإنضاج الرأي، وتمحيص الحقائق.

لكن تربية الأبناء على المذهب لا تعني زرع الأحقاد والضغائن في نفوسهم على أبناء المذاهب الأخرى، ولا تحريضهم على الكراهية للآخرين، كما تصنع بعض مناهج التعليم الديني التي تقحم الجيل الناشئ في متاهات الخلافات المذهبية، وتحلق في نفوسهم مشاعر سلبية تجاه بعضهم بعضاً، مما يضر الوحدة الوطنية، والسلم المجتمعي.

كما أن جزءاً كبيراً من خطابات المساجد والحسينيات تأخذ منحى تعبئة جمهور المذهب ضد جمهور المذهب الآخر.

وتخصصت بعض القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية في إثارة الحوار المذهبي، باتجاه الشحن الطائفي، وإذكاء الصراع والنزاع، لصب الزيت على نيران الفتنة المتقدة في أكثر من موقع.

حقاً لقد أصبح الخطاب الديني في هذا الاتجاه مصدر مشاكل إضافية للأمة، بدل أن يقدم الحلول لمشاكلها القائمة.

إن حشوداً ضخمة من أبناء الأمة تجتمع في المناسبات الدينية لتصغي لخطابات الخطباء والدعاة، التي تبث أيضاً عبر القنوات الفضائية، مما يوفر أفضل الفرص لتوجيه الناس نحو تعزيز القيم الأخلاقية في حياتهم، ولإرشادهم للتغلب على المشاكل التي يواجهونها في مجالات التربية والعلاقات الأسرية، وصعوبات المعيشة، ولتحفيزهم نحو المعرفة والإنتاج وبناء المستقبل الأفضل.

لكن المؤسف أن معظم الخطابات التي تُلقى على تلك الحشود المهياة نفسياً للتفاعل والتأثر، تتجه نحو قضايا الخلاف المذهبي والتعبئة الطائفية، مما يخلق لدى الجمهور اهتماماً زائفاً، بأولوية المعارك المذهبية على سائر التحديات، ويصنع في نفوسهم إشباعاً كاذباً لعواطفهم الدينية، بأن الولاء للدين والإخلاص للعقيدة يتجسد في البراء من الآخر المذهبي، وبغضه وكرهته، ولعن رموزه والشخصيات التي يقدها، باعتبارهم شركين مبتدعة روافض، أو نواصب غاصبين معادين لأهل البيت.

هذه التعبئة الطائفية تشغل جمهور مختلف المذاهب، عما يعانونه من استبداد سياسي، وفساد اجتماعي، وأزمات معيشية.

إن ظواهر سلوكية خطيرة تنتشر في هذه المجتمعات، وتهدد أمنها الأخلاقي والاجتماعي، كانتشار المخدرات، وعصابات الإجرام، وممارسة العنف، والتفكك الأسري، وتدني مستوى التعليم، وارتفاع نسبة البطالة، والمشاكل الأخلاقية.... بينما يعيش ذلك الخطاب الديني في وادٍ آخر، وكأنه غير معني بما ينخر في جذور المجتمع من أمراض وأوبئة فتاكة.

والأخطر من ذلك ما تؤول إليه هذه التعبئة الطائفية من نشوب الفتن، وفقدان الاستقرار والأمن، كما حصل في أكثر من بلد كباكستان والعراق.

فهل يدرك هؤلاء المنتجون لهذا الخطاب مآلات وآثار خطابهم؟ إن بعضهم ينطلق من سوء فهم وقصر نظر، فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وبعض الخطباء لا بضاعة لهم غير هذه الحكايات التي حفظوها وألفوا طرحها، ولا يجيدون ولا يجيدون غيرها.

والبعض الآخر تدفعه الأغراض والمصالح، فيدغدغ مشاعر الجمهور بهذه الطروحات، لكسب الشعبية والنفوذ، وتحقيق المآرب الشخصية. وهناك من ينطلق في خطابه الطائفي من أجندة سياسية، لتحصيل موقع سياسي، أو خدمة حزب أو فئة، أو لكونه مدفوعاً من جهة سياسية في الداخل أو من الخارج، لها مصلحة في إثارة الخلاف وإشعال الفتنة.

ومع كل ما نشعر به من القلق لارتفاع صوت الخطاب الطائفي، إلا أننا يجب أن نراهن على إثارة وعي أبناء الأمة، فقد عاش الأوربيون ما تعيشه أمتنا الآن، من خلافات ونزاعات، طائفية وعرقية وسياسية، لكن حركة الوعي والتنوير التي قادها المفكرون والمثقفون والمصلحون الدينيون في مجتمعاتهم، قد أثمرت بعد كفاح مرير، وتضحيات كبيرة، فتجاوزت شعوبهم حالة الاقتتال والاحتراب، وأسسوا دولتهم الحديثة على أساس مفهوم المواطنة والمشاركة، وهم الآن يصنعون اتحادهم الأوربي الكبير الذي يضم سبعاً وعشرين دولة، تتنوع انتماءات شعوبها القومية والدينية، حيث يبلغ عدد اللغات الرسمية في الاتحاد الأوربي ثلاثاً وعشرين لغة، كما تتعدد مذاهبهم المسيحية من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت، إضافة إلى الجاليات المختلفة في انتماءاتها العرقية والقومية والدينية.

إن على القيادات المخلصة في الأمة أن تخوض معركة الوعي، وتقاوم التوجهات الطائفية، متسلحة بالثقة والأمل، وأن تطور خطابها التوعوي، وتكثف الجهود في نشره وبثه، لتتجه مسيرة الأمة نحو التنمية والبناء، وتتجاوز واقع الاستبداد والجمود.

ولن يكون الطريق مفروشاً بالورود أمام خطاب الوعي والوحدة، لأن القوى المستفيدة من واقع التخلف والاختلاف، ستفتح النار من كل اتجاه وصوب، لمحاصرة خطاب الإصلاح والوعي، فلا يمكن تجنّب المعركة، فذلك هو قدر المصلحين في كل عصر ومجتمع.

وبين يدي القارئ الكريم توثيق لتجربة متواضعة وفقني الله تعالى للمشاركة بها في جهود قضايا الإصلاح والوحدة، حيث يتضمن هذا المجلد التاسع من كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) معظم ما ألقيته من الخطب والمحاضرات، لسنة ١٤٢٨هـ، إضافة إلى المقابلات والتصريحات الإعلامية.

أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد اليسير، وأن يعفو عن خطأي الكثير، ويهديني سواء السبيل.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر للإخوة الأعزاء / الأستاذ عبد الباري الدخيل، والأستاذ مبارك الطيب، والأستاذ حسين الشيخ، والأستاذ علي الأصيل، لما بذلوه من جهد في إعداد هذا الكتاب، جزاهم الله خير الجزاء ووفقهم للمزيد من العطاء.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

القطيف ٢٠ شعبان ١٤٣٠هـ

١١ أغسطس ٢٠٠٩م

التعايش المذهبي ورؤية السيد السيستاني

كلمة الجمعة بتاريخ ٢١ محرم ١٤٢٨ هـ

تهبُّ على الأمة الإسلامية عاصفة فتنة طائفية هوجاء، تهدد بتمزيق مجتمعات الأمة، وتقويض أمنها واستقرارها، وإشغالها عن مواجهة تحديات الهيمنة الأجنبية، والتخلف الحضاري.

وتنطلق هذه الفتنة من حال الاقتتال والمجازر اليومية الفظيعة في العراق، هذا الحال الذي يعرف الجميع دور الاحتلال الأمريكي البغيض في صنعه، كما يعرف الجميع الدافع السياسي للأطراف المشاركة فيه، حيث يسعى كل طرف لأخذ موقعه وحصته في الواقع العراقي الجديد، بعد عقود من الاستبداد وهيمنة الحزب الواحد والقائد الفرد، الذي همّش وقمع الجميع، وصادر إرادة كل الشعب العراقي.

مع وضوح هذه الخلفية للأحداث المؤلمة في الساحة العراقية، إلا أن هناك إرادة وإصراراً على إثارة الفتنة الطائفية من خلالها، وتصويرها وكأنها احتراب مذهبي، والترويج لخطر داهم من قبل الشيعة على السنة، ومن قبل السنة على الشيعة.

وفجأة سادت لغة طائفية فجّة، على أغلب وسائل الإعلام العربية، وأصبحت تضيف على مختلف الأخبار هذه النكهة، وتتصيّد الأنباء والمشاهد المثيرة في هذا السياق. وتحنّد كثير من كتاب الصحف والمجلات وراء متاريس طائفية، حتى بعض الليبراليين الذين كانوا يستسخفون التوجهات الدينية بشكل عام.

وتحولت خطب الأئمة في المساجد إلى منابر للتحريض الطائفي، مستدعية كل ما في التراث والتاريخ من رصيد للكراهية المتبادلة والصراع المذهبي.

أما مواقع الانترنت المهتمة بهذا الشأن فقد وجدت فرصتها الثمينة، وتحركت أسواقها بعد أن كانت تعاني من الركود والكساد.

العلماء بين الاستدراج والوعي

أمام هذه الفتنة الهوجاء، كان متوقعاً من علماء الإسلام أن يأخذوا دور التحذير والتنبيه، حتى لا تسقط الأمة في هذا الفخ الخطير، وأن يتحركوا سريعاً لمحاصرة الحريق المشتعل في العراق، حتى لا يمتد لهبه إلى سائر المناطق، ومن ثم العمل على مساعدة الشعب العراقي، للخروج من محنته، بأقل قدر من الخسائر والتضحيات. فالعلماء يتحملون مسؤولية تذكير الأمة بمبادئ دينها، وتوعيتها بأخطار التحديات المحدقة بها، وتبصيرها في مواجهة الفتن والشبهات.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤].

والعلماء يمثلون دور الربانيين والأحبار في هذه الأمة، وواجبهم ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أن يؤكدوا على مبدأ الوحدة الذي فرضته آيات القرآن المجيد، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، وأن يأخذوا دور الرقابة والشهادة على الواقع ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾، فيحدّرون من الفرقة والتنازع، وفق توجيه كتاب الله تعالى، الذي يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ويقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

لكن المؤسف جداً انزلاق بعض العلماء واستدراجهم إلى أحوال الفتنة، ومشاركتهم بوعي أو غفلة في تأجيج ضرامها، عبر التعبئة وإثارة الضغائن والأحقاد، وفتح ملفات الخلافات العقدية والفقهية، وتجميع أوراق السقطات والأخطاء.

إنه لا يمكن إنكار وجود مشكلة هنا وخطأ هناك، بحدوث إساءة من طرف شيوعي، أو تصرف سيء من طرف سني، كما أن تاريخنا وتراثنا الإسلامي مليء بالأوراق الصفراء، والجراح الدامية، لكن هل هذا هو الوقت المناسب لفتح الملفات، وطرح الأوراق؟ ألا يعتبر ذلك صبباً للزيت على نار الفتنة المتقدة؟ وتوسيعاً لرقعة اشتعالها؟ أليس ذلك نوعاً من تقديم الخدمة الممتازة لإنجاح مخططات الهيمنة الأمريكية، بإحداث الفوضى الخلاقة - حسب وصفهم - في أرجاء المنطقة؟

المرجعية والموقف المسؤول

وبمقدار ما يأسف الإنسان ويألم لمواقف بعض العلماء الذين انطلت عليهم الخديعة، وخذلهم الوعي، أو دفعتهم المصالح الشخصية والفئوية للوقوع في شرك الفتنة الخطير، فإن الإنصاف يقتضي الإشادة والتقدير للموقف الرسالي المسؤول، الذي جسده العلماء المصلحون الربانيون، وفي طليعتهم المرجع السيد السيستاني، هذا الرجل الذي ضرب أروع الأمثلة المعاصرة في التزام المبدئية، والحرص على وحدة الأمة، والتسامي على الجراح.

إن الجميع يعرف الظروف القاسية التي عاشها السيد السيستاني، والحوزة العلمية في النجف الأشرف، وامتداداتها في الشعب العراقي، في عهد النظام البائد، والمقابر الجماعية، وأرقام الشهداء من الفقهاء والعلماء والخطباء، وحملات التهجير، ومآسي المعتقلات، كلها شواهد واضحة لا تقبل الإنكار.

لكن السيد السيستاني بعد سقوط النظام أجم أي نزعة للانتقام، وأخذ الثأر في صفوف أتباعه، وأصدر أكثر من فتوى تحرّم أي نوع من أنواع الانتقام، حتى نشر الوثائق التي تفضح أزلام النظام السابق وعملائه.

فقد أجاب عن سؤال: حول من تأكد دوره المباشر في قتل الأبرياء من أزلام النظام

السابق، هل تجوز المبادرة إلى القصاص منه؟ أجاب سماحته: «القصاص إنما هو حق لأولياء المقتول، بعد ثبوت الجريمة في المحكمة الشرعية، ولا تجوز المبادرة إليه لغير الولي، ولا قبل الحكم به من قبل القاضي الشرعي».

وردًا عن سؤال حول كون الشخص عضواً في حزب البعث السابق أو متعاوناً مع أجهزة النظام الأمنية هل يكفي ذلك لمعاقبته؟ أجاب سماحته: «لا يكفي وأمر مثله موكول إلى المحاكم الشرعية، فلا بد من الانتظار إلى حين تشكيلها».

وحول نشر الوثائق التي تفضح عملاء النظام السابق أجاب سماحته: «لا يجوز ذلك، بل لا بد من حفظها وجعلها تحت تصرف الجهة ذات الصلاحية»^(١).

تجاه فتنة الإرهاب والتكفير

حين بدأت فتنة الإرهاب والتكفير الطائفي في العراق، وأعلن الزرقاوي حربه على شيعة العراق، واستهدافه لشخصياتهم ومناسباتهم الدينية، بمرأى ومسمع من الجميع، وبصراحة تامة، حيث توالى الاغتيالات والتفجيرات من عصابته والمتحالفين معهم، كالتفجير الذي استهدف السيد محمد باقر الحكيم بتاريخ ١ رجب ١٤٢٤ هـ عند مرقد الإمام علي في النجف الأشرف، وكتفجيرات يوم العاشر من المحرم ١٤٢٥ هـ في كربلاء، التي استهدفت مواكب المعزّين والزائرين، وما تلاها من تفجيرات الكاظمية وغيرها، كالحلة والعمارة، ومسجد براثا التاريخي في بغداد، وصولاً إلى تفجير قبة الإمامين العسكريين في سامراء بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٧ هـ.

ولا شك أن هذه التفجيرات وما تسفر عنه من ضحايا ومجازر رهيبة، وما تشكله من انتهاك لحرمة المقدسات والشعائر الدينية للشريعة، كانت تفجّر الغضب في نفوسهم، وتلهب مشاعر التحدي في أوساطهم، مما يدفع باتجاه الانتقام، والقيام بردود فعل مشابهة،

(١) حامد الخفاف. النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م، (بيروت: دار المؤرخ العربي)، ص ٢٠٤-٢٠٥.

لكن وعي السيد السيستاني وحكمته منعت ذلك لوقت طويل، حيث كان يرفض اتهام أي جهة مذهبية، ويؤكد على التحلي بالوعي، والحذر من الفئات المعادية لكل العراق ولكل المذاهب.

ففي رده عن سؤال عن الموقف تجاه تهديدات الزرقاوي، قال بيان صادر عن مكتبه بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٢٦هـ:

«إن الهدف الأساس من إطلاق هذه التهديدات، وما سبقها وأعقبها من أعمال إجرامية، استهدفت عشرات الآلاف من الأبرياء، في مختلف أنحاء العراق: هو إيقاع الفتنة بين أبناء هذا الشعب الكريم، وإيقاد نار الحرب الأهلية في هذا البلد العزيز، للحيلولة دون استعادته لسيادته وأمنه، ومنع شعبه المتخن بجراح الاحتلال، وما سبقه من القهر والاستبداد، من العمل على استرداد عافيته، والسير في مدارج الرقي والتقدم. ولكن معظم العراقيين - ولله الحمد - على وعي تام بهذه الأهداف الخبيثة، وسوف لن يسمحوا للعدو الطامع بتحقيق مخططاته الإجرامية، مهما نالهم من ظلم وأذى، وأرى على ثرى بلدهم الطاهر من دماء زكية لأهلهم وأحببتهم.

وإننا في الوقت الذي نعبر فيه عن بالغ الأسى لكل قطرة دم عراقية تسفك ظلماً وعدواناً، ونتألم لآهات الثكالي وبكاء الأيتام وأنين الجرحى، ندعو المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى الاستمرار في ضبط النفس، مع مزيد من الحيطة والحذر»^(١).

ولنا أن نقارن هنا بين هذا الموقف المسؤول للسيد السيستاني، وهو يعيش في معمرة الأحداث، ويواجه غليان الشارع المحيط به، وبين مواقف علماء وشخصيات أخرى، تعيش مرفهة خارج العراق، ثم تتخذ من الأحداث الإرهابية التي أصابت بعض السنة في العراق مبرراً لإثارة النعرة الطائفية، والفتنة المذهبية، وكأنها تحمل كل الشيعة في العالم وزر ما حصل لأهل السنة في العراق، متجاهلة تعقيدات الساحة العراقية، وانعكاسات

(١) المصدر نفسه. ص ١٤٢-١٤٣.

الإرهاب التكفيري، ودور الاحتلال الأمريكي، وتأثيرات السياسة الإقليمية!!

رؤية التعايش المذهبي

تضمن البيان المهم الذي صدر عن مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف الأشرف، بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ هـ - ٣ فبراير ٢٠٠٧ م، رؤية عميقة لمعالجة المشكل الطائفي، تستحق الدراسة والاهتمام، وإني أوافق الدكتور حمزة قبلان المزيني على ما ذكره حول هذا البيان في مقال له في جريدة (الوطن) السعودية بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٧ م حيث قال:

«وتأتي أهمية هذا البيان من صدوره عن هذه المرجعية الشيعية العليا، التي يقلدها كثير من المؤمنين الشيعة في العالم، وهذا ما يوجب الترحيب به، والعمل على جعله أساساً لبداية عمل مخلص لوأد الفتنة بين المسلمين، كما يجب أن يبرز وينشر على نطاق واسع، لما يتضمنه من المبادئ التي يمكن أن ترشد مواقف المسلمين الشيعة، وتُدخل الاطمئنان على السنة، وتضع الخلاف بين المذهبين في مساره الحقيقي...».

«ومن هنا يجب أن نمسك بهذه اللحظة التاريخية التي يمثلها صدور هذا البيان من هذه المرجعية المرموقة، ونعمل تبعاً لذلك على تعميمه على أوسع نطاق، في العراق خاصة الآن، وأن يكون وثيقة يوعظ بها على منابر المساجد والحسينيات والمنتديات والصحف والندوات التلفازية والإذاعية، حتى يصل إلى المسلمين جميعاً من المذهبين، بدلاً لما تحفل به هذه المنابر كل يوم من الشحن الطائفي البغيض. ولا يقل عن ذلك أهمية أن يقابل هذا البيان بيانات من علماء أهل السنة تماثله من حيث المرجعية والمحتوى...»^(١).

وبالعودة إلى الرؤية التي تضمنها البيان فإن من أهم ملاحظها ما يلي:
أولاً: أخذ الظروف العصبية التي تمر بها الأمة بعين الاعتبار، فهناك أكثر من وطن

(١) حمزة المزيني. جريدة الوطن، التاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٧ م.

إسلامي يئن تحت وطأة الاحتلال، كفلسطين والعراق وأفغانستان، وأوطان أخرى تحت طائلة التهديد بالتدخل والضربات العسكرية، وهناك حرب معلنة على رموز الإسلام ومقدساته، واستخفاف بوجود الأمة وكرامتها، تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

إن من يعي هذه التحديات الخطيرة، يجب أن يرفض أي إضعاف لجهة الأمة الداخلية، وأي إرباك لساحتها بالنزاعات والخلافات.

ثانياً: إن التنوع المذهبي وما يعنيه من اختلاف في بعض المعتقدات والأحكام، ليس شيئاً طارئاً، ولا حادثاً مستجداً، بل هو واقع عاشته الأمة طيلة عهودها السابقة، فلا بد من قبول هذا التنوع والتعددية المذهبية، وهذا ما نصت عليه توصيات قمة مكة الاستثنائية بين قادة الدول الإسلامية، في العام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ثالثاً: إن أصول الدين، وأركان العقيدة، ودعائم الإسلام، هي مورد اتفاق بين المسلمين، يشتركون بجميع مذاهبهم في الإيمان بها، «فإن الجميع يؤمنون بالله الواحد، الأحد ورسالة النبي المصطفى ﷺ، وبالمعاد، وبكون القرآن الكريم - الذي صانه الله من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية، وبمودة أهل البيت ﷺ، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة، ومنها دعائم الإسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها، فهذه المشتركات هي الأساس القويم للوحدة الإسلامية...».

رابعاً: إنه لا خير في بحث الاختلافات العقدية والفقهية والتاريخية في (إطار البحث العلمي الرصين) وليس ضمن أساليب التعبئة والتهريج.

خامساً: تحقيق التعايش السلمي، على أساس الاعتراف والاحترام المتبادل، وحفظ الحقوق الإنسانية والوطنية، ونبذ المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية. والتأكيد على «حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً، وحرمة عرضه وماله، والتبرؤ من كل من

يسفك دماً حراماً أياً كان صاحبه».

باعث الدين والوعي

هذه الرؤية العميقة التي يقدمها السيد السيستاني للتعايش بين أبناء المذاهب الإسلامية، ليست فكرة أثارتها في ذهنه التطورات السياسية، بل تنطلق من جذور دينية راسخة، فهو خريج مدرسة حملت هم الوحدة والتقريب بين المسلمين منذ عقود من الزمن، هي مدرسة أستاذه السيد حسين البروجردي (توفي ١٣٨٠ هـ)، الذي كان المرجع الأعلى في الحوزة العلمية في قم، وهو الذي رعى تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، في ستينيات القرن الميلادي المنصرم، وله آراؤه المعروفة على صعيد الانفتاح والتقريب.

وقد انضم السيد السيستاني إلى دروس السيد البروجردي عام ١٣٦٨ هـ، وتأثر به، واستفاد من ملاحظاته ونظرياته الدقيقة العلمية، في علمي الرجال والفقهاء^(١). إن السيد السيستاني في بحثه لموضوع الاجتهاد والتقليد، يؤكد أهمية اطلاع الفقيه الشيعي على آراء فقهاء السنة المعاصرين لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وإن ذلك من مقومات الفقه والأعلمية، كما جاء في تعليقه على العروة الوثقى مسألة رقم ١٧. وهو ينفي عن أهل السنة بغض أهل البيت، بل يراهم مؤمنين بمودتهم، كما جاء في بيانه بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ هـ «فإن الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد... وبمودة أهل البيت عليهم السلام».

وبناءً عليه، فالسنة ليسوا نواصب، لأن النواصب (هم المعلنون بعداوة أهل البيت عليهم السلام) كما جاء في رسالته العملية الجامعة لفتاواه (منهاج الصالحين) الجزء الأول ص ١٣٩.

(١) محمد الغروي. المرجعية ومواقفها السياسية، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ، (بيروت: دار المحجة البيضاء)، ص ٤٢.

وهو يشيد برموز الجهاد من أهل السنة، ويعتبر من يُقتل منهم في سبيل الله شهيداً، يدعو له بالرحمة والمغفرة، كما جاء في بيان مكتبه حول استشهاد الشيخ أحمد ياسين بتاريخ ٣٠ محرم ١٤٢٥هـ بالنص التالي: «في صباح هذا اليوم وفي جريمة بشعة ارتكبتها الكيان الصهيوني المحتل، فقد الشعب الفلسطيني أحد رجاله الأبطال، العالم الشهيد الشيخ أحمد ياسين، تغمده الله بواسع رحمته، الذي كرّس حياته لخدمة وطنه ودينه، وأصبح مثلاً يحتذى به في الصبر والمقاومة»^(١).

وحينما بلغه اقتحام بعض الجهلاء من الشيعة في بعض مناطق العراق، لبعض مساجد أهل السنة، وطرده أئمة الجماعة منها، أصدر السيد السيستاني فتوى في الإجابة عن سؤال عن الموضوع، بتاريخ ١٨ صفر ١٤٢٤هـ بالنص التالي: «هذا العمل مرفوض تماماً، ولا بد من رفع التجاوز، وتوفير الحماية لإمام الجماعة، وإعادته إلى جامعته معزراً مكرماً»^(٢).

بل إنه أمر بالإسهام في بناء مساجد أهل السنة، وإعادة تعميرها، كما نقل ولده السيد محمد رضا السيستاني، حسبما أوردته جريدة الحياة بتاريخ ١٨ ابريل ٢٠٠٣م ١٦ صفر ١٤٢٤هـ.

وهو يبرئ أهل السنة من جريمة الاعتداء على مقام الإمامين العسكريين بسامراء، كما جاء في بيانه حول الذكرى السنوية بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٨هـ، حيث قال ما نصه: «ندعو المؤمنين وهم يحيون هذه المناسبة الحزينة، ويعبرون عن مشاعرهم الجياشة، تجاه ما تعرّض له أئمتهم ﷺ من هتك واعتداء، أن يراعوا أقصى درجات الانضباط، ولا يبدر منهم قول أو فعل يسيء إلى المواطنين من إخواننا أهل السنة، الذين هم براء من تلك الجريمة النكراء، ولا يرضون بها أبداً».

(١) النصوص الصادرة عن ساحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ص ١١٢.

(٢) المصدر نفسه. ص ١١.

إلى الداخل الشيعي

لا تخلو الساحة الشيعية من اتجاهات متشددة مذهبياً، لقناعاتها الفكرية، أو لنهج تعصبي، أو ردّ فعل لتطرف من الجهة الأخرى، هذه الاتجاهات الشيعية المتطرفة، تشكل ضغطاً على خط الاعتدال الشيعي العام، بدغدغتها للمشاعر الطائفية، وطرح نفسها كسور حصين للدفاع عن العقيدة وحماتها، وهي بطروحاتها المغالية، ونيلها من رموز الطرف الآخر، انطلاقاً من فهمها لقضية التولي والتبري، تعطي المبررات والأوراق لجهات التطرف في الجانب السني، وهكذا تستمر لعبة الفعل ورد الفعل، بين جهتي التطرف الشيعية والسنية، على حساب مصلحة الدين والأمة، مما يشكل ضغطاً على دعاة التقريب والاعتدال، ويعوّق مسيرتهم.

وهنا يأتي دور كبار العلماء عند السنة، والمرجعيات العليا عند الشيعة، لترشيد توجهات الجمهور، وتشجيع جهود التقريب والوحدة، والانتصار لخط الاعتدال، وكبح جماح جهات التطرف والتشدد.

لذا يمكن القول: إن رؤية ساحة السيد السيستاني بما يمثله من مرجعية عليا، ومواقفه الوجودية الداعية للتسامح والتعايش المذهبي، تشكل أفضل رسالة دعم لخط الاعتدال العام في الساحة الشيعية.

فلا أحد يستطيع المزايدة عليه، ولا اتهامه بالتخاذل في نصره العقيدة، أو تقديم التنازلات لمصالح سياسية، ونطمح من سماحته إلى المزيد من هذه الرؤى المنفتحة، والمواقف الرسالية، ونأمل فيما يوازيها ويمثلها من كبار علماء السنة، حتى تستطيع الأمة تخطي هذه المحنة، والفتنة الطائفية العمياء، وليحقق هذا الجيل المسلم حلم الوحدة والتقريب إن شاء الله.

صلاة الجمعة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٦ صفر ١٤٢٨ هـ

صوت الأذان للصلاة هو نداء ودعوة من الله تعالى لعبده المؤمن، ليقبل على ربه، وليجدد عهد الطاعة والعبودية له. ووظيفة المؤمن تلبية هذه الدعوة، والاستجابة لهذا النداء عند وقت كل فريضة، وفي كل يوم حين يرتفع صوت المؤذن مجلجلاً في آفاق السماء.

إن هذه الدعوة الإلهية للعبادة والصلاة تتكرر خمس مرات كل يوم، لتفعيل التواصل الدائم بين العبد وربّه، ويبلغ تعدادها أسبوعياً خمساً وثلاثين صلاة. لكن صلاة واحدة من هذه الصلوات الخمس والثلاثين خلال الأسبوع، أحاطها الإسلام باهتمام خاص، وجعل لها موقعية مميزة بين سائر الفرائض، وشرع أداءها بكيفية خاصة، وأفردها بأحكام معينة، هي صلاة الجمعة، التي أصبحت عنواناً لسورة كاملة من القرآن الكريم هي (سورة الجمعة).

ويمكننا أن ندرك الأهمية الكبيرة لصلاة الجمعة في الإسلام من خلال الأبعاد التالية:

البعد الاجتماعي

فإذا كان أداء سائر الصلوات جماعة أمراً مستحباً، وسنة مؤكدة، حسب رأي أكثر المذاهب الإسلامية، فإن أداء صلاة الجمعة لا يكون إلا جماعة باتفاق فقهاء المسلمين، فهي لا تؤدى فرادى، وإنما تؤدى جماعة، وهذا يعني إلزام المسلم بأداء الصلاة جماعة مرة

واحدة في الأسبوع، في صلاة الجمعة، ضمن شرائط الوجوب.

البعد التوعوي

تتاز صلاة الجمعة باشتغالها على جانب التوعية والإرشاد، حيث تجب فيها خطبتان يلقيهما الإمام قبل الصلاة، ويجب الإصغاء لهما من قبل المأمومين، بينما تصبح الصلاة ركعتين، وليست أربع ركعات كما هو الواجب في صلاة الظهر. وتشير النصوص الدينية إلى أن الخطبتين بمثابة الركعتين اللتين أنقصتا من الصلاة، فهي كالجُزء من الصلاة.

ويفترض في خطبتي الجمعة أن تقدما زاداً أسبوعياً من الموعدة والتوعية والإرشاد فيما يحتاجه المجتمع المسلم.

البعد الوجداني

يمكن أن تقام صلاة الجماعة لسائر الفرائض اليومية في كل المساجد، بل في كل مكان يجتمع فيه اثنان فأكثر، لكن صلاة الجمعة لا يصح أن تتعدد في المدينة الواحدة، حيث يشترط أن تكون هناك مسافة لا تقل عن فرسخ تعادل خمس كيلومترات ونصفاً بين كل صلاة جمعة والأخرى، وفقاً لرأي المذهب الجعفري، وعندما تقام صلاة الجمعة، فإنه يجب الحضور لها عند توفر شرائط الوجوب على المقيمين في محيطها، ضمن مسافة فرسخين، أي أحد عشر كيلو متراً.

حكم صلاة الجمعة

اتفق المسلمون على أصل وجوب صلاة الجمعة، واختلفت مذاهبهم وفقهاؤهم في شرائط وجوبها، وشرائط صحتها.

حيث اشترط الحنفية لوجوبها وصحتها أن يكون المكان الذي تقام فيه (مصرأً)،

والمقصود بالمصر كل بلدة نصب فيها قاضي ترفع إليه الدعاوى والخصومات. وعلى هذا فمن كانوا يقيمون في قرية نائية، لا يكلفون بإقامة الجمعة، وإذا أقاموها لم تصح منهم. قال صاحب البدائع: المصر الجامع شرط وجوب الجمعة، وشرط صحة أدائها عند أصحابنا، حتى لا تجب الجمعة إلا على أهل المصر، ومن كان ساكناً في توابعه، وكذا لا يصح أداء الجمعة إلا في المصر وتوابعه. فلا تجب على أهل القرى التي ليست من توابع المصر، ولا يصح أداء الجمعة فيها^(١).

كما اشترط الحنفية، إذن السلطان بذلك، أو حضوره، أو حضور نائب رسمي عنه، إذ هكذا كان شأنها في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين^(٢). وعند الزيدية يشترط لصلاة الجمعة وجود إمام عادل، ولا يكفي وجود الإمام، بل لا بد مع وجوده من توليته، أي أخذ الولاية منه على إقامة الجمعة^(٣).

ويرى الأباضية أن وجود الإمام أو نائبه شرط لوجوب صلاة الجمعة، فإن لم يكن واحد منهما لم تجب، لكنها تجوز خلف متولٍّ من المذهب، عند بعض فقهاءهم، ولم تجز عند بعض آخر، قال الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في شرح كتاب النيل: ومذهبنا أنه لا تصح إلا بإمام أو نائبه أو مأمور أحدهما^(٤).

المذهب الجعفري

واختلفت آراء فقهاء المذهب الجعفري حول شرائط وجوب وصحة صلاة الجمعة،

(١) الموسوعة الفقهية. ج ٢٧، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ص ١٩٦.

(٢) المصدر السابق. ص ١٩٧.

(٣) أحمد بن قاسم العنسي الصنعائي. التاج المذهب لأحكام المذهب ج ١، (صنعاء: مكتبة اليمن الكبرى)، ص ١٣٦.

(٤) محمد بن يوسف اطفيش. شرح كتاب النيل ج ٢، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، (جدة: مكتبة الإرشاد)، ص ٣٢٤.

حيث اعتبر أكثرهم أن وجود الإمام المعصوم شرط لوجوبها، فلا تجب إلا بحضوره أو بمنصوب من قبله، أو بوجود سلطان عادل، لكن عدداً لا يستهان به من فقهاء الشيعة رأوا وجوبها حتى في عصر غيبة الإمام مع توفر سائر الشرائط.

وعدا قلة من الفقهاء يرون عدم صحتها في غياب الإمام، فإن أغلب فقهاء الشيعة يرون صحة إقامتها في زمن الغيبة مع توفر سائر الشرائط، وأن المكلف مخير بينها وبين صلاة الظهر يوم الجمعة.

ويرى بعض الفقهاء أنها إذا أقيمت بشرائطها تصبح واجبة، ويجب الحضور لها، فالناس مخيرون بين إقامة صلاة الجمعة أو أداء صلاة الظهر، لكنه إذا تصدى عدد تنعقد بهم صلاة الجمعة، سبعة أو خمسة أشخاص، وتقدمهم من تتوفر فيه شرائط إمام الجماعة المعروفة، ينتهي التخيير، ويتعين على المكلفين ضمن الشروط المقررة حضور صلاة الجمعة. وهو رأي السيد الخوئي والسيد محمد باقر الصدر والسيد فضل الله وآخرين. بينما يرى فقهاء آخرون استمرار التخيير بين الجمعة والظهر حتى مع إقامتها، لكن صلاة الجمعة أفضل من صلاة الظهر.

قال السيد السيستاني: «صلاة الجمعة واجبة تخيراً على الأظهر، ومعنى ذلك: أن المكلف يوم الجمعة مخير بين الإتيان بصلاة الجمعة على النحو الذي تتوفر فيه شرائطها، وبين الإتيان بصلاة الظهر، ولكن إقامة الجمعة أفضل فإذا أتى بها مع الشرائط أجزأت عن الظهر»^(١).

وقال الشيخ الفيّاض: «إذا أقيمت صلاة الجمعة في يومها بتمام شروطها، فالمكلف مخير بين أن يحضر فيها أو يصلي صلاة الظهر، وإن كان الأول «صلاة الجمعة»

(١) السيد علي الحسيني السيستاني. منهاج الصالحين ج ١، صلاة الجمعة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، (قم المقدسة: مدين)، ص ٣٠٧.

أفضل وأجدر»^(١).

الحث على صلاة الجمعة

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة الآية: ٩].

(نودي) من مادة (نداء) وهي بمعنى الأذان إذ لا نداء للصلاة غير الأذان، فعندما يرتفع الأذان لصلاة الجمعة، يكون لزاماً على الناس أن يتركوا مكاسبهم ومعاشهم، ويذهبوا إلى الصلاة، وهي أهم ذكر الله.

وعبارة ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إشارة إلى أن إقامة صلاة الجمعة وترك المكاسب والعمل في هذا الوقت، خير وأنفع للمسلمين من حطام الدنيا وملاذها الزائلة. ومن الواضح أن الأمر ترك البيع والشراء مفهوماً واسعاً يشمل كل عمل يمكن أن يزاحم الصلاة.

من الجدير بالملاحظة أن بعض الروايات جاءت حول الصلاة اليومية «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة». وقد عبرت الآية فيما يتعلق بصلاة الجمعة بقولها (فاسعوا) لتعطي أهمية بالغة لصلاة الجمعة^(٢).

ولأن السعي بمعنى السير السريع والإسراع في المشي كالعدو والركض، فالآية تدلنا على وجوب السرعة عند الأذان والنداء للصلاة يوم الجمعة^(٣).

أما الأحاديث والروايات الواردة حول صلاة الجمعة فهي كثيرة جداً، يقول

(١) الشيخ محمد إسحاق الفياض. منهاج الصالحين ج ١، صلاة الجمعة، الطبعة الأولى، (قم: مكتب الشيخ محمد اسحق الفياض)، ص ٢٨٢.

(٢) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١٨، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة البعثة)، ص ٣٠٧.

(٣) التنقيح في شرح العروة الوثقى. كتاب الصلاة، ج ١ ص ١٧.

السيد الخوئي: هي من الكثرة بمكان ومتجاوزة حد الاستفاضة بلا ريب، وقد أنهاها بعضهم إلى ماتني (٢٠٠) حديث، فقال: فالذي يدل على الوجوب بصريحه من الصحاح والحسان والموثقات وغيرها أربعون حديثاً، والذي يدل بظاهره على الوجوب خمسون حديثاً، والذي يدل على المشروعية في الجملة أعم من أن يكون عينياً أو تخييرياً تسعون حديثاً، والذي يدل بعمومه على وجوب الجمعة وفضلها عشرون حديثاً.^(١)

ونقل بعض تلك النصوص كمنهاذج وأمثلة:

عن رسول الله ﷺ: «من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل»^(٢). أي إن ذنوبه قد غفرت له.

عن رسول الله ﷺ: «أما يوم الجمعة فيوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فما من مؤمن مشى فيه إلى الجمعة إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يؤمر به إلى الجنة»^(٣).

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يقال له: قليب، فقال له: يا رسول الله، إني تهيأت إلى الحج كذا وكذا مرة فما قدر لي؟ فقال ﷺ: يا قليب، عليك بالجمعة فإنها حج المساكين^(٤). وقال النبي ﷺ في خطبة طويلة: «إن الله تبارك وتعالى فرض عليكم الجمعة، فمن تركها في حياتي، أو بعد موتي، استخفافاً بها، أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برّ له، حتى يتوب»^(٥).

(١) المصدر نفسه. ص ٢١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، حديث رقم ٩٣٨٤.

(٣) المصدر نفسه. حديث رقم ٩٣٩٠.

(٤) المصدر نفسه. حديث رقم ٩٣٩٨.

(٥) المصدر نفسه. حديث رقم ٩٤٠٩.

جاء في رواية صحيحة عن زرارة بن أعين، عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «فرض الله عز وجل على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها الله عز وجل في جماعة وهي الجمعة»^(١).

صحيحة أبي بصير ومحمد بن مسلم قالوا: سمعنا أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «من ترك الجمعة ثلاثاً متواليات بغير علة طبع الله على قلبه»^(٢).

قال السيد الخوئي تعليقاً على الرواية: طبع الله على قلبه هو من أوصاف المنافقين وكناية عن كون ذلك موجباً للعصيان. وسندها صحيح^(٣).

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرّم الله جسدها على النار»^(٤).

رأي الشهيد الصدر

خصّ الشهيد السيد محمد باقر الصدر في رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) صلاة الجمعة بحديث رائع مركز نقتطف منه الفقرة التالية لأهميتها:

«صلاة الجمعة وهي من أهم شعائر الإسلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٩].

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرّم الله جسدها على النار».

وتحتل صلاة الجمعة موضع صلاة الظهر ضمن تفصيلات تأتي. وقد ميز الله

(١) وسائل الشيعة. حديث رقم ٩٣٨٢.

(٢) المصدر نفسه. حديث رقم ٩٣٩٢.

(٣) التنقيح في شرح العروة الوثقى. ص ٢٥.

(٤) وسائل الشيعة. حديث رقم ٩٣٨٨.

سبحانه وتعالى صلاة الجمعة عن سائر الصلوات اليومية على ما يأتي بأن أوجب أداءها ضمن صلاة جماعة، وأمر بتوحيدها في كل منطقة، ولم يسمح بالتأخر عن حضورها إذا أقيمت إلا لأعذار خاصة. وبذلك كانت صلاة الجمعة تعبر عن اجتماع أسبوعي موسع لعامة المصلين والمؤمنين، يبدأ بالموعظة والتثقيف ضمن خطبتي صلاة الجمعة، وينتهي بالعبادة والتوجه إلى الله ضمن الصلاة نفسها.

وتجب إقامة صلاة الجمعة وجوباً حتمياً في حالة وجود سلطان عادل متمثلاً في الإمام أو في من يمثله. ويراد بالسلطان العادل: الشخص أو الأشخاص الذين يمارسون السلطة فعلاً بصورة مشروعة، وقيمون العدل بين الرعية. وهذا الحكم الأول لصلاة الجمعة يعبر عنه (بالوجوب التعييني لإقامة صلاة الجمعة).

وأما في حالة عدم توفر السلطان العادل فصلاة الجمعة واجبة أيضاً، ولكنها تجب على وجه التخيير ابتداءً، وتجب على وجه الحتم انتهاءً. وذلك لأن المكلفين في هذه الحالة يجب عليهم أن يؤدوا الفريضة في ظهر يوم الجمعة، إما بإقامة صلاة الجمعة جماعة على نحو تتوفر فيها الشروط السابقة وإما بالإتيان بصلاة الظهر. وأيهما أتى به المكلف أجزاءه وكفاه، غير أن إقامة صلاة الجمعة أفضل وأكثر ثواباً وهذا هو الحكم الثاني لصلاة الجمعة ويعبر عنه بـ (الوجوب التخييري لإقامة صلاة الجمعة).

فإن اختار خمسة من المكلفين إقامة صلاة الجمعة امتثالاً للحكم الثاني، وكان فيهم شخص عادل يصلح أن يكون إمام جماعة فقدموه ليخطب بهم ويصلي صلاة الجمعة وأقاموها على هذا النحو وجب على سبيل الحتم والتعيين على المكلفين عموماً الحضور والاشتراك في صلاة الجمعة، لأن إقامتها نداء لصلاة الجمعة، وإذا نودي لصلاة الجمعة وجب السعي إلى ذكر الله وهذا هو الحكم الثالث لصلاة الجمعة ويعبر عنه بـ (الوجوب التعييني لحضور صلاة الجمعة)^(١).

(١) الفتاوى الواضحة. ص ٢٨٣-٢٨٦.

عنوان المسلمين وشعارهم

ألف الشيخ محمد الخالسي (١٣٠٦هـ - ١٣٨٣هـ)، وهو فقيه أصولي كتاباً مهماً بعنوان (الجمعة) يقع في ٢٣٠ صفحة، بحث فيه أدلة وجوب الجمعة تعييناً على كل مكلف، في جميع العصور، وردّ فيه على الآراء الأخرى مناقشاً أدلتها، كما تحدث في كتابه عن فلسفة صلاة الجمعة وآدابها، طبع الكتاب في بغداد سنة ١٣٦٩هـ، والشيخ الخالسي هو من رواد إقامة صلاة الجمعة والمكافحين من أجل إقامتها، وكان يقيمها في المسجد المجاور لمقر الإمامين الكاظمين (عليه السلام) في الكاظمية.

ومما جاء في كتابه حول أهمية الجمعة ننقل الفقرة التالية:

«ويظهر في مجموع الأحاديث وسيرة النبي والأئمة (عليهم السلام) أن الشارع جعل الجمعة شعار المسلمين وشعيرة الإسلام، وأنه أمر المسلمين فيها بأنواع الزينة في أبدانهم وملابسهم والصالحات في أعمالهم وأقوالهم والفكرة فيما يحتاجون إليه من أمور دنياهم وآخرتهم، وأمر أئمة الجمعة بذكر ما يهيم المسلمين في جميع أقطار الأرض والأمر بذكر ما طرأ للمسلمين من بوائق الشر في الأسبوع والحث على الازدياد من الخير في خطبهم الواجبة قبل صلاتهم، وقد قسم الشارع في ذلك جميع المسلمين إلى جماعات صغيرة، فأمر باجتماع أهل كل أربعة فراعخ كل جمعة في محل واحد ليعرفوا ما يهيمهم مما يجب عليهم ويهيمهم في جميع أمورهم مما يجب بيانه في خطب الأئمة.

وإذا كان لكل أمة عنوان وشعار، فإن الجمعة عنوان المسلمين وشعارهم ومساجدهم هي المجمع العامة التي يجب على كل مسلم دخولها والاجتماع فيها في كل أسبوع مرة على الأقل وجوباً تعيينياً لا يسع أحداً من المسلمين تركه»^(١).

(١) محمد الخالسي. الجمعة، (بغداد: مطبعة المعارف)، ص ٥٥-٥٦.

تجديد الأمل في مسيرة الوحدة والتقارب

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ

أكد الشيخ حسن الصفار في خطبة الجمعة اليوم على اجتماع كلمة دعاة التقريب الذين اجتمعوا في المؤتمر العشرين للتقريب بين المذاهب، وذلك في طهران الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأسبوع المنصرم، على الاستمرار في مسيرتهم للدعوة إلى وحدة الأمة والتقارب بين أبنائها على اختلاف مذاهبهم، وأن هذا ما يبعث روح الأمل والتفاؤل، حيث كان هناك في اللقاء أكثر من مئتي شخصية من العلماء والمفكرين، ومن مختلف الطوائف والشرائع والبلدان.

مؤكداً: «إن هذا المؤتمر الذي يعقد سنوياً في إيران، وفي ذكرى مولد النبي الأعظم محمد ﷺ سنةً حسنة، وهو خير موعد لتذكير الأمة بأهمية هذا الأمر، الذي كان هدفاً سامياً في رسالة المصطفى كما يؤكد القرآن الكريم على ذلك: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾».

مشيراً إلى أن عقد هذا المؤتمر في هذه السنة كان في غاية الأهمية، لما مرّ في الأيام الماضية من عاصفة هوجاء محملة بغبار ورمال الفتنة الطائفية، التي أثارها العملاء والجهال والحمقى، وكان مما يؤسف ما شاهدته أنظارنا من تساقط أناس أمام هذه العاصفة، وهم من كانت الأمة تأمل فيهم خيراً لتحمل دور التقريب والوحدة بين أبنائها. حتى انتعشت التيارات المتشددة عند السنة والشيعنة ليؤكدوا أن لا سبيل للتقارب.

ثم قال سماحته لجموع المصلين: «ولكنني أبشركم من خلال من رأيت وما رأيت

في المؤتمر أن هناك عزماً وإصراراً من قبل المجتمعين على تأكيد الوحدة والتقارب، لأن البديل كارثة وتدمير لكيان الأمة». وأضاف «كانت هناك وقفات للمراجعة والنقد الذاتي، فكل طرف بدأ ينتقد ما جرى وما يجري من أناس محسوبين ضمن توجهه وانتمائه، وذلك في جلسات المؤتمر واللقاءات الثنائية، وهذا ما يغمرنى بالتفاؤل والأمل».

وأشار الشيخ الصفار إلى أن موضوع النقد الذاتي كان من ضمن المداخلة التي قدمها في المؤتمر عند طرحه لورقته التي وزعت على المشاركين تحت عنوان (رؤية حول التعايش المذهبي)، مؤكداً: «إن نقد الآخرين ليس فيه شجاعة وبطولة، وإنما يتجلى ذلك في نقد الذات، والجهر بالقناعات التي تكون في صالح الدين والأمة».

وقد ضرب مثلاً بعالمين لا يشك أحد من أتباع مذهبهما في اجتهادهما وعلو قدرهما، الأول الشيخ أبو الأعلى المودودي، حين نشر كتابه (الخلافة والملك) كيف ثارت عليه بعض أوساط من أهل السنة، واتهموه بالنيل من الصحابة، وأثر ذلك في وقته على شخصيته ومكانته نوعاً ما، وهو الذي كانوا يعدونه من كبار وأجلاء العلماء والمفكرين حيث نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، وكتبه وأفكاره تعتبر من مصادر الفكر الحركي الإسلامي المعاصر. والثاني الإمام السيد محسن الأمين، حين أصدر كتابه (التنزيه في أعمال الشبيه) وهو عالم عامل مجتهد، ولكن كيف عامله بعض الشيعة؟ وكم كانت الاتهامات التي وجهت له قاسية، حتى خيف عليه من الذهاب لزيارة النجف موطن العلم الشيعي!!

ثم أشار الشيخ الصفار إلى أن الأصوات العاقلة بدأت تكثر، إلا أن الأصوات النشاز الشاذة عادة ما تكون أرفع، وهذا ما يوحى للبعض أنها الأكثر، وهذا غير صحيح. فالواقع يشير إلى أن أبناء الأمة فطرتهم مجبولة على الوحدة والتآخي، وأكد قائلاً: «أدرك الجميع بأن الإرهاب لا مذهب له، وإذا كان البعض يعتقد بأن ما يحصل لشيعة العراق هدفه النيل منهم، وتحجيم دورهم وإقصائهم، وكذلك إذا اعتقد البعض من أن الإرهاب

هدفه النيل من السنة، حتى تم عقد مؤتمرات باسم (نصره أهل السنة في العراق)! فهذا غير صحيح، وما يجري في السودان والصومال والمغرب من أحداث أخيرة، دليل على أن الأمر ليس مذهبياً، وإنما هي حرب سياسية مصلحية، تدعمها توجهات فاسدة، وإرادة أجنبية».

مؤكداً في الختام على أن الأمل ما زال يغمر النفوس بوجود الواعين والمخلصين من أبناء هذه الأمة، مشيراً إلى الحفاوة والتقدير الذي لاقاه الشيخ محمد الصفار من قبل شخصيات وأهالي مدينة عنيزة بالقصيم، عند مشاركته الأسبوع الماضي في مهرجان الثقافة والفنون. وهذا ما يؤكد طبيعة الناس الطيبة، وتأخيهم الإسلامي والوطني.

الخطبة الثانية : إطلاق النار في الزواج ظاهرة خطيرة

جدير بالذكر أن سماحته أشار في الخطبة الثانية إلى ظاهرة اجتماعية ترتبط بحفلات الأعراس، التي تكثر في هذا الموسم، وقال: «إن الإسلام يدعو إلى إشهار الزواج وما في ذلك من مستحبات كالوليمة، ولكن ليس بالشكل المبالغ فيه».

وأضاف: «إن هذه الأعراس التي يصاحبها البهجة والسرور، أصبحت بمراسيم دخيلة على منطقتنا، تتحول إلى أحزان ومآتم في بعض الأحيان، وذلك بإطلاق النار». مؤكداً: «علينا أن نجرّم ونحرّم هذه الممارسات لما فيها من إيذاء للناس، وأن على الأجهزة الأمنية، أن تشدد ردها لمن يقوم بهذه الأمور، وعلينا أن نتحدث كخطباء، ومثقفين عن هذا الأمر».

محددًا سماحته أبرز السلبيات لعادة إطلاق النار في حفلات الزواج وهي:

- إدخال الرعب والفرع على النفوس، وخاصة حينما تتم في الأحياء السكنية.
- وقوع الإصابات بسبب الأخطاء أو ارتداد الطلقات كما حصل أكثر من مرة.
- الإسراف حيث تكلف هذه الممارسة مبالغ طائلة.

• تطبيع استخدام السلاح وممارسة العنف، وهذا هو الأخطر، حيث يعاني مجتمعنا من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة، بحصول اعتداءات وممارسات إجرامية عنيفة.

ودعا سماحته إلى تجاوز حالة الصمت والسكوت وإظهار حالة الرفض والمعارضة لهذه العادة السيئة، بمطالبة قوى الأمن بالردع والتعاون مع الأجهزة الحكومية لمواجهة هذه الممارسة السيئة، وأن تتحمل العوائل مسؤوليتها بحماية حفلات زواج أبنائها من ذلك، كما أن على الناس أن ينسحبوا من أي حفل زواج تحصل فيه هذه الممارسة، فالحضور والسكوت هو نوع من المشاركة والإسهام في تكريس هذه العادة السيئة.

أحكام صلاة الجمعة

خطبة الجمعة بتاريخ ٣ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ

تمثل صلاة الجمعة لقاءً أسبوعياً إيمانياً بين أبناء كل منطقة، تجمعهم فيه أجواء العبادة لله تعالى، ودافع الطاعة له والاستجابة لأمره، كما يتلقون فيه الإرشاد والتوجيه الديني الذي يذكرهم كل أسبوع بقيم الإسلام ومبادئه الكبرى، ويسلط الأضواء على أهم قضاياهم الاجتماعية، عبر خطبتي الجمعة.

إضافة إلى المعطيات الاجتماعية لهذا اللقاء العبادي المبارك، حيث يلتقي الناس ببعضهم، ويتفقد بعضهم بعضاً، ويتبادلون مشاعر المودة والاحترام، ويتنظمون في صفوف متسقة كالبنيان المرصوص، تؤكد في نفوسهم روح المساواة والوحدة والتضامن. وقد أحاط الإسلام هذا اللقاء بمجموعة من الأحكام والتشريعات التي تعطي لصلاة الجمعة طابعاً مميزاً بين سائر فروض العبادة والصلاة. وفيما يلي عرض لأهم الأحكام المتعلقة بصلاة الجمعة:

الخطبتان

تبدأ مراسم صلاة الجمعة بإلقاء خطبتين من قبل الإمام نفسه، حيث لا يصح أن يلقي الخطبتين غير الإمام، على المشهور بين الفقهاء، لكن هناك من أجاز أن يكون الخطيب غير الإمام، ومنهم الشهيد السيد محمد الصدر^(١).

(١) السيد محمد الصدر. منهج الصالحين ج ١، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ١٨٧، مسألة ١٠١٣.

ويُستحب أن يقعد الإمام على المنبر حتى يفرغ المؤذن من الأذان. ورد عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الجمعة قعد على المنبر حتى يفرغ المؤذنون»^(١)، ومثله في سنن أبي داوود عن ابن عمر^(٢).

ويقوم الإمام لإلقاء الخطبة، حيث لا تصح من جلوس، فقد سأل أبو بصير الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن الجمعة: كيف يخطب الإمام؟ فقال عليه السلام: يخطب قائماً، إن الله تعالى يقول: ﴿وتركوك قائماً﴾^(٣).

ومثله في صحيح البخاري «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي يخطب قائماً، ثم يقعد، ثم يقوم كما تفعلون الآن»^(٤).

ويستحب للإمام أن يكون حال الخطبتين متعمماً، وأن يسلم قبل الشروع في الخطبة على الحاضرين، ويجب على الحاضرين وجوباً كفوئياً أن يردوا جواب سلامه^(٥). جاء عن علي عليه السلام أنه قال: «من السنة إذا صعد الإمام المنبر أن يسلم إذا استقبل الناس»^(٦).

ومثله في سنن البيهقي عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلم على من عنده من الجلوس، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه ثم سلم^(٧).

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٤٦.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود، باب الجلوس إذا صعد المنبر، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، (بيروت: دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية)، حديث ١٠٩٢.

(٣) وسائل الشيعة. باب وجوب قيام الخطيب، حديث ٩٥١٢.

(٤) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، باب الخطبة قائماً، ١٩٩٩ م، (بيروت: دار الكتب العلمية)، حديث ٩٢٠.

(٥) السيد صادق الحسيني الشيرازي. المسائل الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٢٣ هـ، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة)، مسألة ١٦٢٠.

(٦) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٤٥.

(٧) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. السنن الكبرى ج ٣، باب الإمام يسلم على الناس، الطبعة

كما يستحب أن يتكئ الإمام على نحو عصا أو سيف أو قوس، جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا كانوا سبعة يوم الجمعة فليصلوا في جماعة، وليلبس البرد والعمامة، ويتوكأ على قوس أو عصا»^(١).

وقال الدكتور الزحيلي: اعتماد الخطيب بيساره أثناء قيامه على نحو عصا أو سيف أو قوس: سنة عند الجمهور، مندوب عند المالكية، كما روى الحكم بن حزن قال: «وفدت على النبي صلى الله عليه وآله، فشهدنا معه الجمعة فقام متوكئاً على سيف أو قوس أو عصا»^(٢).

ويبدأ الإمام الخطبة بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على النبي وآله، ثم الوصية بالتقوى، ووعظ الناس وإرشادهم في أمور دينهم ودنياهم، ويختتمها بسورة قصيرة من القرآن الكريم.

ثم يجلس قليلاً بمقدار ما يقرأ سورة التوحيد، ويقوم للخطبة الثانية، وفيها يحمد الله تعالى، ويشني عليه، ويصلي على النبي وآله، وعلى أئمة المسلمين عليهم السلام، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ويوصي الناس بالإحسان والعدل، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٠]. ويقرأ سورة قصيرة من القرآن.

وقد تحدثت نصوص وروايات كثيرة عما ينبغي أن تشتمل عليه الخطبتان، كما نقلت المصادر الإسلامية صيغاً من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وخطب سائر الأئمة والخلفاء في التاريخ الإسلامي، ومن أهم ما احتوته تلك الروايات النقاط التالية:

• الحمد والثناء على الله تعالى، والاستغفار والاستهداء والاستعاذة بالله.

الأولى ١٣٤٤هـ، (حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية)، ص ٢٠٤.

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٢٧.

(٢) الدكتور وهبة الزحيلي. الفقه الإسلامي وأدلته ج ٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، (دمشق: دار الفكر)، ص ٢٩٣.

- الشهادة والإقرار بالوحدانية لله سبحانه، وبالنبوة والرسالة للنبي محمد ﷺ.
- الصلاة على محمد وآله وعلى أئمة المسلمين.
- الوعظ والإرشاد والوصية بالتقوى، بما يعالج قضايا الناس ومشاكلهم الحاضرة.
- قراءة سورة قصيرة من القرآن الكريم وكذلك آية العدل والإحسان.
- الدعاء بالمغفرة للمؤمنين والمؤمنات.

وجاء في المبسوط للشيخ الطوسي: «أقل ما يكون الخطبة أربعة أصناف: حمد الله تعالى، والصلاة على النبي وآله، والوعظ، وقراءة سورة خفيفة من القرآن، وما زاد عليه مستحب»^(١).

وفي مسالك الإفهام للشهيد الثاني: «يجب الترتيب بين الأجزاء فيقدم الحمد، ثم الصلاة، ثم الوعظ، ثم القراءة»^(٢).

ولا تختلف صفة خطبتي الجمعة وأركانها بين السنة والشيعة، فهما خطبتان مقدمتان على الصلاة، قال ابن قدامة في المغني ما ملخصه: «وإذا زالت الشمس يوم الجمعة، صعد الإمام على المنبر، فإذا استقبل الناس سلم عليهم، وردوا عليه، وجلس، فإذا فرغوا من الأذان خطبهم قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وجلس، وقام فأتى أيضاً بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، وقرأ ووعظ.. والسنة أن يتولى الصلاة من يتولى الخطبة.. ويستحب أن يعتمد على قوس، أو سيف، أو عصا.. ويستحب أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولنفسه والحاضرين، وإن دعا لسultan المسلمين بالصلاح فحسن»^(٣).

(١) محمد الحسن الطوسي. المبسوط في فقه الإمامية، ضمن سلسلة الينابيع الفقهية ج ١، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة فقه الشيعة)، ص ١٤٧.

(٢) زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني. مسالك الإفهام ج ١، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ، (قم المقدسة: مؤسسة المعارف الإسلامية)، ص ٢٣٧.

(٣) عبدالله بن أحمد بن قدامة الحنبلي. المغني، ج ٣، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر)، ص ١٥٩-١٨١.

ويرى السيد سابق في كتابه (فقه السنة) أن المقصود في خطبة الجمعة هو ترغيب الناس في الخير وترهيبهم من الشر، أما الحمد والثناء على الله والصلاة على رسوله، وقراءة شيء من القرآن، فكله مستحسن لكنه ليس شرطاً في الخطبة، قال ناقلاً عن الروضة الندية ما نصه:

«ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده صلى الله عليه وسلم من ترغيب الناس وترهيبهم، فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت. وأما اشتراط الحمد لله أو الصلاة على رسوله أو قراءة شيء من القرآن فجميعه خارج عن معظم المقصود من شرعية الخطبة، واتفاق مثل ذلك في خطبته صلى الله عليه وسلم لا يدل على أنه مقصود متحتم وشرط لازم، ولا يشك منصف أن معظم المقصود هو الوعظ دون ما يقع قبله من الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وقد كان عُرف العرب المستمر أن أحدهم إذا أراد أن يقوم مقاماً ويقول مقالاً شرع بالثناء على الله وعلى رسوله ﷺ وما أحسن هذا وأولاه، ولكن ليس هو المقصود، بل المقصود ما بعد، ولو قال: إن من قام في محفل من المحافل خطيباً ليس له باعث على ذلك إلا أن يصدر منه الحمد والصلاة لما كان هذا مقبولاً، بل كل طبع سليم يمججه ويرده. إذا تقرر هذا عرفت أن الوعظ في خطبة الجمعة هو الذي يساق إليه الحديث فإذا فعله الخطيب فقد فعل الأمر المشروع إلا أنه إذا قدم الثناء على الله وعلى رسوله أو استطرد في وعظه القوارع القرآنية كان أتم وأحسن»^(١).

الإصغاء للخطبة

ويلزم على المأمومين أن يستمعوا لخطبة الإمام، وأن لا يتحدثوا بما يمنع استماعهم، وأن لا يشتغلوا حتى بصلاة النافلة، وعليهم على الأحوط استحباباً أن يجلسوا باتجاه

(١) السيد سابق. فقه السنة، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ص ٣١٠.

الخطيب على هيئة الصلاة، فلا ينظروا يميناً وشمالاً، ولا يتقلبوا في مجلسهم^(١).
جاء عن علي عليه السلام أنه كان يكره ردّ السلام والإمام يخطب، وهذا محمول على كون غيره قد ردّ السلام^(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبة، فهي صلاة حتى ينزل الإمام»^(٣).
وعنه أيضاً: «إذا خطب الإمام يوم الجمعة فلا ينبغي لأحد أن يتكلم حتى يفرغ الإمام من خطبته»^(٤).

كيفية صلاة الجمعة

بعد انتهاء الخطبتين يتجه الإمام لإقامة الصلاة، دون الحاجة لأذان جديد، بل يكتفي بالأذان الأول قبل الخطبة، ورد عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام أنه قال (الأذان الثالث يوم الجمعة بدعة). قال المحقق في المعتبر: الأذان الثاني بدعة، وبعض أصحابنا يسميه الثالث، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرع للصلاة أذاناً وإقامة، فالزيادة ثالث، وسميناه ثانياً لأنه يقع عقب الأذان الأول^(٥).

ولا يرى فقهاء السنة مانعاً من تكرار الأذان، بناءً على فعل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ولم يكن ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عهد الشيخين أبي بكر وعمر، جاء في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال: «إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر، في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما

(١) السيد صادق الحسيني الشيرازي. المسائل الإسلامية، مسألة ١٦٢١.

(٢) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٠٦.

(٣) المصدر نفسه. حديث ٩٤٤١.

(٤) المصدر نفسه. حديث ٩٥٠١.

(٥) المصدر نفسه. حديث ٩٦٨٨.

كان في خلافة عثمان رضي الله عنه وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك^(١).

وصلاة الجمعة ركعتان كصلاة الصبح، بنية صلاة الجمعة، ويستحب أن يقرأ الإمام في الركعة الأولى بعد سورة الفاتحة سورة الجمعة، وفي الركعة الثانية سورة المنافقين، كما يستحب فيها قنوتان على المشهور، أحدهما في الركعة الأولى قبل الركوع، والآخر بعد ركوع الركعة الثانية، وأن يجهر الإمام بالقراءة في الركعتين على الأحوط وجوباً عند بعض الفقهاء^(٢). واستحباً عند فقهاء آخرين^(٣).

وكما تصح من المأموم صلاة الجمعة لو فاتته الخطبتان، فإنها تصح منه أيضاً لو فاتته الركعة الأولى، فأدرك الإمام في قيام الركعة الثانية قبل ركوعه، فيلتحق به، ويأتي بالركعة مع الإمام، وبعد فراغ الإمام يأتي بالركعة الثانية بمفرده، وتحتسب له صلاة الجمعة^(٤). ويرى بعض الفقهاء صحة صلاته حتى لو أدرك الإمام في ركوع الركعة الثانية^(٥). وإذا فاتته الجمعة كانت وظيفته أداء صلاة الظهر.

ولا تختلف صفة صلاة الجمعة عند السنة عنها عند الشيعة إلا في مسألة القنوت المستحب عند الشيعة في الركعتين، قال ابن قدامة الحنبلي: «صلاة الجمعة ركعتان يقرأ في كل ركعة الحمد وسورة يجهر بالقراءة فيهما.. ويستحب أن يقرأ في الأولى بسورة الجمعة، والثانية بسورة المنافقين... ومن أدرك مع الإمام منها ركعة بسجديها أضاف إليها أخرى وكانت له جمعة...»^(٦).

(١) صحيح البخاري. ج ١، باب التأذين عند الخطبة، ص ٢١٨، حديث ٩١٦.

(٢) السيد علي الحسيني السيستاني. المسائل المنتخبة، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، (قم المقدسة: مؤسسة المحيين)، مسألة ٢٨٤.

(٣) السيد صادق الحسيني الشيرازي. المسائل الإسلامية، مسألة ١٦١٢.

(٤) السيد علي الحسيني السيستاني. منهاج الصالحين ج ١، ص ٣٠٨.

(٥) السيد صادق الحسيني الشيرازي. المسائل الإسلامية، مسألة ١٦٢٧.

(٦) المغني. ج ٣ ص ١٨١-١٨٣.

العدد المشترك لإقامتها

اتفق فقهاء المسلمين بمختلف مذاهبهم على أن صلاة الجمعة لا تقام إلا جماعة، واختلفوا في العدد المشترك لإقامتها.

والمشهور الراجح عند فقهاء الشيعة أن صلاة الجمعة لا تنعقد إلا بخمسة أشخاص أحدهم الإمام، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تكون جمعة ما لم يكن القوم خمسة»^(١). وعن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام: «لا جمعة لأقل من خمسة من المسلمين أحدهم الإمام»^(٢).

واشترط الشافعية والحنابلة أن لا يقل العدد عن أربعين رجلاً تجب في حقهم الجمعة، قال ابن قدامة في المغني: «فأما الأربعون فالمشهور في المذهب أنه شرط لوجوب الجمعة وصحتها»^(٣).

وقال المالكية: يشترط حضور اثني عشر من أهل الجمعة. وفي المذهب الحنفي قولان: أولهما: حضور واحد سوى الإمام، والثاني لزوم حضور ثلاثة سوى الإمام^(٤). وهو رأي الزيدية أيضاً^(٥).

وقت صلاة الجمعة

انفرد الحنابلة بالقول بجواز إقامة صلاة الجمعة قبل الزوال، وأن أول وقتها هو أول وقت صلاة العيد لأحاديث رأوا صحتها، كحديث عبد الله بن سيدان: «شهدت الجمعة مع أبي بكر فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار»^(٦).

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ٦ ص ٤٣٩، حديث رقم ٩٩٧٦.

(٢) المصدر السابق. ص ٤٤٠، حديث رقم ٩٩٨٠.

(٣) المغني. ج ٣ ص ٢٠٤.

(٤) الموسوعة الفقهية. ج ٢٧ ص ٢٠٢.

(٥) التاج المذهب لأحكام المذهب. ج ١ ص ١٣٧.

(٦) الموسوعة الفقهية. ج ٢٧ ص ١٩٧.

لكن «المستحب إقامة الجمعة بعد الزوال، لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأن في ذلك خروجاً من الخلاف، فإن علماء الأمة اتفقوا على أن ما بعد الزوال وقت للجمعة، وإنما الخلاف فيما قبله»^(١).

أما جمهور المسلمين من الحنفية والمالكية والشافعية فيرون أن «من شروط صحة الجمعة ووجوبها معاً دخول الوقت، وهو وقت الظهر، ولا يصح أداؤها إلا بدخوله، ويستمر وقتها إلى دخول وقت العصر، فإذا خرج وقت الظهر سقطت الجمعة واستبدل بها الظهر، لأن الجمعة صلاة لا تقضى بالتفويت. ويشترط دخول وقت الظهر من ابتداء الخطبة، فلو ابتدأ الخطيب الخطبة قبله لم تصح الجمعة وإن وقعت الصلاة داخل الوقت»^(٢).

ويرى فقهاء الشيعة شرط دخول الوقت - الزوال - لإقامة صلاة الجمعة، فلا تصح قبله، وأجاز بعض فقهاءهم كالشهيد الصدر والشيخ الفياض من المعاصرين تقديم الخطبتين على الزوال، لكن لا يجوز الابتداء بالصلاة نفسها إلا بعد الزوال. ويرى السيد السيستاني لزوم أن تكون الخطبتان بعد الزوال وهو رأي السيد الخوئي والسيد الشيرازي.

المسافة بين الجمعيتين

اتفق فقهاء الشيعة على أنه «تعتبر في صحة الجمعة في بلد أن لا تكون المسافة بينها وبين جمعة أخرى أقل من فرسخ خمسة كيلو مترات ونصف تقريباً»^(٣) فلو أقيمت جمعة أخرى فيما دون فرسخ بطلتا جميعاً إن كانتا مقترنتين زماناً، وإلا صحت السابقة وبطلت اللاحقة.

(١) المغني. ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) الموسوعة الفقهية. ج ٢٧ ص ١٩٧.

(٣) السيد علي الحسيني السيستاني. المسائل المنتخبة، مسألة ٢٨٤.

والميزان في الصحة تقدم الصلاة لا الخطبة، فلو تقدم إحدى الجمعتين في الخطبة والأخرى في الصلاة، بطلت المتأخرة في الشروع في الصلاة^(١).

وذهب جمهور أهل السنة إلى منع تعدد صلاة الجمعة في البلدة الواحدة، قالوا: «لأن الحكمة من مشروعيتها هي الاجتماع والتلاقي، وينافيه التفرق بدون حاجة في عدة مساجد، ولأنه لم يحفظ عن صحابي ولا تابعي تجويز تعددها»^(٢).

«وإذا كان البلد كبيراً يحتاج إلى جوامع، فصلاة الجمعة في جميعها جائزة، فأما مع عدم الحاجة فلا يجوز أكثر من واحدة، وإن حصل الغنى باثنتين لم تجز الثالثة، وكذلك ما زاد»^(٣).

(١) روح الله الموسوي الخميني. تحرير الوسيلة ج ١، ٢٠٠٣م، (بيروت: دار التعارف)، ص ٢٠٩.

(٢) الموسوعة الفقهية. ج ٢٧ ص ٢٠٤.

(٣) المغني. ج ٣ ص ١٥٩.

غرور القوة

خطبة الجمعة بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ

(الإسلام هو الحل)، شعار طالما طرحته الحركات والأحزاب والمشاريع الإسلامية في المنطقة، لتنتقل من خلاله في درس ومعالجة تفصيليات ومشكلات الحياة العصرية، وذلك من خلال المقارنة بين ما يطرحه الفكر الإنساني في ثقته الغربي والشرقي وبين ما يطرحه الإسلام في نصوصه ومواقفه التاريخية في عصر التشريع.

وكثيراً ما اتهم المناوئون هذا الشعار بأنه ما زال شعاراً فضفاضاً لا ينزل لمعالجة تفاصيل وتعقيدات الحياة المعاصرة والإجابة عن كثير من أسئلتها المصيرية والشائكة. وفي هذا الاتجاه يتطرق خطاب سماحة الشيخ حسن الصقار بشكل عام لتقديم الإسلام كحل لما يعانيه الإنسان من مشكلات وأزمات وما يطلبه من حلول وبرامج تخفف من غلواء المادة وسيطرة المال على كل تفاصيل الحياة اليومية.

وباعتبار منطقتنا العربية والإسلامية اليوم تعيش أكثر ما تعيش أزمة سياسية ضاغطة يحاول سماحته أن يتلمس الحلول ويحلل كثيراً من هذه الأزمات وفق الرؤية الإسلامية ومنطلقاً من الآيات القرآنية الشريفة.

وفي هذا الاتجاه جاءت خطبة الجمعة الأولى، لتشير إلى ما تعانيه المنطقة من تسلط القوة الأمريكية على مقدراتها وشعوبها وحضارتها، وذلك بفعل ما تمتلكه الولايات المتحدة الأمريكية من قوة لا تمتلكها أي دولة في العالم، ما جعل إدارتها تعيش حالة من الغرور بالنفس وتضخيم لها.

ممهدًا لذلك بالإشارة إلى التوجيهات الأخلاقية في النصوص الإسلامية التي تدعو الإنسان المسلم إلى تجنب صفة الغرور؛ لأنها من صفات الظالمين والطغاة، ومشيرًا إلى أن الغرور صفة نفسانية تحصل للإنسان نتيجة تضخّم ذاته وشعوره بالتفوّق والتعالي على الآخرين، وهي حالة شيطانية قد تصيب الإنسان نتيجة تشجيع شياطين الإنس بعضهم بعضًا على تضخيم النفس وظلم الآخرين، وهذا هو المعنى الذي تشير إليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿بَلْ إِنْ يَعْذِبُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة فاطر آية: ٤٠].

وما تشير إليه كثير من النصوص الواردة عن الأئمة أن نتيجة غرور الإنسان هو بداية سقوطه ومقتله، يقول الإمام علي (عليه السلام): «فاتقوا الله - عباد الله - تقيه ذي لب شغل التفكّر قلبه وأنصب الخوف بدنه... وسلك المسالك إلى النهج المطلوب ولم تقتله فاتلات الغرور»^(١).

وعن رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود، لا تغترّن بالله ولا تغترّن بصلاحك وعلمك وعملك وبرّك وعبادتك»^(٢).

وقد نبّه سماحة الشيخ حسن الصفّار إلى خطورة تفشي مثل هذه الظاهرة السلبية في المجتمع، وذلك لانعكاساتها على طبيعة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، التي من المفترض أن تقوم - إسلاميًا - على التوادّ والتآلف، لا على التعالي على الآخرين والنظر إليهم بدونية.

وهذه السّنة التي تصفها النصوص الإسلامية في مسألة الغرور كما تصيب الإنسان الفرد يمكن تطبيقها على المجتمعات والأمم في علاقاتها مع بعضها بعضًا. منذرًا بخطورة الشعور بتضخّم الذات لدى بعض المجتمعات والأمم تجاه بقية المجتمعات والحضارات الأخرى، لأنه يبشّر بعلاقة من الاستعمار والاستعباد لبقية

(١) الشريف الرضي الموسوي. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣، وهي الخطبة المسماة: «الخطبة الغراء».

(٢) محمدي الريشهري. ميزان الحكمة، ج ٧، (قم: مؤسسة دار الحديث الثقافية)، ص ٢٩٦٣.

شعوب العالم ونهب لثرواتها وعقولها وخيراتنا لحساب هذه الأمة المغرورة والمتجبرة. وهذا ما تعانیه اليوم المنطقة من غرور وتجبر الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بفعل ما تعيشه هذه الدولة من قوة لا تملكها قوة أخرى في العالم.

فعلى المستوى الاقتصادي يعدّ الاقتصاد الأمريكي أقوى اقتصاد على مستوى العالم، حيث تمتلك ثروات العالم، ويتمتع الدولار بكل ميزات العملة العالمية.

وما تقدّمه الحكومة الأمريكية من دعم للبحوث العلمية والمختبرية يعدّ الأكبر على مستوى الدول المتقدّمة، حيث بلغ عام ٢٠٠١م مليار دولار يعادل ما صرفته في اليابان. والولايات المتحدة الأمريكية تجذب أكثر الكفاءات العلمية والعقلية من مختلف دول العالم، ليحصّد الأمريكيون ٧٠٪ من جوائز نوبل العالمية في الفيزياء والطب والبيولوجيا وكل البحوث العلمية الأكثر تقدماً.

وهكذا الحال في القوة التسليحية والعسكرية.

وحتى على مستوى المجتمع الأمريكي فإنه يعد من أفضل المجتمعات في تأسيس ودعم المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وعلى مستوى التدبير تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من ٩٠٪ من المجتمع الأمريكي يؤمنون بالله على مختلف الأديان والمذاهب.

إن هذا التفوق يشكّل بمجموعه ما تمتلكه الولايات المتحدة الأمريكية من قوة جعلتها - بعد انتهاء الحرب الباردة - القوة الأولى في العالم.

وهذا ما ولّد لدى الإدارة الأمريكية وخاصة الحالية المتعاقبة شعورًا بالتفوق لحد الغرور وتضخّم الذات على حساب باقي دول ومناطق العالم الأخرى.

إن هذه القوة المتعاضمة لدى الولايات المتحدة الأمريكية دفعتها لتمارس سيطرتها وهيمنتها على العالم، فارتهن معظم القرار السياسي الغربي لسياساتها على مستوى العالم، وأن تعاقب أي دولة مارقة ولا ترضخ لسيطرتها وقرارها السياسي في العالم، وذلك بحجة نشر مبادئ الحضارة الغربية القائمة على الديمقراطية والحرية والتداول السلمي للسلطة

وثقافة حقوق الإنسان ومؤسسات المجتمع المدني، في تناقض صارخ بين الشعارات المرفوعة وواقع الممارسة القبيح.

وكان المفترض بهذه القوة العالمية أن تستثمر لصالح بقية أمم العالم وحضاراته، وأن تتحمل هذه الإدارة - بما تملكه من قدرات - مسؤوليتها لصالح السلام والتحصّر العالمين وللتقليل من أزمات ومشاكل العالم الحديث.

وقد شكّل وجود حكومات تستغل شعوبها وتقمع الحريات داخل أوطانها، وتمنع أي نوع من التداول للسلطة، وأي نشر لمبادئ الديمقراطية وثقافة حقوق الإنسان مبرراً ساعد الإدارة الأمريكية على المغامرة باحتلال أفغانستان، احتلال العراق، والتهديد بمعاينة دول أخرى في المنطقة كإيران وسوريا.

منبهاً سماحته إلى أن الشعوب الحرّة ترفض أن تستبدل بالنظام الاستبدادي المحلي الاحتلال الأجنبي، فالجميع سيسرقها خيراتها وثرواتها، ولذلك على الشعوب أن تسعى لنيل حقوقها دونها اعتماداً على المساعدة الخارجية الاستعمارية والرهان عليها.

أمريكا اليوم أضعف من أي وقت مضى

وفي خطاب إلى حكومات وأنظمة المنطقة يشير سماحته إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تعيش اليوم حالة من الضعف لم يسبق أن عاشتها من قبل، وذلك بفعل احتلالها في العراق، وهذا ما تشير إليه التحليلات والإحصاءات، من النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

ففي الجانب السياسي: أرادت الإدارة الأمريكية أن يكون العراق نموذجاً لباقي دول المنطقة في تغيير النظام السياسي ولتمثيل القيم الغربية في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن مشروعها لم يكتب له النجاح، وذلك بسبب الموقف المرجعي الرشيد، الذي وقف موقفاً حازماً وطالب بأن المسار السياسي للدولة العراقية يقرّره

الشعب العراقي، وذلك من خلال إصراره بأن تكون الحكومة العراقية منتخبة من قبل الشعب العراقي، وكذلك في أن يكون الدستور مكتوبًا بأيدي عراقية منتخبة. ولذلك لم تكن التركيبة السياسية التي تحكم العراق اليوم وفق الهوى الأمريكي. وفي الجانب الاقتصادي: كانت الإدارة الأمريكية قد قدرّت كلفة المعركة بما يقرب من ٧٥ مليار دولار، بينما بلغت الآن - بعد أربع سنوات - ٤٠٠ مليار دولار، ويتوقع الخبراء أن تبلغ مع نهاية هذا العام إلى أكثر من ٥٠٠ مليار دولار يتحمل أعباءها الشعب والاقتصاد الأمريكي.

وفي الجانب العسكري: بلغت الخسائر البشرية من القتلى الأمريكيين أكثر من ٣٣٠٠ قتيل، ومن الجرحى يشير الرقم المعلن إلى أكثر من ٢٥ ألف جريح، ويقدره بعض الخبراء إلى أنه أضعاف ذلك، فقد يصل إلى ١٠٠ ألف جريح، أما ضحايا الشعب العراقي فقد بلغت ٦٥٥ ألف قتيلٍ عدا الجرحى وملايين المهجرين. إن هذه الأرقام والإحصاءات والتقديرات تدلّل بشكّل واضح على غرق الإدارة الأمريكية في وحول المستنقع العراقي، وقد أدرك نواب مجلس الشيوخ أخطار ما تقوم به هذه الإدارة وضرورة الخروج من هذا المستنقع.

مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْ فَشْلِ هَذِهِ الْإِدَارَةِ؟

ومما يؤسف له أن معظم دول العالم بدأت تدرك حقيقة ضعف الإدارة الأمريكية في العراق، مما جرّأها أن تعلن معارضتها للسياسات الأمريكية، فيصرّح الرئيس الروسي بوتين بمعارضته لنشر نظام الدرع الصاروخي في أوروبا وينتقد سياسات أمريكا التوسعية في العالم، وكذلك تعارض الصين سياسات أمريكا في المنطقة، كما تعترض بعض الدول الأوروبية على هذه السياسات، بينما تبقى أكثر الدول العربية تراهن على هذه الإدارة، بل وتساعدها على استعادة قوّتها من جديد.

وفي نهاية خطبته الأولى يشير الشيخ الصقّار إلى أن ما نشهده اليوم هو خير دليل على قرب انهيار هذه القوّة، وذلك بفعل الخسائر اليومية في العراق، وبفعل تداعيات حرب تموز التي خاضتها ربيبة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة دويلة إسرائيل ضدّ حركة المقاومة في لبنان.

لذلك فإن على حكومات هذه المنطقة أن تراهن على شعوبها ووحدها للوقوف أمام أخطار وأطماع المستعمر الأجنبي، وأن تستثمر طاقات شعوبها والانتصارات التي تحقّقها حركات المقاومة في كل من لبنان وفلسطين على عدوّ هذه الأمة.

وفي الخطبة الثانية ركّز ساحة الشيخ حسن الصقّار على أهمية رصّ الصفوف ونبذ الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد، وذلك انطلاقاً من الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [سورة المائدة آية: ٩١]، حيث تشير الآية إلى أن أي فكرة توقع بين بيننا العداوة والبغضاء والفرقة هي فكرة شيطانية، سواء كانت على المستوى الداخلي بين الإنسان وأخيه الإنسان في الدين والمذهب أو بين الناس بمختلف أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم.

فالدين الإسلامي لا توجد فيه إلا التعاليم الداعية إلى وحدة البشرية والألفة بين أطرافها وحضاراتها وشعوبها، ولا يشجّع على ثقافة الفتنة والحقد والتقاتل وتكريس الحواجز النفسية والمادية بين الناس والشعوب جميعاً.

وركّز على أن أي سلوك يدعو للفتنة والتقاتل والتنافر هو سلوك شيطاني مرفوض، وعلى عكس ذلك كل سلوك يساعد على أجواء الألفة والتقارب وتنقية الأجواء هو سلوك رحماني إسلامي مطلوب ويجب تعزيره ونشره بين الناس كثقافة وسلوك يومي.

وأشار إلى أن معظم مجتمعات المنطقة تميل إلى الوحدة والانفتاح على بعضها بعضاً، ولكن ينقصها الجرأة والشجاعة في المبادرة بما يدفع بهذا الاتجاه.

منتقداً تلك الأصوات الداعية إلى عدم التطرّق لمعالجة بعض ما يثير الفرقة المذهبية

بأن مثل هذه الأمور قد تثير جَوْاً من التوتّر وردّات الفعل داخل المجتمع الواحد، حيث أشار إلى أننا نحتاج إلى الخطوات الجريئة والشجاعة، وذلك انسجاماً مع المبدأ العام وهو المضيّ نحو كل ما يدفع باتجاه تعزيز الانفتاح على الطرف الآخر والوحدة ما بين أطراف الأمة ضدّ مشاريع التفرقة والتمزيق التي يعمل من أجلها العدو ليل نهار، طمعاً منه في نهب خيرات ومقدّرات هذه المنطقة من أجل مصالحه وطموحاته التوسّعية.

منافذ المحاولات الخارجية لإثارة الفتن الطائفية

خطبة الجمعة بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ

حين يكون الحديث عن الصراعات الداخلية والفتن الطائفية، غالباً ما يشار بالبنان إلى دور العدو الخارجي في صنع الفتن، وإثارة الخلافات.

ومن الطبيعي أن يسعى العدو لإضعاف الأمة، وإشغالها عن البناء والتقدم وعن مواجهته بالصراعات الداخلية، ليسهل له إخضاعها، ونيل مطامعه منها. وهو أمر وارد في صراعات الأمم والمجتمعات.

لكنه لا يصح أبداً تعليق مسؤولية خلافاتنا على مشجب العدو الخارجي، وتجاهل الأسباب والعوامل الداخلية. ذلك إن محاولات العدو إنما تحصل وتنجح من خلال المنافذ الموجودة في واقعنا وأوضاعنا، وهي الأرضية الخصبة الحاضنة لبذور الفتنة، التي يسقيها وينميها العدو.

إنه لا يمكن إنكار دور الأعداء في تمزيق الأمة، كما لا يجدي شجب ذلك الدور وإدانته، وإنما المطلوب تعطيل دور القابلية للاستجابة لتلك المحاولات الخارجية داخل ساحة الأمة، بمعالجة الأسباب وسد المنافذ والثغرات، لأن بقاءها مشرعة ستغري كل عدو بالتسلل من خلالها، أي وقت شاء.

بالطبع، فإن تشخيص مواقع تلك المنافذ، وأحجامها، وسبل صدّها، فيه مجال للبحث والنقاش، وهو ما يجب أن يتجه إليه المهتمون بأمر وحدة الأمة وتقارب فئاتها. ويبدو لي أن من أهم تلك المنافذ والثغرات ما يلي:

١. الانسداد السياسي

يتحكم القرار السياسي في تفاصيل أوضاع مجتمعاتنا، لكن الدخول إلى دائرة صنع القرار أو الاقتراب من مستوى التأثير فيه، يعتبر منطقة محرمة محظورة، إلا على فئة قليلة محدودة، تحتكر السلطة في معظم العالم العربي.

ومع ارتباط مختلف أوضاع الناس بالقرار السياسي، ووجود المشكلات الكثيرة في مختلف المجالات، فمن الطبيعي أن يكون هناك طموح وتطلع عند نخبة من شرائح المجتمع للمشاركة، والنفوذ السياسي، وحين توصل أبواب المشاركة، وتنعدم أدوات العمل والحراك السياسي المشروع، يلجأ البعض لاستخدام مختلف الأساليب والأدوات، وتصبح الانتماءات العرقية والمذهبية والقبلية أوراقاً وعملة رائجة. وهنا تأتي فرصة الأعداء للنفخ فيها، وتشجيع استثمارها وتداولها.

إن فتح آفاق المشاركة السياسية، واعتماد نهج التداول السلمي للسلطة، هو الذي ينضج وعي المجتمعات، ويرشد تنافسها، ويدفعها نحو الحراك الإيجابي، ويمنع استغلال عناوين الهويات الفرعية، على حساب المصلحة الوطنية العامة، كما نرى ذلك في المجتمعات المتقدمة.

٢. سياسات التمييز

إذا كانت سياسات الحكم منبثقة من تعاليم الإسلام، فذلك يعني اعتمادها لمبدأ المساواة والعدل بين الناس، فلا يكون هناك تمييز، ولا حيف من فئة على أخرى.

لأن العدل مقصد أساس لجميع الأنبياء والشرائع الإلهية، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥] والقسط هو العدل. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٨].

وفي ظل الإسلام لا يجوز أن يُبخس أحد شيئاً من حقوقه المادية أو المعنوية، مهما

كان دينه، أو مذهبه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٨٥]. وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «الناس سواء كأسنان المشط»^(١).

لقد جلس خليفة المسلمين إلى جانب خصمه النصراني، أمام القاضي، وصدر الحكم لصالح النصراني ضد أمير المؤمنين. كما جاء في تاريخ ابن الأثير أنه: «وجد عليٌّ درعاً له عند نصراني، فأقبل به إلى شريح، وجلس إلى جانبه، وقال: هذه درعي! فقال النصراني: ما هي إلا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين؟ فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصراني الدرع، ومشى يسيراً، ثم عاد، وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه. ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، وفرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع، وفرساً، وشهد معه قتال الخوارج»^(٢).

وإذا كانت الدولة دولة قومية، تعتمد المواطنة أساساً في نظام الحكم وسياساته، فإنها أيضاً لن تفرّق بين مواطن وآخر.

لكن مشكلة معظم الأنظمة في عالمنا الإسلامي، خرقها لهذا المبدأ العظيم، وممارستها للتمييز بين مواطنيها، على أساس قومي، أو مذهبي، فتكون هناك فئة مميزة، وأخرى مهمّشة، مما يكرّس الشعور بالتفوق والتعالي عند فئة، والإحساس بالغبين والحرمان عند الفئة الأخرى.

والشعور بالتمييز والتعالي يدفع إلى الاستئثار، والتجاوز على الحقوق، والنظر إلى الآخر بدونية واحتقار، كما أن الإحساس بالحرمان والغبين يدفع إلى الحقد، والتفكير في الانتقام.

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٣٨، حديث ٢٤٨٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ. ج ٢، ص ٤٤٣.

وهنا تجد الجهات الخارجية فرصتها للتدخل، فتثير قلق الفئة الأولى، من إمكانية انتفاضة الفئة الأخرى، كما تغذّي مشاعر الانتقام عند هذه الفئة المضطهدة، وتستثيرها للمطالبة بحقوقها، وتغريها بالدعم والحماية، تحت شعار حماية الأقليات، والدفاع عن حقوق الإنسان، وهكذا يستعر أوار الفتنة.

إنّ هذا ليس مجرد تحليل أو تخمين، بل تؤكد حالة حاضرة نعيش المهام، ونصطلي بنار مضاعفاتهما، وهي حالة الساحة العراقية، حيث استثمر الأمريكيون معاناة الأكراد والشيعية، من سياسات نظام صدام، وممارسته التمييز القومي والطائفي الشنيع ضدهم، وليسوّقوا تدخلهم العسكري، واحتلالهم للعراق، تحت شعار الحرية والتحرير.

وهم الآن يُغذّون العنف المتبادل بين فئات الشعب العراقي، ويلعبون على الوتر المذهبي بين السنة والشيعية، ليبرروا استمرار بقائهم، وتواجد قواتهم في العراق، باعتبارهم يوفرون الحماية لكل طرف من الآخر.

إن سياسات التمييز الطائفي، هي من أهم منافذ المحاولات الخارجية لإثارة الفتن المذهبية في أوطان المسلمين، فلا بد من إغلاق هذا المنفذ الخطير، بتحقيق مفهوم المواطنة، وتساوي المواطنين في الحقوق والواجبات.

ويجب أن يبادر الإسلاميون من السنة والشيعية لإعلان رفضهم، وكفاحهم ضد سياسات التمييز الطائفي، والتبشير بمبدأ المساواة بين المواطنين، ومواجهة أي تمييز طائفي تتعرض له فئة من السنة في وسط شيعي، أو فئة من الشيعة في وسط سني.

وقد نصّت توصيات الندوة العالمية الأولى التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - في الرباط في الفترة من (٧ - ٩ ربيع الأول ١٤١٢هـ) - (١٦ - ١٨ سبتمبر ١٩٩١م)، على: «تأكيد وجوب مراعاة حقوق الأقليات المذهبية حيثما كانت، وينطبق ذلك على الشيعة الذين يوجدون في مناطق السنة، وعلى السنيين الذين

يوجدون في مناطق الشيعة»^(١).

٣. ثقافة التعبئة المذهبية

الخلل في العلاقة بين أتباع المذاهب الإسلامية، أنتج ثقافة من التعبئة المتبادلة، حيث انشغلت الأمة كثيراً بخلافاتها المذهبية، وأصبح لها تراث ضخم من الجدل المذهبي، يفوق تراثها في الجدل مع الأديان الأخرى، فإن الكتب التي ألفها علماء السنة في الرد على الشيعة، والكتب التي ألفها علماء الشيعة في الرد على السنة، تفوق أضعافاً مضاعفة ما كتبه علماء الطرفين في الرد على الأديان الأخرى.

إن كل طائفة لا تزال تشعر بالحاجة إلى الحديث عن إثبات أحقية مذهبها، في مواجهة إشكالات وطعون أتباع المذهب الآخر، وأنها معنية بتحسين أبنائها، حتى لا يتأثروا بالاتهامات التي تستهدف مذهبهم.

وتتسم هذه الثقافة التعبوية - في الغالب - بالسماة التالية:

أولاً: التركيز على مواقع الخلاف المذهبي مع محدوديتها، وتجاهل مناطق الاشتراك الواسعة، ويتم في أحيان كثيرة افتعال قضايا الخلاف في مسائل جزئية جانبية، وإذا كان في المذهب رأيان، أحدهما يخالف المذهب الآخر، والآخر يوافق، فإن الترجيح يكون للرأي المخالف.

ثانياً: تلمس نقاط الضعف في تراث المذهب الآخر، والتشهير بها، حتى لو كانت رأياً شاذاً، أو موقفاً لفرد أو فئة من المذهب، فإنه يجري تعميمها، ومحكمة المذهب وكل أتباعه على أساسها.

ثالثاً: نبش حوادث التاريخ، للتذكير بمعارك النزاع والصراع السابقة، مما يغذي الأحقاد والضغائن، ويورثها للأجيال.

(١) التقريب بين المذاهب الإسلامية. بحوث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بالرباط، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧.

رابعاً: تجريم النقد الذاتي، وحرية التعبير عن الرأي، داخل كل مذهب، فيما يمسّ قضايا الخلاف المذهبي، واعتباره نوعاً من التنازل للطرف الآخر، والمساومة على العقيدة والمبدأ.

خامساً: تعميق النظرة الدونية على المستوى الديني لأتباع المذاهب الأخرى، باعتبار أن أتباع المذهب هم الفرقة الناجية، أما الفرق الأخرى فكلها هالكة، وفي النار. وعلى خلفية هذا الطرح تصدر أحكام التكفير، والتفسيق، والتبديع، والاتهام بالشرك والضلال، لمذاهب وجماعات كبيرة من المسلمين. إن هذه الثقافة التعبوية تمثل تحريضاً على الكراهية، وتأجيجاً لمشاعر العداوة والبغض والجفاء، وتهيب الأجوأ القابلة للاشتعال بنار الفتنة.

ويجب على الواعين المخلصين داخل كل مذهب، وضع حدٍّ لهذه التعبئة المذهبية، وتوجيه أنظار أبناء الأمة لهموم الحاضر وتحدياته، وليتحرك الناس للبناء والتنمية الشاملة في أوطانهم، ولمواجهة الأخطار المحدقة بهم.

إن الحاجة ماسة لنشر ثقافة التسامح، وقبول التعددية، واحترام الرأي الآخر، وحسن الظن في الآخرين، فلا أحد يختار مذهباً أو معتقداً يعلم بخطئه وبطلانه، لكنها البيئة العائلية والاجتماعية التي ينشأ كل واحد منا ضمن المذهب السائد في أجوائها.

٤. القطيعة الاجتماعية

إن التباعد والقطيعة بين أتباع المذاهب، قلل فرص التعارف المباشر، ومنح الفرصة لانتشار الانطباعات الخاطئة، والصور السلبية، في أوساط كل طرف تجاه الآخر، اعتماداً على النقولات المتوارثة، والشائعات المتداولة، ويدهشك حين تسمع كلام فئة عن أخرى تعيش معها في منطقة واحدة، من وطن واحد، وكأنه حديث عن قوم يعيشون في كوكب آخر.

كما أنتجت القطيعة جفاف مشاعر الودّ المتبادل، فأصبحت كل طائفة كياناً اجتماعياً

مستقلاً، لا ارتباط له بكيان الطائفة الأخرى.

فلكل طائفة مساجدها، ومرجعياتها، ومؤسساتها الاجتماعية والثقافية الخاصة بها، دون وجود جسور من التعارف والتعاون والتنسيق.

أما التزاوج بين أبناء الطوائف، وخاصة بين السنة والشيعة، فتحول دونه موانع دينية عند البعض، وعوائق اجتماعية عند البعض الآخر، إلا في حالات نادرة تتم بعد كفاح مرير.

وامتدت حالة القطيعة والانفصال الاجتماعي، إلى ميدان الحركة السياسية، فلكل طائفة رموزها، وتنظيماتها، وبرامجها، ومرشحوها في الانتخابات.

هذه القطيعة تشكل مخالفة صريحة لمبدأ قرآني عظيم، هو مبدأ الأخوة الإيمانية، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠].

وتشكل انحرافاً صارخاً عن نهج نبوي قويم، أكد فيه رسول الله ﷺ على روح المودة والتعاطف بين أبناء هذه الأمة، حيث يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١). وتكرس هذه القطيعة حالة من الانفصال النفسي والعاطفي، وتخلق قابلية لنمو مشاعر العداة والكراهية، التي يمكن أن يفجرها أقل حوادث الاختلاف، بين فرد من هنا وآخر من هناك.

وحين يشاء العدو إثارة النزاع بين هذه الكيانات الاجتماعية المنفصلة، فلن يكون بحاجة إلى جهد كبير.

إنه لا بد من مبادرات جريئة، وثقافة واعية، لتجاوز هذه الحواجز المصطنعة، وتطبيع العلاقة بين أبناء مجتمعاتنا على اختلاف مذاهبهم، ضمن التواصل الاجتماعي، والتداخل الأسري، والاندماج المؤسساتي، والتعاون في المجال الديني، والانفتاح على

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، (الرياض: دار المغني)، ص ١٣٩٦ حديث ٢٥٨٦.

المستوى الثقافي، وصولاً إلى المشاركة السياسية.

تلك هي أهم منافذ المحاولات الخارجية لإثارة الفتن الطائفية، فإذا كنا حريصين على وحدة الأمة، وجادّين في مواجهة مؤامرات الأعداء، فعلينا التوجه لسدّ هذه الثغرات، وإغلاق هذه المنافذ، عسى الله أن يوحد كلمة المسلمين ويجمع شملهم على الهدى والصلاح، إنه على كل شيء قدير.

المخالفات المرورية إلقاء بالنفس في التهلكة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ

أودع الله تعالى في نفس الإنسان غريزة حبّ الذات، لتكون هذه الغريزة هي التي تدفعه للحفاظ على نفسه والدفاع عنها والابتعاد عما يسبّب لها الأضرار والأخطار. ثمّ منحه تعالى عقلاً يفكّر به من أجل خدمة ذاته ودفع الأخطار والأضرار عنها، ليُنزّل بعد ذلك شرائع ورسالات تحمّل الإنسان مسؤولية الحفاظ على نفسه بالدرجة الأولى ليدفع عنها كل ضرر وخطر وعما يتعلّق به من عرض ومال ومصالح.

فالمسلم ملزم شرعاً أن يحمي نفسه وما يتعلّق بها وألاّ يعرضها للهلاك والوقوع في الأخطار، وهذا مفاد الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٩٥].

فهذه الجملة في الآية الكريمة جاءت ضمن سياق قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهي ضمن آيات الجهاد ومقاومة الأعداء، ولكنّ علماء الإسلام أجمعوا واتفقوا على أنها تشكّل قاعدة عامّة لجميع الموارد.

يقول السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله في تفسيره لهذه الآية: «والآية تتضمّن قاعدة عقلية قرّرها القرآن الكريم، وهي من القواعد التي تمسّك بها الفقهاء في مواضع متعدّدة من الفقه، وهي تدلّ على أن كل تكليف [شرعي] يخاف منه على النفس أو العرض أو المال، بحيث يصدق عليه الوقوع في الهلاك بحسب المتعارف يسقط أصل التكليف إن لم

يكن له بدل، وإلا فيلإ البدل إن كان له، أو إلى القضاء إن كان له قضاء^(١). وما يستخلصه فقهاء المسلمين أن هذه الآية تعطي قاعدة عامّة في حماية النفس من الضرر، وهي في مضمونها خطاب شرعي عام موجّه لعموم الإنسان في جميع الموارد والمجالات التي يكون فيها عرضة للتهلكة، حيث تمنعه من إيقاع نفسه في هذه الموارد.

الحوادث المرورية من أهم موارد التهلكة

يستخدم الناس السيارات ووسائل النقل الأخرى للتنقل من مكان لآخر لقضاء حوائجهم ولأمورهم المعيشية، بحيث أصبحت هذه الوسائل في التنقل من ضرورات الحياة المعاصرة، وفي الوقت ذاته فإنها من أبرز الوفيات والإعاقات الإصابات على المستوى العالمي.

ولتلافي الحوادث المرورية تقوم الدول بوضع أنظمة وقوانين لتنظيم حركة السير على الطرق، ولكن بسبب طبيعة الحركة المرورية يصعب التغلّب على مثل هذه الحوادث بشكل نهائي.

وتختلف نسبة وقوع الحوادث من دولة لأخرى، ومما يدفعنا للتركيز على هذه المسألة هو ارتفاع وتيرة هذه الحوادث في المملكة، حيث تعدّ المملكة العربية السعودية ثاني أعلى دولة في نسبة وقوع الحوادث المرورية على المستوى العالمي.

ويمكن تصنيف الخسائر والأضرار الناتجة عن حوادث السير إلى التالي:

الخسائر البشرية

تشير آخر الإحصائيات إلى أن الخسائر البشرية التي يتكبّدها مواطنو هذا البلد بسبب حوادث المرور كبيرة جدًّا، فالمملكة تخسر من أبنائها كل عام بمعدّل ٧٠٠٠ قتيل جرّاء هذه الحوادث المرورية.

(١) السيد عبد الأعلى السبزواري. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج٣، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، (بيروت: مؤسسة أهل البيت)، ص ١٤٠.

وبمعدّل ٣٢٠٠٠ مصاب إصابة بالغة سنويًا، وقد تتسبب كثير من هذه الإصابات في إعاقة دائمة للإنسان، وهذا ما يتحدّث به المسؤولون في مركز الإعاقة، حيث تعدّ الحوادث المرورية المسبب الأول في الإعاقة الجسمية.

الخسائر المادية

وبالإضافة إلى هذه الخسائر البشرية تكبّد الحوادث المرورية ما معدّله ٢١ مليار ريال سنويًا بسبب الإعاقات والأضرار الناجمة عن هذه الحوادث.

المضاعفات النفسية والأسرية والاجتماعية

ولا يمكن بحال أن نغفل آثار هذه الحوادث على نفسية المصابين، وما تتركه من أثر عميق في نفوسهم، ومما قد تسببه من عقّد نفسية بسبب الحالات المرضية التي قد يقعون عليها، وخصوصًا أولئك المعاقون منهم.

لذلك لا يمكن التقليل من خطورة مثل هذه الحوادث وأثرها العميق في نسيجنا الاجتماعي والأسري والنفسي.

المكانة بين دول العالم والمحيط الإقليمي

كما أن لبروز المملكة كإحدى الدول المتقدّمة في نسبة وقوع الحوادث المرورية أثره على مكانة المملكة ومواطنيها ونظرة الآخرين إلينا، وكأننا مجتمع مستهتر بقيمة الحياة وأنها لا تعني لنا شيئًا.

وكذلك يُنظر إلينا بأننا مجتمع لا يقيم وزنًا لأبسط القوانين والأنظمة، وهي القوانين التي تنظّم حركة سير المركبات، فكيف به سيلتزم قوانين أكثر تعقيدًا وتقدمًا.

أسباب ارتفاع نسبة الحوادث

هناك نسبة مئوية محتملة ويمكن تعقلها في وقوع الحوادث المرورية، ولكن الخبراء يلحظون ارتفاع هذه النسبة في المملكة، ويمكننا تحليل هذه الظاهرة، وإرجاعها إلى

الأسباب التالية:

التهور في السياقة

تفرض قوانين المرور سرعة معينة يلتزم بها سائقو السيارات في كل شارع، ولكننا نرى نسبة كبيرة من المخالفين لقانون السرعة المسموح به على الطرق، فيقود هؤلاء مركباتهم بسرعة جنونية هائلة، ولأمور غير عقلانية، يفتخر الكثير منهم بأنه يقطع الطريق الفلاني في وقت قياسي، وأنه كان يسرع في القيادة بسرعة قياسية، دون أدنى مبالاة لمضاعفات هذه السرعة الجنونية التي قد يفقد بسببها حياته، وقد يتسبب في قتل أو ضرر الآخرين جرّاء تهوره المفرط هذا.

مخالفة أنظمة المرور

يعيش كثير من فئة الشباب والمراهقين ثقافة المباهاة والمفاخرة بكل ما يخرج به عن القانون ويتحدّى فيه الآخرين، ويعدّ ذلك شجاعة وبطولة يفاخر بها أمام زملائه، ومن ذلك ما نجده لدى البعض من مفاخراته بقطعه للإشارات ومجاوزته للحدّ المسموح به للسرعة المقرّرة حتّى داخل الأحياء، أو قيادة السيارة بتهوّر والمشاركة في حركات الاستعراض الطائشة بالسيارات، التي قد يذهب ضحيتها هو ومن يكون عرضةً لتهوّره وطيشه.

وهذه الحالة من مخالفة أنظمة المرور تعدّ من أهم أسباب وقوع الحوادث، التي على رأسها تجاوز حدّ السرعة وعدم مراعاة إشارات المرور.

عدم التركيز أثناء قيادة السيارة

من المفترض أن يركّز السائق أثناء قيادة السيارة جيّدًا، وذلك حتّى يتلافى كل ما من شأنه التسبب في الحوادث المرورية، ولا يفترض به أن يشغل نفسه بالحديث الجانبي مع مرافقيه في السيارة، أو أن ينشغل بالحديث على هاتفه النقال.

وقد أثبتت الإحصاءات العالمية ارتفاع نسبة الحوادث بسبب المكالمات الهاتفية

أثناء قيادة السيارة، ولذلك تمنع كثير من الدول المتقدمة استعمال الهاتف النقال أثناء قيادة السيارة، وذلك لما يسببه من تشتيت لانتباه وتركيز السائق أثناء قيادته للسيارة. وهو ما نأمل تطبيقه هنا في المملكة، وذلك حماية لأرواح وأملاك ومصالح المواطنين.

سوء هندسة الطرق

الطريقة التي ترصف وتعبّد بها كثير من الطرق قد لا تكون آمنة، وقد تسبب في وقوع الحوادث المرورية، ولذلك يجب أن تهتم الدولة أكثر بشق الطرق وتوسعتها ورصفها وصيانتها، وتوفير وسائل السلامة المرورية فيها. وما تثبته الإحصائيات في المملكة أن ٨٠٪ من الحوادث المرورية تعود للسائقين أنفسهم، بينما تشكّل هندسة الطرق وأعطال المركبات ٢٠٪ من أسباب الحوادث المرورية.

ومما يؤسف له أن إنسانَ هذا العصر يحتاج إلى قوانين وروادع وجزاءات مالية ليرتدع عما يكون في ضرره. وفي ثقافتنا الإسلامية يعدّ الالتزام بهذه القوانين والأنظمة إلزامًا وتكليفًا شرعيًا، بحيث من يتسبّب في ضرر نفسه يؤثم لهذا العمل، ويتحمّل إثم إيقاع الضرر بالآخرين كذلك.

الخطبة الثانية: قناة الجزيرة والإساءة للمرجعية

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥٨].

البهتان - لغة -: من البهت، وهو الحيرة والدهشة.

وسمّي اتهام الآخرين باطلاً (البهتان) لأنه حينما يُتَّهم البريء يصاب بالدهشة

والخيرة مما ألصق به من تهمة وإساءة. وفي ذلك يقول الإمام الصادق: «البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات»^(١).

وقد وردت كثير من النصوص والأحاديث الدينية التي عدت البهتان من أعظم الجرائم الأخلاقية ومن أشد القبائح والإساءات.

وقد كان أثر البهتان والإساءة في السابق محدودًا، يقوم بها بعض الأفراد تجاه بعضهم أمام مجموعة محدودة، ولكننا اليوم مع وجود وسائل الإعلام وتطورها إلى فضائيات تسمع وتشاهد في كل مكان أصبح هذا الخلق وهذه الإساءات التي تكال لبعض الشخصيات أبعادًا أثرًا في صناعة الرأي العام لدى الجماهير، خصوصًا عندما تتردد على أكثر من وسيلة، وتتناقله أكثر من محطة.

والقرآن الكريم - في تعاليمه الاجتماعية الراقية - يحذرننا - كمسلمين - من نقل أي خبر أو معلومة ما لم نكن على علم بها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: آية ١٥].

إن توجيه الاتهامات والإساءات بدون دليل - حسب هذه الآية الكريمة - ليس أمرًا هيئًا وبسيطًا، بل هو عند الله سبحانه أمر عظيم.

ومما يؤسف له أننا نعاني اليوم على مستوى ساحتنا الإسلامية - وخاصة العربية منها - من وجود بعض وسائل الإعلام التي تحترف الاتهام للآخرين، وتوجيه البهتان الإعلامي لأي جهة لا ترضى عنها، وهي إساءات لا علاقة لها بحرية الرأي والتعبير، لأن التعدي على مقامات الآخرين والإساءة إليهم يمس - فيما يمس - شعور وكرامة هذا الإنسان، وخصوصًا إذا كان الأمر يتعلق بالمقامات الدينية، وذلك لما يحيط بهذه المقامات من منزلة وقداسة لدى أتباعها.

ومن هذا المنطلق ندين تطاول قناة الجزيرة من خلال إساءة أحد المذيعين التي

(١) ميزان الحكمة. ج ١، ص ٥٠٣.

وجهها لمقام المرجعية الدينية الشامخ في النجف الأشرف، حيث تعرّض للإمام السيد علي السيستاني - حفظه الله - بالإساءة.

وقد وجدنا ما أثارته هذه الإساءة من ألم في النفوس وتأجج في المشاعر وحالة من التشنّج، وما كان قد يحصل من إثارة لبعض الإشكالات الطائفية الموجودة في الساحة. إننا نقدر لقناة الجزيرة الفضائية ما أحدثته من نقلة في الإعلام العربي، ونقدر حرية التعبير بالرأي فيها، وكذلك ما تقدّم من إبداع وتنوّع في برامجها الجادة، ولكننا لا نرضى لهذه القناة أن توجّه مثل هذه الإساءات لأي مقام ديني، سواء لمقام المرجعية الدينية الشيعية أو لغيره من المقامات؛ لأن المقامات الدينية لها حساسية خاصّة، لما تحظى به من احترام الناس، والإساءة إليها يعدّ جرّحاً لمشاعر الناس ونعدّ عليهم على المستوى الديني.

ظلامه السيد السيستاني

ومما يؤسف له أن تعرّض شخصية مثل شخصية الإمام السيستاني لمثل هذه الإساءات، بدل أن تقدّر وتحترم، فمع كل تلك الظروف الصعبة والقاسية التي عاشها في العراق قبل سقوط النظام البائد، ومروراً بالأحداث التي أعقبت الاحتلال وما أصاب العراقيين من حوادث العنف والتهجير والاقتيال وما تبع ذلك من إثارات للفتنة المذهبية، كان العراق ساحتها الأبرز والأعنف في المنطقة، مع كل هذه الظروف، بقيت مواقفه على نفس الدرجة من الحكمة وعلى التمسك بوحدة الصفّ ونبذ الاقتتال والدعوة إلى الوحدة الإسلامية وعدم الانجرار إلى أي ردّات فعل غير محمودة العواقب، وتركيزه الدائم على أن يكون الشعب العراقي هو مصدر التشريع السياسي والقانوني في حكمه لبلده.

إن مثل شخصية الإمام السيستاني كان ينبغي أن تحظى بالتقدير والاحترام في وسائل الإعلام وبين التجمعات والمؤسسات، ولكنه لقي من الإساءات وإلقاء التهم

ما لم تلقه مرجعية دينية أخرى، فينسبون إليه - مثلاً - أنه يفتي ببطلان الوضوء للشيعي في حال لمس أخاه السني، لتنتشر هذه الأكذوبة في الصحف والمجلاّت دون التحقّق من صحّة نسبتها إليه، مع سهولة الرجوع إلى كتبه الفتوائية والعلمية المتداولة والمنشورة على صفحات الإنترنت.

وغيرها من الأكاذيب والدعاوى الباطلة، التي يعرف من يروّج لها أنها تخدم ما كان رائجاً في وقتها من إثارات للفتنة والحقد والضغينة والفرقة بين صفوف المسلمين وللنيل من وحدتهم ولإحداث مزيدٍ من إرباك داخل الساحة الإسلامية.

المؤسسة الدينية والتعاطي مع الإعلام

وفي هذه النقطة أرى من الضروري أن أسجّل نقدًا داخليًا في مجتمعاتنا الشيعية: ففي مثل هذه الحالات التي تتعرّض فيها مقاماتنا الدينية للإساءة والتطاول من قبل الآخرين لا يكفي أن نشجب ونستنكر مثل هذه الإساءات فقط، لأن ذلك يعود في جانب منه إلى تقصيرنا في نشر فكرنا ومواقفنا بشكل معلى وواضح في وسائل الإعلام. فالمرجعية الدينية لا زالت لا تملك جهازًا إعلاميًا كافيًا لتوضيح مواقفها ورؤيتها لكثير من المسائل الشائكة، وكذلك لا تملك لجنة من المستشارين والمتخصصين في طرح مواقف المرجعية وتوضيحها أمام الرأي العام.

إننا يجب أن نتحمّل مسؤوليتنا في أن تكون للمرجعية ولحوزتنا الدينية العلمية وللشيعية عموماً مؤسسات توضح وجهات نظرهم ومواقف مرجعياتهم حول القضايا الحساسة.

وفي هذه النقطة يجب أن لا نتذرع بمسألة زهد شخصية المرجع في الحضور والبروز، لأن المرجع لا يمثّل شخصه فقط بل يمثّل طائفة تتحرّك في ساحة إسلامية ووضع عالمي، يمكن أن تشوّه مواقفها وآراؤها حول كثير من القضايا الشائكة والمعقدة في المنطقة.

كما أن المسألة ترتبط بأمة وبطائفة من حَقِّها أن تعرف ماذا تصنع قياداتها وبماذا تفكّر وتخطط، وكذلك من حق جمهور الشيعة أن يعرفوا دور ومواقف هذا الجهاز المرجعي .
إننا - والحال هذه - يجب أن نتجاوز حالة القصور والتقصير، بأن نهتم بالجانب الإعلامي وذلك من خلال تشكيل المؤسسات والمراكز الإعلامية المتخصصة، وبأن يتجاوز علماءنا وخطباءنا حالة القطيعة مع وسائل الإعلام، فما عادت الحسينيات والمساجد تكفي لإعطاء الصورة الكافية، إذ لا بدّ من التعاطي مع وسائل الإعلام وإيجاد قنوات وجسور للتواصل معها وإيصال الأخبار إليها والتفاعل مع أطروحاتها، فهذا ما تقتضيه الساحة الآن.

ومسألة التعاطي الإعلامي من القضايا التي نعاني من ضعفها في مجتمعنا، إذ المفترض بالخطيب والعالم أن ينوّع من أسلوب تواصله مع الجمهور في طرح المسائل والقضايا الاجتماعية وما تقتضيه الساحة، فما عاد المنبر الحسيني وحده كافيًا لتوضيح الموقف أمام الرأي العام، بل علينا أن نكتب في الصحف والمجلاّت والمواقع الإلكترونية، إننا ينبغي أن نبادر في التواجد في الساحة الإعلامية.

وهذه المبادرات ما زالت قليلة، ومن يبادر يتّهم بحب الظهور والبروز، أو ترصد عليه الثغرات والأخطاء وتتصيّد عليه الهفوات.

إن كثرة مبادرات علماء الدين في اقتحام الوسائل الإعلامية يخفّف كثيرًا من غلواء الإشاعات والإساءات التي قد نتهم بها بين الحين والآخر، وفي سبيل ذلك علينا أن نتقن أسلوب الكتابة الصحفية، والظهور الإعلامي، وكذلك إرساء كثير من العلاقات والصدقات التي تخدم هذه القضية، حتى يبرز صوتنا بما يكشف واقعنا ويبين حقيقة مواقفنا وآرائنا.

يوم الجمعة سيّد الأيام

خطبة الجمعة بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ

أدرك الإنسان منذ القدم حاجته إلى نظام يقيس به الزمن، عبر تقسيم الوقت إلى وحدات، حتى يتسنى للإنسان تنظيم أداؤه لمهامه، وتعاطيه مع حركة الطبيعة والحياة، وضبط ارتباط بني البشر ببعضهم في القيام بالمهام وأداء الأعمال. وحين رأى الإنسان انتظام حركة الكواكب، وما تحدثه من تغيرات نظامية واضحة في الحياة، كتعاقب الليل والنهار تبعاً لغروب الشمس وشرورها، وكذلك دورة تغير الشكل المرئي للقمر، هداه ذلك التأمل إلى إمكانية وضع نظام لقياس الزمن، يرتبط بتلك التغيرات النظامية الفلكية.

فبملاحظة غروب الشمس وشرورها حصل اعتماد أوضح وحدة زمنية هي اليوم، وبمرآة تغير موقع القمر وتغير أشكاله، أمكن اعتبار الزمن بين بدرين متتاليين وحدة زمنية، أُطلق عليها الشهر، كما أظهر تعاقب الفصول وحدة زمنية أوسع هي السنة الشمسية. ثم تراكت خبرات الإنسان وتجاربه، ليطور بدافع الحاجة أنظمة قياسه للزمن، بشكل أدق وأكثر تفصيلاً. فقد قسم البابليون القدماء اليوم إلى ٢٤ ساعة، والساعة إلى ٦٠ دقيقة، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية، حيث قسموا المسار الدائري الظاهري للشمس إلى ١٢ قسماً متساوياً، ومن ثم قسموا فترات ضوء النهار والظلام إلى ١٢ قسماً لكل منهما، بحيث نتج عن ذلك ٢٤ ساعة في اليوم^(١).

(١) الموسوعة العربية العالمية. ج٢٧، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ص ١٢٢.

الأسبوع وحدة زمنية

وإذا كانت هذه الوحدات الأساسية في قياس الزمن، اليوم والشهر والسنة، تستند إلى ظواهر فلكية طبيعية، فإن هناك وحدة زمنية تحتل موقعاً أساسياً في تنظيم حياة الإنسان، لكنها لا ترتبط بأي ظاهرة فلكية أو طبيعية، بل إنها مجرد مفهوم وضعي عرفه الإنسان منذ القدم، وهي الأسبوع. فليس هناك سبب واضح لاعتماد هذه الوحدة الزمنية بأيام سبعة، ولماذا لم تكن خمسة أو عشرة مثلاً؟

وقد كان التقويم اليوناني مبنياً على أساس العقود، أي على وحدات يتألف كل منها من عشرة أيام، لكن الشعوب القديمة كلها تقريباً قد تعارفت على نظام الأسبوع، كالكلدانين والبابليين والفرس، ولعل الكلدانيين هم أول من اتخذ من الأسبوع مقياساً للزمن «الوقت»^(١).

ويُلاحظ أن القرآن الكريم لم يذكر مصطلح الأسبوع، بينما ذكر أسماء وحدات زمنية أخرى، كالساعة واليوم والشهر والسنة.

وأطلقت الشعوب المختلفة على أيام الأسبوع أسماء مختلفة، فالعرب قديماً أطلقوا عليها أسماء غير التي نعرفها حالياً، فقد سمو السبت (شيار)، والأحد (الأول)، والاثنين (الأهون)، والثلاثاء (جبار)، والأربعاء (دبار)، والخميس (مؤنس)، والجمعة (العروبة)، ومعناه اليوم البيّن، من قولهم: أعرب أي أبان. وقد جمعها النابغة الذبياني في قوله:

أؤمل أن أعيش وأن يومي لأول أو لأهون أو جبار

أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

وأطلقت شعوب كثيرة على أيام الأسبوع أسماء اشتقتها من أسماء الآلهة، أو أسماء الأبراج السماوية السبعة، التي عرفت آنذاك بأنها تدور حول الأرض، وهي: زحل،

(١) المصدر السابق. ج ١ ص ٦٥١.

والشمس، والقمر، والمريخ، وعطارد، والمشتري، والزهرة^(١).
كما تعارفت الشعوب وخاصة أصحاب الديانات، أن تعطي اعتباراً لأحد تلك الأيام السبعة، بأن تكون له قداسة دينية، تؤدي فيه الطقوس العبادية، ويكون فرصة للتلاقي الاجتماعي، والراحة الشخصية، والترفيه العائلي.
وقد اعتمدت كل واحدة من الديانات السماوية (الإسلام والمسيحية واليهودية) يوماً خاصاً كعيد أسبوعي، أضفت عليه قداسة دينية، ودعت أتباعها إلى احترامه وتعظيمه، وأداء بعض الشعائر والطقوس فيه، وهو يوم الجمعة عند المسلمين، ويوم السبت عند اليهود، ويوم الأحد عند المسيحيين.
ويبدو أن بعض الأمم والحضارات السابقة كانت تقدّس يوماً أسبوعياً، لكن ذلك قد اندثر باندثار حضاراتهم، فالإغريق كانوا يقدّسون يوم الاثنين، كما قدّس الفرس يوم الثلاثاء، وقدّس الآشوريون يوم الأربعاء، أما الخميس فقد قدّسه قدماء المصريين والهنود^(٢).

تعظيم السبت عند اليهود

يقدّس اليهود يوم السبت، ويعظمون شعائره تعظيماً شديداً، وهو يوم راحة لديهم، ويوجد في أحكامهم المأثورة ٣٩ نوعاً من الأعمال التي تحرم مزاولتها في يوم السبت، كالزراعة والنسيج والحياكة وذبح الحيوان والبناء وحمل البضائع وإشعال النار، وفي التلمود جزء كامل عن الأفعال المحرمة على اليهودي القيام بها يوم السبت. ولم يكن عند اليهود خطيئة تفوق عدم المحافظة على شعائر السبت إلا عبادة الأوثان، ولهذا فإن العقوبة التي يستحقها من يخرق شعائر السبت في الفتوى الدينية هي الإعدام رجماً.
ولا يزال كثير من اليهود يلتزمون التزاماً صارماً بنظم السبت.

(١) المصدر السابق. ج ١ ص ٦٥١.

(٢) المصدر السابق. ج ٧ ص ٨٧.

ويشير الدكتور محمد الهواري إلى «أن شعوب العالم لم تعرف يوماً للعطلة الأسبوعية، إلا بعد أن عرف بنو إسرائيل السبت، واتخذوه يوماً لراحتهم»^(١) ويعتقدون أن الله تعالى قد خلق الكون في الأيام الستة، واستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، جاء في الوصية الرابعة من الوصايا العشر المعتمدة عندهم: «إذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وهيمتك ونزريك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقَدّسه»^(٢).

وقد تكرر ذكر يوم السبت مائة وست مرات في الكتاب المقدس، وهو يشكل حسب فقرات العهد القديم قيمة روحية عالية عند بني إسرائيل، فهو رمز للعلاقة وللعهد بين الشعب والرب. تقول إحدى تلك الفقرات: «فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد»^(٣). من هذا المنطلق تعيش الأسرة اليهودية في جو خاص من الاستعدادات عشية السبت، لإظهار مدى حبهم للسبت، ولإشاعة جوٍّ من البهجة والسرور في هذا اليوم، باعتباره يوم احتفال أسبوعي، له طابع ديني اجتماعي، حيث يرتدون فيه ملابس جميلة نظيفة، وتشعل الشموع في البيت قبيل الدخول في السبت، أي قبل غروب شمس يوم الجمعة، أما بعد دخول السبت فمحظور إشعال أي نار.

وفي يوم السبت يكثر اليهودي المتدين من قراءة نصوص خاصة مستمدة من الكتب المقدسة وتفسيرها، كما يقصدون المعابد، ويباركون أبناءهم مساء السبت، بأن يضع الأب

(١) الدكتور محمد الهواري. السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م، (القاهرة: دار الهانوي)، ص (ط).

(٢) المصدر السابق: ص (ح).

(٣) المصدر السابق: ص ٥١.

يده على رأس ابنه وابنته داعياً بالبركة. كما أن للسبت مائدته الخاصة التي يتم إعدادها قبل دخول السبت، وهناك نوع من الخبز تتميز به هذه المائدة، يطلق عليه خبز السبت المضقّر، يكون منه رغيفان اثنان على المائدة. كما يودعون يوم السبت بفقرات دعاء للبركة.^(١)

ويسعى الآن اليهود العلمانيون لتجاوز قيود يوم السبت التي يتمسك بها المتدينون اليهود، حيث يعيش العلمانيون حياتهم الطبيعية في عطلة السبت، ويشاهدون التلفاز، ويشعلون الكهرباء، ويخرجون من بيوتهم.

إلا أن كافة الإسرائيليين لا يذهبون إلى أماكن عملهم يوم السبت، وتتعطل المواصلات العامة، وتغلق المحلات التجارية، وتتوقف أغلب القنوات التلفزيونية الرسمية عن البث حتى منتصف يوم السبت، وأجاز عدد من الحاخامات لمسؤولي الدولة العمل يوم السبت عند الحالات الطارئة الضرورية.

وقد تحدث القرآن الكريم في خمسة موارد عن يوم السبت، وانتهاك بعض المجتمعات اليهودية لحرمة في أزمان سالفة، وتحاييلهم على منع الصيد فيه بحبس الأسماك في جداول وشباك يضعونها قبل السبت، فلا تخرج منها الأسماك، ثم يأخذونها منها يوم الأحد. فاستحقوا بهذا الانتهاك والمخالفة لأمر الله تعالى عذاباً شديداً. جاء ذلك في سورة البقرة آية ٦٥، وسورة النساء آية ٤٧ و ١٥٤، وسورة الأعراف آية ١٦٣، وسورة النحل آية ١٢٤، يقول تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [سورة النساء: الآيات ١٥٤]. ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٦٥].

يوم الأحد عند المسيحيين

ارتبط يوم الأحد عند المسيحيين بيوم بعث السيد المسيح ﷺ وقيامته من بين

(١) المصدر السابق. ص ١٠٠-١٣٨.

الأموات، حسبها جاء في الكتاب المقدس لديهم. ولذلك جعلوه لعبادة الرب، وخلال القرن الرابع الميلادي أقرت الحكومة والكنيسة رسمياً يوم الأحد يوماً للراحة في أوروبا^(١).

ويعتبر المسيحيون أن الأحد هو اليوم الأول من الأسبوع، ومعنى اسمه باللغة الإنكليزية (Sunday) أي يوم الشمس، وكان مقدساً عند الوثنيين. وهو يوم العطلة الأسبوعية في أمريكا ودول أوروبا والمجتمعات المسيحية في مختلف أنحاء العالم. حيث يقصد المسيحيون المتدينون الكنائس لإقامة صلواتهم والاستماع إلى عظة الأحد واستذكار سيرة السيد المسيح. وتشير دراسة أجريت عام ١٩٩٨ أن هناك ٤٠٪ من الأمريكيين يقولون إنهم يرتادون الكنيسة أسبوعياً^(٢).

الجمعة في الإسلام

حدد الإسلام يوم الجمعة عيداً أسبوعياً للمسلمين، يُميز كيانهم الاجتماعي على هذا الصعيد عن اليهود والنصارى باحتفائها بيومي السبت والأحد، وليكون اليوم الذي يتجهون فيه أكثر إلى عبادة ربهم، وتذاكر تعاليم دينهم، وتعزيز تماسكهم بحضور صلاة الجمعة، والتزاور والتلاقي، والعطاء وصلوة الرحم. واسم الجمعة بضم الميم على المشهور، وقد تُسكن وقرأ بها الأعمش، مأخوذ من الجمع والاجتماع، وكان يسمى في الجاهلية (العروبة) بفتح العين وضم الراء. وذكر بعض العلماء أن الجمعة تسمية إسلامية لم تطلق على هذا اليوم قبل الإسلام، لكن ذلك محل نظر ومناقشة، حيث إن اسم (العروبة) اسم قديم كأسماء بقية الأيام: أول،

(١) الموسوعة العربية العالمية. ج ١ ص ٢٤٣.

(٢) الوطن: جريدة يومية سعودية، الجمعة ١٩ شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥ م العدد ١٨٢٠.

أهون، جبار، دبار، مؤنس، عروبة، شبار. وقد استبدلوا بها أسماءً جديدة عند العرب قبل الإسلام، هي الأسماء المتداولة الآن. أشار إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري^(١) مستعرضاً بعض الشواهد^(٢).

ولأهمية هذا اليوم في الحياة الإسلامية يطلق في بعض الحالات كعنوان للأسبوع كله، فيقال: أزوركم بعد جمعة، أي بعد أسبوع.

ومن بين أيام الأسبوع اختص يوم الجمعة عنواناً واسماً لسورة كاملة من القرآن الكريم، هي سورة الجمعة، التي تضمنت الحث على حضور صلاة الجمعة، وترك الانشغال بما عداها في وقتها. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٩].

كما لم يرد في القرآن الكريم ذكر لأيام الأسبوع إلا يومان، هما يوم الجمعة ضمن هذه السورة الكريمة، ويوم السبت في سياق ذم بني إسرائيل لانتهاكهم حرمة المقررة في شريعتهم.

أفضل الأيام

وفي السنة النبوية والنصوص الإسلامية، وردت أحاديث وروايات كثيرة حول فضل يوم الجمعة، والبرامج التي ينبغي الاهتمام بها فيه، حتى خصصت الموسوعات الحديثية والصحاح والمسانيد فصولاً وأبواباً تجمع تلك الأحاديث والروايات. وقد صنف عدد من علماء المسلمين كتباً خاصة بيوم الجمعة، تتناول فضله وآدابه، كما أفرد عدد من الفقهاء كتباً حول صلاة الجمعة، أحصى منها الشيخ آقابرزك الطهراني

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الجمعة ج ٢، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، (الرياض: مكتبة دار السلام)، ص ٤٥٥.

(٢) المصدر السابق.

- (توفي عام ١٣٨٩ هـ) ما يقرب من مائتي كتاب ضمن فقه المذهب الشيعي فقط^(١).
- ومن الأحاديث والروايات الواردة حول فضل يوم الجمعة ننقل النماذج التالية:
- جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس، يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»^(٢).
 - وجاء في صحيح سنن ابن ماجه للألباني عن النبي ﷺ قال: «إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يُشفقن من يوم الجمعة»^(٣).
 - وجاء عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «الجمعة عيد للمسلمين وهو أفضل من الفطر والأضحى»^(٤).
 - وجاء في الكافي عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر - الإمام محمد الباقر ﷺ - يقول: «ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة»^(٥).
 - وفيه عن الإمام جعفر الصادق ﷺ قال: «إن الله اختار من كل شيء شيئاً،

(١) آقابزرگ الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٥، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ١٣٩.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الجمعة، الطبعة الثالثة ١٩٩٨، (الرياض: دار المغني)، ص ٤٢٥، حديث ١٨.

(٣) ناصر الدين الألباني. صحيح سنن ابن ماجه، باب في فضل الجمعة ج ١، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، (الرياض: مكتبة المعارف)، ص ٣٢١، حديث ٨٩٥.

(٤) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٣٥.

(٥) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي ج ٣، ١٤٠٥ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٤١٣.

فاختار من الأيام الجمعة»^(١).

• وفيه عن الإمام علي الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات ويستجيب فيه الدعوات ويكشف فيه الكربات ويقضي فيه الحوائج العظام»^(٢).

• وفيه عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله - جعفر الصادق عليه السلام - : «فُضِّلَ الله الجمعة على غيرها من الأيام، وإن الجنان لتزخرف وتزين يوم الجمعة لمن أتاها، وإنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة، وإن أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد»^(٣).

وخطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في الجمعة فكان مما قال:

«ألا إن هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً، وهو سيد أيامكم، وأفضل أعيادكم، وقد أمركم الله في كتابه بالسعي فيه إلى ذكره، فلتعظم رغبتكم فيه، ولتخلص نيتكم فيه، وأكثروا فيه التضرع والدعاء، ومسألة الرحمة والغفران، فإن الله عز وجل يستجيب لكل من دعاه، ويورد النار من عصاه وكل مستكبر عن عبادته، قال الله عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: الآية ٦٠] وفيه ساعة مباركة لا يسأل الله عبد مؤمن فيها شيئاً إلا أعطاه»^(٤).

وتشير أحاديث وروايات كثيرة إلى أن في يوم الجمعة ساعة يستجيب الله تعالى فيها دعاء الداعين، ويلبي طلباتهم، ولأنها ساعة لم تحددها النصوص، فإن على الإنسان أن

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. ص ٤١٤.

(٣) المصدر السابق. ص ٤١٥.

(٤) الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه ج ١ باب وجوب الجمعة وفضلها، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، (بيروت: دار المرتضى)، حديث ٤٥.

يشتغل بالدعاء في مختلف ساعات الجمعة عسى أن يحظى بموافقة تلك الساعة.
ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه»^(١).
وروي عن أبي جعفر ﷺ أنه قال: «في يوم الجمعة ساعة لا يسأل الله عبد مؤمناً فيها إلا أعطاه»^(٢).

(١) صحيح مسلم. كتاب الجمعة، حديث ١٥.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. حديث ١٠٣٠٩.

التاريخ للعبارة أم للفتنة؟

خطبة الجمعة بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ

انتقد الشيخ الصفار في خطبة الجمعة قراءة البعض للتاريخ، فبدل أن تكون للعبرة، صارت سبيلاً للفتنة! وقال إن في الاحتفاء بمناسبات عظماء التاريخ سبيل لأخذ العبرة والتقدم.

وأشار إلى أن كل أمة لها تاريخ وأجداد، ولكن تلك الأمم تتفاوت اهتماماتها بذلك التاريخ، وقال: «هناك من يتسلى بالتاريخ، ويتغنى بأجداد الأسلاف، تستراً على واقعه وحاضره، فإذا ما رأى نفسه في آخر الركب، ولا شيء يقدمه كما يقدم الآخرون، راح يترنم بأجداد آبائه! ذكر أجداد الماضي إنما يكون إيجابياً إذا صار ماثلاً في حاضرنا».

وأضاف: «وهناك من يرفض أي نقد لرجالات الماضي، فكل الأسلاف صالحون، والخير كله فيما وقع، لا يقبل نقد سياسة الحكم الأموي، والعباسي، فيما اشتملت عليه من الظلم والاضطهاد!».

مؤكداً على أن: «هذه الطرق خاطئة لدراسة التاريخ، فهي تقديس مطلق، وخلط للأوراق، وحجب الشمس عن عين الحقيقة لاختيار الصواب، ففي الماضي ما كان صائباً، وفيه ما كان خاطئاً، فكيف نختار الصحيح ونستفيد من تجاوز أخطائه ما لم تكن هناك دراسة واعية للتاريخ، تقوم على الموضوعية، والبحث العلمي، لا على العواطف، والاصطفاف المذهبي، والاتباع الأعمى».

وحذّر الصفار من الاستغراق في دراسة الماضي، والانشغال بتفاصيله، من أجل

إشعال نار الفتنة، والاحتراب الطائفي، مؤكداً: «دراسة التاريخ التي يدعو لها القرآن للعبارة، لا للفتنة».

وأشار الشيخ الصفار إلى أن واحدة من طرق دراسة التاريخ تكمن في إحياء مناسبات العظماء، كاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وسائر أئمة أهل البيت، كما مرّ في الأسبوع الماضي ذكرى ميلاد السيدة العظيمة زينب بنت أمير المؤمنين، وقال: «حينما نحتفي بذكرى هذه السيدة المجاهدة أراني أستحضر نقطتين هامتين في حياتها، وهما: دور المرأة الاجتماعي، والتكوين التربوي للشخصية».

وحول دور المرأة الاجتماعي قال سماحته: «تواجه المرأة في مجتمعاتنا تهميشاً وإقصاء في معظم الأدوار والميادين، لقد رأينا قبل أيام كيف تشكلت الحكومة الفرنسية مناصفة بين الرجال والنساء، فالمرأة في تلك الدول تشارك في القيادة، وصنع القرارات، وتتبوأ مكانة مرموقة في مجتمعاتها، ونحن نشجع خروج المرأة لمثل هذه الأمور، إنما ندين إخراج المرأة من إنسانيتها، وتجريدها من عفتها، وابتذال أنوثتها».

وأضاف: «لم تكن السيدة زينب ربة بيت جيدة، وحسنة التبعل لزوجها، فحسب، بل كلنا يعلم أن تمجيدنا لزينب إنما كان لمشاركتها في نهضة أخيها الإمام الحسين، وزينب تمثل الوجه الثاني لتلك الثورة، لقد كانت في جنب الحسين بل إذا كان الحسين قد انتهى دوره باستشهاده فزينب استمر دورها لزمان أطول، وعانت من المصائب والمحن أكثر، واجهت قتل أخوتها، وأبنائها، والسلب، والضرب، والسب، والإذلال، ولكنها ظلت صامدة أمام مصيبة تكاد السموات تتفطرن منها، وتنشق لها الأرض، وتخر الجبال هداً، وحين سأها ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً».

وهذا موقف يتعلم منه الثوار، ويربي الشجعان كأبطال الجنوب في لبنان، فمع كل القتل، والتدمير الذي لحقهم، إلا أنهم يرون في ذلك عزاً وكرامة من الله، رافضين رغد العيش ما دام في ذل وهوان، وهذا هو منطق الأبطال الذي يرفضه الانهزاميون».

مؤكداً سماحته على أن المرأة ينبغي أن تقتدي بزینب بالتصدي لخدمة المجتمع، والمشاركة في صنعه، كما كانت زینب، وأمها فاطمة، وجدتها خديجة.

وحول التكوين التربوي للشخصية، قال: «من أبرز الأمور التي أسهمت في تكوين شخصية السيدة زینب أنها عاشت في بيت تسوده الألفة والمحبة، عاشت مكرمة معززة، مغمورة بالحب والعطف والحنان، من جدها رسول الله، وأبيها علي، وأمها فاطمة، وأخويها الحسن والحسين والروايات شاهدة على مكانة هذه السيدة العظيمة.

وأضاف: « لكن أولادنا وبناتنا ما عادوا يمتثلون من العطف، ولا يشبعون محبة وحناناً، وهذا ما يجدوا بهم إلى البحث عنه خارج البيت، فينفلتون من أيدينا، وقد أكدت دراسة سعودية ناتجة عن دار الرعاية الإجتماعية للفتيات، أن ٦, ٨٦٪ من الفتيات اللاتي وقعن في الجريمة، كان الدافع وراءهن الحرمان العاطفي، نشرتها جريدة الاقتصادية بتاريخ ٨ مارس ٢٠٠٧م.

كما أن من يقرأ مساجلات الانترنت يجد كثيراً من الفتيات يشكين الجفاف العاطفي. فلماذا نعامل بناتنا وأخواتنا وأزواجنا هذه المعاملة الجافة؟ لماذا نرضى لنسائنا أن يبحن عن جو عاطفي خارج البيت؟

إن دراسة حياة السيدة زینب تدعونا إلى ملء الجو الأسري بالحب والحنان، ونشير هنا إلى صورة جميلة رسمها الشيخ محمد جواد مغنية يقول: وكان النبي لا يصبر عن بيته هذا، ولا يشغله عنه شاغل، خاصة بعد أن نبتت فيه رياحينه، فإذا دخله قبّل هذا، وشمّ ذلك، وابتسم لتلك... ودخله ذات يوم فأخذ الحسن وحمله، فأخذ علي الحسين وحمله، فأخذت فاطمة زینب وحملتها، فاهتزت أركان البيت طرباً لجوّ الصفاة المختارة، وابتهاج الرسول بآله وابتهاجهم به، وتدلنا هذه الظاهرة وكثير غيرها أن محمداً كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته».

وفي خطبته الثانية

تحدث الشيخ الصفار عن أهمية النظافة، وقال بأن الإسلام يدعو للنظافة، ويعتبرها من الإيمان، وحتى يرسخ هذا الأمر عند المسلمين جعلها جزء من العبادة، فغسل الجمعة، والوضوء، واستخدام السواك، وغير ذلك أمور تجدها بين الوجوب والاستحباب حتى ترسخ هذا المفهوم.

وأكد على أن النظافة تعطي صورة مشرقة عن الشخص، وعن المجتمع، فالجمال والنظافة مقياس تقدم المجتمعات وحضارتها.

مشيراً إلى أهمية الحملة التي يريها المجلس البلدي تحت عنوان (القطيف الجميلة) والتي تستمر لمدة شهرين، وأن على الجميع أن يهتم بها، وأنه لا ينبغي إلقاء المسؤولية على أجهزة الدولة فقط، بل على الجميع أن يقوم بدوره ويتابع النقص، ويطالب الأجهزة المعنية بسد النواقص، حتى نعيش في مجتمع متحضر راقٍ.

واستنكر سواحته بعض المظاهر السيئة التي يمارسها بعض المواطنين، كالتى تطال الممتلكات العامة، وما يكون خلاف الذوق والتحضر.

أفضلية الزهراء وحياتها العائلية

خطبة الجمعة بتاريخ ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢١].

تمثل هذه الآية منطلقًا قرآنيًا لتعامل المسلمين الصحيح والواعي فيما يستقون منه من تاريخ المسلمين في رجالته وقياداته، حيث تشير الآية إلى أخذ العبرة وموضع الاقتداء في شخصية الرسول بما يتناسب وواقعهم الحياتي في فترة الاقتداء.

وهذا ما يؤكّد عليه دائماً سماحة الشيخ حسن الصقّار في قراءته لحياة الرسول ومجمل التاريخ الإسلامي.

وانطلاقاً من هذه الفكرة ركّز سماحته في خطبته الأولى لصلاة الجمعة حول الحديث عن عنصر الاقتداء في سيرة السيدة فاطمة الزهراء، ممهداً لذلك ببيان فضلها ومكانتها العالية التي يقرّها جميع علماء المسلمين سنة وشيعة.

حيث نبّه في بداية الحديث على أن بعض علماء المسلمين يرى أفضليتها على جميع الخلق بعد رسول الله - كما ذكر ذلك عالم الحديث المعروف الشيخ محمد سعيد بن محمد ممدوح في كتابه «غاية التبجيل وترك القطع بالفضل» الذي طبع في الإمارات العربية المتحدة عام ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م، وقدم له السيد علي الهاشمي مستشار رئيس دولة الإمارات.

حيث ذكر تحت عنوان: «تنوير الأفتدة الزكية بتفضيل البضعة النبوية» ص ٩٥ ما يلي: ومنهم من يفضل السيدة فاطمة ابنة النبي على الجميع باعتبارها بضعته الشريفة

المنيفة. فأم المؤمنين عائشة تفضّل فاطمة على سائر الصحابة رضي الله عنهم. وهذا ثابت صحيح، فقد أخرج الطبراني في الأوسط ... عن عمرو بن دينار قال: قالت عائشة: « ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها »^(١).

كما أخرج الحاكم في المستدرك بإسناد ثابت أن عمر قال لفاطمة رضي الله عنها: « يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله منك، والله ما كان أحداً من الناس بعد أبيك رضي الله عنه أحب إليّ منك »^(٢).

قال: وهو منقول عن الإمام مالك، ففي الحاوي للحافظ السيوطي، ومروقة المفاتيح للقاري، قال مالك: « لا أفضل على بضعة رسول الله أحداً ».

ونقل مثل ذلك عن أبي سهيل الصعلوكي وابنه سهيل، وقال: لما ذكر المناوي في فيض القدير حيث فاطمة بضعة مني قال: استدل به السهيلي على أن من سبها كفر، لأنه يغضبه، وأنها أفضل من الشيخين. وقال الألويسي في روح المعاني: « إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد ».

بعد هذا الحديث عن فضل الزهراء انتقل الشيخ الصفار إلى عرض لبعض مواقف السيدة الزهراء في تعاملها مع زوجها علي، وتعامل الإمام علي معها، وهي المواقف التي تجسّد الرؤية الإسلامية الصحيحة للعلاقة الزوجية والأسرية.

منتها إلى خطورة ما تعيشه هذه العلاقات الزوجية في مجتمعاتنا من اضطراب وتفكك - الأمر الذي ينعكس تالياً على مجمل جو الأسرة وتنشئة الأبناء، وذلك بفعل سيطرة الحياة المادية على حياة الفرد وما يستتبعه ذلك من تضخيم لحالة الأنانية وحبّ الذات.

(١) أبو القاسم الطبراني. المعجم الأوسط ج٣، ١٤١٥هـ، (الرياض: دار الحرمين)، ص١٣٧.

(٢) محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين ج٣، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص١٦٨، حديث ٤٧٣٦.

مشدداً على ضرورة تصحيح النظرة حول مسألة الخدمة في المنزل وقيام الزوجة بالمهام المنزلية وما يمثله من شرف ومكانة عالية عند الله، كما أن قيام المرأة بشؤون البيت يخلق جوّاً من الألفة بينها وبين أفراد الأسرة ويزيد من حالة التفاعل الأسري في اتجاهه الإيجابي، وهو ما تؤكّد عليه النصوص الإسلامية ومن أبرزها تلك النصوص الواردة عن سيرة وحياة الرسول مع أهل بيته وكذلك سيرة الإمام علي مع السيدة الزهراء، لكن ذلك لا يعني حصر دور المرأة في منزلها فهي شريكة الرجل في إدارة شؤون المجتمع والحياة، وتواجه البشرية المعاصرة مشكلة الإفراط والتفريط بين من يحصرون دور المرأة في المنزل، ومن يتنكرون لهذا الدور.

ونجد في سيرة السيدة فاطمة الزهراء نموذجاً رائعاً للجمع بين المهمتين والدورين، الدور العائلي، والدور الاجتماعي الرسالي.

الخطبة الثانية

وفي الخطبة الثانية تحدّث سماحته حول مفاد الآية القرآنية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

حيث تؤسّس هذه الآية للعلاقة الصحيحة بين الأمة الإسلامية وبين بقية الأمم والشعوب الأخرى، وهي العلاقة القائمة على أساس السيادة والاستقلالية لا على أساس الخضوع والخنوع لقرارات الآخرين.

وذلك يتحقّق - كما تشير الآية - في حال تمكّن الإيمان بالله من قلوب المسلمين، فالله سبحانه - حسب الآية - لا يمكّن الكافرين من مجتمعات المؤمنين به، فالمجتمع المؤمن لا يخضع في جميع شؤونه إلا لأوامر ونواهي الله سبحانه.

وفي هذه النقطة يقارن سماحته بين تلك المجتمعات غير المسلمة التي تحرّرت من نير الاستعمار ونفوذ الأجنبي، كيف أنها أصبحت لها مؤسساتها وقوانينها وإدارتها التي

يقوم أبناء شعوبها بتدبير شؤونهم عن طريقها، بينما لا تزال شعوب المنطقة المنتمية إلى دين العزّة والسيادة تعاني من التدخل الخارجي والهيمنة الأجنبية.

وهذا ما يراه المسلم اليوم في أفغانستان والعراق والصومال، وما يراد للسودان.

ثم ما نراه أخيراً من تدخل واضح من قبل مجلس الأمن فيما يخص القرار الأخير الذي صدر بشأن تشكيل المحكمة الدولية الخاصة بجرائم الاغتيال في لبنان.

مذكراً بأن هذه الحالة ما هي إلا بسبب ضعف وتفكك المسلمين فيما بينهم، بحيث أصبحت الأمة الإسلامية وكأنها أمة قاصرة يتخذ الآخرون القرارات بشأنها ويطبقونها على أراضيها بالقوة.

الجمعة شخصية المجتمع الإسلامي

خطبة الجمعة بتاريخ ٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

يمكن القول بلا مبالغة أن الجمعة كيوم مبارك له آدابه وبرامجه، وأن صلاة الجمعة كشعيرة عظيمة بوظائفها وأبعادها، ترسم الهوية الخاصة، والشخصية المميزة للمجتمع الإسلامي، ذلك المجتمع الذي يستجيب لنداء الله، ويجتمع لأداء فريضته، وتتنظم صفوفه خلف إمام صلاته، ويستمع لتوجيه قيادته الدينية من خلال خطبتي الجمعة، ويتلقى منها الرؤية والتحليل عن قضايا الأمة وأوضاع الحياة، ويفتح أبنائه على بعضهم في مشهد اجتماعي رهيب، لا يتميز فيه أحد على أحد، مما يؤكد روح المساواة والتعاون، وأواصر المحبة والمودة.

الجمعة حركة ونشاط

حين نتحدث النصوص الدينية عن خصوصية يوم الجمعة، وتمييزه على سائر الأزمنة، وأنه «خير يوم طلعت عليه الشمس»^(١)، وأنه «سيد الأيام وأعظمها عند الله»^(٢)، كما ورد عن النبي ﷺ. فهذا يعني أن يتعامل المسلم مع هذا اليوم تعاملاً خاصاً مميزاً، يحرص فيه على استثمار ساعاته في أفضل البرامج والأعمال.

لكن المؤسف حقاً أن يتعامل الكثيرون مع هذا اليوم العظيم المبارك، كوقت

(١) صحيح مسلم. كتاب الجمعة حديث ١٨.

(٢) ناصر الدين الألباني. صحيح سنن ابن ماجه ج ١، باب في فضل الجمعة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، (الرياض: مكتبة المعارف)، ص ٣٢١، حديث ٨٩٥.

فائض، وزمن إضافي، يتفنونون في إضاعته وصرفه دون تخطيط وبرنامج مفيد. فيتعاملون معه كيوم عطلة وفراغ، خارج أيام العمل والإنتاج، فهو فرصة للاستغراق في النوم، حيث يواصلون نومهم أكثر ساعات الصباح، وهو وقت للراحة بمعنى الكسل والفراغ، والتسمر أمام شاشات التلفاز، أو ممارسة اللّهُو واللّعب. لم يرد نص شرعي يوجب تعطيل العمل يوم الجمعة، كما هو الحال عند اليهود في يوم السبت، ولم يفت بذلك أحد من فقهاء المسلمين، وإنما يحرم فيه العمل المانع من أداء صلاة الجمعة لمن تجب عليه، وذلك التحريم هو بمقدار أداء الفريضة، التزاماً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٩]. والمراد به على ما يفيد السياق: النهي عن الاشتغال بكل عمل يشغل عن صلاة الجمعة، سواء كان بيعاً أو غيره، وإنما علق النهي بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاة^(١).

حيث أوجب سبحانه السعي إلى الجمعة، وأمر بترك المعاملة، ونحن نعلم أنه لا خصوصية لترك البيع وتخصيصه بالذكر، إلا لكونه أهم الأمور، وأكثر ابتلاءً للناس، سيما أهل السوق.

فالمطلوب أولاً هو درك مصالح الجمعة، فكل أمر يوجب تفويت تلك المصلحة، أو التأخير عنها، أو بعضها، فهو منهي عنه، ومن اشتغل بشيء أوجب التفويت أو التأخير فهو آثم^(٢).

أما بعد انتهاء صلاة الجمعة فالمجال مفتوح لممارسة مختلف أعمال الحياة، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: الآية ١٠].

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي. الميزان في تفسير القرآن ج ١٩، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٨٥.

(٢) الشيخ عبد النبي النمازي. رسالة في وجوب صلاة الجمعة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (قم: مؤسسة إسماعيليان)، ص ١٢٥.

والمراد بقضاء الصلاة: إقامة الجمعة. والانتشار في الأرض: التفرق فيها. وابتغاء فضل الله: طلب الرزق، نظراً إلى مقابلته ترك البيع في الآية السابقة، لكن تقدم أن المراد ترك كل ما يشغل عن صلاة الجمعة، وعلى هذا فابتغاء فضل الله، مطلق عطيته، في التفرق لطلب رزقه، بالبيع و الشراء، وطلب ثوابه، بعيادة مريض، والسعي في حاجة مسلم، وزيارة أخ في الله، وحضور مجلس علم، ونحو ذلك^(١).

جاء في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «يكره السفر والسعي في الحوائج يوم الجمعة بكرة من أجل الصلاة، فأما بعد الصلاة فجائز يتبرك به»^(٢).

ولم يكن متداولاً بين المسلمين في الماضي تعطيل أعمالهم يوم الجمعة، يقول الدكتور سليمان بن علي الضحيان: لم يذكر في تاريخ المسلمين تخصيص يوم الجمعة أو سواه لترك العمل فيه والراحة. ومن أوائل من ترك التدريس يوم الجمعة السبكي الشافعي، من علماء القرن الثامن الهجري، وقد أنكر عليه بعض علماء مذهبه، ورأوا أن فيه تشبهاً باليهود بتركهم العمل يوم السبت^(٣).

لكن المتعارف عليه الآن في جميع المجتمعات البشرية، تخصيص يوم أو يومين كعطلة أسبوعية، يرتاح فيها الإنسان من عناء برنامجه اليومي الدائم في الدراسة والعمل، لتكون فرصة لتجديد النشاط الذهني والنفسي، ولإتاحة المجال لأداء سائر المهام والاهتمامات المختلفة للإنسان.

ومن الطبيعي أن تختار المجتمعات الإسلامية لعطلتها الأسبوعية يوم الجمعة، كما اختار اليهود يوم السبت، واختار المسيحيون يوم الأحد، انطلاقاً من النظرة الدينية المختلفة بين هذه الديانات حول تحديد اليوم المقدس في الأسبوع.

(١) الميزان في تفسير القرآن. ج ١٩ ص ٢٨٥.

(٢) بحار الأنوار. ج ٥٦ ص ٣٣.

(٣) سليمان بن علي الضحيان. جريدة المدينة، ملحق الرسالة، الجمعة ٢٢/٥/١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧/٦/٨م.

لقد أولت التوجيهات الإسلامية يوم الجمعة اهتماماً عظيماً، وجاءت النصوص الكثيرة التي تؤكد على استثمار ساعات يوم الجمعة في صالح الأعمال، وتضع أمام المسلم مختلف البرامج التي تخدم تكامله الروحي، وجماله المادي، وتواصله الاجتماعي، وسعادته الأسرية، وتقدمه المعرفي.

وتوحي هذه النصوص والبرامج بأن يوم الجمعة يجب أن يكون يوم نشاط مكثف، وجهد مضاعف، لخدمة الأبعاد المختلفة في شخصية الإنسان وحياته. وأن الذين يتخذونه يوم كسل وتقاعس يجرمون فيه أنفسهم من خير كثير، ويخسرون أغلى وأثمن الأوقات. إن أجر وثواب الأعمال الصالحة يكون مضاعفاً عند الله تعالى يوم الجمعة، كما أن أعمال السوء والشر فيه توجب مضاعفة غضب الله وعذابه، حسبما ورد في نصوص كثيرة، وذلك بهدف دفع الإنسان المسلم وتشويقه لأداء المزيد من أعمال الخير والصلاح في هذا اليوم المبارك، وتحذيره من الاقتراب من أي ذنب أو معصية.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «تضاعف الحسنات يوم الجمعة»^(١). وجاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «الخير والشر يضاعف في يوم الجمعة»^(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام: «إن الأعمال تضاعف يوم الجمعة فأكثرها فيه من الصلاة والصدقة»^(٣).

وعن الإمام علي الرضا عليه السلام: «اعلم يرحمك الله أن الله تبارك وتعالى فضل يوم الجمعة وليلته على سائر الأيام، فضاعف فيه الحسنات لعاملها، والسيئات على مقترفها»^(٤).

(١) كنز العمال. ج ٧ ص ٧١٢، حديث ٢١٠٥٧.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٣٨٠، حديث ٩٦٣٢.

(٣) القاضي أبو حنيفة المغربي النعمان. دعائم الإسلام ج ١، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ١٦٩.

(٤) ميرزا حسين النوري. مستدرک الوسائل ج ٦، حديث ٦٤٣٩، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث)، ص ٦٥.

وعن أبان عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: «إن للجمعة حقاً وحرمة، فإياك أن تضيع أو تقصر في شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح، وترك المحارم كلها، فإن الله يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات»^(١).
وقد تنوعت البرامج التي حثت النصوص الدينية على أدائها يوم الجمعة، بين برامج روحية، ومعرفية، واجتماعية، وجمالية تعنى بأناقة الإنسان وحسن مظهره.

صلاة الجمعة

صلاة الجمعة هي البرنامج الأهم للإنسان المسلم في يوم الجمعة، وهو العمل المحوري، والمهمة الأساس التي ينبغي أداؤها في ذلك اليوم، وعلى المسلم أن يكتف سائر برامج وأعماله لصالح هذه الفريضة العظيمة.
فلا ينبغي له أن يسافر صباح الجمعة، فيخسر فرصة أدائها، فذلك مكروه شرعاً. كما جاء في رواية عن الإمام علي الهادي عليه السلام: «يكره السفر والسعي في الحوائج يوم الجمعة بكرة من أجل الصلاة، فأما بعد الصلاة فجائز يتبرك به»^(٢).
وجاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه إلى الحارث الهمداني، قال: «ولا تسافر في يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة، إلا ناصلاً في سبيل الله، أو في أمر تعذر به»^(٣).

وعن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه قال: «ما يؤمن من سافر يوم الجمعة قبل الصلاة ألا يحفظه الله تعالى في سفره، ولا يخلفه في أهله، ولا يرزقه من فضله»^(٤).
ونقل الشهيد الثاني في رسالة الجمعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من سافر يوم الجمعة

(١) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٣٧٥ حديث ٩٦٢٠.

(٢) المصدر السابق. حديث ٩٧٠١.

(٣) المصدر السابق. حديث ٩٧٠٦.

(٤) المصدر السابق. حديث ٩٦٠٥.

دعا عليه ملكاه أن لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة»^(١).
 هذا التحذير والكراهة هو عن السفر بعد الفجر، وقبل وقت الصلاة من يوم الجمعة، أما إذا حان الزوال فإن السفر يكون حراماً على من تجب عليه الجمعة بإجماع الفقهاء.

ولا يجوز للمسلم عند وجوب صلاة الجمعة أن يشتغل بأي عمل آخر يصرفه عنها لصريح النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

ويجب قصد صلاة الجمعة عند وجوبها ولو كان بين الإنسان وبينها مسافة في حدود فرسخين، أي بمقدار (١١) كيلو متر تقريباً.

كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «تجب الجمعة على كل من كان منها على فرسخين»^(٢).

وهي مسافة كانت تستلزم وقتاً وجهداً في الزمن الماضي، ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعض قاصدي الجمعة لا يصلون إلى منازلهم عند عودتهم إلا بعد ساعات، كما يشير إلى ذلك ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «الجمعة واجبة على من إن صلى الغداة (صلاة الصبح) في أهله أدرك الجمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يصلي العصر في وقت الظهر في سائر الأيام كي إذا قضاوا الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا إلى رحالهم قبل الليل»^(٣).

التبكير للجمعة

ولأن صلاة الجمعة ليست مجرد صلاة وإنما هي ملتقى وحراك اجتماعي، بالإضافة

(١) مستدرک الوسائل. ج ٤ ص ١٠١ حديث ٦٥٣٣.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٣٠٨ حديث ٩٤٢٨.

(٣) المصدر نفسه. حديث ٩٤٢٧.

إلى بعدها العبادي، وهي حضور في ساحة قضايا الدين والأمة، لذلك ينبغي أن يخصص لها الإنسان المسلم أكبر وقت ممكن من يوم الجمعة، حيث ورد الحثّ والتشجيع على التبكير في السعي والذهاب إلى موقع الصلاة، ليؤدي الإنسان ما شاء من نوافل، وليتلو ما تيسر له من القرآن الكريم، وليتهل ويتضرع إلى الله تعالى بالدعاء في هذا اليوم المبارك العظيم، ولتكون فرصته أوسع في اللقاء مع أبناء مجتمعه.

فقد ورد أن الإمام محمد الباقر عليه السلام يبكر إلى المسجد يوم الجمعة حين تكون الشمس قيد رمح، فإذا كان شهر رمضان يكون قبل ذلك، وكان يقول: «إن لجمع شهر رمضان على جمع سائر الشهور فضلاً كفضل رمضان على سائر الشهور»^(١).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فضّل الله يوم الجمعة على غيرها من الأيام، وإن الجنان لتزخرف وتزّين يوم الجماعة لمن أتاها، وإنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة، وأن أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد»^(٢).
وعن الإمام الباقر عليه السلام: «يكون يوم الجمعة شاهداً وحافظاً لمن سارع إلى الجمعة، ثم يدخل المؤمنون إلى الجنة على قدر سبقهم إلى يوم الجمعة»^(٣).

أهمية صلاة الجمعة

إن كثرة الأحاديث والروايات الواردة حول صلاة الجمعة، ترقى بها إلى ذروة الفرائض والواجبات، وكما ذكر السيد الخوئي عليه السلام فإن ما تناوله الفقهاء من الأخبار في مقام الاستدلال على وجوب صلاة الجمعة، يصل إلى مئتي حديث^(٤).
وفي كتاب (وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة) للفتية المحدث الحر العاملي عليه السلام

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٤٣.

(٢) المصدر نفسه. حديث ٩٦٤٨.

(٣) المصدر نفسه. حديث ٩٦٤٩.

(٤) التنقيح في شرح العروة الوثقى. كتاب الصلاة ج ١ ص ٢١.

اشتملت أبواب صلاة الجمعة وآدابها على (٣٥٦) حديثاً ورواية، أما في كتاب (جامع أحاديث الشيعة) فقد بلغت (٦١٤) حديثاً ورواية.

وتؤكد أكثر هذه النصوص على أهمية هذه الفريضة ووجوبها، وعلى عظيم ثواب الله وفضله لمن واطب عليها، كما تحذّر من التفريط فيها، والتهاون في حضورها وأدائها. ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله كتب عليكم الجمعة فريضة واجبة إلى يوم القيامة»^(١).

وورد أن علياً عليه السلام كان يقول: «لأن أدع شهود حضور الأضحى عشر مرات أحب إليّ من أن أدع شهود حضور الجمعة مرة واحدة من غير علة»^(٢).

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الجمعة واجبة على كل أحد، لا يعذر الناس فيها إلا خمسة: المرأة، والمملوك، والمسافر، والمريض، والصبي»^(٣).

هذه النصوص وكثير أمثالها يجب أن تلفت أنظارنا إلى مدى الخسارة والحرمان الذي نصاب به في التهاون بصلاة الجمعة، وإذا ما كانت الأجواء في الماضي غير مهيأة في بعض مجتمعاتنا لإقامة هذه الفريضة المقدسة، والشعيرة العظيمة، فما عذرنا الآن في التساهل والتهاون بها وقد أصبحت تقام بحمد الله في مناطقنا؟

الحرمان من إقامة صلاة الجمعة

كانت تسود أجواء المجتمعات الشيعية آراء فقهية غير مساعدة على إقامة صلاة الجمعة، كالرأي القائل بعدم مشروعية إقامة الجمعة في عصر غيبة الإمام، انطلاقاً من بعض الروايات التي يستفاد منها كون إمامة الجمعة من المناصب التي تختص بالمعصوم، ولا يجوز لغيره التصدي لها إلا بإذنه، فإذا لم يحصل الإذن يكون المتصدي لإقامتها متجاوزاً

(١) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ٣٠١ حديث ٩٤٠٣.

(٢) المصدر نفسه. ص ٣٠٠ حديث ٩٣٩٩.

(٣) المصدر نفسه. ص ٣٠٠ حديث ٩٣٩٧.

على مقام شرعي لا يستحقه، وهو أمر محرم.

لكن هذا الرأي الذي تبناه عدد محدود من الفقهاء، يقابله رأي معارض لعدد واسع من الفقهاء، يرى أن تلك الروايات ليست في مقام حصر إمامة الجمعة في المعصوم، وإنما غايتها إثبات إمامة الجمعة للمعصوم والحصر والإثبات متفاوتان من حيث القابلية وعدمها للنيابة^(١).

ثم إن هناك عدداً من الروايات واضح منها عدم تقييد الجمعة بالإمام المعصوم، كما أن الفقيه الجامع للشرائط له موقعية النيابة العامة عن الإمام في عصر الغيبة، مما يخوله إقامتها أو الإذن بها بناءً على استلزامها لذلك.

وكان هناك رأي لبعض الفقهاء باشتراط أن يكون إمامها فقيهاً جامعاً للشرائط، كما جاء في (سداد العباد) للفقهاء المحدث الشيخ حسين العصفور، حيث قال ضمن شرائط الوجوب: «والإمام العادل أو نائبه الخاص، وفي الغيبة الفقيه الجامع لشرائط الفتوى، ولو متجزئاً تجزئياً قريباً من الفقيه الجامع» وقال ضمن شرائط الصحة: «ويعتبر في إمامها الكمال، والإيمان، والعدالة، والذكورة، وطهارة المولد، والفقاهة، وكونه أهلاً للنيابة»^(٢).

وبعضهم اشترط لوجوبها أن يكون الفقيه مبسوط اليد، بمعنى صاحب حكم وسلطة، لكن الرأي السائد عند أكثر الفقهاء المعاصرين، كفاية شروط إمامة الجماعة لإمامة الجمعة، فمن صحت جماعته كإمام في سائر الفرائض اليومية، صحت إمامته في صلاة الجمعة.

ولم يخل عصر من عصور الشيعة من إقامة صلاة الجمعة من قبل بعض علمائهم، وإن لم تكن تمثل حالة عامة لديهم، لعدم ملائمة الظروف السياسية والاجتماعية، ولتأثير

(١) رسالة في وجوب صلاة الجمعة. ص ١٢٥

(٢) الشيخ حسين العصفور. سداد العباد، ١٤٢١هـ، (قم: مجمع البحوث العلمية)، ص ١١٤-١١٦.

تلك الآراء الفقهية.

لذلك حينما تغيرت الأوضاع السياسية في إيران بقيام نظام الجمهورية الإسلامية بادرت القيادات الدينية لإقامة صلاة الجمعة، وحينما وجد الشهيد السيد محمد الصدر الفرصة مناسبة في العراق، أقام الجمعة في الكوفة، ونصب لها أئمة في سائر مناطق العراق، في ظل الحكم الزائل لصدام. كما أصبحت تقام في لبنان وسوريا وغيرها.

بركات صلاة الجمعة

ولا شك أن لإقامة صلاة الجمعة بركات عظيمة على المجتمع، ولا ينبغي أن نحرم أنفسنا وأبناءنا منها، وإذا كانت هناك مبررات وأسباب في بعض المجتمعات لعدم إقامتها في الماضي، فلا يصح السير على نهج الاستصحاب والاسترسال، وإغفال التطورات الإيجابية على الصعيد الفقهي والسياسي والاجتماعي.

لقد تحدث السيد الخامني مرة عن بركات إقامة الجمعة في أوساط الشعب الإيراني فكان مما قاله: « إن خدمة صلاة الجمعة خدمة للدين والتقوى، لأن الهدف من صلاة الجمعة نشر التقوى والروح الدينية بين الشعب، كما أن خدمة صلاة الجمعة خدمة للوعي العام لدى الشعب الإيراني، لأن صلاة الجمعة ليست فرضاً عبادياً محضاً، بل هي عمل يهب الوعي بمحتواه وطبيعته تركيبته من اجتماع عظيم للمسلمين في كل أسبوع، يشاهده الصديق والعدو، وتفصيل وبيان للأوضاع والظروف السياسية لهم من قبل خطيب الجمعة. فصلاة الجمعة في الإسلام تركيب عجيب حقاً، فمن ناحية تأتي الوصية للناس بالتقوى والطهارة والإعراض عن الأهواء النفسية، وفيها من ناحية أخرى توعية الأمة بالأحداث السياسية، ومؤامرات الأعداء، ومتطلبات الأصدقاء، وأوضاع العالم الإسلامي، فلا بد من عرفان قدر هذه الفريضة العظيمة.

لقد تبدلت صلاة الجمعة اليوم، وبفضل الثورة الإسلامية، وحنكة إمامنا العظيم إلى سنة وطيدة في البلاد. فلم يألف شعبنا صلاة الجمعة بمعناها وحقيقتها قبل النظام الإسلامي، فكان لطف الله على شعبنا، وواحدة من بركات الثورة الإسلامية: أن استطعنا فتح هذه النافذة الواسعة نحو المعنويات والمعرفة أمامنا.

وعلى الشعب أن يعرف قدر صلاة الجمعة، وحرى بأئمة الجمعة، وسائر القائمين عليها العمل على مضاعفة دواعي الاستقطاب في صلاة الجمعة، فجيل الشباب لدينا متعطش للحقيقة والإدراك والتوعية، ويجب أن تنجح صلوات الجمعة في إرواء هذا العطش، وتلبية الحوائج العامة لجيل الشباب»^(١).

ولإكمال بحث إقامة هذه الشعيرة العظيمة، لا بد من الإشارة إلى بعض المعوقات الاجتماعية التي تعاني منها بعض الأوساط الدينية، ذلك أن صلاة الجمعة لا يصح أن تتعدد في المنطقة الواحدة، ولا بد أن يكون الفاصل بين جمعيتين فرسخاً أي بحدود خمسة كيلومترات ونصف الكيلو، مع أن كل منطقة فيها جماعات متعددة، وأئمة يقيمون صلاة الجماعة، فإذا أقيمت صلاة الجمعة من قبل أحدهم فلا مجال للآخرين، وعليهم أن يحضروا معه الجمعة، ويعطلوا صلاتهم بالجماعة، مما يثير عنصر التنافس والشعور بالمزاحمة، لذلك تفضل هذه الأوساط الدينية إبقاء ما كان على ما كان، والاكتفاء بأداء صلاة الظهر جماعة يوم الجمعة، وعدم الحث والتشجيع على إقامة الجمعة، مراعاة لهذه المشاعر والأحاسيس، وحفظاً للتوازنات الشخصية والفئوية.

وقد أشار إلى هذه المشكلة وبحثها السيد الخوئي عند استعراضه لأدلة عدم مشروعية الجمعة في عصر الغيبة، نقطف من كلامه ما يلي:

«إن الجمعة لا بد وأن يقيمها شخص واحد في كل مكان، ولا يشرع فيها التعدد في محل واحد، وكيف يحمل الشارع من في ذلك المحل -كافة- على الائتئام بواحد غير

(١) خطاب السيد الخامني بتاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ.

معين، ويوكل تعيينه إلى إرادتهم؟ فإنه لا يكاد يتفق آراؤهم على شخص واحد! على أن جل الناس يأبى عن الاقتداء بمن يراه مثله، أو دونه في الأهلية للإمامة، وأضف إلى ذلك أن كل شخص أو الأغلب - على الأقل - يريد أن يكون هو المتصدي لهذا الأمر المهم، أو يقيمها من اتصل به من الأقارب والأولاد، فإن حب الرئاسة جبلي للبشر، أو إذا فرضنا أنه لا يريد ذلك بنفسه فقد يريده أهل محلته وأعوانه، بل هذا هو الأغلب في العوام، فإنه من المحسوس أن أهل كل محلة يريدون أن يكون الإمام لجماعتهم هو المقيم لصلاة الجمعة في البلد، وبهذا تتحقق الفتنة وينشأ النزاع والخلاف».

ثم يدفع ﷺ هذا الإشكال بالقول بأن صلاة الجمعة واجب تخييري، مضيفاً لذلك قوله: «بل يمكن أن يقال: أن الأمر بصلاة الجمعة لا يكون مثاراً للفتنة أبداً حتى على القول بالوجوب التعييني في المسألة والوجه في ذلك: أن من تصدى لإقامة الجمعة وإمامتها إما أن يكون ممن توفرت فيه شروط الإقامة وتحققت فيه أهليتها لدى المكلف بصلاة الجمعة وإما أن لا يكون كذلك عنده:

فعلى الأول لا مناص لغيره من أن يأتّم به في صلاة الجمعة، ولا نرى أيّ مانع من أن يكون هو المتصدي لإمامتها حينئذ، وإن رأى المأموم نفسه أرقى من الإمام وأصلح منه للتصدي بالإمامة، لأنه ليس في هذا الائتمام سوى مجاهدة النفس والتخاضع، وإطلاق النفس عن الأنانية والكبرياء، وهو أمر محبوب للشارع، وقد حثنا على التجنب عن الكبر، واختيار التواضع، والمقام من مصاديقه وموارده.

وقد كنا نشاهد أن الزاهد الفقيد الشيخ علي القمي (طاب رسمه) يأتّم به من هو أقدم وأرقى منه في الفضل والكمال فما هو المانع من أن يتصدي مثله للإمامة على غيره، ويصلي الناس خلفه؟!»^(١).

إن مثل هذا العائق إذا وجد فلن يصعب على الواعين من أبناء المجتمع تجاوزه،

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى. كتاب الصلاة ج ١ ص ٤٤-٤٥.

وقد تحصل بعض الإشكالات في البداية، وهو أمر طبيعي أمام أي توجُّه جديد، وأي تطوير وتغيير، ويمكن التعاون بين العلماء وأئمة الجماعة في كل منطقة ليتفقوا على نظام بينهم للتناوب على إمامة الجمعة.

كما يجب أن نراهن على وعي المجتمع بأهمية صلاة الجمعة، وإدراكه لمنافعها وبركاتها، ومن تلك المنافع دفع التساؤلات التي تثار على أتباع أهل البيت ﷺ لعدم إقامتهم صلاة الجمعة.

الجمعة والاستثمار الروحي

خطبة الجمعة بتاريخ ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

إن لكل لحظة من زمن يوم الجمعة قيمة عظيمة لا ندرك مداها، كما لا يعرف الواحد منا القيمة الحقيقية لشيء لا خبرة له به، فلكل عالم خبائه المتخصصون في فهم معادلاته.

فحين تُعرض - مثلاً - تحف وآثار تاريخية نادرة على إنسان خبير بها، فإنه مستعد لبذل أعلى الأثمان لاقتنائها، لكن من لا يعرف قيمتها، ولا خبرة له بعالمها، قد يرى صرف تلك المبالغ عليها نوعاً من الجنون أو الإسراف.

لذلك يوجد خبراء ومستشارون في مختلف ميادين الحركة الاقتصادية، يُرجع إليهم في فهم حركة السوق، وتقويم الفرص.

وحين نريد معرفة قيمة أي زمن، بلحاظ مدى البركة التي أودعها الله تعالى فيه، فإن علينا أن نعود إلى الخبراء العارفين، الذين أطلعهم الله تعالى على الأسرار المودعة في الطبيعة والحياة، وهم الأنبياء وحملة علومهم من الأئمة والأولياء.

وهؤلاء لا يبخلون علينا بشيء من تلك المعارف التي تفيدنا وتسعدنا، بل يبذلونها ابتداءً دون طلب، ولا يسألون عليها أجراً، ولا يريدون منا جزاءً ولا شكوراً، إنهم مكلفون ومأمورون من قبل الله تعالى بتوجيهنا، وإلفات أنظارنا إلى فرص التقدم، ومنابع الخير، وموارد البركة والنجاح.

ونظراً لما ينطوي عليه يوم الجمعة من فرص استثمار هائلة، حيث طرح الله تعالى

في آثائه عظيم البركة، وجعل لساعاته وافر القيمة، فقد توالى الأحاديث والروايات عن النبي ﷺ وعن الأئمة الكرام ﷺ، في بيان فضل هذا اليوم العظيم، والحث على استثمار أوقاته بأفضل البرامج والأعمال.

وتنوعت البرامج التي عرضتها تلك النصوص، لإثراء مختلف الأبعاد في شخصية الإنسان وجوانب حياته، حتى يستفيد من بركات هذا اليوم على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، وفي المجالين الروحي والمادي، وضمن إطار الفكر والعاطفة.

الثراء الروحي

قال الشاعر:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

إنها تتحقق إنسانية الإنسان بتكامل فضائله الروحية، وحسن صفاته النفسية، فبمقدار ارتقائه الروحي والنفسي تتجلى قيمته، وتتجسد إنسانيته.

وتوثيق الصلة بالله تعالى هو منبع الثراء الروحي، حيث يشعر الإنسان أنه ارتبط بالقدرة المطلقة المهيمنة على كل شيء، فيستمد من الله تعالى القوة والثقة، ويستلهم منه التفاؤل والأمل، ويتجه للتخلق بأخلاق الله، ويعاهده على التزام نهجه القويم.

والإقبال على الله تعالى من قبل العبد مطلوب في كل وقت، نافع في كل زمن، لكنه في يوم الجمعة أكثر تأثيراً وأكبر نفعاً، لأن الله تعالى قد اختار هذا الزمن، ومنحه البركة، واختصه بالفضل، ورغب إلى عباده أن يتقربوا إليه فيه بالطاعة، ووعدهم فيه بقبول الأعمال، ومضاعفة الأجر والثواب، وإجابة الدعاء، ورفع الدرجات.

من هنا جاءت النصوص الدينية طافحة بالحث والتشجيع، على اغتنام أكبر قدر ممكن من أوقات يوم الجمعة، في أعمال العبادة والتقرب إلى الله تعالى. وجاء التركيز فيها على المظاهر العبادية التالية:

صلاة النوافل

تمثل صلوات الفرائض الحد الأدنى من الارتباط والالتزام العبادي للإنسان أمام الله تعالى، ومن شاء تكثيف التواصل مع الله، ومزيد التقرب إليه بالصلاة، فإن أبواب التعبد بصلاة النافلة مشرعة مفتوحة، وكما ورد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة فأجابه ﷺ: «خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر»^(١).

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره أن يرفع رأسه من السجود»^(٢).

وعن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وأحب ذلك إلى الله عز وجل، ما هو؟ فقال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة»^(٣).

وصلاة النافلة هي ما زاد على الصلاة الواجبة المفروضة، مأخوذة من النفل بمعنى الزيادة، فالصلاة الواجبة على الإنسان يومياً هي الفرائض الخمس، الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وعدد ركعاتها سبع عشرة ركعة، وإلى جانبها هناك صلوات مستحبة هي النوافل الرواتب اليومية، وتصل عدد ركعاتها إلى أربع وثلاثين ركعة، منها نافلة الظهر ثمان ركعات قبلها، ونافلة العصر ثمان ركعات قبلها.

أما في يوم الجمعة فتزيد النافلة أربع ركعات ليكون مجموعها مع نافلتها الظهر والعصر عشرين ركعة.

ورد عن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه قال: «إنما زيد في صلاة الستة يوم الجمعة أربع ركعات تعظيماً لذلك اليوم، وتفرقة بينه وبين سائر الأيام»^(٤).

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤ ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق. ج ٧٩ ص ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق. ص ٢٢٦.

(٤) وسائل الشريعة. ج ٧ ص ٣٢٢، حديث ٩٤٧٢.

ويصلي نافلة الظهر يوم الجمعة قبل الزوال عدا ركعتين منها عند الزوال.
وجاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن الأعمال تضاعف يوم الجمعة، فأكثرُوا فيه من الصلاة والصدقة»^(١).

الإكثار من الدعاء

حاجات الإنسان في هذه الحياة كثيرة، وطموحاته المادية والمعنوية لذيها وأخرته كبيرة، وهو يواجه مختلف المشاكل والصعوبات، فلا بد له من الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، لطلب عونهِ ومساعدته، فإن بيده كل شيء، وهو مالك الدنيا والآخرة والقادر على كل شيء.

وحيث يتجه الإنسان إلى ربه داعياً مستغيثاً، فإنه يحقق بذلك مكاسب كبيرة، حيث تمتلئ نفسه بالثقة، ويعمر قلبه بالأمل، ويستلهم من الله القوة والصمود أمام تحديات الحياة. كما يكسب محبة الله تعالى ورضاه، وينال ثوابه ورحمته، حيث يسره تعالى تضرع عبده إليه وإلحاحه في الطلب والدعاء.

وقد وعد الله تعالى عباده باستجابة دعائهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: الآية ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٦].

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليست فيها قطعة رحمة، ولا استجلاب إثم، إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له الدعوة، وإما أن يدخرها في الآخرة، وإما أن يرفع عنه مثلها من سوء»^(٢).

وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من شيء أحب إلى الله من أن يُسأل

(١) دعائم الإسلام. ج ١ ص ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار. ج ٩٠ ص ٢٩٤.

ويُطلب مما عنده»^(١).

وعنه عليه السلام : «لا تحقروا صغيراً من حوائجكم فإن أحب المؤمنين إلى الله أسألهم»^(٢).

ولا شك أن لبركة الزمان والمكان مدخلية في قيمة الدعاء عند الله تعالى، فالدعاء في البقاع والأزمنة التي باركها الله، واختصها بالفضل عن سواها، يكون أقرب إلى الإجابة والقبول، وتكون عوائده وآثاره أعظم وأكبر.

من هنا حثت الأحاديث والروايات على الإكثار من الدعاء في يوم الجمعة، باعتباره الزمن الأبرك واليوم الأفضل.

بل أكدت الأحاديث على أن في يوم الجمعة ساعة تكون الإجابة فيها للدعاء من قبل الله تعالى مضمونة. لكن معرفة تلك الساعة المخصوصة مورد اختلاف، ولعل من أسباب عدم النص عليها، بعث المسلم للدعاء في كل ساعات يوم الجمعة.

جاء في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً، إلا أعطاه إياه»^(٣). ومثله جاء في وسائل الشيعة^(٤).

وروى جابر قال: كان علي عليه السلام يقول: «أكثروا المسألة في يوم الجمعة والدعاء، فإن فيه ساعات يستجاب فيها الدعاء والمسألة، ما لم تدعوا بقطيعة أو معصية أو عقوق، وأعلموا أن الخير والشر يضاعفان يوم الجمعة»^(٥).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن المؤمن ليدعو فيؤخر الله حاجته التي سأل إلى

(١) الكافي. ج ٢ ص ٤٦٦.

(٢) بحار الأنوار. ج ٩٠ ص ٣٤٦.

(٣) صحيح البخاري. حديث ٩٣٥.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٣٨٤، حديث ٩٦٤٧.

(٥) المصدر نفسه. ص ٣٨٣، حديث ٩٦٤٤.

يوم الجمعة ليخصه بفضل يوم الجمعة»^(١).

الصلاة على النبي وآله

من أجل أن يتأسى المسلم برسول الله ﷺ ويقتدي به، ومن أجل أن تتجدد محبة الرسول ﷺ في القلوب، وتنشأ إليه النفوس، ويكون ﷺ في أعلى موضع للتقدير والتعظيم عند أمته، أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة على نبيه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

روى البخاري من حديث كعب بن عجرة عند تفسير هذه الآية: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(٢).

انطلاقاً من هذا الأمر الإلهي للمؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ، ولورود أحاديث مستفيضة في السنة الشريفة، ذهب فقهاء الإسلام إلى وجوب الصلاة على النبي في مواطن، كالشهادتين، وبعد التكبير الثانية في صلاة الجنازة، وفي خطبة الجمعة والعيد، وإلى استحبابها الخاص في مواطن أخرى، واستحبابها المطلق في كل وقت وأن. وتشير الأحاديث والروايات إلى أهمية هذه الشعيرة العظيمة، ومدى بركاتها وآثارها الدنيوية والأخروية.

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ فليقل العبد من ذلك أو ليكثر»^(٣).

وعنه ﷺ: «ما من عبد من أمتي يصلي عليّ صلاة صادقاً بها من قبل نفسه، إلا صلى

(١) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ٣٨٣، حديث ٩٦٤٣.

(٢) صحيح البخاري. ج ٣ ص ٢٦٤، حديث ٤٧٩٧.

(٣) كنز العمال. ج ١ ص ٤٩٠، حديث ٢١٥٥.

اللَّه عليه بها عشر صلوات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا بها عنه عشر سيئات»^(١).
وعن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته»^(٢).

ولخصوصية يوم الجمعة وعظيم بركته، فإن الصلاة على النبي وآله في ساعاته، لها ثواب مضاعف عند الله، وآثارها في نفس الإنسان أكبر وأعمق، حيث يعيش بها في رحاب شخصية الرسول العظيمة وآله الأطهار، ويستذكر سيرتهم العطرة، فيتحفز للاقتداء بهم، والسير على نهجهم، مستمداً من أجواء بركة الجمعة ما يدفعه للالتزام والانشداد.

وفيما يلي بعض الأحاديث والروايات التي تؤكد على فضل هذه الشعيرة وخصوصيتها في يوم الجمعة:

جاء في سنن أبي داود، بسنده عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»^(٣).

وقال ابن قدامة في المغني: ويستحب أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة، لما روي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهد الملائكة» رواه ابن ماجه^(٤).

وعن النبي ﷺ قال: «ومن صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرة غفرت له خطيئة ثمانين سنة»^(٥).

(١) المصدر السابق. ح ٢١٥٤.

(٢) بحار الأنوار. ج ٦٨ ص ٣٧٤.

(٣) سنن أبي داود. حديث ١٠٤٧.

(٤) المغني: ج ٣ ص ٢٣٦.

(٥) مستدرک الوسائل. ج ٤ ص ٧٢، حديث ٦٤٦٧.

وفي كنز العمال عنه ﷺ: « أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة»^(١).

وفي وسائل الشيعة عن الإمام الباقر ﷺ: «ما من شيء يعبد الله به يوم الجمعة أحب إليّ من الصلاة على محمد وآل محمد»^(٢).

وفي مستدرک الوسائل: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه يوم يضاعف فيه الأعمال»^(٣).

زيارة القبور

يوم الجمعة فرصة للمراجعة ومحاسبة النفس، فينبغي للإنسان المسلم أن يفكر في مستقبله الأخرى، وأن يخرج قليلاً عن انغماسه في هموم الدنيا وانشغالاتها، ليتذكر أن إقامته في هذه الدنيا مؤقتة محدودة، وأنه سينتقل يوماً ما إلى عالم الآخرة، ويكون مصيره إلى حفر القبور.

إن استحضار الإنسان لهذه الحقيقة الواقعة لا يستهدف صرف نظره عن ممارسة دوره وفاعليته في هذه الحياة، بل يوجهه إلى التوازن والتفكير في المستقبل القادم، ليتصرف على ضوء معادلاته في إدارة شؤون الحياة، فلا يقع في فخ الغرور والغفلة، ولا تقوده الشهوات والرغبات إلى الانحراف والظلم.

لذلك ورد أن من البرامح المستحبة يوم الجمعة زيارة القبور، لما في ذلك من الموعظة والاعتبار.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له

(١) كنز العمال. ج ١ ص ٤٨٨، حديث ٢١٤٢.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٣٨٨، حديث ٩٦٥٧.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٤ ص ٧٢، حديث ٦٤٦٤.

وكتب براءاً»^(١).

وعن عبدالله بن سليمان قال: سألت الإمام الباقر عليه السلام عن زيارة القبور؟ قال عليه السلام: «إذا كان يوم الجمعة فرهم»^(٢).

قراءة القرآن

القرآن رسالة الله تعالى إلى عباده، وفيه النور والهدى، وحين يقرأ منه الإنسان فإنه يفتح على آفاق الخير، وتُضاء له دروب الحياة. لكنها القراءة الواعية التي تنطلق من التفكير والتأمل، ويصحبها التدبّر والتعلم، ويعقبها العزم على التطبيق والالتزام. وبركة يوم الجمعة تجعل نفس الإنسان مهياً مستعدة أكثر للتفاعل مع أي الذكر الحكيم، فهو يقرؤها في زمن يدرك قدسيته، وفي أجواء يعرف خصوصيتها، مما يجعل قابلية الهداية والتأثر بالقرآن أبلغ في نفسه.

وقد وردت بعض الأحاديث والروايات التي تحث على قراءة بعض السور القرآنية في يوم الجمعة، وخاصة سورة الكهف، حيث جاءت نصوص حول فضل قراءتها في مختلف مصادر الحديث.

قال ابن قدامة في المغني: ويستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، لما روي عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال عصم منه».

وعن أبي سعيد الخدري، أنه قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق.^(٣)

وقال ابن تيمية: قراءة سورة الكهف يوم الجمعة فيها آثار ذكرها أهل

(١) بحار الأنوار. ج ٨٦ ص ٣٥٩.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٤١٥، حديث ٩٧٣٢.

(٣) المغني. ج ٣ ص ٢٣٦.

الحديث والفقهاء^(١).

وفي وسائل الشيعة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: « من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة كانت كفارة له لما بين الجمعة إلى الجمعة »^(٢).

ومعلوم أن سورة الكهف تبدأ بقصة الفتية المؤمنين الذين تحدوا فساد عصرهم، والتزموا إيمانهم، وفروا بدينهم، وكأن قراءتها يوم الجمعة لتذكير الإنسان بهذا الدرس العظيم، ليكون حريصاً على المحافظة على دينه، والابتعاد عن كل الأجواء المنحرفة السلبية.

(١) أحمد بن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤ ص ٢١٥، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧ ص ٤٠٩، حديث ٩٧١٢.

الارتقاء باهتمامات المرأة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

جاء في عدد من المصادر الإسلامية من كتب الأحاديث والسِّيَر أن رسول الله ﷺ عند عودته من إحدى المعارك ذهب إلى المسجد أولاً، ثم ثنى ببيت فاطمة - كما كان يصنع دائماً، تقول الرواية: كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة ﷺ فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها. فسافر مرة وقد أصاب علي ﷺ شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترًا، فلما قدم رسول الله ﷺ دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صباة وشوقاً إليه فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله ﷺ حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فاقراءه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا فشأنك به، فجاءه فأبلغاه ذلك عن أمهما فقَبَلهما رسول الله ﷺ والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسرا فجعلها قطعاً ثم دعا أهل الصفة [وهم] قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسمه بينهم قطعاً^(١).

(١) بحار الأنوار. ج ٤٣ ص ٨٣.

وروى ابن شاهين في (مناقب فاطمة) عن أبي هريرة وثوبان أن رسول الله ﷺ قال: فعلت فداها أبوها - ثلاث مرات - ما لآل محمد وللدنيا؟ فإنهم خلقوا للآخرة وخلقنا الدنيا لهم^(١).

هذا النص التاريخي المروي في كتب السير والأحاديث يمكننا أن نستشف منه درسًا ونحن نعيش في ذكرى ميلاد سيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ.

إن الزهراء في هذه القصة لم تفعل حراماً، وإنما فعلت خلاف الأولى، فكان رسول الله ﷺ يرى أن من الأولى لفاطمة أن تصرف هذا المال على الفقراء والمحتاجين، لا أن تأخذ به ستاراً للزينة أو سوارين تتزيّن بهما.

وبتوجيه آخر: ما كان رسول الله ﷺ يريد من ابنته فاطمة أن تصرف اهتماماتها في أمور الزينة، إنما أرادها أن تكون أنموذج المرأة المسلمة فيما تصرف فيه جهدها وتفكيرها واهتماماتها.

اهتمامات المرأة في العصر الراهن

اهتمامات الإنسان هي التي تحدّد سلوكه وتوجّهه، وما يسعى إلى تحقيقه هو ما يصوغ شخصيته ونفسيته، ويحدد مواقفه.

لذلك فإنه متى ما كانت الاهتمامات كبيرة وعظيمة سمّت بنفس صاحبها، فكان كبيراً عظيماً.

ومن هذا المنطلق يركّز الدين الإسلامي في توجيهاته وتعاليمه على مسألة صرف اهتمام الإنسان - رجلاً كان أو امرأة - فيما من شأنه الارتقاء بالإنسان وكماله في شتى المجالات.

فالمرأة حينما تحمل اهتمامات كبيرة فإن نفسها ستكون كبيرة، وعلى العكس من

(١) محمد كاظم القزويني. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: مؤسسة النور للطبوعات)، ص ١٨٦.

ذلك حينما تحمل اهتمامات سطحية وهامشية فمن الطبيعي أن يصبح دورها في الحياة جانبيًا وهامشيًا ونظرتها للأمور يشوبها شيء من السطحية.

ولو نظرنا الآن في مجتمعاتنا وفي المجتمعات البشرية عمومًا، وحاولنا أن نرصد اهتمامات المرأة، سنجد أن هناك من يوجّه المرأة عبر الوسائل المختلفة الإعلامية منها والثقافية، وعبر التقاليد والعادات نحو اهتمامات معينة ومحدّدة، ومن أهم هذه الاهتمامات التي نراها ونلاحظها:

الاهتمام بإظهار الأنوثة ومفاتيح الجمال

فالمرأة غالبًا - وبخاصّة في هذا العصر - يحكمها هذا الهمّ، فتتفنّن كيف تظهر أنوثتها وجمالها ومفاتها، وهذه ثقافة سائدة، تعمل مؤسسات عالمية على نشرها، وتوجّه المرأة بهذا الاتجاه، لما في ذلك من مكاسب ماديّة وشهوانية، وهي تعبّر عن توجّه ذكوري، لا يراعي كرامة المرأة وإنسانيتها، فالرجل يريد من المرأة أن تتفنّن في إظهار مفاتها له، حتى يأنس ويشبع رغبته وشهوته.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أنه ليس من السيئ أن تهتمّ المرأة بأنوثتها وجمالها في المكان الصحيح، بأن تظهر ذلك أمام زوجها.

وما نحذّر منه هو مسألة المبالغة في صرف اهتمام المرأة في هذه الأمور، كما هو مشاهد اليوم، وكما تروّج له شركات الدعاية العالمية، لدرجة أصبحت أنوثة المرأة سلعة في وسائل الإعلام، وموردًا للتجارة والربح، فتجرى من أجل ذلك مسابقات لاختيار ملكة جمال العالم، وتنتج الأفلام وما فيها من مشاهد الإثارة والإغراء، من أجل التسويق، على حساب إنسانية المرأة.

نشر ثقافة الرذيلة

ومن جانب آخر، إن انتشار هذه الثقافة الغرائزية، وما تقوم به المرأة من دور في تعزيز هذه الثقافة يودي بالمجتمع إلى مهاوي الرذيلة والفحش، وهو بالدرجة الأولى يقع

على المرأة، فتكون هي الصحية. وهذا ما تؤكده التقارير العالمية، فالمجتمعات التي تنتشر فيها هذه الإغراءات تكثر فيها جرائم الاعتداء الجنسي والاعتصاب، ولا تأمن فيه المرأة من الخروج في بعض الأحياء وحيدة، وهذا بفعل تأثير ما تنشره هذه الثقافة من تهيج لغريزة الإنسان وشهوانيته.

ومن جانب ثالث تكون المبالغة في مسألة التزيّن وإظهار الجمال والمفاتن سببًا لكثير من المشاكل والخلافات العائلية، وذلك بسبب ما تتطلبه من أموال باهظة، وبخاصة في مناسبات الزواج والحفلات العامّة، حيث تريد كل فتاة وزوجة أن تبدو أمام الأخريات بأحلى زينة وأبهى حُلّة.

وهذا ما تؤكده بعض التقارير التي تتحدّث عن طريقة توزيع مصروفات الراتب الشهري للرجل الذي يصرفه غالبًا - حسب هذه التقارير - في: إيجار الشقّة، وتسديد فواتير المنزل الاستهلاكية، ومصروف أبنائه ومنزله ومستلزمات السيارة، بينما يستهلك راتب المرأة في فساتين المناسبات والمكياج وتصفيف الشعر والعطورات وغير ذلك من الاهتمامات النسائية الصرفة.

ولنا بعد ذلك أن نتساءل: هل تدرك المرأة أن هذه المبالغة في هذا التوجّه هو انتقاص من إنسانيتها ودورها، وكأن قيمتها تتمثل في هذا الجانب في الجمال والمفاتن؟

لماذا ترضى المرأة لنفسها هذا الوضع؟

لذات الطعام وفنون الطبخ

عندما نأخذ جولة على ما تقتنيه بعض النساء من كتب، فإننا سنرى أن النصيب الأكبر هو لكتب الطبخ وصنوف الطعام. وهذا ما يؤكده مسؤولو أقسام التسويق في بعض دور النشر، حيث يلاحظون إقبال النساء على زوايا وأركان كتب الطبخ أكثر بكثير من إقبالهنّ على كتب التربية والعناية بالطفل ومعالجة مشاكل الأبناء.

جاء في تقرير نشرته جريدة الحياة بتاريخ ١٩ / ٧ / ٢٠٠٧م في ملحقها الرمضاني:

أن كتب الطبخ تشكل ١٠٪ من إجمالي الكتب المتخصصة في المكتبات في الرياض، وأن دور النشر تصدر كل عام ما يقرب من ٣٠٠ كتاب طبخ، يطبع من كل نوع ما لا يقل عن ٤٠ ألف نسخة. وتقدر قيمة كتب الطبخ الشرقي المتوافرة في مكتبات الرياض بنحو ١٠ ملايين ريال، بينما تقدر قيمة بقية كتب الطبخ بمختلف تخصصاتها بنحو ٣٠ مليون ريال.

وأشار أحد أصحاب المكتبات إلى ارتفاع الطلب على كتب الطبخ الصادرة باللغة الانجليزية، الذي تباع منه مكتبته فقط نحو ١٠٠ كتاب يومياً في شهر رمضان.

الاهتمامات الزائفة والتنافس على المظاهر

مما يؤسف له أن تكثر بين النساء ظاهرة المزايدات، فيُعجب الفتاة - ضمن مجموعتها- أن تتحدث عن تسوقها وما صرفته فيه، وعن ملابسها وقيمتها، وربما عن جهازها النقال وصفاته، وغير ذلك من المظاهر الخادعة، وهذه الحالة المبالغ فيها تدل على قسرية الاهتمامات عند المرأة، وما ذلك إلا بسبب الثقافة السائدة والبيئة والأجواء الغالبة.

اهتمامات أهل بيت النبوة ﷺ

حينما تمر بنا ذكرى ميلاد سيدتنا الزهراء ﷺ، على كل امرأة أن تفكر بماذا كانت تهتم فاطمة الزهراء ﷺ، ماذا ينبغي للمرأة المسلمة أن تهتم به، وهنا نذكر عدّة جوانب كانت تميّز شخصية واهتمامات السيدة فاطمة الزهراء ﷺ من خلال استقراءنا لبعض مواقفها وسيرتها ﷺ:

الاهتمام بجانب الكمال الروحي

المرأة كالرجل، عليها أن تفكر في الارتقاء بنفسها روحياً وعقلياً، فالتكامل في هذا الجانب هو ما ينفع الإنسان يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا

مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩﴾.

لذلك فإنه على المرأة المسلمة الواعية أن تحاسب نفسها بين فترة وأخرى: ماذا قدّمت ليوم غدٍ، وهل اهتماماتها تتوافق والروح الإسلامية؟ وهل تتفق مع اهتمامات قداواتنا، التي تأتي سيدتنا الزهراء (عليها السلام) في مقدّماتهم؟ وهل سيكون لهذه الاهتمامات دور في رفع مكانتها في درجات الجنّة يوم القيامة؟

وهذا أمر كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشير إليه فيما افتتحنا به الحديث، حيث قال: «ما لآل محمد والدنيا، فإنهم خلقوا للآخرة وخلقنا الدنيا لهم».

ومن يجب آل محمد ويسير على طريقهم ينبغي أن يأخذ بهذا المنحى، إننا نقرأ في الدعاء: «وأدخلنا في كل خير أدخلت فيه محمدًا وآل محمد وأخرجنا من كل سوء أخرجت منه محمدًا وآل محمد»^(١)، ولذلك علينا أن ندخل في هذا الخير، فنرى اهتمامات الزهراء وما في ذلك من الكمال الروحي، روي في البحار أن الحسن البصري قال: «ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورّم قدماها»^(٢).

والروايات الواردة في وصف عبادة الزهراء (عليها السلام) وتقربها إلى الله سبحانه كثيرة ومتضاربة، يقول الإمام الحسن (عليه السلام) في رواية ثانية: «في ليلة من الليالي رأيت أمي فاطمة حتى الصباح وهي تصلي وتدعو، ولكنني كنت أسمعها تدعو للناس وللمؤمنين ولم تدع لنفسها شيئًا، سألتها في الصباح: أماه، سمعتك تدعين للناس ولم تدع لنفسك شيئًا، قالت: بني، ألم تسمع أن الجار قبل الدار»^(٣).

الاهتمام بجانب الكمال العقلي

في جانب الكمال العقلي والفكري نرى كيف أن الزهراء (عليها السلام) كانت تهتمّ بحديث

(١) محمد كاظم اليزدي. العروة الوثقى، فصل في صلاة العيدين، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ، (قم: منشورات ميثم التمار)، ص ٤٨٧.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٣ ص ٨٤.

(٣) بحار الأنوار. ج ٤٣ ص ٨٤.

أبيها رسول الله ﷺ وكيف كانت تهتمّ بآيات القرآن الكريم، فتسجّل ما كانت تسمعه عنه ﷺ، ثم جمعته فيما سمّي لاحقاً بـ (مصحف فاطمة)، وهو كتاب يبلغ في حجمه ثلاثة أمثال القرآن الكريم، يقول عنه الإمام الصادق ﷺ: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(١).

أي هو - في محتواه - غير القرآن، وإنما هو تفسير وتأويل لآياته، وبجانبه أحاديث وأخبار واستشفاف للمستقبل روتها عن أبيها رسول الله ﷺ.

الاهتمام بجانب التربية الصالحة

تحت يد فاطمة الزهراء ﷺ تخرّج الإمامان الحسنان ﷺ سيّدا شباب أهل الجنة، وأختاهما زينب وأم كلثوم ﷺ، وهذا يكفيها فخراً وشرفاً، وعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بالسيدة الزهراء ﷺ في هذا الاتجاه، بحيث تهتمّ بتربية أبنائها ورعايتهم وتوفير الأجواء الإيمانية الصالحة لهم في البيت وخارجه.

المشاركة في الهمة العام

فاطمة الزهراء ﷺ كانت طوال حياتها تعيش همّ الرسالة والدعوة منذ صغرها وهي لا زالت بنت سنيهاً قليلة، فكانت ترافق أبها رسول الله ﷺ وترى ما كان يتعرّض له من أذى قريش، فتخفّف عن أبيها ما كان يواجهه من أذى ومصاعب، حتى سمّاها رسول الله ﷺ «أمّ أبيها»^(٢)، وذلك للدور الذي كانت تمارسه في التخفيف عنه ﷺ بحنانها عليه ومزيد العناية التي كانت توليها له ﷺ.

هذا بالإضافة إلى خروجها في بعض غزواته ﷺ ومعاركه، كما كان ذلك في غزوة أحد^(٣) حيث جاءت بعد المعركة وضمّدت جراحات أبيها.

(١) الكافي. ج ١، ص ٢٣٩.

(٢) ابن أبي الفتح الإربلي. كشف الغمة، ج ٢ ص ٩٠.

(٣) بحار الأنوار. ج ٢٠ ص ٩٥، صحيح مسلم. باب غزوة أحد، حديث ١٧٩٠.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وقفت إلى جانب أمير المؤمنين ﷺ تدافع عن حقه في الخلافة والإمامة، فخطبت خطبتها العظيمة في مسجد الرسول ﷺ.

وبالإضافة إلى مشاركتها في هموم الدعوة والرسالة لم تغفل ﷺ عن الاهتمام بالشأن الاجتماعي، فكانت تعطف على الفقراء والمحتاجين، فنزل فيها وفي الأسرة النبوية الشريفة قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان: الآيتان: ٨-٩].

نسأل الله أن يثبتنا على ولايتهم والسير على طريقهم، ونسأله سبحانه أن يرزقنا شفاعتهم وأن يحشرنا في زميرتهم.

والحمد لله رب العالمين.

إحياء التضامن الإسلامي

خطبة الجمعة بتاريخ ٦ رجب ١٤٢٨ هـ

مع تصاعد أمواج الفتن الداخلية في الأمة، واتساع حالات النزاع والاحتراب في أكثر من بلد ووطن إسلامي، قد يبدو طرح موضوع التضامن الإسلامي وكأنه ضرب من الخيال، أو نسج في عالم الأوهام والتمنيات. لكن العودة إلى سيرة الرسول ﷺ، واستحضار شخصيته العظيمة، ينعش الأمل بالوحدة في نفوس المخلصين الواعين من أبناء الأمة، ويرفع معنوياتهم، ويرفدهم بالأفكار الهادية، ويفتح أمامهم آفاق البرامج والمشاريع القادرة على إنقاذ واقع الأمة، والارتقاء بحالها إلى مستوى أفضل.

ذلك أن السيرة النبوية الشريفة، تحفل بأعظم إنجاز وحدوي تحقق في تاريخ البشرية، حيث يجمع المؤرخون أن مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام، كان ممزقاً لا يجمعه كيان، ولا يلم شمله نظام، كانوا قبائل متناثرة، في أجواء علاقات مضطربة، غالباً ما تفضي إلى العدا والاحتراب، ومن يقرأ أيام العرب، وهو ما يطلق على معاركها وحروبها، تدهشه تلك المعارك الضارية، التي كانت تنشب لأتفه الأسباب.

إن قراءتنا للسيرة النبوية واستحضارنا لعظمة هذا الإنجاز الوجدوي، يجب أن يمنحنا الأمل، وأن يحفزنا لتجديد المحاولات، وابتكار الخطط والمشاريع، للقيام بخطوات عملية على طريق وحدة الأمة، واستعادة تضامننا الإسلامي.

صحيح أن واقع الأمة اليوم، وأوضاع العالم المعاصر، أشد تعقيداً، وأبلغ صعوبة، من أوضاع الجزيرة العربية يوم انطلقت الدعوة الإسلامية، وستكون المقارنة سطحية

ساذجة لو لم تؤخذ هذه المفارقات بعين الاعتبار، لكن هناك أيضاً مفارقات إيجابية، يمكن توظيفها لصالح مشروع الوحدة والتضامن.

فليس مطلوباً أن نبدأ من الصفر، بل أن ننطلق من تجربة رائدة في تاريخ تأسيس الأمة، ومن صحوة إيمانية تهبُّ على جماهير الأمة المسلمة، التي تمتلك الكثير من مقومات القدرة والقوة، كما يمكن الاستفادة من التجارب المعاصرة لسائر الأمم والشعوب، وأبرزها تجربة الاتحاد الأوروبي.

من وحي السيرة النبوية

لقد أوجد الإسلام انقلاباً في مفاهيم وأنماط العلاقات التي كانت سائدة في المجتمعات الجاهلية، فبعد أن كان الانتماء للقبيلة هو العنوان والمحور، وبعد أن كان هدف القبيلة الحصول على المزيد من المراعي والمكاسب المادية، مما يدفعها إلى شنِّ الغارات على سائر القبائل، وبعد أن كان التفاخر بالأنساب والأحساب، وأجداد المعارك والمغازي، هو اللغة السائدة.. جاء الإسلام ليجمع تلك القبائل المختلفة المتنافسة على مشروع إنساني حضاري، يستهدف بناء مجتمع متماسك، يحمل رسالة الحرية والعدل والكرامة، وييسر بها على مستوى العالم أجمع.

لقد كان أبرز مظاهر ذلك التغيير على مستوى العلاقات أربعة أمور:

الأول: محورية الولاء والانتماء للإسلام، حيث أصبح الإسلام هو عنوان المجتمع وسمته، كما قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨]، وتراجع عنوان القبيلة وإن لم يُلغ، لكنه وظف إيجابياً، وعطل مفعوله السلبي.

الثاني: إقرار التكافؤ والمساواة، وإلغاء كافة أشكال التمييز بينهم، فالمسلم أخو المسلم ونُدُّ له، من أي قبيلة انحدر، والى أي عرق انتمى، ومهما كان لونه وشكله، وبالغاً ما بلغ في قوته وثروته، أو ضعفه وفقره. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة

الحجرات، الآية: ١٠] ويقول ﷺ: «المسلمون إخوة تتكافأ دماءهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، هم يد على من سواهم»^(١).

قال السكوني: قلت لأبي عبد الله ﷺ: ما معنى قول النبي ﷺ يسعى بذمتهم أدناهم؟ «قال: لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين، فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره، فأعطاه أدناهم الأمان، وجب على أفضلهم الوفاء به»^(٢).

الثالث: الحصانة والحرمة المتبادلة، فقد ولّت عهود المعارك والحروب القبلية، وأخذ الثارات والأوتار، والغارات للنهب والسلب، حيث فرض الإسلام حرمة الدماء والأموال والأعراض، قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه»^(٣).

وعنه ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»^(٤).

إنها تقرير للحصانة المادية والمعنوية التي يتحقق مفعولها وتترتب آثارها بمجرد إعلان الانتماء للمجتمع المسلم، عبر إعلان شهادة التوحيد، كما ورد في صحيح مسلم عنه ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حُرّم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(٥).

الرابع: النصرة والتضامن، حيث أرسى الإسلام مفهوم الأخوة الإسلامية، ليصبحوا على اختلاف قبائلهم وأعرافهم قبيلة واحدة، بل جسد واحد، يشعر كل فرد منهم بالآلام سائر الأفراد، ويسعى لخدمة مصالحهم، ويدفع كل ضرر عنهم، كما يقول ﷺ:

(١) وسائل الشيعة. ج ٢٩ ص ٧٥ حديث ٣٥١٨٥.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٥ ص ٦٦، حديث ١٩٩٩٧.

(٣) كنز العمال. حديث ٧٤٧.

(٤) صحيح البخاري. كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ص ١١٢، حديث ٢٤٤٢.

(٥) صحيح مسلم. حديث ٣٧.

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

وقد أوجب الله على المسلمين التضامن فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧٢].

من تجارب العصر

تريد بعض الجهات بثَّ روح اليأس والإحباط في أوساط أبناء الأمة، تجاه إمكانية الوحدة وتحقيق التضامن الإسلامي، ويساعدها على ذلك ما تعيشه ساحات الأمة من نزاعات وصراعات دامية مؤلمة، لكن النظرة الواعية ترفض الخضوع لمنطق اليأس، وتعدُّه جزءاً من أسلحة الأعداء للنيل من إرادة الأمة، وتحطيم معنوياتها، وأمامنا تجارب رائدة لشعوب أخرى، مرَّت بواقع أليم من الحروب والصراعات الداخلية، لا يقل عما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم، بل هو أشدَّ وأسوأ في بعض جوانبه ونواحيه، لكنها استطاعت تجاوز ذلك الواقع المرَّ، وانتقلت إلى مستوى متقدم من الوحدة والتضامن.

وأبرز مثل وأقرب تجربة، هي تجربة الشعوب الأوروبية، التي خاضت حربين عالميتين فيما بينها، خلال نصف قرن من الزمن، أصابتها بأفجع المآسي وأفدح الخسائر. فالحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) هلك فيها نحو عشرة ملايين جندي، وجرح ما يقرب من ٢١ مليون شخص، ولا أحد يعرف كم عدد المدنيين الذين ماتوا من المرض والجوع والأسباب الأخرى المتعلقة بالحرب. ويعتقد بعض المؤرخين: أن عدد المدنيين الذين ماتوا كان يساوي عدد من مات من الجنود، يعني عشرة ملايين، أما الخسائر الاقتصادية فتقدر بـ ٣٣٧ بليون دولار أمريكي، عدا الآثار السياسية والاجتماعية.

أما الحرب العالمية الثانية فيزيد عدد ضحاياها من الجنود على ٣٠ مليوناً وقد يصل

(١) صحيح مسلم. حديث ٢٥٨٦.

العدد من الضحايا المدنيين إلى ضعف ذلك^(١).

لكن الأوروبيين تجاوزوا كل ذلك الواقع الأليم، وصنعوا وحدتهم بواقعية وتدرُّج، انطلاقاً من إدراكهم لمصالحهم، ولم تمنعهم من وحدتهم اختلافاتهم الدينية والقومية والسياسية. فالاتحاد الأوروبي الذي تأسس بناءً على اتفاقية باسم معاهدة (ماستريخت) الموقعة عام ١٩٩٢ م، يضم الآن ٢٧ دولة.

وله سوق موحد، وعملة موحدة هي اليورو، تبنت استخدامها إلى الآن ١٣ دولة من الدول الأعضاء، وله سياسة زراعية مشتركة، وسياسة صيد بحري موحدة، وينسّق سياسته الخارجية في إطار موحد.

ولم تحدث هذه التجربة (الاتحاد الأوروبي) من فراغ، ولا بشكل مفاجئ، بل سبقتها محاولات متكررة في تاريخ القارة الأوروبية، لتوحيد اسم أوروبا، فمنذ انهيار الإمبراطورية الرومانية، مروراً بإمبراطورية شارلمان الفرنكية، ثم الإمبراطورية الرومانية المقدسة، اللتين وحدتا مساحة شاسعة لمئات السنين، قبل ظهور الدولة القومية الحديثة. وفيما بعد حدثت محاولات لتوحيد أوروبا لكنها لم تتعدَّ الطابع الشكلي والمرحلي، منها محاولة نابليون في القرن التاسع عشر، والأخرى في أربعينيات القرن العشرين على يد هتلر، وهما تجربتان لم تتمكنتا من الاستمرار إلا لفترات قصيرة وانتقالية، واستخدمت الإخضاع العسكري، فكان مصيرها الفشل.

وفي عام ١٨٥١ م قدّم المفكر فيكتور هيجو واحدة من أول أفكار التوحيد السلمي الأوروبي، من خلال التعاون والمساواة في العضوية، دون أن تحظى بفرصة جادة في التطبيق.

وبعد كوارث الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، ازدادت بشدة ضرورات تأسيس ما عرف فيما بعد باسم الاتحاد الأوروبي، مدفوعاً بالرغبة في إعادة بناء

(١) الموسوعة العربية العالمية. ج ٩، ص ٢٠٩ و ٢٤٢.

أوروبا، ومن أجل القضاء على احتمال وقوع حرب شاملة أخرى. وبدأت أول لبنة للاتحاد الأوروبي بتشكيل جمعية الفحم والفولاذ الأوروبية عام ١٩٥١م، على يد كل من ألمانيا (الغربية آنذاك) وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا ولوكسمبورغ، كما تشكلت أول وحدة جمركية عام ١٩٥٨م. وتوالت التطورات التدريجية، حتى تبلور الاتحاد الأوروبي بشكله القائم، الذي يواصل مسيرة تطوره الوحدوي، حيث يعتمد الآن على ثلاث مؤسسات، هي مجلس الاتحاد الأوروبي، والمفوضية الأوروبية، والبرلمان الأوروبي^(١). وفي الاتحاد الأوروبي تنوع قومي ولغوي وثقافي حيث يبلغ عدد اللغات الرسمية فيه ٢٣ لغة.

كما تتعدد المذاهب المسيحية في أوروبا، فهناك الكاثوليك وهم معظم المسيحيين، وهناك الأورثوذكس والبروتستانت. إن قيام الاتحاد الأوروبي يشكل تجربة ملهمة للمسلمين، تدل على إمكانية تحقق صيغة مناسبة للتضامن الإسلامي في هذا العصر، وإن ذلك ليس أملاً خادعاً ولا أمنية تسرح في الخيال. خاصة مع ما يختزنه الوجدان الإسلامي في نفوس أبناء الأمة من تطلع للوحدة، ومع ما تحمله مفاهيم الإسلام من قيم وتعاليم دافعة نحو التضامن والتماسك.

على طريق التضامن الإسلامي

لا شك أن ما يحدث الآن من مآسي النزاع والاحتراب في أكثر من ساحة إسلامية، يفجّر الألم والغضب في نفوس أبناء الأمة، حيث تسيل دماء المسلمين على أيدي المسلمين، ويحلّ بديارهم الخراب والدمار من خلال معاركهم الداخلية، فضلاً عن توقف مسيرة

(١) ويكيبيديا. الموسوعة الحرة. الموقع على الانترنت www.ar.wikipedia.org

التنمية، وضياع الثروات والقدرات، وتمنح هذه الصراعات الدامية للقوى الأجنبية أفضل فرص التدخل والهيمنة وبسط النفوذ، كما حصل في العراق وأفغانستان والصومال والسودان ولبنان...

لكن تصاعد مشاعر الألم والغضب قد ترتدُّ سلباً على واقع الأمة، حين تصيب النفوس بالإحباط واليأس، وقد تدفع باتجاهات تدميرية انتقامية تضر بالذات، أكثر مما تضر بالأعداء، وتضاعف المآسي بدل معالجتها، كما نرى ذلك في الممارسات الطائشة للإرهاب والعنف الداخلي والخارجي، الذي شوّه صورة الإسلام في العالم، وأساء للأمة إساءة بالغة.

إن واجب العلماء والمفكرين وقيادات الأمة، أن تُوجه هذه المشاعر بالاتجاه الصحيح، لتكون هذه الأحداث المؤلمة صدمة توقظ الأمة، وتدفعها نحو استعادة تضامنها الإسلامي، كما دفعت الحربان العالميتان أوروبا نحو طريق الوحدة والاتحاد. وأشير هنا إلى بعض الخطوات التي أراها ضرورية للسير في طريق التضامن الإسلامي:

أولاً: تبلور الإرادة السياسية للوحدة

حيث تمسك القيادات السياسية ضمن الحكومات والأحزاب بأزمة الأمور في بلاد المسلمين، وبإمكانها أن تنجز مهمة الوحدة والتضامن في واقع الأمة، كما صنعت ذلك القوى السياسية في أوروبا، شرط امتلاكها لوعي حضاري، وتوفرها على استقلالية القرار.

إن كثيراً من القيادات السياسية في عالمنا العربي والإسلامي، لا تحمل أكثر من هم بقائها في سدة الحكم وموقع النفوذ، لذا لا تجد نفسها معنية بمشاريع التغيير والتطوير الحضاري.

كما أن ضيق أفقها السياسي، يحشرها في زوايا الاهتمامات الذاتية، والقضايا الجانية،

فتكون أسرع إلى التصادم مع بعضها.
 من ناحية أخرى، تخضع بعض هذه القيادات لتأثيرات القوى الخارجية الأجنبية،
 التي لا تريد لهذه الأمة أن تتوحد، وأن تتضامن شعوبها.
 إن هذا الكلام لا يأتي في سياق عقلية المؤامرة، وإلقاء مسؤولية أوضاعنا على
 الخارج، بل يمثل حقيقة واضحة، تتكرر مصاديقها وشواهدنا كل يوم.
 فهل تُخفي إسرائيل وأمريكا تشجيعها لحالة الانقسام الفلسطيني؟ وهل تستر
 أمريكا وحلفاؤها على محاولات إفشال أيّ توافق لبناني؟ وهل يحتاج الأمر إلى أدلة
 لإثبات دور الاحتلال الأمريكي في اقتتال العراقيين؟

لقد آن أن يدرك السياسيون في العالم العربي والإسلامي أنهم في مأزق خطير،
 وأن حسابهم أمام التاريخ وشعوبهم صعب عسير، فلا بد من المبادرة لإصلاح المسار،
 وتبني هوموم الأمة، والانطلاق من مصالحها، بعيداً عن تأثيرات القوى الأجنبية، وتجاوز
 الحساسيات والخلافات الجنايية، «فإن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن
 مضى ولا ممن بقي»^(١) كما يقول الإمام علي عليه السلام، وكما تؤكد حقائق التاريخ.

ثانياً: حماية الوحدة الوطنية

لعل أخطر ما تواجهه الأمة الآن هو استهداف وحدة أوطانها، بإشعال الفتن داخل
 المجتمعات لتمزيق الأوطان والشعوب، وما كان لهذه الفتن أن تنجح وأن يتقد أوراها،
 لو لم تكن لها بذور، ولو لم تتوفر الأرضية الخصبة لنموها.
 إن من أهم منافذ الفتن وعوامل النزاع الداخلي غياب العدل والمساواة، واعتماد
 سياسات التمييز بين المواطنين، على أساس تنوعهم القومي والديني، وهناك منفذ آخر
 شديد الخطورة هو التعبئة الطائفية، حيث تعالت أصوات الاتجاهات التعصبية المذهبية،
 التي استغلت تنوع مذاهب أبناء الأمة، لشن حملات التحريض على الكراهية بين أتباع

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦.

المذاهب، والدفع بهم نحو النزاع والاحتراب.

رغم أن هذا التنوع المذهبي ليس جديداً ولا طارئاً، بل هو أمر قائم عريق في تاريخ الأمة، إلا أن هناك جهات خارجية وداخلية تريد اللعب على هذا الوتر، وإثارة صراع مذهبي يمنع تلاحم قوى الأمة، وتوجهها لمقاومة العدو الصهيوني، والهيمنة الأجنبية. ويتحمل علماء الأمة القسط الأكبر من المسؤولية، لمواجهة أخطار هذه الفتنة الداهية، إذ إن عليهم القيام بواجب التذكير بمبدأ الوحدة، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرُّق والنزاع، وأن يبشروا بثقافة التسامح، واحترام تعددية المذاهب، وشرعية الاجتهاد وحرية الرأي.

إن مكر الأعداء عظيم، لذلك يسعون إلى استدراج بعضنا بإثارة الغيرة على المذهب، والنصرة للطائفة، للإيقاع بنا في فخ الفتنة والنزاع، بما يحق أصل الإسلام، ويكسر شوكة الأمة.

ثالثاً: تفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي

يُعدُّ قرار إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، استجابة مهمّة للتحديات التي تواجه الأمة، ولتطلعات الشعوب الإسلامية، لكنه رغم مرور أربعة عقود على تأسيس هذه المنظمة، حيث عقد أول مؤتمر قمة إسلامي سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، لا زالت تعاني من ضعف في الجدّيّة والعزيمة، وبطء في المسيرة والحركة.

لقد انضمت إليها كل الدول الإسلامية، وتكونت فيها المؤسسات والأجهزة التي تُعنى بمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، لكنها لا تزال تشكو من ضعف الإمكانيات المادية، لعدم التزام عدد من الدول الأعضاء بدفع مساهماتها المعتمدة لميزانية المنظمة. كما يغلب على اجتماعاتها طابع المجاملات الشكلية، وإصدار البيانات العامة، بعيداً عن اتخاذ القرارات الجادة، وطرح المعالجات الجريئة للمشاكل الحقيقية التي تعاني منها ساحة الأمة.

إنه يجب تفعيل دور هذه المنظمة، لتكون المؤسسة الجامعة لشمل الأمة، ولتبدأ من خلال أجهزتها خطوات التعاون والتكامل بين الدول الإسلامية، وصولاً إلى تحقيق التضامن الإسلامي.

رابعاً: ثقافة الوحدة الإسلامية

في غمرة الاندفاع الديني الذي يسود أجواء الأمة، تعالت أصوات طائفية بغیضة، تريد الانحراف بحماس أبناء الأمة، ليتجه صوب الخلافات الداخلية، بدل استهداف الأعداء الطامعين.

وكانت ساحة العراق التي تئن تحت وطأة الاحتلال الأمريكي، هي مختبر الإنتاج، ومنطقة التصدير لهذه البضاعة الكريمة، حيث يشتعل أوار فتنة طائفية هوجاء، وقودها المواطنون العراقيون الأبرياء، من مختلف الطوائف، ويراد لهذه الفتنة أن تنتشر لإحراق مختلف ساحات المنطقة، تطبيقاً لمبدأ نشر الفوضى الخلاقة الذي تبنته الإدارة الأمريكية. بالطبع، لا يمكننا إنكار وجود بذور للطائفية في تراثنا وثقافتنا، وأنماط علاقاتنا، وإنما تقوم الاتجاهات التعصبية برعاية تلك البذور، فيجد الأعداء من خلال ذلك فرصتهم المناسبة لتمزيق صفوف الأمة، من هنا تبرز أهمية مراجعة هذا التراث، وتنقية الثقافة المتداولة بين المسلمين، من آثار وشوائب عصور التخلف، والصراعات الطائفية. إن الجهاد الأكبر لفقهاء الأمة وعلماء المسلمين، يتمثل اليوم في التأكيد على مبدأ الوحدة، وتحريم وتجريم أي قول أو فعل يضر بوحدة الأمة، وكذلك التأكيد على أصول الإسلام، التي تمثل الجامع المشترك بين المسلمين بمختلف مذاهبهم، والتقليل من شأن الاختلافات الفرعية في المعتقدات والأحكام، باعتبارها نتاجاً طبيعياً لاختلاف الآراء والاجتهادات.

خامساً: القضايا المصرية

وأبرز قضية مصرية تمثل عنوان التحدي للأمة في هذا العصر، هي القضية

الفلسطينية، والاحتلال الصهيوني للقدس الشريف، وسائر الأراضي المحتلة. إنها قضية عادلة مقدسة، لا يختلف عليها اثنان من أبناء الأمة، فيجب أن تكون محوراً لوحدة الأمة وتضامنها، ومنطلقاً لنهضتها وانبعاثها، فهي أعمق من احتلال أرض وقهر شعب، إنها مواجهة لمشروع صهيوني، يستهدف إخضاع إرادة الأمة، والهيمنة على هذه المنطقة الإستراتيجية الثرية، ليكون القرار الإسرائيلي هو النافذ فيها. وحين تتضافر قوى هذه الأمة، وتتوحد جهودها في مقاومة العدوان والأطماع الصهيونية، فإن ذلك سيكشف للأمة قوتها، وعظيم قدرتها، وسيكسبها احترام العالم وتقديره، وسيعرف الصهاينة حجمهم الحقيقي بعيداً عما يحيطون به أنفسهم من تضخيم وتهويل.

وما صمود الفئة المقاومة في لبنان في حرب تموز ٢٠٠٦م، وإيقاعهم الهزائم النكراء في الجيش الذي لا يقهر، كما يدعون، ثم صمود المقاومة الإسلامية وشعبها المجاهد في غزة، تجاه العدوان الصهيوني الغاشم في ديسمبر ٢٠٠٨م، إلا أنموذج لما تحتزنه هذه الأمة العظيمة من إرادة الصمود، وقوة المقاومة، وروح التضحية والفداء. والحمد لله رب العالمين.

التممية الإنسانية في عهد الإمام علي عليه السلام

خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ رجب ١٤٢٨ هـ

حين نقرأ سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أثناء توليه للخلافة والحكم، ونتأمل رسائله للولاة والموظفين، وخطابه لجمهور الناس، نجد أنه كان مهموماً بتطوير حياة أبناء الأمة، وتنميتها في مختلف المجالات، وحسب مصطلح اليوم كان مهتماً بالتنمية البشرية، ولم يكن مجرد زعيم ديني يعنيه نشر العقيدة وتطبيق الشريعة فحسب، ولا مجرد حاكم سياسي يهمله توطيد سلطته وحكمه، بل كان صاحب مشروع حضاري يستهدف إسعاد الإنسان وتفجير طاقاته وكفاءاته، ليتمتع بحياة كريمة، ويتجه إلى الفاعلية والإنتاج، وذلك هو المقصد الأساس للعقيدة والشريعة.

ففي مجال التنمية السياسية، يشجع الإمام علي عليه السلام الناس على الجهر بأرائهم السياسية، وأن لا يترددوا في الاعتراض على الخطأ أمام الحاكم، وأن لا يتعاملوا مع الحاكم بمنطق التملق والتزلف. يقول عليه السلام: «فلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ - أي عند أهل الغضب - وَلَا تُحَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ - أي بالمجاملة - وَلَا تَطُوبُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي وَلَا التَّيَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَقْتَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكْفُوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُحْطِيَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي»^(١).

وقد أعلن الإمام أمام الناس ضمانه لحقوق المعارضة، وعدم مضايقتهم اجتماعياً،

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٠٧.

والضغط عليهم اقتصادياً، ولا استخدام العنف ضدهم، ما دامت معارضتهم سلمية لم يشهروا فيها السلاح.

جاء في دعائم الإسلام أنه (عليه السلام) خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال (عليه السلام): «كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم من مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به»^(١).

وفي مجال التنمية الاقتصادية، وتوفير حاجات المواطنين، نجد نصاً منقولاً في أكثر من مصدر تاريخي، أن علياً (عليه السلام) خاطب أهل الكوفة قائلاً: «ما أصبح في الكوفة أحد إلا ناعماً - أي مرفهاً -، وإن أدناهم منزلة ليأكل من البر، ويجلس في الظل - له مسكن -، ويشرب من ماء الفرات»^(٢)، والكوفة في ذلك الوقت، كانت مصراً عظيماً، ذات كثافة سكانية، وتنوع في الأعراق، يقطنه أناس من مختلف الأمصار، ومن مختلف البقاع، فيها عرب من مختلف قبائلهم، وفيها موالي أي عجم، وفيها عسكريون، وفيها مدنيون، وفيها أنواع من الناس بتوجهاتهم الفكرية المختلفة، فيها من كان يجب الإمام (عليه السلام)، وفيها من كان يناوئه.

قال السيد حسين البراقي (ت ١٣٢٢هـ) في كتابه تاريخ الكوفة: كانت الكوفة واسعة كبيرة تتصل قراها وجباناتها إلى الفرات الأصلي وقرى العذار فهي تبلغ ستة عشر ميلاً وثلثي الميل، قال ياقوت في المعجم: ذكر أن فيها من الدور خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن^(٣). مع هذا التنوع يقول (عليه السلام): (ما أصبح بالكوفة أحدٌ إلا ناعماً)، أي يعيش النعمة،

(١) دعائم الإسلام. ج ١، ص ٣٦٣.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٠، ص ٣٢٧.

(٣) حسين البراقي. تاريخ الكوفة، الطبعة الثانية ١٩٦٠م، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية)، ص ١٣٤.

يتمتع بالنعيم، أو من النعومة بمعنى: الرخاء، وهذا يعني أن كل ساكني الكوفة، سواء من أهلها أو الآتين إليها، لم يعد فيهم أحدٌ إلا وهو يتمتع بالنعيم، ثم يقول ﷺ: (إنَّ أَدْنَاهُمْ مرتبة) الحد الأدنى في حياة أهل الكوفة (ليأكل من البرّ) وهذا يعني أنه لا يوجد جائع في الكوفة، أقل الناس رتبة في وضعه الاجتماعي والاقتصادي يتوفر له الطعام الكافي، (ويجلس في الظل) يمتلك مسكناً يأوي إليه.

فالطعام والسكن متوفر لكل أحد، وكذا الماء (ويشرب من ماء الفرات). ولهذا النص تأكيدات جاءت في نصوص أخرى منها أنه مرَّ شيخٌ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين ﷺ ما هذا؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني!

فقال أمير المؤمنين ﷺ: استعملتموه، حتى إذا كبر وعجز منعموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال^(١).

لا يوجد فرق عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، بين أن يكون هذا الإنسان مسلماً أو نصرانياً، يجب أن تتوفر لكل أحد سبل الحياة الكريمة، وحاجاته الأساس. وروى أنه: دخل الناس على أمير المؤمنين ﷺ قبل أن يستشهد بيوم، فشهدوا جميعاً أنه قد وفر لهم فيهم، وظلّف عن دنياهم، ولم يرتش في إجراء أحكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقلاً، ولم يأكل من مال نفسه إلا قدر البلغة، وشهدوا جميعاً أن أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه^(٢).

وكان الإمام علي ﷺ يحمل قلقاً وهمّاً لاحتمال وجود حالة فقر في المناطق البعيدة عن مقرّ خلافته، يقول ﷺ: «لَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَبَابِ

(١) محمد بن الحسن الطوسي. تهذيب الأحكام، ج ٦، الطبعة الثانية، (النجف الأشرف: دار الكتب الإسلامية)، ص ٢٩٢، حديث ٨١١.

(٢) الشيخ المفيد. كتاب الاختصاص، الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي)، ص ١٦٠.

هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقُرْزِ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيُقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشُّبْعِ»^(١).

اتجاهات التنمية

ويمكننا أن نلاحظ أن توجهات الإمام في تحقيق التنمية الإنسانية في أبعادها المختلفة، كانت تعتمد ثلاثة مناهج:

الأول: استنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، وليفجر طاقاته الكامنة، وليتسلح بالطموح وعلو المهمة.. وفيما نقل من كلام علي عليه السلام في نهج البلاغة وغيره من المصادر ثروة هائلة عظيمة على هذا الصعيد.

الثاني: دعوة الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، بما نطلق عليه الآن العمل الأهلي التطوعي، كقوله عليه السلام في وصيته للحسينين: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُكُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُورِي عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاَعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمُظْلَمِ عَوْنًا. أَوْصِيكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ عليه السلام يَقُولُ «صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ». اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ»^(٢).

الثالث: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية، وهذا ما تؤكد سيرة الإمام مع الشعب، وتوجيهاته للولاة والموظفين، ومن أبرزها وأشملها عهده للملك الأشتر حين ولاه مصر.

حيث يؤكد الإمام عليه السلام في فقرات هذا العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم، يقول عليه السلام:

(١) نهج البلاغة. كتاب ٤٥.

(٢) نهج البلاغة. كتاب ٤٧.

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

ويلفت الإمام نظر واليه إلى أن مهمته لا تقتصر على أخذ الضرائب من الناس، وهو ما يطلق عليه جباية الخراج، بل إنه معني باستصلاح أمور أهل البلد في مختلف جوانبها الدينية والدنيوية، وعمارة البلاد، ومواجهة أي عدوان عليها. يقول ﷺ: «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وِلَاةِ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا» ويؤكد الإمام على أولوية التنمية وزيادة الإنتاج قائلاً: «وَلْيُكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ».

ويتحدث الإمام ﷺ في هذا العهد حول دور كل طبقة من طبقات المجتمع، كالعسكريين والقضاة والموظفين والصناعيين والمزارعين والتجار، في صناعة التنمية، وتحقيق التقدم، محددًا واجبات الدولة في دعمهم والتعامل معهم.

يقول ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا يَبْعُضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ».

ويؤكد على اختيار موظفي الدولة بناءً على الكفاءة والخبرة، وليس بدافع المحسوبية والاستئثار الفئوي. ثم متابعة الإشراف والرقابة عليهم، حتى لا يقصر وافي مهامهم، ولا يسيئوا استخدام مواقعهم.

يقول ﷺ: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا وَلَا تُؤَلِّمُهُمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً... ثُمَّ تَقَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ».

كما يوجه الإمام الدولة إلى الاهتمام بالفقراء والمحتاجين وذوي الأمراض المزمنة، وأن عليها أن تبحث عن مواقع الضعف والحاجة في المجتمع، وأن تعتمد في رعايتهم على

ذوي الثقة وحسن التعامل. يقول عليه السلام: «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى... وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحُمُهُ الْعُيُونُ - أَي تَسْتَصْغِرُهُ - وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ فَفَرَّغَ، لِأَوْلِيَاكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُّعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ».

إن عهد الإمام علي لملك الأشر يشكل وثيقة سياسية تربوية رائعة، ولا ينبغي أن نقرأه باعتباره برنامجاً للحاكم فقط، بل علينا أن نستلهم منه الرؤية لدور المجتمع في إنجاز التنمية الشاملة.

مجتمعاتنا وضرورة التنمية

تفاوت كبير وبون شاسع بين ما توفره البلاد المتقدمة لمواطنيها من ظروف الحياة الكريمة، وفرص التعليم والعمل والإنتاج، والرعاية الصحية، وأجواء الحرية والديمقراطية، وبين واقع البلدان النامية، حيث الواقع المتخلف، وافتقاد قطاع كبير من المواطنين للحد المعقول من الحياة الكريمة، بسبب الفقر، وتفشي الأمية، وانعدام فرص التعليم والعمل، إلى جانب افتقاد أبسط مقومات الحرية، وغلبة القمع الفكري والسياسي.

وقد دفع هذا التفاوت الملايين من شباب البلاد النامية، أو العالم ثالثة، إلى البحث بكل السبل عن أي فرصة للهجرة، والعمل في البلاد المتقدمة، ويكفي مثلاً على ذلك ما نراه من الحوادث المميتة والمتكررة التي يتعرض لها آلاف الشباب من إفريقيا والمنطقة العربية، بمخاطرتهم بأرواحهم وأموالهم بالهجرة غير الشرعية، عبر البحار في ظروف غير آمنة، وغير مضمونة، للبلدان المتقدمة في أوروبا الغربية وأستراليا، لينتهي الحال ببعضهم طعماً لأسماك البحر. عدا الصفوف الطويلة من طالبي تأشيرات الهجرة والعمل أمام السفارات الأجنبية في بلادنا العربية.

ونجد على سبيل المثال بأن الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة إذا أرادوا الاستثمار المضمون ذا المردود الجيد، فإنهم يستثمرون أموالهم هناك، ولهذا تأخذ مليارات الدولارات العربية طريقها نحو الاستثمار في البلاد الأوروبية والأمريكية، لماذا؟ لأن تلك البلاد تتمتع بظروف أنسب للاستثمار الاقتصادي والإنتاج، وظروف العمل المناسبة، وسلامة القوانين. من هنا برزت هذه الهوة الكبيرة، والفارق الشاسع، بين تلك البلاد وبلدان العالم الثالث.

وإدراكاً من المؤسسات الدولية العالمية بخطورة هذا الأمر أنشأت الأمم المتحدة قسماً تحت عنوان «البرنامج الإنمائي» يهتم بقضايا التنمية البشرية، ويصدر عنه سنوياً تقارير دولية عن التنمية البشرية في مختلف دول العالم، وصدر عن هذا البرنامج حتى الآن أربعة تقارير خاصة بالمنطقة العربية تحت عنوان تقرير التنمية الإنسانية العربية.

وتجاوباً مع هذا المسار أصدرت بعض الدول العربية تقاريرها المحلية الخاصة بالتنمية، ففي المملكة العربية السعودية منذ العام ٢٠٠٣ أخذت تصدر وزارة الاقتصاد والتخطيط تقريراً سنوياً يرصد وضع التنمية في البلاد.

ويعرّف الخبراء التنمية الإنسانية، - كما جاء في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ١٩٩٠م -: بأنها عبارة عن عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة للناس، وقد تكون تلك الخيارات متغيرة مع الزمن وغير نهائية، إلا أنه في كافة مستويات التنمية، فالخيارات الثلاثة الضرورية التي يجدر توفرها هي: التمتع بحياة صحية وطويلة، واكتساب المعرفة، وتحصيل الموارد اللازمة لتحقيق العيش الكريم.

وللتنمية البشرية جانبان:

الأول: هو تكوين القدرات البشرية، مثل تحسين المستوى الصحي والمعرفي وتطوير

المهارات.

والثاني: هو استفادة الناس من هذه القدرات المكتسبة في العمل المنتج، والحركة

الاجتماعية والسياسية، والنشاط الثقافي والترفيه.

فحينما نجد أن هناك تخلفاً، وأن هناك موارد نقص في ظروف الحياة التي يجب أن تتوفر لنا كبشر وكمواطنين، فإن علينا أن نهتم بالتفكير في تحسين أوضاعنا وظروفنا، والسؤال هنا: من المسؤول عن إنجاز وتحقيق التنمية البشرية؟

يعتقد كثير من الناس أن المسؤولية تقع حصراً على عاتق الحكومات التي بيدها مقاليد التحكم في الثروات الوطنية، فهي المعنية مباشرة بالتنمية البشرية للمجتمعات.. وهذا صحيح إلى حد بعيد، فالحكومات تتحمل الدور الأساس والرئيس في هذه المسألة، لكن لا يمكن بحال إغفال دور المجتمعات والشعوب في حض الحكومات من أجل وضع السياسات التنموية الصحيحة، ومن أجل التطبيق الصحيح لهذه السياسات، وللشعوب دور أساس في تحقيق التنمية والرقي من خلال فاعليتها ونشاطها وعطائها، ولذلك أشارت مختلف التقارير إلى أهميه دور منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية في هذا الاتجاه.

من هنا لا يصح إلقاء اللائمة على الحكومات وحسب، واعتبار أنفسنا في معزل عن تحمل المسؤولية، والاكتفاء بنذب الحال بدعوى أن الحكومة لم تتحرك لفعل الشيء المطلوب.

والسؤال المهم: هو أين دور المواطنين؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، هناك ثلاث مهام يجب أن نفكر فيها، وأن نهتم بها من أجل أن نساعد أنفسنا ونحسن أوضاعنا ونرتقي من خلالها بمستوى مجتمعنا:

إنتاج ونشر ثقافة التنمية

فكما أن للتنمية ثقافتها كذلك للتواكل والخمول ثقافته، ولعل مشكلتنا تكمن في انتشار النوع الثاني من الثقافة في أجوائنا. نحن بحاجة إلى ثقافة حيّة تدفع كلاً منا لكي

يفجر طاقته، ويعمل ما بوسعه من أجل تحسين وضعه الشخصي، والمساعدة في تحسين أوضاع الآخرين.

ولعلها إحدى المشكلات الغربية جداً حين نجد أن بعضنا لا يهتم السعي نحو تحمل المسؤولية تجاه ذاته، فضلاً عن سعيه نحو تحمل المسؤولية تجاه غيره من الناس، فتجد الواحد من هؤلاء يعيش الفقر ويستسلم له، ويعيش البطالة ويخضع لها، ويعيش الجهل ولا يسعى لمواصلة التعليم وكسب المعرفة.

والأسوأ في ثقافة الخمول هو تجميع بعض جوانب الثقافة الدينية من خلال الطرح المجانب للصواب ليكون الدين بالنهاية في خدمة حالة الخمول والتعاسف، وذلك من خلال تزويد الناس في الحياة الدنيا، غافلين عن أن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة، وأن من كان عاجزاً في دنياه فهو عن آخرته أعجز.

وأن من لا معاش له لا معاد له، كما هو نصّ ومفاد روايات كثيرة. وضمن أجواء هذه الثقافة الخاملة نجد صنفاً من الناس لا همّ لهم إلا تشييط العزائم، فهم يشعرونك بعدم جدوائية أي عمل تريد الإقدام عليه، فإذا أردت أن تعمل مشروعاً اقتصادياً خوّفوك من الخسارة، وإذا فكرت بالذهاب للعمل في أي منطقة أخرى بعيداً عن بلدك زرعوها فيك القلق من الغربة، وإذا أردت أن تشترك مع آخرين في مشروع حذرّوك من سوء الشراكة مع الآخرين.. وهكذا دواليك من ألوان الثقافة السلبية والتشييطية.

من هنا نحن بحاجة إلى الثقافة التي تفتح أمام الناس آفاق الطموح والتطلع في هذه الحياة، والتي تزيح من أمامهم الحواجز المانعة من الانطلاق والعمل. وينبغي للخطباء الدينيين والمؤسسات الدينية والإعلامية التشديد على زرع ثقافة التنمية والطموح والرغبة في التقدم والفاعلية والعمل عند الناس.

العمل الأهلي والمؤسسات الأهلية

تركز التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية والأمم المتحدة على أهمية دور

منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية. ذلك أن وجود المؤسسات الاجتماعية الأهلية يعطي مؤشراً على تقدم مستوى الوعي لدى الناس، كما يعني تحمل الناس لمسؤولية أنفسهم، ونجاحهم في خلق حالة من التعاون فيما بينهم، وهذا أمر في غاية الأهمية لرقى أي مجتمع.

الدول المتقدمة تعج بالمؤسسات والمنظمات الأهلية التي لا تكاد تجد شأنًا من الشؤون الحياتية إلا وله منظمة أهلية تهتم به، أو مؤسسه اجتماعية تتابع شأنه. ولقد تجاوز أولئك الناس في اهتماماتهم الإنسانية حدود بلدانهم، فأسسوا المنظمات الأهلية التي تمارس عملها على مستوى الكرة الأرضية، فهناك المنظمات الحقوقية والطبية والإغاثية، فمنظمة العفو الدولية، أو أطباء بلا حدود، أو هيئة الإغاثة الدولية، باتت أشهر من أن تعرف.

حتى إن امرأة واحدة كالأم تريزا (١٩١٠-١٩٩٧م) تنطلق من مقدونيا في قلب أوروبا لتفرغ للعمل الإنساني ضمن توجهاتها التبشيرية في الهند وأفريقيا ولتؤسس عبر مسيرة حياتها عشرات الملاجئ والبيوت لاستيعاب آلاف الأيتام والمرضى والمبوزين وذوي الأمراض الميؤوس من شفائها.

والمؤسف في مقابل ذلك أننا نجد بعض مجتمعاتنا لا تسعى لسد احتياجاتها المحلية في المدينة والقرية، وإن بعض الحالات التي تعيشها الجمعيات الخيرية في مناطقنا تبعث على الخجل، فنظرة إلى بعض التقارير الصادرة عن هذه الجمعيات تكشف بأن حجم التبرعات القادمة من خارج منطقتها تعادل أضعاف تلك الواردة من داخلها.

ولعل الحاجة لمثل هذه المؤسسات ليست نابعة فقط من الحاجة لمعالجة حاجات المجتمع فحسب، وإنما للمتابعة والتواصل مع الدوائر الحكومية أيضاً. من هنا تنبع أهمية الفكرة المطروحة التي تتبناها المجالس البلدية، في تأسيس ما أطلق عليه بمجالس الأحياء، وتنبع أهميتها من زاوية بعث الاهتمام لدى أهالي كل حي بضرورة الاهتمام

بشؤون حيّهم السكني من خلال انتخاب مجموعة تدير هذا المجلس، وتنصب جهودها في تلبية حاجات الحي من مختلف الخدمات عبر التواصل مع الجهات المعنية.

برامج التنمية

نحن بحاجة إلى مزيد من اللجان الأهلية بما يتجاوز تلك القائمة الآن، وبحاجة إلى أكثر من لجنة تتصدى باتجاه برامج تدعم التعليم العام، وإلى جهد أهلي يواكب مدارس التعليم العام ويتفاعل معها، وعلى المنوال نفسه، نحن في أمس الحاجة إلى لجان أهلية مساندة في قطاع الصحة، ولعل في لجنة أصدقاء المرضى التابعة للغرفة التجارية بالمنطقة الشرقية خير مثال، لماذا لا تشكّل لجنة أصدقاء المرضى في المنطقة لغرض زيارة هذه المستشفيات والتواصل مع إداراتها لسدّ بعض النواقص وإيصال الشكاوى إلى جانب المساندة والدعم؟ فهذا بالتأكيد سيجعل من إدارة المستشفى أكثر جدية وحزماً في التعاطي مع مختلف الأخطاء ومواقع القصور.

العديد من المرضى في بلادنا يقصدون أهل الخير طلباً للمساعدة في متابعة العلاج أو لعجزهم عن شراء الأدوية، وهذا ما يحثّم علينا إيجاد جهات أهلية ترعى مثل هؤلاء.. ويتكرر الأمر كذلك على صعيد التوظيف، وهنا من المهم التنويه بالجهود الطيبة لدى بعض الجمعيات الخيرية التي بادرت باستحداث أقسام للتأهيل والتوظيف ومساعدة الشباب في إيجاد فرص العمل.

ولعلنا نذكر بهذا الصدد صندوق المثوية التي نبعت فكرته الأم على يد ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز، والتي يَنْصَبُ هدفها الأساس في دفع الشباب نحو إيجاد وتأسيس مشاريع ومؤسسات صغيرة بالاعتماد على تمويل هذا الصندوق، وتقديمه الخبرة والتسهيلات، لقد شق هذا الصندوق طريقه تدريجياً إلى مناطق مختلفة عبر العالم، وبالفعل تمّ على غرار ذلك تأسيس صندوق المثوية بالملكة قبل نحو عامين.

وكذلك الأمر على المستوى الثقافي، نحن بحاجة لمبادرات شبابية على المستوى التقني والثقافي ترعى أعمالاً تطوعية في مختلف الاتجاهات، وعلى هذا الهدي سيكون الأمر في قمة السلوك الحضاري لو تصدى من بيننا من هم على استعداد لتبني طباعة الإنتاج الثقافي لأصحاب القلم غير المقتدرين على طباعة إنتاجهم الثقافي والأدبي والديني.

الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠ رجب ١٤٢٨ هـ

تتعدّد أنماط قراءة الشخصيات التي أخذت مساحة واسعة من تفكير الأجيال المعاصرة واللاحقة لحياتهم بما ورّثوه من نظريات ومبادئ أو خروج منطوق تلك النظريات إلى حيّز التطبيق العملي.

ولأننا نعيش ذكرى أحد عظماء الإنسانية وعمالقتها في الفكر والسلوك، ألا وهو رائد الإصلاح، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الرائد الذي قرأه كثير من أصحاب الفكر والمعرفة، فعالي بعضٌ واستخفَّ آخر، كما توقع هو عليه السلام حين قال: «هَلَكَ فِي رَجُلَانِ مُحِبُّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ»^(١).

ولكي لا نكون أحد النمطين، نحاول أن نقرأ الإمام علياً عليه السلام قراءة تقوم ما اعوجَّ من سلوك في واقعنا المعاصر، متجاوزين بذلك القراءة التقليدية التي تشغلنا هموم التاريخ الماضي، ومشاكله وأحداثه، نحن بحاجة لكي نقرأ تاريخ الإسلام، وتاريخ أئمته، قراءة جديدة تساعدنا على معالجة قضايانا، وترفع من مستوى أوضاعنا المتردّية، ولسنا بحاجة إلى قراءة ترفع من وتيرة البغض والكراهية بيننا، بالانغماس في مشكلات الماضي وأحداثه، إلا بمقدار ما ينفعنا من دروس وعبر، لذلك نبسط الحديث عن سيرة الإمام علي عليه السلام في الإصلاح.

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ١١٣.

فلسفة الإصلاح

تحتاج المجتمعات البشرية إلى مراجعة دائمة، وإلى تفحص مستمر لواقعها وأوضاعها، من أجل معالجة نقاط الخلل والنقص، لأن كل مجتمع بشري لا يخلو من نقاط ضعف تحتاج إلى تقوية، أو ثغرات تحتاج إلى سد، كي يصل ذلك المجتمع إلى مصاف المجتمعات المتحضرة.

إن الخلل الذي لا يسلم منه أي مجتمع بشري، له أسباب عدّة، نسردها منها ثلاثة أسباب:

وجود الخطأ

فلا أحد يستطيع ادعاء العصمة والكمال إلا المعصومون الذين عصمهم الله، أما المجتمعات، والقيادات، والفئات، فوارد أن تقع في الخطأ، فـ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطّاءين التوابون»^(١) كما ورد عنه عليه السلام.

فقد تتخذ أمة من الأمم مساراً خطأً، وقد تسلك قيادة من القيادات نهجاً غير صحيح، وقد يبدي عالم من العلماء أو مجموعة من العلماء آراء وأفكاراً بعيدة عن الصواب، هذا أمر وارد، لا أحد يستطيع أن ينفيه، ومادام هذا الخطأ واردًا في حياة المجتمعات، فعلى المجتمع في كل مرحلة، وفي كل وقت، أن يتفحص ثم يسأل: أليس هناك خطأ في توجّهاتنا؟ أليس هناك خطأ في آرائنا؟

وجود الانحراف

لا يختلف اثنان على أن الناس في المجتمعات البشرية ليسوا ملائكة، وليسوا أطهاراً لا يحصل منهم الانحراف، فقد يحصل الانحراف من المواقع المتقدمة في الأمة، أو لدى عامة الناس، أو من قبل الجهات الوسيطة بين قيادات الأمة وجمهورها. هذا الانحراف، سواء كان مقصوداً أو غير مقصود، فهو قد يحصل في طرح الآراء،

(١) المستدرك على الصحيحين. ج. ٤، حديث ٧٦١٧/١٧.

وفي تطبيق البرامج والخطط، فعلى المجتمع أن يتأكد من صحة مسيرته وعدم تعرضها للانحراف. يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ٥٣].

طبيعة الصيرورة والتطور

قد يكون الرأي صواباً، والاتجاه صحيحاً، ضمن زمن معين، وواقع معين، وحينما تتغير الأوضاع، وتتطور الحياة، فإن ذلك القرار قد يحتاج إلى تغيير وتطوير، فإذا لم تحصل متابعة في التغيير والتطوير يحدث هناك خلل، وهذا الخلل ليس ناتجاً من الرأي ذاته، وليس من وجود انحراف، وإنما هو ناتج من عدم المواكبة للتطورات. ولهذا فإن المجتمعات المتحضرة والمتقدمة تدرك الحاجة إلى المراجعة الدائمة والتغيير والإصلاح، إذ بنظرة عَجَلِي في كل دساتير تلك الدول، نجد في كل دستور مادة تعالج إمكانية التغيير في مواد الدستور، رغم أن الدستور يُعدُّ أقدس شيء في كل أمة من الأمم، لأن الدستور يوضع بعد دراسة وبحث واستفتاء شعبي، وترافقه إجراءات وضمانات عديدة، ولكن - لأن الظروف تتبدل، ولأن الخطأ وارد - يوجد في كل دستور من دساتير دول العالم مادة تعالج كيفية التغيير والتبديل في الدستور.

هل أن البرلمان بأغلبيته يصوّت على التغيير؟ أو أن الحاجة تستدعي الاستفتاء

الشعبي على كل تغيير؟

إن وجود مادة تعالج موضوع التغيير في الدستور، يحمل دلالة على الوعي بأهمية التطوير حتى في الدستور، وهو أثبت وأقدس شيء في كل أمة من الأمم.

من ناحية أخرى، تجد أن المجتمعات المتقدمة لديها مؤسسات تُعنى بمتابعة المراجعة والتغيير، برلماناتها، ومؤسساتها الدستورية، والسياسية، والعلمية، كلها مَعْنِيَة بالمتابعة والمراجعة، وهناك مراكز أبحاث ودراسات تدرس مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والأوضاع السياسية، وتقترح تغييراً، أو معالجة، وتبرز نقاط الضعف فيها،

وثالثاً هناك رصد للرأي العام، استبيانات واستفتاءات. ففي كل حدث أو منعطف، يكون هناك رصد للرأي العام في أداء الإدارة السياسية، وفي الأوضاع الاجتماعية.

هذه الروافد الثلاثة الموجودة في المجتمعات المتقدمة: المؤسسات الرسمية، ومراكز الدراسات والأبحاث، واستطلاعات الرأي العام، هي أطرٌ ومناهج تُعنى بالمراجعة من أجل التغيير والإصلاح.

صعوبة المراجعة والتطوير

في مجتمعاتنا العربية والإسلامية نجد هذه الروافد قليلة محدودة، وفي بعض جوانبها منعدمة، ولذلك لا تعيش مجتمعاتنا حالة المراجعة والتفحص والإصلاح الدائم. المجتمعات الأخرى تنجز إصلاحاً وتطويراً عند مراجعتها لأوضاعها، بينما في مجتمعاتنا تكون المراجعة أمراً صعباً، والتغيير والتطوير متعذراً في كثير من الأحيان، ولذلك تبقى الأوضاع على ما فيها من أخطاء، وانحرافات، ومع ما فيها من تخلف عن مواكبة تطور الحياة والمجتمع، تبقى في حالة استرسال، واستصحاب، وكأننا نتمثل ما ينقل عن (جحاح) عندما سئل ذات مرة: كم عمرك؟

قال: أربعون سنة.

وبعد عشرين سنة سئل: كم عمرك؟

قال: أربعون سنة.

قيل له في ذلك.

قال: كلمة الرجل واحدة لا تتغير.

ما دمنا نسير على رأي معين ووضع معين فينبغي أن نستمر عليه ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٢٣].

في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، المراجعة أمر صعب، في المجال السياسي والفكري، وفي العادات والتقاليد، بل حتى في بعض الآليات والوسائل الخارجية نجد التغيير صعبًا.

قرأت في جريدة المدينة ملحق الرسالة بتاريخ ٣٠ شوال ١٤٢٦هـ حديثًا لرئيس مجلس الشورى في المملكة الشيخ صالح بن حميد وهو إمام المسجد الحرام، كان يتحدث به في احتفال تكريمي أقيم في جامعة أم القرى لوالده الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد (١٣٢٩ - ١٤٠٢هـ)، وحكى فيه كيف تمكن والده في السبعينيات الهجرية من كسب معركة بناء الجامع الكبير في بريدة بالاسمنت المسلح، بعد أن لقي معارضة شديدة من أهالي المدينة، الذين اعترضوا بشدة وطالبوه بأن يكون البناء بالطين وسعف النخيل، على ما درج عليه أجدادهم معتبرين ذلك معركة حياة أو موت.

هذا أنموذج لرفض التغيير والتطوير حتى في الوسائل والآليات، ومثل ذلك نجده في مختلف مجتمعاتنا، فالشيخ الدكتور أحمد الوائلي (١٣٤٧-١٤٢٤هـ) يتحدث في كتابه (تجاري مع المنبر) عن مشروع تبناه هو وعدد من العلماء الواعين في النجف الأشرف للمساعدة في تطوير مستوى الخطابة والخطباء، واستأجروا مكانًا كمقر له تحت عنوان (متدى النشر)، يقول: وتحرك أصحاب المصالح وفي طبيعتهم مجموعة ممن يمتهن الخطابة، وانتشرت شائعات تقول: إن متدى النشر يريد تغيير صورة الأمويين في أعين الناس، والقضاء على الشعائر الحسينية، وتزوير التاريخ، إلى آخر ما هنالك من افتراءات أدت إلى صدور تصريحات من الزعامات الدينية تدين متدى النشر، وانتهى الأمر بالهجوم على المؤسسة المعدة للتدريس، وعلى متدى النشر هي الأخرى، فكسرت الكراسي، وحطمت ما في البنايات من أدوات، وهرب القائمون على العمل واختبأوا عن الأعين.

وكان أحد التصريحات من بعض المراكز الدينية أن الحسين عليه السلام قتل مرتين مرة يوم

الطف وأخرى في حركة منتدى النشر^(١).

يبدو لي أن هناك سببين رئيسيين لصعوبة المراجعة والتطوير في مجتمعاتنا:

١. ثقافة الممانعة للتغيير، التي تقوم على أساس تقديس الواقع القائم، والتشبث به، إذ

ليس في الإمكان أبدع مما كان، وتروج هذه الثقافة لنظرية المؤامرة من قبل الأعداء،

فمشكلات الأمة هي مؤامرات اليهود والنصارى، وخطط الاستكبار العالمي.

بالطبع، لا أحد ينفي أن للقوى الأجنبية مطامعها ومصالحها، وأنها تسعى للهيمنة

علينا وعلى المستوى العالمي، لكن ضعفنا هو الذي يغريهم بنا، وثغرات واقعنا هي التي

تمكن لهم النجاح في خططهم ومشاريعهم ضدنا.

نحن بحاجة إلى الإصلاح الديني، ثقافتنا الدينية تحتاج إلى إصلاح، الدين حق،

لكن ما نفهمه من الدين يحتاج إلى مراجعة، فالكثير يخلط بين الدين في حقيقته وبين فهم

الناس للدين، لا يدعي العلماء أنهم في آرائهم مصيبون قطعاً مئة في المئة، وإنما يقولون

إنهم مجتهدون، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، ومعنى ذلك أن باب الاجتهاد يجب أن

يكون مفتوحاً. لماذا يستعصى علينا التطوير والإصلاح في الكثير من الآراء والأفكار،

حتى جزئيات المسائل نعدّها من الضروريات وثوابت العقيدة والدين، ومن الصعوبة

بمكان أن يُعاد النظر فيها؟

لفت نظري بحث كتبه أحد الفقهاء الكبار في النجف الأشرف، الشيخ محمد

إسحاق الفياض، تحت عنوان (أحكام الاجتهاد) يشير فيه إلى أن صنف الأحكام

الشرعية الذي يتمتع بطابع الضروري، ولا يوجد فيها خلاف بين الفقهاء والمجتهدين،

لا تتجاوز نسبته إلى مجموع الأحكام الشرعية عن ستة في المائة، بنسبة تقريبية. وما عداها،

أي بنسبة ٩٤٪ تقريباً من الأحكام الشرعية فهو من الأحكام التي يتمتع بطابع نظري

(١) الدكتور أحمد الوائلي. تجاربي مع المنبر، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (بيروت: دار الزهراء)،

يتوقف إثباته على عملية الاجتهاد والاستنباط، ويكون مورداً للبحث والخلاف بين الفقهاء والمجتهدين^(١).

إذاً نحن بحاجة إلى الإصلاح الشامل على مختلف الصعد. ولكن العائق وجود هذه الثقافة التي تقدّس الواقع، ولا تعطي الفرصة لأي رأي، ولا لأي نقد في المجال الديني، وكأن أيّ نقدٍ هو نقد للدين، فمما لا شك فيه أن النقد بضوابطه العلمية الموضوعية ليس نقدًا للدين، الدين قوي عميق لا يُخشى عليه، والنقد يقوّي الدين، والمراجعة تُظهر عمق الدين، وتُظهر صلاحيته. ثمّة من يعاني من الضعف في رأيه، وفي أدلته، فيخشى من إظهار ضعفه هو، وليس الدين، النقد يوصل لما هو أفضل في المجال الديني. وفي المجال السياسي أيضًا، يجب أن يكون هناك إصلاح يستهدف توسيع رقعة المشاركة الشعبية، ووضع الضمانات لاتخاذ القرارات الأصوب، ولوضع آليات التطبيق والتنفيذ بعيداً عن الفساد والمحسوبيات، وبوجود رقابة نظامية، وحرية سياسية إعلامية تمكن من فضح أي تلاعب أو فساد.

وهكذا الحال في المجال الاجتماعي، لا بد من إتاحة الفرصة للنقد، وقيام مختلف المؤسسات الأهلية الفاعلة.

٢. وجود مراكز قوى تستفيد من الواقع القائم، وتخشى من التطوير والتغيير أن يكون على حساب مصالحها ومكاسبها، ولذلك تعارض المراجعة والتجديد والإصلاح، حتى تبقى الأمور كما هي، لأنها تستفيد من ذلك بحفظ مصالحها ومكاسبها.

عوامل الإصلاح والتغيير

من أجل أن تحصل نهضة الإصلاح والتغيير في أي مجال من مجالات حياة الأمة، لا

(١) الشيخ محمد إسحاق الفياض. المسائل المستحدثة، ٢٠٠٥م، (الكويت: مؤسسة معرفي)، ص ٧.

بد من توفر ثلاثة عوامل:

الأول: مبادرة القيادات

القيادات الدينية والسياسية في الأمة يجب أن تبادر، وأن تتصدى للإصلاح والتغيير، وإلا فالوضع ينذر بخطر كبير، العالم لن يسمح لنا أن نبقي على ما نحن فيه، أضرار هذا الواقع المتخلف الذي نعيشه ما عادت تقتصر علينا، أصبح العالم يعاني من إفرازاتها ونتائجها، لا يقبل العالم أن تبقى هذه الأمة عائقاً أمام حركة التطوير العالمي، كما أن هناك أطعماً واستهدافات عدائية، وتوجهات ضد الأمة ومصالحها، تستثمر هذا الواقع المتخلف لشن حملاتها على الأمة، للهيمنة على إرادتها وثرواتها. وهناك تملل وغضب في أوساط جماهير الأمة، وإذا لم تنطلق مبادرات لإصلاح هذا الواقع تحصل انفجارات وكوارث.

وما هذه التوجهات الإرهابية العنيفة إلا من إفرازات المآزق والأزمات التي تعيشها الأمة، وما هو قادم أخطر إن لم تكن هناك مبادرة من قيادات الأمة للإصلاح والتطوير، من هنا نثمن المبادرة التي أقدم عليها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حينما دعا قيادات الأمة وعلماءها للاجتماع في مكة المكرمة قبل سنتين لوضع خطة للإصلاح. ثم انعقد مؤتمر قمة استثنائية لزعماء الدول الإسلامية بتاريخ ٦ و٥ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ، لمناقشة التوصيات التي قدّمها العلماء والمفكرون، وتم إقرارها والموافقة عليها، ولكن ماذا عن التطبيق العملي لتلك التوصيات من قبل الدول والأنظمة السياسية؟

هذا ما يجب أن يتفعل في كل دول الأمة ومجتمعاتها، وليس مجرد طرح نظري. فالأمة على مفترق طرق، وتواجه أخطاراً وكوارث كبيرة.

نحتاج إلى المبادرات الجرئية الشجاعة، لأن أيّ قيادة سياسية تريد الإصلاح لن تجد الطريق مفروشاً أمامها بالورود والرياحين، فهناك معوقات ومراكز قوى ضاغطة،

وأى قيادة دينية تريد الإصلاح لن تواجه بإلقاء التحية والاحترام، ستكون هناك تعبئة ضدها، وستتهم في دينها، ولكن الأمر بحاجة إلى توضيح وإخلاص لله سبحانه كما يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٩].

الثاني: ثقافة الإصلاح

أى قيادة تريد الإصلاح ينبغي أن تفكر في إنتاج الثقافة الداعمة لتوجهات الإصلاح، لأنه لا يمكن أن يحصل الإصلاح في بيئة ثقافية متخلفة. لا بد من تشجيع ثقافة الانفتاح، والوعي بمتطلبات الزمن، وإتاحة الفرصة لحرية الرأي والتعبير عن الرأي، على المستوى السياسي والديني والاجتماعي.

الثالث: تفاعل الجمهور

وعى جمهور الأمة، واستجابتهم لبرامج الإصلاح والتغيير، هو الذي يؤذن بانطلاق نهضة الإصلاح، أما الاكتفاء باجترار الشعارات، وتمنيات التغيير، دون رفع مستوى الفاعلية والإنتاج، والالتفاف حول القيادات المخلصة، والبرامج الصالحة، فانه لن يغير من واقع الأمة شيئاً.

الإمام علي يتصدى للإصلاح

ولنقترب من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يمكن القول بحق إنه رائد الإصلاح في وقت مبكر من تاريخ الأمة الإسلامية، إذ تبنى عليه السلام نهجاً إصلاحياً جريئاً.

فقد وصل إلى الخلافة بمبايعة شعبية جماهيرية، تختلف عن طريقة مبايعة الخلفاء السابقين، حيث وصل الخليفة أبو بكر إلى الخلافة عن طريق المبايعة في سقيفة بني ساعدة، والخليفة عمر وصل إلى الحكم عن طريق ترشيح من الخليفة أبي بكر، والخليفة

عثمان وصل إلى الحكم عن طريق مبايعة ستة من الصحابة عيّنهم الخليفة عمر ضمن قصة الشورى المعروفة، ولكنّ الإمام عليّاً عليه السلام وصل بطريقة أخرى، ذلك أن جماهير الأمة ازدحمت عليه وطلبت منه تولي الخلافة كما قال عليه السلام فيما روي عنه: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ»^(١). وامتنع الإمام علي عن قبول البيعة أياماً كما تشير بعض مصادر التاريخ، إلا أنه استجاب إنقاذاً للموقف، وتحملاً للمسؤولية، وصارح الجمهور منذ البدء بأنه سيعتمد سياسة الإصلاح والتغيير، وفق ما يراه من تحقيق لقيم الإسلام ومبادئ تعاليمه.

جاء في تاريخ الطبري: (عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان عليه السلام، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً، فقالوا: يا أبا حسن هلمّ نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به فاختروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك. قال فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان عليه السلام مراراً...)^(٢).

وذكر الطبري أكثر من رواية تؤكد هذا المضمون، وأن عليّاً كان يذكر لهم أنه إن تولى الخلافة، فسيطبق منهجه في الإصلاح، كقوله عليه السلام: «وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَحْبَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ»^(٣).

ومن المعروف تاريخياً أنه في عهد الخليفة عثمان بن عفان، حصلت أوضاع لم يكن أكثر الصحابة يجذبونها ويرضون عنها، وكانت جماهير الأمة منزعة منها؛ لأن بطانة قد التفت حول الخليفة من أقربائه، الذين كانوا محل ثقته، وهؤلاء استغلوا ثقة الخليفة بهم، ولسنا الآن في وارد الاسترسال في التفاصيل فهي موجودة في كتب التاريخ، ومن

(١) نهج البلاغة. خطبة رقم ٣.

(٢) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري ج ٣، الطبعة الخامسة ١٩٨٩م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ٤٥٠.

(٣) المصدر السابق. ص ٤٥٦.

البحوث الجميلة الموضوعية، البحث الذي كتبه الشيخ أبو الأعلى المودودي، العالم المعروف مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٧٩ م، وكتابه تحت عنوان (الخلافة والمُلك)^(١) وهو مطبوع أكثر من طبعة، تناول فيه التغيّرات التي حصلت في واقع الأمة في عهد الخليفة عثمان، إذ حصل ابتعاد عن نهج النبوة ونهج الخلافة الراشدة، فأصبح هناك تلاعب بالثروات من قبل هذه البطانة، مما سبّب حالة من الغضب في أوساط جماهير من الأمة، انتهى بالهجوم على دار الخليفة وقتله بصورة بشعة، مما كرس حالة العنف السياسي في تاريخ الأمة.

جاء بعد ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للحكم، فطرح نهجه الإصلاحية، ولا ننسى أن الإمام عُرض عليه أن يصبح هو الخليفة بعد مقتل الخليفة عمر، ولكن بشرط تصادر فيه حرّيته في الإصلاح والتغيير، تحت عنوان الالتزام بسيرة الشيخين، فرفض الإمام الخلافة بهذا الشرط، وقبلها عثمان.

وهذا ما دوّنته كتب التاريخ، حيث اجتمع الستة أصحاب الشورى الذين عيّنهم الخليفة عمر بعد إصابته، طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وكانت إدارة الاجتماع لعبد الرحمن بن عوف، الذي التفت إلى علي بن أبي طالب، قائلاً: هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، وفق ما ذكره الطبري^(٢).

وذكر ابن الأثير: أن عبد الرحمن بن عوف دعا علياً وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده، قال علي: أرجو أن أفعل

(١) أبو الأعلى المودودي. الخلافة والملك، الطبعة الأولى ١٩٧٨ م، (الكويت: دار القلم).

(٢) تاريخ الطبري. ج ٣، ص ٣٠١.

فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي^(١). فاتجه ابن عوف لمبايعة عثمان بن عفان الذي قبل بهذا الشرط ولم يتحفظ عليه.

وقد علق على هذا الموقف الدكتور إسماعيل الشطي من رواد الحركة الإسلامية في الكويت، مشيراً إلى نقطة مهمة، حيث قال ضمن مقال له: «ولقد كاد الجيل الأول من المسلمين رضوان الله عليهم، أن يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في إدارة الدولة جزءاً من الشريعة، لولا تصدي الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في أول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب الله وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لا يعدو كونها اجتهاداً بشرياً، يسع من بعدهم، ويتسع لآفاق المستقبل السحيق. وبتضحيته هذه، أوقف الإمام - كرم الله وجهه - زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات»^(٢).

المبادرة للإصلاح

حين تسلم الإمام علي الخلافة بدأ في تطبيق منهجه الإصلاحية، رغم علمه بالعوائق الضخمة والعراقيل الهائلة التي ستواجهه، كما قال في تبريره لامتناعه عن قبول الخلافة: «دَعُونِي وَالتَّمَسُّوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُضِغْ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَثْبِ الْعَاتِبِ»^(٣).

ونجد هنا توفر أول عنصر لعملية الإصلاح، وهو المبادرة والتصدي، فكثيرون قد يحملون شعارات الإصلاح، وي طرحونها نظرياً، وهناك الغالبية من الناس يتطلعون إلى

(١) الكامل في التاريخ. ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) الدكتور إسماعيل الشطي، الإسلام الذي نريد، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧١٣١، بتاريخ ١٩٩٨/٦/٧ م.

(٣) نهج البلاغة. خطبة رقم ٩٢.

الإصلاح لتغيير أوضاعهم إلى الأفضل، لكن الانطلاق لن يكون إلا بالمبادرة والتصدي، والقيادات الدينية والسياسية هي من تتحمل هذه المسؤولية بالدرجة الأولى، وهي الأقدر على تحقيقها، بما تمتلك من أزمّة الأمور، ومواقع التأثير والنفوذ.

إن أي عملية إصلاح تستلزم تضحيات وخسائر، وتواجهها صعوبات وعوائق، لكن تصدي القيادات يجعل المهمة أقل صعوبة وأقرب للنجاح.

أما لو تركت الأمور لتفاعل النعمة والغضب في نفوس الناس، فقد تنفجر الأوضاع، وتخرج عن السيطرة، ويتصدى غير الكفوئين والمخلصين، ويجد أعداء الأمة فرصتهم للإفساد والتخريب.

وفي سيرة الإمام علي عليه السلام وسيرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، منابع للاستلهام، ودروس للاقتداء، مع ما بين الشخصيتين والتجربتين من فروقات لا تحفى، من حيث المكانة والصفات والظروف والأوضاع.

إن الخيار الأمثل أمام شعوب الأمة الإسلامية اليوم، للخروج من المأزق، وتجاوز واقع التخلف، هو المبادرة الجريئة من القيادات السياسية الحاكمة، للتوجه نحو الإصلاح، بالانفتاح على شعوبها، وتوسيع المشاركة السياسية، واعتماد نهج الحق والعدل.

كما أن على القيادات والمرجعيات الدينية أن تجهر بمواقف الحق، وألا تداهن التوجهات المسيئة للإسلام، والمخالفة لمبادئه وقيمه، وأن تبادر للإصلاح على المستوى الفكري والثقافي.

برامج الإصلاح

لقد بادر الإمام عليّ من بداية حكمه لتنفيذ برامج الإصلاح، فعزل الولاة غير الصالحين للولاية، الذين أخذوا مواقعهم ضمن معادلة المحسوبيات، واستأثروا بالامتيازات وثروات الأمة.

كما استرد أموال بيت المال من أيدي الحائزين عليها بطرق غير مشروعة، ولم يقبل التغاضي في ذلك، بل أجاب المعترضين بقوله: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ، وَمَلَكَ بِهِ الإِمَاءَ لَرَدَدْتُه، فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ فَالجُورُ عَلَيْهِ أَضِيقُ»^(١).
ووضع الرقابة على الولاية والعمال، واستخدم الحزم مع أي انحراف أو مخالفة من قبل أحد منهم.

وكان من أهم برامج الإصلاح تطبيق العدالة والمساواة بين الناس في العطاء، بعدما عانى الناس من التمييز بينهم، مما عمق الطبقيّة، وراكم الثروات عند طبقة، وزاد الفقر عند باقي الطبقات.

وقد واجهته ضغوط كبيرة، لكنه ثبت أمامها، وأصرّ على نهج العدل والمساواة، صارخاً في وجوه المعترضين: «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فَيَمَنُّ وُلَيْتُ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، لَوْ كَانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا المَالُ مَالُ اللَّهِ»^(٢).

ثقافة التغيير والإصلاح

لكي تشق برامج الإصلاح طريقها في ساحة الأمة، لا بُدَّ من ثقافة داعمة، تشجع الناس على تجاوز ما ألفوه من عادات سيئة، وأفكار غير صحيحة، وتحصنهم من تأثيرات مراكز القوى المضادة لعملية الإصلاح، وتخلق بيئة مناسبة للتغيير.

وهذا ما توجه إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسيرة حكمه، حيث أردف قراراته الإصلاحية بهجوم ثقافي، لإحياء قيم العدل والصلاح في نفوس الناس، ولمواجهة تيارات الفساد والانحراف. فهو عليه السلام يقوم بمهمته خليفة حاكماً وإماماً مرشداً في الوقت نفسه. لذلك كان التراث الفكري والمعرفي لعلي عليه السلام متميزاً في الكم والكيف عن بقية

(١) نهج البلاغة. خطبة رقم ١٥.

(٢) نهج البلاغة. خطبة رقم ١٢٦.

الخلفاء، حيث نقلت عنه المصادر عدداً كبيراً من الخطب التي ألقاها على جماهير الناس، والرسائل التي وجهها لولاته وموظفيه، والوصايا التي خاطب بها أصحابه ومن حوله. وقد جمع الشريف الرضي رحمته الله مختارات من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، في كتابه المشهور نهج البلاغة، ضم ٢٣٩ خطبة، و ٧٩ رسالة، إضافة إلى عدد ضخم من قصار الكلمات، لكنها لا تمثل إلا جزءاً من تراث الإمام. وقد انبرى أحد العلماء المحققين المعاصرين هو الشيخ محمد باقر المحمودي (١٣٤١-١٤٢٧هـ)، لجمع سائر خطب الإمام ورسائله ووصاياه، فكانت أضعاف ما تضمنه نهج البلاغة، وطبع هذه الموسوعة في ثمانية أجزاء تحت عنوان: (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، واشتملت هذه الموسوعة على ٤٠٩ خطبة، و ١٨٥ رسالة، و ٦٥ وصية، و ١٠٥ دعاء.

ومما يشير إلى هذا الجهد المعرفي الثقافي الذي بذله الإمام علي عليه السلام مدة خلافته -على قصرها- ما ذكره المؤرخ المسعودي (توفي ٣٤٦هـ) في مروج الذهب حيث قال: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعائة ونيف وثمانون خطبة)^(١).

وقد نقل مثل ذلك أحمد ابن إسحاق اليعقوبي (من علماء القرن الثالث الهجري) في كتابه (مشكلة الناس لزمانهم) قال: «وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربع مئة خطبة حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم وكلامهم»^(٢).

هذه رؤوس أقلام سريعة عن تجربة علي عليه السلام وسيرته في الإصلاح والتغيير، تلك التجربة التي حملته أشد العناء، حيث خاض ثلاث حروب قاسية، حرب الجمل وصفين والنهروان، وما كان لأحد غير علي عليه السلام أن يصمد أمام تلك الضغوط الهائلة، ليقدم للأمة وللأجيال البشرية خير تجربة في ممارسة الإصلاح وإقامة الحكم العادل الرشيد، كما

(١) علي بن الحسين المسعودي. مروج الذهب ج ٢، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، (قم: دار الهجرة)، ص ٤١٩.

(٢) أحمد بن إسحاق اليعقوبي. مشكلة الناس لزمانهم، الطبعة الأولى ١٩٦٢م، (بيروت: دار الكتاب الجديد)، ص ١٥.

قال عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ عَنْهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا»^(١) وقدم حياته ثمناً لهذا النهج الإصلاحى، حيث قضى شهيداً فى محراب صلواته، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

(١) نهج البلاغة. خطبة رقم ٩٢.

الإمام علي عليه السلام ووحدة الأمة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٢٨ هـ

في قراءتنا لشخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يجب علينا أن نجتهد في إعادة فهمنا له، وذلك انطلاقاً من وحي عصرنا وظروفنا، فعلي بن أبي طالب كتاب عميق المضامين، يتجدد في كل عصر وفي كل ظرف، ويستطيع كل جيل من الأجيال أن يقرأ من هذا الكتاب ويأخذ منه ما ينفعه لواقعه، ولإصلاح شؤونه. وفي قراءتنا علينا ألا نكون أسارى لقراءات السابقين، فكل جيل يقرأ علياً من وحي فهمه وبيئته، فهناك من قرأ علياً كحالة إعجازية غيبية، كسائر الأولياء الذين يعطيهم الله سبحانه وتعالى مجالاً لخرق العادة وتجاوز المؤلف، حينما تقتضي حكمته تعالى وإرادته ذلك، ولكنها حاله استثنائية؛ لأن الأصل في علي وبقية الأئمة والأنبياء - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام - أنهم بشر، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف، الآية: ١١٠]، فالأصل في حياتهم الحالة البشرية الطبيعية، ولا تكون المعجزة أو الكرامة إلا حين تتطلبها حاجة الرسالة والدعوة.

التركيز على الحالة الإعجازية

إن بعضنا يريد أن يبرّر لنفسه عدم الاقتداء بالأنبياء والأئمة عليهم السلام، فيصورهم كحالة غير بشرية، حتى يكون معذوراً أمام نفسه وأمام الآخرين في حال لم يقتد بهم، إذ لا يمكن الاقتداء والتطابق بين حالة بشرية وأخرى غير بشرية.

هذا بالإضافة إلى ما توارثناه من تصور عن الإنسان البطل، حيث نرسم له صورة

في أذهاننا وكأنه رجل خارق للعادة، وهو تصور بشري عام، فترى مسلسلات الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال، تُظهر البطل دائماً على شكل إنسان خارق، وصاحب قوة جسدية عظيمة، ولديه قدرات غير طبيعية.

وإذا كنا لا ننكر أصل حدوث المعجزات والكرامات للأنبياء والأولياء، بإذن الله تعالى، وليس بقدرة ذاتية منهم، كما تحدث القرآن الكريم عن معجزات الأنبياء كنبى الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٩]، وكما ورد في القرآن الكريم من كرامة للسيدة مريم بنت عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٧].

إضافة إلى ما يرويه المسلمون من معجزات رسول الله ﷺ، وما ترويه مختلف طوائف الأمة من كرامات لبعض الصحابة والأئمة والأولياء.

لكن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، إنما يأذن الله تعالى بتحققها على أيديهم في حالات استثنائية، تقتضيها حكمته وإرادته، وليست حالاً دائماً، ولا بيد النبي أو الولي، لذلك ردّ النبي محمد ﷺ طلبات المشركين منه فعل الخوارق، كأن يفجر عين ماء جارية من الأرض، أو يسقط عليهم كسفاً من السماء، أو يصنع بيتاً من ذهب... فأجابهم كما يقول تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩٣].

إلا أن هناك شيئاً من المبالغة والغلو في تراث الطوائف والمذاهب، حول حصول المعجزات والكرامات للأنبياء والأئمة والأولياء، ولا يصح أن نقبل منها إلا ما جاء بسند معتبر، ولم يخالف شيئاً من ثوابت الكتاب والسنة.

التركيز على جانب المأساة

وهناك قسم من المحييين قرأ علياً ؑ كحالة مأساة، وهذه جنبه واقعية في حياة الإمام علي ؑ، فقد تعرض ؑ لظلمات كثيرة في حياته، وحتى بعد مماته، ولكن فاعلية جهده وجهاده أكبر من أن تحجّم في زاوية المأساة والظلامه.

إن بعضنا يصف ما يقرب النصف من حياة أمير المؤمنين ؑ بأنها فترة انطواء وانعزال، وأنه لم يقم بأي عمل عام بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أن تولى الخلافة، أي طوال خمس وعشرين سنة (ربع قرن من الزمن) لم يصنع شيئاً ولم يقم بأي دور!

إن من يُصِرُّ على أن علياً كان جليس داره، منطوياً على نفسه، يشعر بالأسى والحسرة على نزع الخلافة منه، ولا يشعر بأي مسؤولية تجاه واقع الأمة، فهو غافل عن أن هذا لا يتناسب مع فكر الإمام علي ونهجه وتوجيهاته ؑ، ولا يتفق مع ما سجله التاريخ عن دوره ومواقفه في تلك المرحلة.

لقد كان الإمام علي ؑ يقول للناس: « اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ »^(١)، إن الخلافة - عند الإمام علي ؑ - لم تكن قضية أساس، بحيث يجمّد حياته إن لم يحصل عليها، لأن التطلع للمناصب يمكن أن يخالج نفوسنا نحن، فإذا لم نحصل على ذلك المنصب أو الموقع نشعر وكأننا فقدنا دورنا في هذه الحياة، لذلك تجد بعضنا ينكفئ على نفسه، ويشعر بالأسى لفقدانه منصباً كان يتطلع إليه، أو موقعاً كان يحتله، لكن علي بن أبي طالب لم يكن هكذا، لأن الخلافة لم تكن في يومٍ من الأيام غاية مطمحها. يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ دَخَلْتُ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؑ بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: « مَا قِيَمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ » فَقُلْتُ: « لَا قِيَمَةَ لَهَا، » فَقَالَ ؑ: « وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَقًّا أَوْ أَذْفَعَ بَاطِلًا »^(٢).

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٣٣.

إننا عندما نعرف نظرة الإمام علي عليه السلام لقيمة هذه المناصب، لا يمكننا أن نحصر حياته بين وفاة الرسول ﷺ وتسلمه الخلافة بأنها عبارة عن حياة عزلة وألم، ولكن لأن بعض الأجيال كانت تعيش الانطواء والانكفاء، حاولوا أن يبرروا لأنفسهم ما كانوا يعيشونه من حال، ولكن الحقيقة عندما ندرسها بموضوعية نجد أن علي بن أبي طالب لم يتخلل عن وظيفته الرسالية يوماً واحداً، بل كان يتحمل المسؤولية دوماً تجاه الرسالة والأمة.

وفي هذه النقطة علينا أن نكون منصفين بحق واقعنا وتاريخنا، ذلك أن الشيعة في حقب تاريخية عديدة مورست عليهم ضغوط كثيرة، أجبرت الكثير منهم على الانعزال والانكفاء، وربما تكون هذه الحالة الاجتماعية التي وصلوا إليها بفعل بعض الظروف التي كان لها دور في تبرير واقعهم، وعدم انفتاحهم على بقية أوساط المسلمين، ولذلك قد تجد كثيراً من هذه الطروحات والخطابات تركز على جانب المأساة في حياة الإمام علي عليه السلام، وباقي الأئمة عليهم السلام انسجاماً مع الحالة العامة التي كان يعيشها غالب الشيعة.

إن القراءة التقليدية لحياة الإمام علي عليه السلام تحصر دوره بعد وفاة الرسول ﷺ في الجانب المأساوي، وتركز على دوره في حياة الرسول ﷺ وحين استلامه الخلافة فقط، وهذه القراءة لا تعطينا صورة واقعية عن الدور الذي مارسه الإمام، وبخاصة بعد وفاة الرسول ﷺ.

إن الدور الذي قام به الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ هو من أهم تجليات إخلاصه لمصلحة الدين والأمة، وسمو نفسه عن تأثير العواطف والمصالح الشخصية الذاتية.

لقد حفظ الإمام وحدة الأمة في ذلك الظرف الخطير، ورعى مصلحة الكيان الإسلامي الذي كان بحاجة إلى آرائه الصائبة، ومعرفته العميقة بمفاهيم الدين وتطبيقات أحكامه.

مفهوم الوحدة

إن مفهوم الوحدة قد يلتبس في أذهان بعض الناس، وكأن الوحدة إلغاء لخصوصيات طرف لحساب طرف، أو ذوبان جهة في أخرى، أو أنها تعني تنازل هذه الفئة عن شيء من قناعاتها من أجل الفئة الأخرى. وهذا الفهم الخطأ للوحدة هو الذي جعلها سراباً لا يمكن تحقيقه في واقع المسلمين؛ لأن البعض يتصور الوحدة تطابقاً تاماً على كل تفاصيل العقيدة والتشريع، وفي الآراء والتوجهات، وهذا يخالف طبيعة البشر، فما دامت لهم آراء ومصالح متعدّدة فلاختلاف وارد حتى ضمن العائلة الواحدة والمجتمع الواحد.

إننا حينما نربط بين الوحدة وبين التوافق والاتفاق على كل شيء، فإننا بذلك نبحث عن سراب الوحدة التي لا تتحقق، أما حينما ننظر إلى الوحدة على أساس التمحور حول القواسم المشتركة، والمصالح العامة، والانضواء تحت إطار يستوعب الجميع، ويحترم حقوق الجميع، ويعطي مجال التعبير عن الرأي، فإن هذه الوحدة يمكن أن تتحقق.

وقد حققتها الشعوب الأخرى، فهاهم الأمريكيون والأوروبيون واليابانيون والماليزيون والهنود والأمم الأخرى، قد حققوا درجات متقدمة من الوحدة، من دون أن يلغوا خصوصيات بعضهم بعضاً، أو أن يكون هناك حيف أو جور من جهة على أخرى، أو وصاية من طرف على آخر. وهذا هو الأمر الطبيعي الذي ينبغي أن يكون، ونحن عندما نتحدث عن الوحدة نتحدث عنها بهذا المفهوم.

وحينما نقرأ سيرة الإمام علي (عليه السلام) بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نرى أن الخلاف قد حصل حول تسلّم موقع الخلافة وقيادة الأمة، وكان الإمام يرى نفسه صاحب هذا الحق، وأنه الأولى بهذا الموقع، لكنه لم يجعل ذلك سبباً للصراع والصدام، بل احتفظ برأيه، دون قطيعة مع مخالفيه، ولم ييخل عليهم بنصيحته، ولم يتوان عن بذل جهده في خدمة الدولة والأمة.

هذا الموقف الرسالي للإمام علي لم يستوعبه البعض من السنة والشيعة، حيث فسّر فريق بيعة الإمام علي للخلفاء وتعاونه معهم بأنه دلالة على تخلي الإمام علي عن رأيه في أحقيته بالخلافة، بينما أنكر الفريق الآخر أي علاقة إيجابية بين الإمام علي والخلفاء، وكلا الرأيين يفتقد الموضوعية والإنصاف، فالإمام علي مع احتفاظه برأيه، إلا أنه قدم المصلحة العامة للأمة، بالحفاظ على وحدتها وتسديد مواقف زعامتها.

مسارات الوحدة

واستلهاماً من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، واقتباساً من رؤيته الواعية، يمكننا أن نفصل الحديث عن الوحدة في ثلاثة مسارات:

الأول: الوحدة الاجتماعية

نحن كمجتمع نعيش في منطقة واحدة، ضمن إطار مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، نمثل حالة اجتماعية، تجمعنا ثقافة واحدة متقاربة، ونعيش همومًا وطموحات واحدة، ونتمتع لهوية دينية واحدة، ولحفظ هذه الهوية ووصولاً إلى تنمية مجتمعاتنا وتطويرها، يجب أن يكون هناك تعاون بين قوى هذا المجتمع وفعالياته، وهذا لا يعني التوافق في جميع الآراء والأفكار، كما يصور ذلك بعضنا، فيفهم أن لازم ذلك أن يقلد أبناء المجتمع مرجعاً واحداً - مثلاً -، وكأن الدعوة إلى الوحدة ضدّ واقع تعدد المراجع، أو أن تكون ممارساتنا لبعض الشعائر واحدة، وعلى نمط وأسلوب واحد، فتكون الوحدة وكأنها دعوة إلى مخالفة الطبيعة الإنسانية، نحن حينما ندعو إلى الوحدة الاجتماعية، إنما ندعو إلى توحيد المواقف العامة فيما من شأنه أن يؤثر على المجتمع ككل، مع احترام حرية الرأي، لأن تعدد الآراء والتوجهات أمر طبيعي، وحالة صحيحة في أي مجتمع، فهو يعبر عن حالة من الثراء وحرية الرأي والفكر.

وفي مقابل هذا التعدد في الآراء والأفكار هناك مصالح مشتركة تجمعنا، وسقف

واحد يظننا جميعًا، وهذا ما يجب أن نبحث عنه وأن نجتمع عليه.
وقد بدأ مجتمعنا - بحمد الله - تجاوز الكثير من الإشكالات التي كانت موجودة في بعض الأوقات، فكان اختلاف المدارس الفقهية والفكرية داخل المجتمع الشيعي الواحد سببًا للنزاع في بعض الأحيان، وللقطيعة في أحيان أخرى، فيما بين: الأصولي والإخباري والشيخي، ولكن حاليًا ما عاد هذا التنوع في المدارس سببًا للنزاع أو الاختلاف، إلا ضمن رواسب وبقايا قليلة غير مؤثرة.

وفي وقت من الأوقات كانت هناك صراعات مرجعية، فجماعة تتعصب لمرجع، وأخرى لمرجع آخر، ولا تُجوز تقليد مرجع الجماعة الأخرى، لتأتي فتوى من هنا تؤيد مرجعًا، ويقابلها فتوى ضد ذلك المرجع، في حالة من الصراع والاحتراب الكلامي الاجتماعي.

كما أنه في بعض المراحل كان هناك تباين واضح في التوجهات والآراء السياسية، أدى في بعض أشكاله إلى نوع من الصراع والنزاع بين أتباع كل توجه، ولكننا الآن نعيش تقاربًا في التوجهات السياسية، ولم يعد هناك تباين كبير، ولم يبقَ منها إلا حالة التنافس الطبيعي بين التوجهات والتيارات والأشخاص، وهذه حالة طبيعية، ما دامت محكومة بالأخلاقيات، فما حدث خلال عملية الانتخابات البلدية في المنطقة سنة ١٤٢٦هـ من تنافس بين مرشح وآخر، أو بين قائمة وأخرى هو حالة طبيعية تحصل في كل المجتمعات.

وما دمننا قد تخلصنا من النزاعات على أساس الانتماء المدرسي (أصولي وإخباري وشيخي)، وكذلك على أساس الانتماء المرجعي، ولم تبقَ عندنا نزاعات حادة على أساس تباين الآراء والتوجهات السياسية، فهذه مرحلة متقدمة في سبيل تحقيق الوحدة الاجتماعية، إذ لم يبقَ أمامنا إلا موضوع التنافس بين التيارات والمجموعات أو بين الأشخاص، وهذا أمر مشروع لا يمكن - ولا ينبغي - إلغاؤه.

هنا علينا أن نذكر بأهمية أخلاقيات التنافس، وأن نرشد هذه الحالة من التنافس، فلا يكون فيها إسقاط أو تعدد على الآخرين ليبقى التنافس في إطاره وموضوعه. وفي مسألة الوحدة الاجتماعية ينبغي الإشارة إلى ثلاث نقاط، هي:

١. سعة الصدر في اختلاف الرأي

علينا أن نتسع صدورنا للاختلافات الجانية، فالتطابق في الآراء ليس مطلوباً، بل علينا أن نقبل الرأي والرأي الآخر؛ لأن بعضنا ينزعج من مسألة الاختلاف، حتى في بعض المسائل الفرعية، كثبوت هلال الشهر في هذا اليوم أو سواه، أو توقيت هذه المناسبة الدينية في هذه الليلة أو سواها، وصحيح أن اتفاق الرأي فيها يحفظ مظاهر الوحدة الاجتماعية، لكن هذا الاتفاق لا يمكن أن يكون قسرياً مع اختلاف القناعات، في موضوع يرتبط بجانب عبادي كالصوم مثلاً، فليعمل كل بما يراه تكليفه الشرعي، والاختلاف في مثل هذه الأمور يجب أن تتسع له صدورنا، وأن لا يتضخم في نفوسنا، ولكن ما يؤسف له أن بعضنا لا يزال يعيش ضيقاً في الأفق، فيقضي أوقاته يتحدث عن تلك الجماعة التي فطرت هذا اليوم وتلك التي صامت .. ينبغي أن نتجاوز هذه الحالة، نحن ضد من يمارسون في مجتمعنا دور الوصاية على الآخرين، فيما أن يؤخذ برأيهم وطريقتهم وإلا فإنهم يكيلون التهم ويخرجون من يخالفهم من الدين والمذهب.

إننا في الوقت الذي نستنكر على الآخرين أن يمارسوا الوصاية علينا، كيف نقبل أن نمارس الوصاية على بعضنا بعضاً؟!، إننا يجب أن نكرس حالة التنافس الإيجابي، وألاً نسمح لأي جهة من الجهات أن تدعي لنفسها أنها - وحدها - تمثل الدين والشرعية والوصاية، فلا أحد يحتكر الشرعية، فهذه الجهة عندها رأي والجهة الأخرى لها رأيها المخالف، ولا أحد يستطيع ادعاء أنه يمثل الأصل فيما غيره فروع، أو أنه يمثل الدين الحق وغيره خارج عن الدين، لقد تجاوزنا عقلية الوصاية، وانتهت هذه الممارسات، وهذا النوع من التعامل مع الآخرين، فالجمهور الآن يعي دوره ويثق بنفسه، ولذلك علينا أن

نكرس هذه الحالة، وأن تتسع صدورنا لبعض الاختلافات الداخلية، وألا نتضخم في نفوسنا، وألا نسمح للبعض أن يصنع منها قضية يفرق بها بين الناس.

٢. نشر ثقافة التسامح

يتحمّل قادة المجتمع ونخبه مسؤولية كبيرة في نشر ثقافة التسامح الداخلي بين التيارات والتوجهات المختلفة، ووضع حد لحالات التبعئة والتعبئة المضادة، لأننا في هذه المرحلة علينا أن نؤكد على ما يجمعنا كأتباع لأهل البيت عليهم السلام، ومنتهم إلى خطهم ومدرستهم، وراجين لشفاعتهم، وأن يجمعنا الله تعالى يوم القيامة معهم.

وفي هذه النقطة ترد رواية جميلة عن الإمام الصادق عليه السلام يخاطب فيها بعض أصحابه، فيقول: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات»^(١).

إن تفاوت الآراء ودرجات الإيوان ومستويات التفكير لا يعني القطيعة، ولا المبالغة في مسألة المعاتبه، علينا أن نرفض ثقافة التبعئة الداخلية، وأن نقف أمام من يروج لها، وعلى الجمهور أن يصل إلى الدرجة التي يقف فيها أمام أي جهة دينية أو اجتماعية تمارس هذه الأساليب الملتوية.

٣. الالتفاف حول المؤسسات

نحن الآن نعيش في عصر نحتاج فيه إلى الأعمال المؤسساتية، التي تقوم على بناء المجتمع ثقافياً ودينياً واجتماعياً، وهي ما تسمى «مؤسسات المجتمع المدني»، وذلك من قبيل: الجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية، وصناديق الزواج الخيري، وكافل اليتيم، ومهرجان الزواج الجماعي، ومراكز تعليم القران، والمنتديات، بل علينا أن نحول جميع أنشطتنا إلى مؤسسات.

فالمسجد يجب أن تديره إدارة جماعية مرضية من أهالي الحي، وبخاصة أننا نرى

(١) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ١٦٨.

بعض الأحياء وقد شكّلت لها مجلساً للحي منتخباً من قبل أبناء الحيّ، ونتمنى أن يتبني كل حيّ ومنطقة هذه الفكرة الإيجابية، فهذه الحالة المؤسساتية هي التي تساعدنا على التلاحم والتعاون على حفظ وحدتنا وخدمة مجتمعتنا.

وتجربة مجالس الأحياء تجربة جديدة رائدة، ومن المفيد أن يطبّق فيها مسألة التنافس الإيجابي على أساس الكفاءة والفاعلية.

وهذا أمر يسري إلى جميع مؤسساتنا الاجتماعية، حيث من المفترض أن تعمّمها حالة من تجديد الإدارات والمسؤولين، ويجب أن يختار المرشّح الأكفأ، والأكثر فاعلية ونشاطاً، فيطبّق هذا في الجمعيات الخيرية، والنادي الرياضي، والانتخابات البلدية، وانتخابات غرفة التجارة وغيرها.

وفيما يخصّ إمام الجماعة، فمن الناحية العملية يقوم كل فرد منّا بالذهاب إلى إمام المسجد الذي يرغب في الصلاة خلفه، فيصلّي خلف مَنْ يثق بتقواه وورعه ويشعر أنه يستفيد من توجيهاته، بغض النظر من أيّ منطقة كان، وأيّ مرجع يقلد، وإلى أيّ عائلة ينتمي، فيكون المقياس عنده هو مقياس الكفاءة، وهذا هو المقياس الذي ينمي ويطور المجتمع.

هذه النقاط الثلاث هي التي تساعدنا على حفظ وحدتنا الاجتماعية.

الثاني: الوحدة الوطنية

الوحدة الوطنية موضوع حسّاس خطير، وبخاصة في هذا الوقت الذي تمرُّ به الأمة الإسلامية، وما يتهدهدها من أخطار تمسُّ وحدة أوطانها وبلدانها، ذلك لأن الإدارة الأمريكية ترفع شعار الفوضى الخلاقة في منطقتي الشرق الأوسط، فهم يريدون أن يقسموا المقسم وأن يجزئوا المجرأ، ولذلك نرى ما يحصل في العراق، لتعزيز هذه الفوضى الخلاقة التي يراد نشرها في عموم المنطقة.

وفي فلسطين التي يجثم عليها الاحتلال الصهيوني، ويعاني الشعب الفلسطيني

الآلام والويلات، في كل يوم قصف وتدمير لمنازل واغتيال لقيادات وآلام وسجون، ومع ذلك هناك تشجيع واضح من قبل الأمريكيين والإسرائيليين وحلفائهم للاحتراب الداخلي بين الفلسطينيين، والوضع ينذر بالخطر، نسأل الله أن يوفق الفلسطينيين وأن يساعدهم لتجاوز هذه المحنة. كما أن الدور الأمريكي في لبنان لمنع التوافق بين اللبنانيين ليس خفياً على أحد.

وهكذا ما يجري في الصومال ودارفور في السودان، ولا أريد هنا أن أُحْمَل الخارج كل المسؤولية، فلولا الأرضية الخصبة، والثغرات في داخلنا، ولولا نقاط الضعف، لما وجد الأعداء فرصة لتشجيع الفرقة والفتنة في أوساطنا، ولذلك علينا أن نكون حذرين وواعين جيداً، لأنه كلما حصل هناك تهديد للمصالح الأجنبية أثرت الفتنة الطائفية من جديد، فعندما سقط شاه إيران الذي كان يحمي المصالح الغربية والأمريكية في المنطقة، واجهت المنطقة ضحاً للتعبيء الطائفية، وتأجيجاً للفتنة المذهبية، وعندما حصل انتصار للمقاومة وحزب الله في لبنان صدرت فتاوى وحصل ضخ جديد لهذه الفتنة المذهبية.

هذا دليل على أن هناك من يستفيد ومن يدعم، ولكن في الأصل هناك أرضية وثغرات ونقاط ضعف علينا أن نعالجها، وإلا فإن الأعداء سيستثمرونها لزرع الفتنة بيننا، من هنا يجب أن نكون حريصين في تأكيد مسألة الوحدة الوطنية داخل بلداننا، فبلادنا مستهدفة، وهناك ثغرات يمكن أن ينفذ منها الأعداء، فلا بد من تصليب الوحدة الوطنية، بتعميق وتطبيق مفهوم المواطنة، ليعيش الناس متساوين في حقوقهم وواجباتهم، وألاً نسمح - على مستوى الوطن - بثقافة الكراهية والتحريض من هذه الفئة على فئة أخرى، ومن هذه الجهة على جهة مقابلة.

والخطاب ليس موجهاً إلى فئة دون أخرى، فمنابرنا الدينية في مساجدنا وحسينياتنا، وكذلك وسائل الإعلام، والخطب في المساجد، والفتاوى يجب أن يكون هناك حذر من أن تكون هذه الوسائل أداة لخدمة مشاريع الفتنة التي تريد إشغال المسلمين

وإبراك ساحتهم.

ونحن عندما نركّز على مسألة الوحدة فذلك لأن الفتنة إذا وقعت في مجتمع فإنها لا تبقي ولا تدر، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

وفي مسألة الوحدة الوطنية يجب التركيز على نقطة مهمّة، ذلك أن كل بلد من بلدان العالم تتنوّع فيه الانتهات والمذاهب، ومن الطبيعي أن تمارس كل مجموعة من هذه المجموع شعائرها وممارساتها الخاصّة، ولا يمكن عدّ ممارسة الخصوصيات لأيّ طائفة من الطوائف حالة طائفية، ما دام يحافظ على خصوصيته دون المس بالآخرين، ومن غير المقبول أن نمنع الناس من ممارسة خصوصياتهم وشعائهم المذهبية، بحجة الحفاظ على الوحدة، فالوحدة لا تعني إلغاء الخصوصيات. والمطالبة بالحقوق ليس إثارة للطائفية، ولكن ينبغي أن تكون المطالبة من خلال النهج الوطني الذي يحفظ الوحدة، فمساحة التعبير عن الرأي، والمطالبة بالحقوق، وعرض المشاكل في وسائل الإعلام، وعبر القنوات الرسمية، ومختلف السبل. ضمن سقف الوحدة الوطنية أمر مطلوب، ولا يخالف مبدأ الوحدة، لأنّه لا يعدو عن كونه تعبيراً عن الرأي، فالوحدة الوطنية لا تعني أن يكون هناك رأي واحد سائد ولا يحق للآخر أن يطرح رأيه.

الثالث: وحدة الأمة

الوحدة على صعيد الأمة إنما تكون بالتأكيد على المشتركات، وعلى احترام حق الإسلام لمن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ»، فهو مسلم له حقوق الإسلام دون النظر لأيّ مذهب انتمى جاء في صحيح البخاري: (من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم)^(١).

(١) صحيح البخاري. ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٩٣.

وهذا ما ورد في مقررات بيان قمّة مكة الاستثنائية سنة ١٤٢٦هـ، حيث أكدت التوصيات على الاعتراف بمختلف المذاهب الإسلامية، وأنهم مشمولون بعنوان الإسلام، فلا يجوز الاعتداء على دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

وهنا نعود لسيرة ومنهج الإمام علي عليه السلام، لتعرّف الأسلوب الصحيح والمتوازن في معالجة مسألة الخلاف الإسلامي الإسلامي، ذلك أن الخلاف بين أهم فريقين من المسلمين (وهما الشيعة والسنة) ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ففي حين يذهب الشيعة إلى حق الإمام علي عليه السلام في الخلافة، وذلك لأفضليته عندهم، ولكثرة النصوص الواردة لدى الفريقين التي يفهم منها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام تأكيداً على حق الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بينما يرى بقية المسلمين أنها مجرد إشادة بفضله، وتذكير بمقامه ومناقبه، لذلك فالاختلاف ينحصر في تفسير النصوص، وإلا فهي نصوص متفق على أكثرها، كحديث الغدير، وحديث الثقلين، والأحاديث الأخرى التي لسنا الآن في وارد ذكرها والتفصيل فيها.

والإمام علي عليه السلام عاش تلك المرحلة الحساسة، ولذلك علينا أن نتلمّس طريقة الإمام علي عليه السلام في تعامله مع مخالفيه حينها.

أمير المؤمنين عليه السلام كان رجل الوحدة ورائدتها، ففي الوقت الذي يرى نفسه صاحب الحق في الخلافة والإمامة، كما عبّر عن ذلك فيما بعد في إحدى خطبه المروية عنه، والمعروفة بالخطبة الشقشقية، فقال عليه السلام: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَزِقُّنِي إِلَيَّ الطَّيْرُ»^(١)، وقد كان بإمكانه أن ينبري للدفاع عما يعتقد أنه حق له، وكان يعلم أن في توليه الخلافة مصلحة للأمة والرسالة، ولكنه وجد أن هذا التصدي وهذا الموقف يضر بالمصلحة العامة في ذلك الظرف، ولذلك لم يطالب بحقه، حتى عندما جاء إليه أبو سفيان وصار يهتف: «إني لأرى عجاجة لا

(١) نهج البلاغة. خطبة رقم ٣.

يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأدلّان علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً فزجره علي وقال: «والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك»^(١)، فلم يستجب له، ولم يرحب به، ولم يقع في الفخ الذي كان يريده له أعداء الأمة، وإنما أعلن: «والله لأسلمنّ ما سلّمتمّ أمورُ المسلميّنّ ولم يكن فيهما جورٌ إلا عليّ خاصّة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»^(٢).

لقد امتنع الإمام علي عن بيعه أبي بكر أياماً أو شهوراً، كما ذكرت المصادر التاريخية، لكنه حين رأى جدية خطر الردة عن الإسلام، وإمكانية تعرض كيان الأمة للاهتزاز، بحصول أي خلاف وتنازع، انضوى تحت راية الخلافة، كما يقول عليه السلام فيما روي عنه: «فَمَا رَاعِنِي إِلَّا انْتِبَالُ النَّاسِ عَلَيَّ فَلَانَ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْتِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَخَشَيْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلْمًا أَوْ هَدْمًا، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَايَتِكُمْ»^(٣).

إن علي بن أبي طالب تحمل مسؤوليته، فكان مع الخلفاء ومع الأمة، يحضر المسجد، ويشارك في صلاة الجماعة، يُستشار، ويشير فيعطي رأيه، وينفذ الأمة، ويساعد الخلفاء في مواقف كثيرة.

فهناك أكثر من تسعين موردًا في قضايا عسكرية واقتصادية وسياسية ودينية استشار فيها الخليفة عمر الإمام علياً وأخذ برأيه، سجلها مع ذكر مصادرها الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء)^(٤).

(١) الكامل في التاريخ. ج ٢، ص ١٠.

(٢) نهج البلاغة. خطبة رقم ٧٣.

(٣) نهج البلاغة. كتاب رقم ٦٢.

(٤) نجم الدين العسكري. علي والخلفاء، ١٣٨٠ هـ، (النجف الأشرف: مطبعة الآداب).

ولذلك نتساءل: كيف كان يستشير عليّ بن أبي طالب إن لم يكن يثق بعلي ويطمئن إلى رأيه؟ عليّ عليه السلام ما كان ينظر إلى الخلفاء كأعداء يكيد لهم ويسعى للانتقام منهم، وهم في المقابل كانوا ينظرون لعليّ كمعين ومساعد فيما هو لمصلحة الأمة والدين، وإلا لو كان عمر وأبو بكر ينظران لعليّ كعدو لما رجعا إليه ووثقا برأيه، والإمام علي - في المقابل - ما كان يتعامل من موقع العداوة الشخصية، وإنما كان يحضهم النصيحة ويشير عليهم بما ينفع الأمة وكيان المسلمين آنذاك، حتى أُثِرَ عن الخليفة عمر أنه كان يتعوذ باللّٰه من معضلة ليس لها أبو الحسن عليّ عليه السلام ^(١)، وعن يحيى بن عقيل - كما في ذخائر العقبى ^(٢) -: قال كان عمر يقول لعليّ إذا سأله ففرج عنه، لا أبقاني اللّٰه بعدك يا عليّ. وعن أبي سعيد الخدري، أنه سمع عمر يقول لعليّ وقد سأله عن شيء فأجابه: أعوذ باللّٰه أن أعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن، وروى - أيضاً - عن عمر قوله: «لولا عليّ لهلك عمر» ^(٣)، ودعاؤه أيضاً «اللّٰهم لا تنزل بي شدة إلاّ وأبو الحسن إلى جنبي» ^(٤)، ونصوص كثيرة في كتب التاريخ وكتب الفريقين.

ومع أن الإمام عليه السلام أبدى عدم رضاه عن بعض السياسات عهد الخليفة عثمان، وبخاصة دور البطانة التي كانت حول الخليفة، إلاّ أنه ما انفك يقدم النصيحة والرأي لعثمان، وحاول كثيراً أن يعالج موضوع التمرد على الخليفة، فكان واسطة وسفيراً بين المعارضين والخليفة أكثر من مرة، ولكن الأمر خرج من يده، وحينما حوصر عثمان ومُنِع عنه الماء استنجد بعليّ، فبعث الإمام ولديه الحسينين بِقَرَبِ الماء حتى يدخلوها إلى بيت عثمان ^(٥).

(١) كنز العمال. ج ١٠، ص ٣٠٠، حديث ٢٩٥٠٩.

(٢) أحمد بن عبد اللّٰه الطبري. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (جدة: مكتبة الصحابة)، ص ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه. ص ١٤٩.

(٤) المصدر نفسه. ص ١٤٩.

(٥) تاريخ الطبري. ج ٣، ص ٤١٧.

وفي نصوص تاريخية مذكورة في مختلف كتب السنة والشيعة أمر ولديه الحسين أن يبقيا على باب عثمان حراسةً له^(١)، ولكن المعارضين تسلقوا من بيوت الجيران على دار الخليفة.

هكذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا ما يجب أن يكون عليه نهج محبيه وأتباعه، فإلى آخر لحظة من لحظات حياته عليه السلام كان يهتم بوحدة الأمة، فقد كان يعلم أن قاتله الشقي ابن ملجم ينتمي إلى الخوارج، ويعرف أنهم من دفعوه إلى ارتكاب هذه الجريمة، لكنه ما أراد لمقتله أن يكون سبباً جديداً لمشكلة في واقع الأمة، ولذلك قال في وصيته: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُلْفَيْتُكُمْ تَحُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَوْضاً تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي، انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ صَرَبَتِهِ هَذِهِ، فَاصْرُبُوهُ صَرْبَةً بِصَرْبَةٍ وَلَا تُمْتَلُوا بِالرَّجُلِ»^(٢).

إن سيرة علي تؤكد إخلاصه العميق للدين، وحرصه الشديد على وحدة الأمة، فهو يتعبد إلى الله تعالى بالحفاظ على الوحدة، ويتمسك بها كطريق إلى ثواب الله ورضوانه، فالوحدة مبدأ ديني، وفريضة شرعية، قبل أن تكون قضية سياسية أو مصلحة وقتية، وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: «وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَأَلْفَتَهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ الْمَاءِ، وَسَافِي بِالَّذِي وَأَيْتَ عَلَى نَفْسِي»^(٣).

(١) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. الإمامة والسياسة ج ١، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه)، ص ٤٢.

(٢) نهج البلاغة. خطبة رقم ٤٧.

(٣) نهج البلاغة. كتاب رقم ٧٨.

الجمعة والتواصل الاجتماعي

خطبة الجمعة بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٨ هـ

هناك صلة وثيقة بين مستوى ارتباط الإنسان بمحيطه الاجتماعي، وبين استقامة السلوك ودرجة الفاعلية والإنتاج.

فكلما كانت علاقة الإنسان بمجتمعه وثيقة دافئة، كان أقرب إلى الاستقامة والصلاح في سلوكه وسيرته، وأكثر اندفاعاً للفاعلية والإنتاج.

بينما يساعد الفتور والبرود في العلاقات الاجتماعية على ظهور ونمو السلوكيات المنحرفة الخاطئة.

وقد تحدث بعض المفكرين والباحثين الغربيين عن تأثير ضعف العلاقة في مجتمعاتهم بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، في بروز الظواهر السلبية والإجرامية، كمرض الاكتئاب، والشعور بالإحباط، وشدة القلق، وسائر الأمراض النفسية، وكذلك ظاهرة الانتحار التي يتسع مداها في المجتمعات الغربية المعاصرة. مع كل ما يتوفر للإنسان هناك من وسائل الراحة والرفاه المادي.

إن بلداً مثل سويسرا التي تحظى بمركز متقدم في الاقتصاد والتقنية ومستوى المعيشة والتعليم، هي من بين أكثر الدول التي تنتشر فيها حالات الانتحار لا سيما بين الشباب.

وطبقاً لبيانات المكتب الفيدرالي السويسري للإحصاء يقدم نحو ١٣٠٠ شخص سنوياً على الانتحار، ٩٠٠ منهم رجال، والبقية نساء، أي بمعدل ٤ حالات في اليوم،

وهو معدل يثير القلق في بلد ينعم بالرفاه والاستقرار السياسي، ويصل عدد سكانه إلى نحو ٧, ٥ مليون نسمة.

وقد وضع عالم الاجتماع الفرنسي (اميل دوركايم ١٨٥٨-١٩١٧م) تفسيرين لمشكلة الانتحار يؤولان إلى جذر واحد، وهو تأثير المحيط الاجتماعي.

يتحدث التفسير الأول منها عن علاقة وثيقة بين الانتحار وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي، وذلك عندما تفقد المجتمعات المعايير والقيم التي تدعو إلى الترابط والتماسك، فكلما ضعفت تلك القيم ازداد الشعور بالانفراد والعزلة وحب الذات، فترتفع احتمالات إقدام الفرد على الانتحار عند تعرضه لأي أزمة، إذ يعتقد الفرد في هذه الحالة أنه صاحب القرار.

أما التفسير الآخر فيربط بين الانتحار والمتغيرات السريعة التي تمر بها المجتمعات، وعدم قدرة الشخص على التكيف معها، مثل الفشل في العثور على عمل، أو عدم تحقيق الأحلام والأمنيات المتعلقة بمستقبل أفضل.

وقد درس (دوركايم) آلاف حالات الانتحار ليثبت مصداقية نظريته التي شرحها في كتابه (الانتحار).

ويؤكد باحثون غربيون على عدم قدرة المجتمعات الأوربية على إيجاد روابط بين الناس تتماشى مع سرعة التحولات التي تمر بها، ليس من الناحية الاقتصادية فحسب، بل أيضاً على صعيد العلاقات الأسرية والشخصية، فيحدث نوع من الانفصال بين الشخص والمجتمع، ولا يعود يجد رابطاً بينه وبين الآخرين، ثم يشعر وكأنه غريب ومعزول^(١).

إن مجتمعاتنا الإسلامية التي كانت تتمتع بدرجة عالية من الاستقرار والتماسك الاجتماعي، وكانت تحتضن أبناءها بدفء واهتمام، أصبحت هي الأخرى مهددة بفقد هذه الميزة العظيمة، بسبب التحولات الاقتصادية والثقافية التي لم يواكبها تأهيل قيمي،

(١) تامر أبو العينين. الوحدة تقتل السويسريين، جريدة الحياة ٢١ أبريل ٢٠٠٨ م.

وتطوير في أساليب وبرامج الترابط الأسري والاجتماعي.
وبدأنا نعاني مما تعاني منه المجتمعات الغربية من تفكك أسري، وأمراض نفسية،
وحالات إجرام، وحوادث انتحار.

إن ما يجري الآن في مجتمعاتنا يجب أن يثير القلق البالغ في نفوسنا على مستقبل
المجتمع، وخاصة أجياله الشابة الصاعدة، وأن يدفعنا للتفكير والعمل لمواجهة هذا
المشكل الاجتماعي الخطير.

وذلك بدراسة وبحث واقع الترابط الاجتماعي، ووضع البرامج والمعالجات
لتطويره ورفع مستواه بما يتناسب مع قيم ديننا الحنيف، والأوضاع الاقتصادية والثقافية
المستجدة.

مستوى العلاقات الاجتماعية

طبيعة حياة الإنسان البشرية تفرض عليه التواصل مع المجتمع الذي يعيش فيه.
أولاً: لأن الإنسان يأنس بأبناء جنسه، ولا يستطيع أن يعيش من دونهم، أو بعيداً
عنهم. وقد ذكر بعض اللغويين: أن كلمة إنسان مشتقة من الأُنس، على اعتبار أن الإنسان
يأنس بمثله. ولو أنك وفّرت لإنسان كل ما يحتاجه في حياته المادية، وعزلته عن الناس،
فإن ذلك بالتأكيد لن يريحه، ولهذا فإن السجن الانفرادي هو من أقسى أنواع العقوبات.
فالإنسان بطبيعته يميل إلى أبناء جنسه ويأنس بهم، لديه دافع طبيعي فطري
للتواصل مع الناس.

ثانياً: حاجات الإنسان الحياتية تفرض عليه أن يتواصل مع الآخرين، فهو لا
يستطيع أن يوفر كل حاجاته بنفسه، فقد يمرض فيحتاج إلى الطبيب، وهو بحاجة إلى
العامل في البناء وغيره، وهو يشتري من السوق، ويبيع إنتاجه، وقد يعمل لدى أحد، أو
يعمل لديه أحد، وبالتالي فإن طبيعة الحياة تجعل المصالح مشتركة، والحاجات متداخلة

بين الناس، وهذا يفرض على الإنسان حالة التواصل مع محيطه الاجتماعي. لكن هذا التواصل يبقى في مستواه الأدنى، وفي حالته المتواضعة الساذجة. إذ إن المجتمع يحتاج إلى نوع من التواصل بشكلٍ أرقى، وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر. وقد كنا نعيش تواملاً مكثفاً في مجتمعنا، حينما كانت الحياة على بساطتها، وكان الناس يعيشون في مناطق جغرافية محدودة، وضمن اهتمامات بسيطة، لكننا الآن، ومع التطور الذي حصل على واقع حياتنا، لم نعد نعيش درجة التواصل الاجتماعي السابقة. ولعلّ من أبرز الأسباب:

- انتشار الناس جغرافياً، فما عاد الإنسان مقيماً في نفس الحي الذي نشأ فيه.
- انشغالات الناس واهتماماتهم تشعبت في هذا العصر، بعكس ما كانت عليه حياتهم في الماضي، إذ إنهم كانوا مع حلول الظلام تنتهي جميع أعمالهم ويُصبح الوقت متاحاً للتواصل، وحتى في النهار فإن دائرة الاهتمامات عندهم كانت محدودة. أما في زمننا المعاصر فقد انشغل الإنسان باهتمامات مختلفة، معرفية وعملية، ما قلل من حصة العلاقات الاجتماعية.
- انخفاض الروح الاجتماعية عند أكثر الناس لصالح الاهتمام الفردي، حيث أصبح كل واحدٍ مشغولاً بنفسه، وفي بعض الأحيان حتى عن عائلته وأسرته. هذه الاهتمامات بعضها صحيح وبعضها غير صحيح، لكنها أصبحت على حساب التوجه الاجتماعي، وإن كنا لا زلنا نحفظ بدرجة من التواصل، هو في الغالب تواصل مناسباتي شكلي، كمناسبة الزواج ومناسبة العزاء. وما نحتاج إليه هو التفكير في التواصل ذي المضمون.

مضامين التواصل الاجتماعي

وأشير هنا إلى أبرز مضامين التواصل الاجتماعي المطلوب:

أولاً: التقارب النفسي الروحي

الحياة بطبيعتها فيها ضغوط ومشاكل، خصوصاً في هذا العصر، فيحتاج الإنسان إلى من يتضامن معه نفسياً، وإلى من يقترب منه روحياً، ليخفف عنه الآلام، ويرفع من معنوياته. ويحتاج الإنسان إلى من يستشيريه ليستفيد من رأيه. وتُشير النصوص إلى هذا المضمون، وتُعبّر عنه بإدخال السرور إلى قلب الأخ المؤمن، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لقي أخاه بما يسره سرّه الله يوم القيامة»^(١)، وعنه ﷺ: «من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم أو أن تفرج عنه غماً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه من جوع»^(٢)، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أنه قال: «من سرّ مسلماً سره الله يوم القيامة»^(٣)، وعنه عليه السلام قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله ﷺ»^(٤).

ثانياً: التعاون في تيسير شؤون الحياة

كل مجتمع يواجه مشاكل، ولكل قوم في منطقتهم احتياجات، ولا يستطيع الإنسان بمفرده أن يحلّها ويعالجها، إنما يحتاج أن يتعاون مع الآخرين. وكمثال تقريبي: تربية الأبناء في العصر الحاضر عملية شاقّة، إذا أراد الأب أو الأم وحدهما القيام بهذا الدور، ولكن عندما تكون هناك برامج ولجان تخلق الأجواء الصالحة، وتسعى من أجل بناء الجيل الجديد بناءً سليماً، فهذا يقدم أكبر عون للأسرة على تربية أبنائها. ويؤكد القرآن الكريم على هذا المضمون في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة. الآية ٢].

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦ ص ٣٥٦.

(٢) كنز العمال. ج ٦ حديث ١٦٤١٤ ص ٤٣٢.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٢ ص ٤١٥.

(٤) وسائل الشيعة. ج ١٦ ص ٣٤٩.

ثالثاً: خدمه الأهداف المشتركة.

للمجتمع تطلعات وأهداف مشتركة، دينية أو سياسية أو اجتماعية. هذه الأهداف المشتركة تحتاج إلى تعاون وتواصل يساعد على تحقيقها. والإمام علي عليه السلام يوصي بهذا المضمون في آخر وصية له، فيقول عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَادُلِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّذَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ»^(١)، والتبازل هنا بمعنى البذل والعطاء.

التأكيد الديني على التواصل

التواصل بين الناس محور أساس في التعاليم والتوجيهات الإسلامية، حيث يذم الإسلام الرهينة والعزلة، ويدعو إلى أن يتعرف الناس إلى بعضهم بعضاً، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣]، ويجعل خدمة الناس ونفعهم من أفضل وسائل التقرب إلى الله تعالى، كما ورد عنه عليه السلام: «خير الناس أنفعهم للناس»^(٢).

وإذا كان التواصل الاجتماعي محبوباً عند الله تعالى ومطلوباً في كل وقت وأن، فإن هناك ما يدل على خصوصية ليوم الجمعة في هذا المجال، فهو يوم يفرغ فيه الإنسان لما انشغل عنه أيام الأسبوع.

إن ساعات يوم الجمعة غالية ثمينة، وحينما يأتي التوجيه الديني بصرف بعضها في التواصل الاجتماعي، فهذا دليل على أهمية هذا الجانب، وأنه يستحق أن تصرف فيه أعلى الأوقات.

وحسب تأكيدات النصوص الدينية فإن أبواب قبول الأعمال عند الله مشرعة يوم الجمعة أكثر من أي يوم آخر، وثواب الأعمال فيه مضاعف، لذلك فإن أجر التواصل الاجتماعي فيه عظيم كبير.

(١) نهج البلاغة. تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ، دمشق، ص ٣٦١.

(٢) كنز العمال. ج ١٥ حديث ٤٣٠٦٤ ص ٧٧٧.

الجمعة برنامج اجتماعي

إن أهم برنامج اجتماعي ليوم الجمعة هو حضور صلاة الجمعة، فهي عبادة اجتماعية بامتياز، حيث يجتمع فيها أهل كل منطقة في مكان واحد، يؤدون صلاتهم خلف إمام واحد، ويصغون إلى خطبتين تتناول شؤونهم العامة، وتوجههم لأهدافهم السامية المشتركة، وتذكرهم بالقيم الدينية التي يؤمنون بها.

فيلتقون مع بعضهم في أجواء طيبة مباركة، يسودها النظام وحسن الأدب. ويمكننا أن نفهم من استحباب السبق إلى المسجد، والمباكرة إليه يوم الجمعة، الحرص على تواجد الناس مع بعضهم لوقت أطول، إضافة إلى فرصة التعبد في المسجد.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة، يكتبون الأول فالأول»^(١).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «يدخل المؤمنون إلى الجنة على قدر سبقهم إلى الجمعة»^(٢). وجاء عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «وأنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة»^(٣).

وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه فاعتم، وجعل يعاتب نفسه ويقول لها أراك رابع أربعة، وما رابع أربعة بسعيد^(٤).

كما تؤكد النصوص الدينية على سيادة أجواء الاحترام في اجتماع صلاة الجمعة، حيث يجب أن يصغي الجميع للخطبة، ولو أخطأ أحد فتكلم أثناء الخطبة، فلا يصح أن يطلب أحد منه الإنصات، بل يلفت نظره بإشارة مؤدبة، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه

(١) صحيح مسلم. باب فضل التهجير يوم الجمعة حديث ٢٤ / ٨٥٠ ص ٤٢٦ - وأيضاً في مستدرک الوسائل حديث ٦٣٦٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. حديث ٩٨٦٨.

(٣) وسائل الشيعة. حديث رقم ٩٦٤٨.

(٤) جامع أحاديث الشيعة. حديث ٩٨٧٢.

قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت»^(١)، وقال أهل العلم: إن تكلم غيره فلا ينكر عليه إلا بالإشارة.

كما يكره للإنسان حين يأتي للصلاة وقد بدأ الإمام خطبته أن يتخطى رقاب الناس، روى معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم»^(٢).

وروى عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ورجل حضرها - الجمعة - بإنصات وسكوت، ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحداً، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا﴾»^(٣).

وقد تحدثت النصوص عن بعض تفاصيل مراعاة المشاعر وحفظ الاحترام بين المجتمعين لأداء صلاة الجمعة، مثل كراهة أن يفرق الإنسان بين اثنين فيجلس بينهما، أو يأخذ مكان أحد آخر، جاء في صحيح البخاري عن ابن جريج قال: سمعت نافعا يقول: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه. قلت لنافع: الجمعة؟ قال: الجمعة وغيرها»^(٤).

تواصل المحبوسين اجتماعياً

تشير بعض النصوص الدينية إلى أن السجناء ينبغي أن تتاح لهم فرصة التواصل مع الناس يوم الجمعة ويوم العيد، بأن تخرجهم السلطة وقت الصلاة مع مرافقين ليحضروا اجتماع الناس للصلاة، ثم يعادون إلى سجنهم.

(١) صحيح البخاري. حديث ٩٣٤.

(٢) سنن الترمذي. حديث ٥١٣.

(٣) سنن أبي داؤود. حديث ١١١٣.

(٤) صحيح البخاري. حديث رقم ٩١١.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: «إن على الإمام أن يخرج المحبسين في الدين يوم الجمعة إلى الجمعة، ويوم العيد إلى العيد، ويرسل معهم، فإذا قضوا الصلاة والعيد ردهم إلى السجن»^(١).

وفي رواية أخرى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام: «أن علياً كان يخرج أهل السجن من حبس في دين، أو تهمة، إلى الجمعة، فيشهدونها ويضمنهم الأولياء حتى يردونهم»^(٢). أي بكفالة أوليائهم.

وفي نص آخر عنه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام كان يخرج الفساق إلى الجمعة»^(٣). وقال العلامة الحلي: «لأنهم - أي المحبوسون - مكلفون بهذه الصلاة فلا يجوز للحاكم حبسهم عنها، وبيعهم مع رقيب يحفظهم إلى أن يؤديوا الفرض الذي عليهم»^(٤). وعلق الشيخ حسين علي المنتظري على هذه الروايات بقوله:

«والظاهر أنه لا خصوصية للدين والتهمة، بل الظاهر عموم الحكم لكل مسجون مسلم. نعم، ربما يظهر من هاتين الروايتين أن الحبس في تلك الأعصار لم يكن غالباً إلا في الديون والتهمة، ولم يكن الأمر مثل ما في أعصارنا بحيث يحكم بالحبس لكل كبيرة وصغيرة، بل لكل أمر تافه موهوم أيضاً، بل لم يعهد في عصر أمير المؤمنين عليه السلام وما قبله وجود السجن السياسية الرائجة في عصرنا، حيث أن الناس كانوا أحراراً في عرض آرائهم السياسية ما لم يترتب عليها البغي والطغيان والقتل والإغارة»^(٥).

ويرى بعض الفقهاء أن صلاة الجمعة تسقط عن المحبوسين؛ لأنهم من ذوي

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٢٣.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ٤، حديث رقم ٦٣٥٣، ص ٢٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ٦، حديث ٩٩٦٩، ص ٤٣٧.

(٤) نجم الدين الطبرسي. موارد السجن في النصوص والفتاوى، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، ص ٤٩٥.

(٥) الشيخ حسين علي المنتظري. دراسات في ولاية الفقيه ج ٢، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م، (بيروت: الدار الإسلامية)، ص ٤٧٣.

الأعداء، فلا يجب على الحاكم إخراجهم لها، لكنه مع توفر الضمانات بإعادتهم أمر راجح لما فيه من الآثار الايجابية على السجناء نفسياً ودينيًا.

الترفيه عن الأهل

علاقة الإنسان مع عائلته يجب أن تكون لها الأولوية في قائمة اهتماماته الاجتماعية، ولا يصح أبداً أن يتساهل الإنسان في الاهتمام بعائلته على أساس ضمانه لارتباطهم به على كل حال؛ لأن عليه أن يجعل ذلك الارتباط مدعوماً بالحيوية العاطفية والقرب النفسي، وليس بالحاجة فقط. ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: «ولا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ»^(١).

ويوم الجمعة ينبغي أن يكون فرصة لضخ زخم جديد من الارتياح في الوسط العائلي، وأن يضيف نكهة جديدة من السرور، عبر أي وسيلة للترفيه العائلي. وهذا ما نفهمه من الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أطرفوا أهاليكم كل يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا بالجمعة»^(٢).

فإن الفقرة الأخيرة من الحديث «حتى يفرحوا بالجمعة» تبين المقصد والمناط، وهو ترفيه العائلة وتفريجهم يوم الجمعة، أما الوسائل فقد تكون بتنويع الطعام، وقد تكون بوسائل أخرى.

إعانة الفقراء

لا يخلو مجتمع من حالات الفقر والحاجة، لكن مساحتها تختلف من مجتمع لآخر، ومن وقت لآخر، والواعون من أبناء المجتمع يدركون خطورة وجود تلك الحالات، وما تمثله من ثغرات في جدار أمن المجتمع واستقراره، لذلك يشعرون بالمسؤولية تجاهها،

(١) نهج البلاغة. كتاب رقم ٣١ من وصية له ﷺ للحسن بن علي.

(٢) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٨٩.

ويسعون لمعالجتها معالجة جذرية بالحدّ من منابع الفقر، وتوفير الفرص لوصول كل مواطن إلى مستوى تلبية احتياجات حياته عبر التعليم والعمل وأنظمة الضمان الاجتماعي، ثم تفقّد موارد العوز والحاجة، بمد يد العون والعطاء لها تحت عنوان (الصدقة) التي اشتقها الشارع الحنيف من مادة الصدق، يقول القليوبي: سميت - الصدقة - بذلك لإشعارها بصدق نية باذنها^(١).

ويوم الجمعة المبارك الذي يزداد فيه إقبال العبد على ربه، واتصاله بمجتمعه، ينبغي أن يتحقق فيه أكبر قدر من الاهتمام بالفقراء والمساكين، لتعمّ بركة هذا اليوم عليهم، وليشعروا بتعاطف المجتمع معهم، وأنهم جزء غير مهمل من مجتمعهم. لذلك وردت النصوص الدينية التي تشجع على بذل الصدقة يوم الجمعة، وتنقل حرص أئمة الهدى على تفقد أحوال الفقراء خاصة في هذا اليوم المبارك.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الليلة الغراء ليلة الجمعة، واليوم الأزهر يوم الجمعة، فيهما الله طلقاء وعتقاء وهو يوم العيد لأمتي، أكثروا الصدقة فيها»^(٢).

وعن الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين عليهما السلام الفجر بالمدينة في يوم جمعة، فلما فرغ من صلاته وتسيّحه، نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمى سكينه، فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام «إن الأعمال تضاعف يوم الجمعة فأكثرها فيه من الصلاة والصدقة»^(٤).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: كان أبي أقل أهل بيته مالاً، وأعظمهم مؤونة، قال: وكان يتصدق كل يوم جمعة بدينار. وكان يقول: الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل

(١) الموسوعة الفقهية. ج ٢٦ ص ٣٢٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. حديث ١٠٢٧٢ ج ٧ ص ٣٨.

(٣) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٢٦.

(٤) جامع أحاديث الشيعة. ج ٧ ص ٣٢ حديث ١٠٢٤٦.

يوم الجمعة على غيره من الأيام^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: الصدقة ليلة الجمعة ويومها بألف^(٢).
وعن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله - الصادق - عليه السلام، في الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا؟ قال عليه السلام: يستحب أن يكون ذلك يوم الجمعة، فإن العمل يوم الجمعة يضاعف^(٣).

وينبغي الاستفادة من حضور الناس لصلاة الجمعة وتذكيرهم بالمبادرة إلى العطاء والصدقة، ليكون كل اجتماع لصلاة الجمعة رافداً من روافد الخير والاهتمام بحاجات الضعفاء والفقراء.

إن برنامج صدقة الجمعة يمكن أن يكون جزءاً من مراسيم هذا الاجتماع الديني الاجتماعي، تحت إشراف المؤسسات والجهات الخيرية المعتمدة.

زيارة القبور

لا تنحصر برامج التواصل الاجتماعي يوم الجمعة فيما بين الأحياء، بل ورد في بعض النصوص استحباب زيارة قبور الأموات في يوم الجمعة، وذلك من أجل أن يتذكر الإنسان مصيره النهائي، ويأخذ مستقبله الأخروي بعين الاعتبار، إضافة إلى ما فيه من التواصل مع السابقين من أبناء المجتمع، حتى لا ينسى الإنسان أسلافه من الأرحام والأقرباء والأصدقاء والزملاء، فيدعو لهم بالرحمة والمغفرة والرضوان.
روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من زار قبر والديه أو أحدهما في كل يوم جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها»^(٤).

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٢٧.

(٢) المصدر نفسه. حديث ٩٧٢٩.

(٣) المصدر نفسه. حديث ٩٦٣١.

(٤) كنز العمال. ج ١٦ حديث رقم ٤٥٥٤٣ ص ٤٧٩.

وجاء عن عبدالله بن سليمان، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: سألته عن زيارة القبور؟ قال عليه السلام: «إذا كان يوم الجمعة فزرهم»^(١).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا لعشرة من إخوانه الموتى ليلة الجمعة أوجب الله له الجنة»^(٢).

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٣٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ٨ ص ٤٨ حديث ١٠٣٠٤.

الحالة الدينية والنقد البناء

خطبة الجمعة بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٨ هـ

عدّ سماحة الشيخ حسن الصّفّار - حفظه الله - انتقاد الجهات والمواقع الدينية أمرًا مقبولاً من الناحية الدينية والشرعية، جاء ذلك خلال خطبته الأولى من صلاة الجمعة ١١ / ٠٨ / ١٤٢٨ هـ، حيث أشار فيها إلى قيمة العقل في توجيه الإنسان وتحديد توجهاته الفكرية والعقدية، وتبنيّه للأراء والمعتقدات وكثيرٍ من السلوكيات.

ومنتبهاً في الوقت نفسه إلى ما رسّخه الشرع في هذا الجانب، حيث ركّزت كثير من نصوصه على أهمية الرجوع للعقل، وتحكيمه في كثير من القضايا والقيم والمواقف، وهو ما يلتقي وفطرة الإنسان الداعية إلى البحث عن الحق والرأي الصواب.

وفي هذه النقطة أشار الشيخ الصّفّار إلى أن الإنسان بعمومه يبحث عن الرأي الصواب أو الأصوب في جميع القضايا، ولكنه قد يخطئ الوصول إلى ذلك، لعوامل ثلاثة أشار إليها سماحته، هي: عدم معرفة الإنسان بجميع ملابسات وتفصيل القضية التي يحاول إبداء الرأي فيها.

وكذلك التركيز على جانب أو بعض الجوانب في المسألة المطلوب إعطاء الرأي فيها، وإغفال بقية الجوانب الأخرى، بسبب الانجذاب إلى هذا الجانب على حساب بقية الجوانب، أو لسبب آخر.

كما أن للأهواء والشهوات والانشداد النفسي في بعض الأحيان دوراً كبيراً في عدم إصابة الحق.

وقد أشار سماحته إلى أن هذه الأسباب قد تجتمع وقد تفترق، ولكنها تتعزّز كلما ابتعد الإنسان عن مشورة الآخرين، فالإنسان بمفرده يكون عرضة للوقوع في مزلق الخلل والخطأ في التفكير والحكم على الأمور بصورة أكثر من الحالة الجماعية والشورية. ومن هذا المنطلق جاءت كثير من النصوص الدينية تطلب من الإنسان الإصغاء للآخرين، وطلب المشورة منهم.

وبخاصة للمواقع القيادية ولمن يتصدى للشأن العام، ولمن له تأثير على الآخرين، ولو على مستوى قيادة الأسرة.

وقد ركّز سماحة الشيخ الصقّار على أهمية هذه النقطة، فأشار إلى أن من يتصدى لشؤون الناس، ومن يملك موقعاً قيادياً على المستوى الاجتماعي أو على مستوى الأمة هو أولى من الآخرين فيما يخصّ مسألة المشورة والاستماع إلى آراء الآخرين، وذلك للموقعية التي تحتلّها هذه القيادات، لأن دفع أي رأي - في حال كان صائباً - ستكون نتائجه على مستوى الشريحة التي تقودها هذه الشخصية وخسارة لا يتحمّلها القائد وحده.

مرکزًا الخطبة حول الحديث عن الحالة الدينية، حيث حدّدها في ثلاثة أبعاد: أفكار وآراء، ومؤسسات ونُظم، وشخصيات.

معتبرًا أن توجيه النقد والنصيحة حول جميع هذه الأبعاد الثلاثة للحالة الدينية أمر مقبول دينيًا، بل هو مطلوب وذلك للممارسة العملية لكل من الرسول وللأئمة، حيث كانوا يوجّهون الناس إلى إبداء النصيحة والمشورة عليهم، رغم ما نعتقده فيهم من العصمة وسداد الرأي.

ومفرقًا بين مسألة النقد البناء وتوجيه النصح وإبداء الرأي بغية المصلحة العامة، وبين التجريح والإساءة إلى المقامات والمؤسسات والشخصيات الدينية، حيث يستنكر الجميع مظاهر التجريح والإساءة إلى الآخرين، فضلاً عن كون جهة الإساءة شخصية أو مؤسسة دينية.

وداعياً في الوقت نفسه إلى أهمية إشاعة جوّ النقد وإبداء الرأي إلى جميع مظاهر الحالة الدينية، لأنها في موقع متقدّم من الناحية الاجتماعية، ومثل هذه الأجواء تقوي وتعزّز من دور هذه الحالة، ما يعود بالنفع تالياً على المجتمع ككل.

وفي خطبته الثانية خصّص حديثه حول الاهتمام بإحياء ليلة النصف من شعبان بالعبادة وإقامة الأعمال، لأفضليتها بعد ليلة القدر، وكذلك حول بعض المظاهر السلبية فيما يخص مظاهر الاحتفال والبهجة بذكرى مولد الإمام المنتظر، حيث أشار في هذه النقطة إلى أن هذه الظاهر الاحتفالية تحولت إلى مناسبة اجتماعية تحكي ثقافة وسلوك هذا المجتمع، ولا ينبغي أن تكون هذه المناسبة حاكية عن سلوك وثقافة سلبية، بما تشهده المنطقة من مظاهر طائشة ومسيئة، داعياً إلى التنسيق مع الجهات المسؤولة لمواجهة مثل هذه المظاهر.

المؤسسات الأهلية قوة المجتمع

خطبة الجمعة بتاريخ ٧ شوال ١٤٢٨ هـ

يتعاضم دور المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني في المجتمعات المتقدمة، ويمتد إلى مختلف مجالات الشأن العام، فلا تكاد تجد جانباً من جوانب الحياة إلا وهناك جمعيات ومجموعات تطوعية توجه جهودها للاهتمام به، بدءاً من الشأن السياسي وانتهاءً بقضية الرفق بالحيوان.

ولا شك أن وجود هذه المؤسسات الأهلية في تلك المجتمعات، هو من أهم مقومات قوتها واستقرارها، وتجديد الحيوية والنشاط في أوساطها. وهو مظهر لإحساس الناس هناك بالمسؤولية تجاه قضايا الحياة، والتصدي لتحمل أعبائها. ومع قوة حكوماتهم ووفرة إمكانياتها، لكنهم لا يلقون الأعباء كاملة على كاهل الحكومات، بل يشاركونها إدارة مختلف شؤون الحياة.

وفي القضايا الاجتماعية بالذات تنتزع هذه المؤسسات الأهلية زمام المبادرة، وترى نفسها أولى وأقدر من الحكومات على مواجهتها، تقول (ميليسا بيرمان) الرئيسة التنفيذية لمؤسسة روكفيلر فيلانثروبي ادفايزر - مؤسسة استشارية غير ربحية: (إننا في المجتمع الأمريكي عموماً فقدنا قناعتنا بأن الحكومة هي المكان الذي تتم فيه الحلول للمشكلات الاجتماعية، فمن أيام ثورة ريجان فصاعداً انجذبنا إلى الرأي بأن القطاع الخاص هو الذي سيوجد حلولاً ابتكارية وفعالة، والحل الحيوي الوحيد الذي نراه الآن يتمثل في المشاريع

الخاصة، والعمل الخيري الخاص لذلك ننظر إليه لحل المشكلات^(١).

لقد تم إنشاء مؤسسة كارينجي بنيويورك عام ١٩١١م بوقف يساوي ١٣٦ مليون دولار لدعم المكتبات العلمية، وتوفير نظم التقاعد لأساتذة الجامعات. وقامت مؤسسة روكفلر الخيرية بتمويل الأبحاث الطبية لتطوير اللقاح ضد الأمراض المستعصية آنذاك، بالإضافة إلى البحوث الزراعية التي رفعت من مردود زراعة القمح والأرز، كما تأسست مؤسسة فورد سنة ١٩٣٦م برأس مال يفوق ١١ مليار دولار لمعالجة مسائل عالمية معقدة، مثل إيجاد الحلول للصراعات الإقليمية ودعم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وخصص رئيس مايكروسوفت (بيل جيتس) أكثر من ٢٥ مليار دولار لإنشاء مؤسسة للعمل الخيري^(٢).

ويبلغ عدد الجمعيات الخيرية في الولايات المتحدة الأمريكية (٠٠٠, ٥١٤, ١) جمعية.

وفي ألمانيا: (٠٠٠, ٨٠٠) جمعية.

وفي فرنسا: (٠٠٠, ٦٠٠) جمعية.

وفي بريطانيا: (٠٠٠, ٣٥٠) جمعية.

ويوجد في إسرائيل أكثر من ٣٥ ألف منظمة غير ربحية^(٣)

ومن المؤسسات الأهلية التي تلفت النظر وتشد الانتباه، تلك المؤسسات التي تُعنى بنشر القيم والتبشير بالتوجهات الأخلاقية في المجتمعات الغربية، ومن نماذجها الحركة التي انطلقت في باريس سنة ١٩٩٣م للمحافظة على العفة، تحت عنوان (الحب الحقيقي يستطيع الانتظار)، وقد ضمت حوالي ٦٠٠ عضو من الشباب والشابات الذين

(١) لورين فوستر. ثروة بلا حدود وبر بلا حدود، مقال في جريدة الاقتصادية السعودية ٢١/٥/٢٠٠٧م.

(٢) منير الحداد. ثقافة العمل الخيري، مقال في جريدة إيلاف الإلكترونية/١٦ أغسطس ٢٠٠٧م.

(٣) موقع مجلة آسية الاجتماعية: www.asyeh.com.

تتراوح أعمارهم ما بين ١٧ و ٢٥ سنة، يلتزمون كتابةً بالمحافظة على عفافهم وطهارتهم، أي عدم ممارسة علاقة غير شرعية. هذه الحركة الفرنسية نشأت تحت إشراف جمعية تدعو إلى العودة إلى القيم العائلية.

وسبقتها حركة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية بها حوالي ٢٥٠ ألف شاب وشابة يجمعهم هدف واحد هو المحافظة على العفة^(١).

وذكر تقرير عن حركة التطوع في أعمال المساعدة المدنية والأهلية في المجتمع الياباني أنه أحصى في سنة ١٩٩٩ م سبعة ملايين متطوع اجتمعوا في نحو مئة وعشرين ألف رابطة وجمعية يفوق عدد متطوعاتها عدد المتطوعين الذكور^(٢).

المؤسسات الأهلية وأمن المجتمع

تحقق مؤسسات العمل الأهلي أغراضاً إيجابية كبيرة تخدم قوة المجتمع، وتعزز أمنه واستقراره، فهي:

أولاً:

تخلق وتنمي الشعور بالمسؤولية لدى الأفراد تجاه مجتمعاتهم، وتكرّس في نفوسهم قيم الخير والعطاء، ولا شك أن هذا الانشداد الإيجابي للمجتمع، يمثل نوعاً من الحصانة الذاتية من الانزلاق في مهاوي الإجرام والفساد، فأكثر من يتورطون في الإضرار بأمن المجتمع، هم من يحملون مشاعر سلبية تجاهه، كردّ فعل لضغوط يعانونها، أو لتأثرهم بأفكار خاطئة.

ثانياً:

تستوعب وتحتوي الطاقات من أبناء المجتمع، لتوجهها الاتجاه الصحيح، وخاصة من شريحة الشباب، الذين لديهم فائض من الوقت والطاقة، وطموح لتكوين الذات

(١) جريدة المسلمون. عدد ٦٦٢ بتاريخ ٩/٦/١٤١٨هـ.

(٢) جريدة الحياة. لندن ١ مايو ٢٠٠١م.

وانتزع الدور، وإذا لم توفر لهم الأجواء الصالحة، والقنوات المناسبة، فقد يضيعون في المتاهات، ويصبحون عبئاً على أمن المجتمع.

إن قيام منظمات المجتمع المدني، ومؤسسات العمل الأهلي، تفتح آفاقاً واسعة أمام شريحة كبيرة من جيل الشباب والشابات، ليصرفوا فائض جهدهم ووقتهم، فيما يصقل مواهبهم وقدراتهم، ويخدم مجتمعاتهم وأوطانهم.

ثالثاً:

تقدم الحلول والمعالجات للمشاكل الاجتماعية، حتى لا تتفاقم، وتصبح بؤراً منتجة للاضطراب وتقويض أمن المجتمع.

فمشكلة الفقر مثلاً، وضعف التعليم، ومشكلة البطالة، والخلافات الأسرية، والصراعات الداخلية في المجتمع، وأمثالها توفر أرضية خصبة للإجرام والإرهاب. ووجود جمعيات خيرية، ومؤسسات أهلية، تقوم إلى جانب دور الدولة الرئيس، بالتصدي لمعالجة هذه المشاكل، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، يساعد كثيراً في التقليل من مساحتها، واحتواء آثارها ومضاعفاتها.

رابعاً:

تتبنى بعض المؤسسات الأهلية الاهتمام بنشر ثقافة الفضيلة والالتزام الأخلاقي، والتبشير بقيم الخير والصلاح، ووضع البرامج والخطط لمقاومة كل سلوك منحرف، وكل اتجاه ضار بأمن المجتمع ومصصلحة الفرد.

إن افتقاد مثل هذه المؤسسات، يجعل ساحة المجتمع مكشوفة أمام إرادات السوء والانحراف، من داخل المجتمع وخارجه، خاصة في عصر العولمة، الذي تحولت فيه اتجاهات الفساد والإجرام إلى مافيات دولية، وشبكات عالمية، بادرت إلى توظيف تقدم التكنولوجيا، ووسائل الإعلام والاتصالات، في اختراق جميع الشعوب والمجتمعات.

وتشير التقارير الدولية إلى اليابان باعتبارها ذات أفضل تجربة في الاستفادة من

العمل الأهلي، والإسهام الاجتماعي، للتصدي للجريمة وحماية أمن المجتمع، حسبها ورد في تقرير لمعهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية UNRISD سنة ١٩٩٥ م.

فاليابان - قياساً إلى غيرها - من البلدان ذات نسبة متدنية من الجرائم، ولربما خلال الخمسين سنة الأخيرة، البلد الوحيد في العالم الذي تتناقص فيه معدلات الجريمة، ويعود قدر كبير من النجاح إلى ما يقوم به المجتمع، وإلى عدد كبير جداً من منظمات مكافحة الجريمة: فجمعيات منع الجريمة مثلاً، فيها ٥٤٠ ألف وحدة ارتباط، ومنظمة إرشاد الشباب فيها ١٢٦ ألف متطوع متعاون، وجمعية المرأة لإعادة التأهيل تضم ٣٢٠ ألف متطوعة، أما جمعية الضباط المتطوعين فتضم ٨٠ ألف عضو.

وتركز الكثير من هذه المنظمات العاملة في الأحياء والمدارس، ومواقع العمل، جهودها على منع الجريمة. لكن المواطنين أيضاً يقومون بدور مهم بعد الإدانة في عملية الإصلاح.

ويُسهم الكثير من الأهليين مثلاً في نظام (الطبيب الزائر) الذي يقوم من خلاله كبار السن من المعلمين والمرشدين الاجتماعيين، والمحامين، والقسيسين وغيرهم، بتقديم النصح والإرشاد إلى المعتقلين في السجون، والشباب في الإصلاحات.

وهناك ألوف من المواطنين الآخرين يحاولون تضيق الفجوة بين السجناء وبقية أفراد المجتمع، عن طريق تنظيم أنشطة تربوية وثقافية وفعاليات أخرى للنزلاء. لذا فحين تنقضي فترة الحبس يساعد المجتمع المحلي على إعادة دمج الجناة السابقين في مجتمعهم^(١).

(١) معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية. حالات فوضى - الآثار الاجتماعية للعولمة، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٧ م، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص ١٣٣.

الأمن الاجتماعي مسؤولية الدولة والمجتمع

خطبة الجمعة بتاريخ ١٤ شوال ١٤٢٨ هـ

كانت مجتمعاتنا الخليجية إلى وقت قريب تنعم بدرجة عالية من الأمن الاجتماعي، بسبب وحدة نسيجها، ولبساطة الحياة، وسيطرة الأعراف والتقاليد، ودور الدين في ضبط تصرفات الأفراد وممارساتهم.

كانت حوادث الإجرام والعدوان نادرة محدودة، وكان الناس ضمن مجتمعهم يشعرون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

لكن تطورات الحياة أفرزت واقعاً جديداً يسلب الاطمئنان ويثير القلق في نفوس الناس على أمنهم الاجتماعي، فقد أصبحت حوادث الإجرام من ممارسة العنف، والسرقة والسطو على الممتلكات، وانتهاك الأعراض، وتهريب وترويج المخدرات حوادث يومية في مختلف دول الخليج.

ولا تكاد تخلو الصحافة الخليجية يومياً من ذكر عدد من الحوادث في هذا السياق.

ومما يبعث على الفزع أن التقارير الصادرة عن الأجهزة الأمنية الرسمية في دول الخليج تشير إلى تصاعد خطير في معدلات الجريمة.

فقد ارتفع عدد الجرائم في السعودية ليصل إلى ٩٠ ألف جريمة جنائية، بمعدل جريمة واحدة لكل ٢٥٢ فرد في السعودية حسب إحصاءات الأمن العام السعودي لعام ٢٠٠٥م، وتتصدر حالة السرقة الجرائم الجنائية في السعودية بواقع ٤٣٤٨٩ حالة، تليها

جرائم الاعتداء على النفس، كالقتل وحالات الانتحار بواقع ١٤٠٤٠ جريمة، تعقبها الجرائم الأخلاقية بواقع ١٠٧٣٨ جريمة حسب الإحصاء نفسه. وتحكي هذه الأرقام ارتفاع معدل الجريمة عن معدلها عام ٢٠٠١م إذ لم يتجاوز ٧٣ ألف جريمة^(١). وتحديث إحصائية لوزارة الداخلية الكويتية عن عام ٢٠٠٤م أن متوسط إجمالي الجرائم في الكويت كل شهر ١٥٧١ جريمة، أي بمعدل ٥٢ جريمة في اليوم^(٢). وفي سنة ٢٠٠٦م، بلغ عدد الجرائم ٢٢٠٦٢ جريمة، أي بمعدل ٦٢ جريمة في اليوم^(٣).

إن أسباباً عديدة وراء هذا التصاعد في معدلات الجريمة واختلال الأمن، من أبرزها ضعف دور الأسرة وتأثيرها، والانفتاح الثقافي والإعلامي، وانحسار الوازع الديني، وضغوط الحياة المعيشية، وتفشي البطالة، وانشغال أجهزة الأمن بمواجهة الإرهاب، إلى ما هنالك من أسباب تخصصت في ذكرها ودراسة انعكاساتها الأمنية أبحاث ودراسات كثيرة.

إن الغالبية العظمى من أبناء مجتمعاتنا يعيشون هول الصدمة من واقع كانوا يسمعون عن مثله في بلدان أخرى، وكانوا يعتقدون أنهم بمنجى منه، لكنهم وجدوا أنفسهم محاصرين به.

إنه لا يفيدنا اجترار الحسرات على ماض كنا نتمتع فيه بدرجة عالية من الأمن الاجتماعي، فتطورات الحياة لها انعكاساتها وإفرازاتها، كما أننا جزء من هذا العالم الذي يعيش المشكلة في كل أرجائه وأصقاعه، بدرجات متفاوتة، وواقع العولمة لا يتيح لنا فرصة الاختيار بين ما نريد وما لا نريد.

(١) الوطن. جريدة يومية سعودية، ٢٦ أغسطس ٢٠٠٦م.

(٢) الشرق الأوسط. جريدة يومية تصدر من لندن، ٨ أغسطس ٢٠٠٧م.

(٣) القبس. جريدة يومية كويتية، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٧م.

إنه تحدّد قائم لا يمكن تجاهله ولا تجاوزه، ولا يواجه بالتمنيات والآمال، بل يستلزم تعبئة الجهود والطاقات، ووضع البرامج والخطط، وتكامل الأدوار، بين مختلف قوى المجتمع وشرائحه.

إن ساحة مجتمعاتنا الخليجية بحاجة ماسة إلى تفعيل الدور الأهلي، واستنهاض القدرات الأهلية، من أجل حماية الأمن الاجتماعي، ومواجهة زحف الجريمة والفساد.

عوائق الدور الأهلي

بيد أن هناك عدداً من العوائق وعوامل التشييط التي تحدّد من حركة العمل الأهلي، لعل أبرزها ما يلي:

الالتكال على الدولة

ينحو الناس باللائمة على أجهزة أمن الدولة في اختلال الأمن الاجتماعي، ويحملون سياسات الحكومة التعليمية والاقتصادية مسؤولية هذه الظواهر المرعبة، ويريدون من الدولة أن تتصدى لمواجهة العابثين بأمن المجتمع، وأن تصحح سياساتها لاستيعاب أبناء الوطن وخاصة شريحة الشباب، بإتاحة فرص التعليم، وتوفير مجالات العمل، وتهيئة الظروف أمامهم لبناء مستقبلهم في الحياة.

ولا شك أن الدولة تتحمل المسؤولية الأكبر في إدارة شؤون البلاد والعباد، لكن ما يجب إدراكه هو أن أي دولة مهما كانت قدراتها وقوتها لا تستطيع أن تقوم بكل شيء، وأن تفعل كل شيء، فلقدراتها وتأثيرها حدود.

إن أقوى الدول تعليماً واقتصاداً وأجهزة أمنية كالولايات المتحدة الأمريكية، ودول أوروبا، لم تستطع أن تمنع انتشار الجريمة، ولا أن تحمي أمن مواطنيها حماية كاملة. لقد أجري استطلاع للرأي العام في الولايات المتحدة سنة ١٩٩٤م، قامت به شركة ABC للتلفزيون، بالتعاون مع جريدة الواشنطن بوست، فوجد أن ٢١٪ ممن

أجابوا يعتقدون أن الجريمة الآن هي المشكلة الكبرى التي تواجه البلاد، كما كشف استفتاء آخر أن ٤٠٪ ممن أجابوا قد غيَّروا أسلوب حياتهم خوفاً من المجرمين، ويبيِّن المسح العام لضحايا الجرائم في أمريكا لعام ١٩٩٢م أن هناك شخصاً واحداً من كل ٧٣ شخصاً تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة وقع ضحية جريمة عنف، وأن شخصاً واحداً من كل ١٣ شخصاً تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٧ سنة قد تعرض لجريمة عنف^(١).

وتشير آخر الإحصاءات إلى أن هناك جريمة قتل واحدة تقع في أمريكا كل ٢٢ دقيقة، وأن هناك حالة اغتصاب واحدة في كل خمس دقائق. وأن هناك حالة سرقة واحدة تقع في كل ٤٩ ثانية. وأن هناك حالة سطو واحدة تقع في كل عشر ثوان.

وتوصل البروفيسور (مورجان رينولدز) الأستاذ بجامعة تكساس في دراسة له عن السرقة في المجتمع الأمريكي، إلى أن هناك ما يقرب من ٥٠٠ ألف جريمة سرقة تقع في أمريكا شهرياً، وأن نصفها فقط يتم إبلاغ الشرطة عنها^(٢).

ومع تركيز أجهزة الأمن الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر على مواجهة الإرهاب، زادت جرائم العنف والسطو والسرقة في أمريكا بدرجة ملحوظة، وكانت المباحث الفيدرالية قد قالت في عام ٢٠٠٥م بأن جرائم القتل قد زادت بنسبة ٤,٣٪، وهي أعلى نسبة زيادة منذ ١٥ عاماً. وقالت في تقريرها أن عدد جرائم العنف قد وصل إلى أكثر من ٤,١ مليون جريمة في أنحاء الولايات المتحدة لعام ٢٠٠٦م. وأن أعداد السرقات زادت بنسبة ٢,٧٪ عن عام ٢٠٠٥م^(٣).

إذا كان ذلك يحدث في هذه الدول العظمى المستقرة سياسياً، والمتقدمة اقتصادياً،

(١) معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية. حالات فوضى - الآثار الاجتماعية للعولمة، ص١١٨-١٢٠.

(٢) عكاظ. جريدة يومية سعودية، ٢٦ يونيو ٢٠٠٦م.

(٣) وكالة أنباء أمريكا إن أرابيك www.Americanarabic.com

والمتفوقة علمياً، فكيف بحال دولنا النامية؟

إن ذلك يدل على أنه حتى لو تحملت الدولة كل مسؤولياتها، وقامت بكل ما يتوجب عليها، فإن الجريمة ستجد لها مسارب لتعكير صفو أمن المجتمع. بالطبع فإن تقدم سياسات الدولة، وقوة وجدية أجهزتها الأمنية، سيحاصر الانفلات في الأمن الاجتماعي، ويساعد على خفضه وتقليصه، لكن تعدد بواعث ومصادر الجريمة، وتحولها إلى واقع عالمي، وتوفّر فرص التواصل والتأثير لشبكتها وعصاباتا وتجارها، عبر الوسائل التكنولوجية والالكترونية المتطورة، كل ذلك يجعل الحرب معها سجالاتاً، والمعركة ضدها طويلة شاملة.

فلا بدّ أن يشتمّر المجتمع الأهلي عن ساعديه، ويستنفر قدراته، لتتضامن جهوده مع جهود الدولة، من أجل تخفيف منابع الإجرام، ووقاية أبناء المجتمع من السقوط في مهاوي الفساد والانحراف، ولحماية الأمن والاستقرار الاجتماعي. تجدر الإشارة إلى أن الجهد الأهلي أبلغ تأثيراً في بعض المجالات المرتبطة بأمن المجتمع من عمل مؤسسات الدولة، كتفعيل دور الأسرة، وإحياء الوازع الديني في النفوس، ونشر قيم الفضيلة والأخلاق.

تشريع العمل الأهلي

في الدول المتقدمة تفسح الأنظمة والقوانين المجال واسعاً لانطلاق مؤسسات العمل الأهلي، وتقدم الحوافز المغربية لإنشائها، وتقدم الدولة الدعم والتشجيع لمنظمات المجتمع المدني، مما أتاح الفرصة أمامها لاستقطاب الجهود والقدرات التطوعية، من أبناء مجتمعاتها، ومكّنها من كسب مواقع القوة والتأثير، واستفادت من مظلة الأمم المتحدة لتتحول إلى منظومة عالمية رديفة وموازية للمنظومة الرسمية الحكومية.

فأصبح للعمل الأهلي ومنظمات المجتمع المدني تأثير في صنع القرارات والتوجهات على مستوى دولها وعلى المستوى العالمي، وتساعد دورها في معالجة القضايا

الإنسانية والاجتماعية.

وهكذا أصبح من الممكن في عام ١٩٩٨ م بالتحديد أن يعلن الأمين العام للأمم المتحدة أمام الجمعية العامة في تقريره الذي يوثق مشاركة المنظمات غير الحكومية في منظومة الأمم المتحدة: إن مشاركة المنظمات غير الحكومية في المؤتمرات قد بلغت مستويات لم يسبق لها مثيل، ولم يعد دور هذه المنظمات قاصراً على أنها عنصر لنشر المعلومات، بل أصبحت جهات لتشكيل سياسات، حيث تمثل الجسور التي لا غنى عنها بين الجماهير عامة والعمليات الحكومية الدولية، وأن درجة حشد أي مؤتمر عالمي لاهتمام المنظمات غير الحكومية، وسائر منظمات المجتمع المدني، أصبحت أحد المعايير الهامة للحكم على نجاح المؤتمر^(١).

أما في عالمنا العربي فلا تزال هناك الكثير من التحفظات الرسمية والقيود النظامية على حركة العمل الأهلي، وانطلاق المؤسسات الاجتماعية، فإنشائها يحتاج إلى الإجازة والتصريح، وليس إلى مجرد الإشعار والتسجيل كما في الدول المتقدمة، والحصول على الموافقة بالتأسيس دونه خرط القتاد لدى أغلب الحكومات، وبعد ذلك فإن كل نشاط أو فعالية يراد إقامتها قد تحتاج إلى تصريح وموافقة، وهكذا تنتصب العوائق والعراقيل أمام حركة العمل الأهلي الاجتماعي.

لقد انعقد مؤتمر بتاريخ ١٩-٢٢ يونيو ٢٠٠٦م في قرية (وايلد باد كروث) قرب مدينة ميونيخ في ألمانيا، لمناقشة دور مؤسسات المجتمع المدني العربي، تحت رعاية مؤسسة (هانس سيدل) **Hanns Seidel Stiftung** وهي أكاديمية للعلوم السياسية، وشارك في المؤتمر عدد كبير من الأساتذة المتخصصين والخبراء العرب والألمان، ومندوبون من دول عربية، كان من بينهم وفد سعودي، أحد أعضائه الدكتور صدقة يحيى فاضل عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، الذي قال: إن أهم ما خلص إليه المؤتمر هو:

(١) القمة العالمية لمجتمع المعلومات www.itu.int/wsis

أن مؤسسات المجتمع المدني في معظم عالمنا العربي، ما زالت تحبو... وما زال قيامها، وممارسة نشاطها، تحيط به الكثير من القيود والمعوقات الحكومية وغير الحكومية، وما لم تسهل مهمة قيام هذه المؤسسات، ويجرّر نشاطها من الإجراءات المعيقة، فإن دورها سيكون هامشياً ومحدوداً. أي إن أهم عنصر لنجاح هذه المؤسسات هو الاستقلالية، وإن عدم توفر هذا العنصر يلغي مدنية تلك المؤسسات، ويحولها إلى مؤسسات حكومية، وينسف بالتالي الغرض النبيل الذي استحدثت هذه الوسيلة من أجل تحقيقه^(١).

إن التحديات الكبيرة التي تواجهها أوطاننا ومجتمعاتنا، تستلزم تضافر الجهود الرسمية والأهلية، ومن مصلحة الدولة تفعيل دور المجتمع، لتخفيف الأعباء على كاهلها، ولتحقيق التنمية البشرية، وإشراك الشعب في تحمل المسؤولية الوطنية. والحمد لله رب العالمين.

(١) الدكتور صدقة يحيى فاضل. مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي، مقال في مجلة الشورى السعودية، العدد ٨٠، شعبان ١٤٢٧هـ.

رعاية الصحة الأخلاقية للمجتمع

خطبة الجمعة بتاريخ ٢١ شوال ١٤٢٨ هـ

بينما يندفع الناس في بلدان أخرى ضمن مؤسساتهم المدنية، ومنظماتهم الأهلية التطوعية لتبني قضايا إنسانية خارج حدود أوطانهم، وعلى المستوى العالمي، كالدفاع عن حقوق الإنسان، ورفض الحروب، وحماية السلم في العالم.

وبينما يبادر الناس هناك للاهتمام بأمن الحيوانات، حيث تتحرك مثلاً مسيرة في روما تضم أكثر من ألفي شخص للمطالبة بحماية القطط الضالة في المدينة^(١)، ترى غالبية الناس في بلداننا لا يبدون حماساً للعمل من أجل حماية مصالحهم العامة، وحفظ أمنهم واستقرارهم، ولا يبادرون للسعي والتحرك لمواجهة الأخطار التي تهدد قيمهم الأخلاقية، وكيانهم الاجتماعي.

بل يكتفون بإبداء التذمر والانزعاج، ويتبنون موقف التفرج وانتظار الحلول، ويتلاومون فيما بينهم ترامياً للمسؤولية للهرب من تحمل أعبائها، كما يقول تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامَوْنَ﴾ [سورة القلم: الآية ٣٠].

إن مستوى العمل الأهلي والنشاط التطوعي لا يزال ضعيفاً جداً في مجتمعاتنا، ولا يتناسب أبداً مع خطورة التحديات التي نواجهها، ولا مع حجم الطاقات التي نمتلكها، ولا ينسجم مع مفروض انتمائنا لدين عظيم يحمّل أبناءه المسؤولية تجاه واقع البشرية جمعاء يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٣].

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من لندن، ٢٣/١٢/١٤٢٣ هـ.

هناك بالطبع أسباب تقف خلف تأخر مستوى العمل الأهلي في مجتمعاتنا، منها ما يرتبط بالواقع السياسي حيث تحتكر الدولة أمور الشأن العام، وتنخفض نسبة المشاركة الشعبية في صنع القرار، ولا تتسع القوانين لحرية العمل الأهلي إلا بحدود وقيود. لذلك تربي المواطنون على الانكفاء والانطواء، والانشغال بأمورهم الذاتية، موكلين كل ما يرتبط بالشأن العام إلى الدولة وبتكليف عليها.

ومنها أسباب تتعلق بالجانب الثقافي، حيث يفقد الكثيرون الثقة بأنفسهم، ولا يمتلكون الطموح الدافع للقيام بدور كبير، وتبني قضايا عامة، وتحقيق إنجاز مهم. كما يسيطر الهمُّ الذاتي على النفوس، ويتدنى مستوى الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وغالب التوجيه الديني يركّز على المسائل العبادية الفردية، كأداء الصلاة، والحج والعمرة والزيارة، وتلاوة القرآن والدعاء، وإقامة المراسيم والشعائر الدينية، بينما لا يحظى الاهتمام بالشأن العام، وتحمل المسؤولية الاجتماعية، بما يستحقه من تركيز وتذكير. وهذا ما يفسر إقبال شريحة المتدينين في مجتمعاتنا على هذه المسائل والمبالغة فيها، بينما يعزفون عن الاهتمام بقضايا الإصلاح الاجتماعي.

وليس المطلوب خفض الاهتمام بتلك البرامج الدينية، فإنها تؤدي دورًا إيجابيًا في تنمية نوازع الخير والصالح، بل الارتقاء بسائر الاهتمامات الاجتماعية، والتعامل معها وفق التوجيهات الدينية التي تجعلها في موقع الصدارة والأولوية. وهناك أسباب تتصل بالجانب الاجتماعي، وضعف إرادة التعاون والقدرة على العمل الجمعي، بما يتطلبه من التزام نظام، ومشاركة في القرار، وتنازل عن الرأي لرأي الأكثرية، وامتلاك مهارات الاتصال والإقناع.

إن توجهات التربية والثقافة، والأجواء السائدة في مجتمعاتنا، غالبًا ما تركز الحالة الفردية، وروح الهيمنة، لذلك تكثر حالات التصدع والانشقاق حتى في المجموعات الصغيرة، بدل الاتجاه إلى تكوين التحالفات والتكتلات بين الجامعات والمؤسسات، كما

يحصل في المجتمعات الأخرى.

مما يؤكد الحاجة إلى ضخ ثقافة العمل الجمعي، والتربية على العمل المؤسساتي، لتراكم الخبرة والتجربة لدى المواطنين في هذا المضمار.

ساحات شاخرة

تصاعد معدلات الجريمة، وارتفع مؤشر اختلال الأمن الاجتماعي سنة بعد أخرى في دول المنطقة، يجب أن يدق ناقوس الخطر في نفوس أبناء مجتمعاتها، فطوفان العولمة الجارف لا يتوقف زحفه، وثروات المنطقة تجعلها سوقاً مغرية لعصابات الإجرام، كما صرح بذلك أحد كبار المسؤولين في منظمة (انتربول) الدولية (آراسندرا لينغام)، على هامش مؤتمر لمكافحة المخدرات، عقد في معرض (ميليول قطر ٩٦)، حيث ألقى كلمة دق فيها ناقوس الخطر، وأعطى أرقاماً دلّت على أن منطقة الخليج العربي باتت مستهدفة بشكل مركز من قبل تجار المخدرات، وأن عصابات الإجرام تتطلع إلى هذه المنطقة بصفتها سوقاً جديدة مهمة^(١).

واستقطاب المنطقة للملايين من الأيدي العاملة الوافدة من مختلف المجتمعات والثقافات، يحدث اختلالاً في تركيبها السكانية، ويوجد ثغرات في كيانها الاجتماعي. يضاف ذلك إلى المشاكل القائمة داخل هذه المجتمعات، من أزمات تعليم، وبطالة، وصعوبات اقتصادية، وانعكاسات للتحويلات الاجتماعية، وتأثيرات للتطورات السياسية في المحيط الإقليمي.

كل ذلك ينذر بوقوع ما هو أخطر وأسوأ في اختلال الأمن الاجتماعي، مما يستلزم حالة استنفار وطني عام، تتضافر فيه الجهود الأهلية مع الجهود الرسمية، لمواجهة هذه التحويلات والتطورات، وللحفاظ على أمن المجتمع واستقراره، وحماية هويته

(١) الحياة. جريدة يومية تصدر من لندن، ١/٧/١٤١٧هـ.

وقيمه الأخلاقية.

إن هناك قضايا ومشكلات اجتماعية كثيرة تتطلب جهدًا أهليًا مكثفًا للمعالجة، لتحسين أمن المجتمع، وسدّ الثغرات، ومواقع الخلل التي تنفذ منها عوامل الجريمة والفساد، ومن أمثلة تلك القضايا ما يلي:

حماية الأسرة

الأسرة هي خط الدفاع الأول عن أمن المجتمع، حيث توفر الاستقرار النفسي، وتشبع الجوع العاطفي، وتوثق صلة الفرد بمجتمعه، وحين تتعرض الأسرة للاهتزاز والتفكك، تفتح على المجتمع أبواب الشر والفساد، وقد أصبح تكوين الأسرة أمرًا بالغ الصعوبة عند أكثر الشباب والفتيات في الظروف الحاضرة، مما أدى إلى تأخير سنّ الزواج، وارتفاع نسبة العنوسة، وذلك من أهم أسباب الجرائم الأخلاقية وانتهاك الأعراض. كما تتعرض الأسرة اليوم للكثير من الضغوط بسبب ضعف التأهيل للنجاح والتوافق العائلي، وللتأثير السلبي لوسائل الإعلام والاتصالات، وصعوبة توفير متطلبات الحياة.

ونتيجة لذلك تنهار كثير من الأسر، كما تحكي أرقام وإحصاءات وقوعات الطلاق، وتزداد المشكلات والنزاعات العائلية، حسب بيانات المحاكم الشرعية.

إن مجتمعاتنا بحاجة ماسّة إلى جهد أهلي مكثف، يهتم بقضايا الزواج والأسرة والتربية، بتأسيس مراكز ومؤسسات، لتيسير أمور الزواج، ولتأهيل الشباب والفتيات للنجاح في حياتهم الزوجية، ومساعدتهم في تجاوز المشكلات، وتكوين لجان لإصلاح ذات اليبين..

وقد حقق مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج تجربة ناجحة في هذا المجال، حيث تأسس هذا المشروع في الرياض سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، بهدف إعانة غير القادرين من الشباب على تحمل تبعات الزواج المادية، والمساهمة في علاج ظاهرة

العنوسة، ويقدم خدماته ضمن مدينة الرياض في صورة قروض وهبات، كما توجد فيه إدارة لتقديم التوجيهات والإرشادات والدراسات التي يحتاجها الشباب المقبولون على الزواج، وتشير تقارير المؤسسة إلى أنه تصلهم يوميًا ما يقرب من عشرة طلبات من الشباب للمساعدة والقروض من أجل الزواج، ويعمل المشروع على تزويج حوالي ٢٥٠٠ شاب وشابة كل عام.

كما خصص المشروع هاتفاً للاستشارات الأسرية، يقدم من خلالها الاستشارات بالتعاون مع مجموعة من المختصين في القضايا الأسرية والاجتماعية. وقد كانت هناك نتائج ملموسة من خلال تراجع كثير ممن يطلبون الاستشارات عن الطلاق. وفي المشروع وحدة للإصلاح الأسري، وأخرى للإسهام في التوفيق بين راغبي الزواج من الجنسين للحد من ظاهرة العنوسة.

إن كل مدينة وقرية في بلداننا بحاجة إلى مثل هذا المشروع.

مواجهة الفقر

تأسست في مجتمعاتنا جمعيات خيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين، لكنها بحاجة إلى تفاعل وتجاوب أكبر من قبل أبناء المجتمع، فرقة الفقر والحاجة تتسع يوماً بعد آخر، بسبب الظروف الاقتصادية، كما أنه لم يعد كافياً في مواجهة الفقر تقديم مساعدات وإعانات شهرية أو موسمية، بل لا بدّ من وضع حلول ومعالجات جذرية لمحاصرة الفقر، بتشجيع التعليم، وتوفير فرص العمل، والمساعدة على إنشاء المشاريع وموارد الدخل، والسعي لحل أزمة السكن، والاهتمام بالمعوقين من ذوي الاحتياجات الخاصة.

احتضان الشباب

تصل نسبة الشباب في مجتمعاتنا إلى ٥٥٪، وتنصب أكثر ضغوطات الحياة على هذه الشريحة، كما تستهدفها مختلف التيارات والتوجهات، وعصابات الإجرام، وأساليب الإغواء والإغراء، لذلك يشكلون النسبة الغالبية من المتورطين في قضايا الإجرام،

وأدوات الإخلال بأمن المجتمع.

ولا يمكن المراهنة على القمع والعقوبة لردع هذه التوجهات في أوساط الشباب، بل لا بدّ من احتضان هذه الشريحة، وتفهم ظروفهم ومشاكلهم، وفتح الآفاق أمامهم، وإتاحة الفرص التي تمكنهم من التعبير عن ذواتهم، وتنمية طاقاتهم والاطمئنان إلى المستقبل.

وهذا هو دور المؤسسات الاجتماعية والعمل الأهلي، بتكوين أندية ومنتديات وجمعيات للشباب، تشبع لديهم شعور الحاجة للانتماء، وتوفر لهم الثقافة الهادئة، والبرامج المفيدة.

إن الشباب الذين يسقطون في مهاوي الإجرام والانحراف لا يصح أن يُنظر إليهم نظرة مقت وانتقام، بل ينبغي التعامل معهم كضحايا ومنكوبين، يجب تشكيل فرق إنقاذ لإسعافهم وانتشالهم من مهاوي الرذيلة والفساد، والعمل على إعادة تأهيلهم لتجاوز آثار تلك الأمراض التي ابتلوا بها.

وهناك مثلاً تجارب ناجحة لتعافي مجاميع من الشباب من حالة الإدمان على المخدرات، بعد أن توجهت لهم لجان مختصة، تمكنت من استنهاض إرادتهم، وإيقاظ وعيهم، فأصبحوا دعاة خير وصلاح في أوساط زملائهم السابقين.

وفي مدينة صفوى من مدن محافظة القطيف في المنطقة الشرقية، واكبت تجربة رائعة، قام بها الإخوة العاملون في مهرجان الزواج الجماعي، حيث كانوا يعانون من وجود ثلثة من الشباب الطائشين الذين كانوا يستغلون المناسبات الاجتماعية للقيام بأعمال التفحيط بالسيارات والموتوسيكلات، بطريقة خطيرة مزعجة، وكان الكثيرون يدعون إلى مواجهتهم، والاستعانة بالأجهزة الأمنية لقمعهم وردعهم، لكن أحد المسؤولين في إدارة المهرجان فكر في السعي لإصلاحهم، فعقد جلسات ولقاءات مع بعض أقطابهم، واستثار نخوتهم الاجتماعية، وامتدح شجاعتهم وقوتهم، وطلب منهم أن يقوموا بدور

متميز لحماية المهرجان وإنجاح انعقاده، واستطاع أخيراً تحويلهم إلى فرقة عاملة في المهرجان، تقوم بأصعب المهام التنفيذية العملية.

تعزيز الأمن الفكري والأخلاقي

ما يعيشه كثير من الشباب من فراغ فكري، يجعلهم فريسة سهلة للتوجهات الانحرافية، التي تتقن صناعة الإغواء والإغراء، وتستخدم أفضل وسائل التطور العلمي والتكنولوجي.

كما أن ضعف الاهتمام التربوي، والتنشئة الأخلاقية، يجعل نظام المناعة عند شريحة الشباب ضعيفة قابلة للاختراق، بينما تحيط بهم أجواء فاسدة تتعدد فيها أساليب إثارة الغرائز وتحريض الشهوات.

إن الخطاب الديني التقليدي، والمواعظ الأخلاقية التقريرية، لا تستطيع مواجهة هذا الطوفان الجارف من الانحرافات الفكرية والفساد الأخلاقي.

فلا بدّ من تجديد لغة الخطاب الديني، وتحديث أساليب عرض الأفكار والتوجهات، وإنشاء المؤسسات والمراكز التخصصية، لدراسة القضايا الفكرية والمشكلات الأخلاقية، وإجراء البحوث الميدانية والعلمية، لمعرفة طرق التأثير، وأساليب تعزيز الأمن الفكري والأخلاقي.

إن كل ثغرة من ثغرات الأمن الاجتماعي تحتاج إلى جهود مختصة لدراستها، ووضع الخطط لمعالجتها، واعتماد البرامج لمواجهتها، كمشكلة المخدرات، واستخدام العنف، والانحرافات الأخلاقية، والتصرفات الطائشة، وما أشبه.

إن هذه المواقع الشاغرة تحتاج إلى مبادرات وجهود أهلية مكثفة لملء الفراغ فيها، من كل شرائح المجتمع وخاصة الدعاة وعلماء الدين والأثرياء ورجال الأعمال.

ضرورة المؤسسة والنظام في الحالة الدينية

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٨ شوال ١٤٢٨ هـ

قدّم سماحة الشيخ حسن الصفار مجموعة من التوصيات التي من شأنها أن ترتقي بالحالة الدينية الشيعية من حالة اللا نظام إلى النظام والمأسسة، معتبراً ذلك من ضرورات الحياة المعاصرة، ومشيراً إلى الأسباب التي أدت بالحالة الدينية الشيعية إلى الواقع الذي تعيشه الآن. وأكد أن هذا التوجه بحاجة إلى ثقافة جديدة، وخلق رأي عام للتبشير بها، كما أنه من الضروري أن يتوفر في المجتمع نماذج وتجارب صالحة تكون قدوة على هذا الصعيد.

وفي سياق آخر تحدث سماحته عن حقوق الوالدين وأهمية البر بهما وأنها صاحبا فضل عظيم على الإنسان بعد ربه، فينبغي أن يُحفظ لهما فضلها خصوصاً عند كبر سنّهما، مؤكداً أن تحدي الإنسان في الالتزام بالقيم الأخلاقية يحكمه تعامله مع والديه.

وقد بدأ سماحة الشيخ الصفار حديثه في الخطبة الأولى للجمعة ٢٦ شوال ١٤٢٨ هـ بتأكيد على أن الكون والحياة تخضع لنظامٍ دقيقٍ أوجده الخالق سبحانه وتعالى وأكد عليه في الكثير من آيات كتابه المجيد، فيقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية ٤٩]، مضيفاً: إننا نجد هذا النظام واضحاً وجليّاً في كل أبعاد الحياة بدءاً من أجسامنا. وأكد على ضرورة أن يجعل الإنسان حياته ضمن نظامٍ وقانونٍ يحكمها لأن ذلك يضمن لها البقاء والتقدم.

وأشار إلى أن الأمم والمجتمعات تتفاوت مكانتها وسيادتها في العالم تبعاً لتكامل

وسيادة النظام والقانون الذي يحكمها. مؤكداً أن الأمم، مع مرور الزمن، اختلفت أوضاعها وأصبحت تعتمد النظام لتيسير كامل شؤون الحياة سواءً السياسية منها أو الاجتماعية.

من جانب آخر أكد سماحة الشيخ الصفار أن النشاط الديني يُعتبر من أهم الأمور الحياتية التي ينبغي أن تخضع لنظام يحكمها، معرباً في هذا الصدد عن استيائه لواقع معظم النشاط الديني في المجتمعات الشيعية الذي يتعد كثيراً عن المؤسسة والنظام في مختلف جوانبه وشؤونه. مشيراً إلى بعض الأسباب التي أدت إلى هذه الحالة، ومن أبرز تلك الأسباب الظروف السياسية التي عاشها شيعة أهل البيت في الحقبة الزمنية الماضية، وجعلتهم يعيشون الحذر وعدم الاستقرار، ومع مرور الزمن اعتبر البعض أن هذه الحالة هي الحالة الطبيعية بأن تعيش الحالة الدينية اللانظام في مختلف شؤونها وأبعادها. ورغم أن هناك من العلماء من سعى لتغيير هذه الحالة ولكن دون تقدم بالمستوى المطلوب.

وأكد سماحة الشيخ الصفار أن الظروف الراهنة للواقع الشيعي لم تعد كما كانت عليه في السابق، وعليه فمن الضروري جداً أن يتغير الوضع ويتقل واقع الحالة الدينية من اللانظام إلى المؤسسة والنظام. وأشار إلى بعض تلك المتغيرات:

- الظروف السياسية تغيرت، وبالتالي ينبغي أن تتغير طبيعة إدارة الشؤون الدينية.
- المجتمع الشيعي تطوّر، وأصبح الناس فيه على درجة من الوعي، مما أدى لبروز بعض التساؤلات حول إدارة الشؤون الدينية، ومن حق الناس أن يتجهوا بهذا الاتجاه، ولذا ينبغي أن تكون المؤسسات الدينية قادرة على مواجهة هذا الواقع بوعي أكبر.
- لا يُمكن للحالة الدينية مواجهة التحديات المعاصرة بنفس الطريقة السابقة، نظراً لعمق وتقدم هذه التحديات، ولذا كان من الضروري أن تواجه

بأسلوب متقدم.

- على أتباع أهل البيت أن يرتقوا بمستوى مؤسساتهم الدينية إلى مستوى أفضل مما وصل إليه الآخرون، خصوصاً وأننا نعتقد بأفضلية هذا التوجه على باقي التوجهات الدينية.

وفي ختام الخطبة الأولى قدّم سماحة الشيخ الصفار مجموعة من التوصيات التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار ليصبح النظام والقانون حالة طبيعية في المؤسسات الدينية في المجتمعات الشيعية، وكانت التوصيات كما يلي:

- أن يخرج العمل الديني من حالته العفوية إلى الحالة المؤسساتية.
 - أن ينتقل العمل من حالته الفردية إلى الحالة الجماعية.
 - أن يتحول العمل الديني من ردة الفعل إلى التخطيط والمبادرة.
 - أن ينتقل العمل الديني من حالة التكتّم والتحفّظ إلى الشفافية والوضوح.
- مؤكداً أن هذه التوصيات بحاجة إلى ثقافة جديدة، وخلق رأي عام للتبشير بها، كما أنه من الضروري أن يتوفر في المجتمع نماذج وتجارب ناجحة تكون قدوة على هذا الصعيد.

وفي الخطبة الثانية تحدث سماحة الشيخ الصفار عن حقوق الوالدين مستفتحاً الخطبة بفقرة من دعاء للإمام زين العابدين علي بن الحسين إذ يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعُسُوفِ، وَأَبْرُهُمَا بَرَّ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لَوَالِدَيْ وَبِرِّي بِهِمَا أَقْرَ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْتَانِ، وَأَثْلَجْ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمَانِ، حَتَّى أُؤَثِّرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ، اللَّهُمَّ خَفِّضْ لهُمَا صَوْتِي، وَأَطْبِ لهُمَا كَلَامِي، وَأَلِنْ لهُمَا عَرِيكَتِي، وَاعْظِفْ عَلَيْنِهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْني بِهِمَا رَفِيقاً، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقاً».

وأكد على أهمية الوالدين بالتقدير والاحترام والعطف والحنان، فهما أصحاب

الفضل الأول على الإنسان بعد الله تعالى في حياته، فعبرهما يولد الإنسان، ويتربى، ويكبر. وعن طريقهما ينعم بالحنان والعطف الذي لا مثيل له، بل لا يمكن لأحد أن يُقدّم للإنسان عطفاً وحناناً كحنان الأبوين، وخصوصاً الأم.

مضيفاً: إن تحدي الإنسان في الالتزام بالقيم الأخلاقية يحكمه تعامله مع والديه، فإذا نجح في ذلك فإنه مهياً للنجاح في مختلف أبعاد الحياة الأخلاقية والقيمية. وحتى علاقة الإنسان بخالقه يحكمها رضا الوالدين، يقول تعالى: ﴿وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٣]. ويقول تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ دَانَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: الآية ١٤]. وفي الحديث القدسي عن الله تعالى يقول: «وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو أن العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبل منه».

وأشار سماحة الشيخ الصفار إلى أن الحياة المعاصرة فرضت على كثير من الأبناء أن يعيشوا بعيداً عن آبائهم وأمهاتهم، وفي ذلك امتحانٌ كبير للأبناء، فكيف ستكون العلاقة مع الوالدين في ظل الانشغالات الحياتية من جهة، وبعد المكان من جهةٍ أخرى. هنا تجد أن كثيراً من الآباء والأمهات يعيشون الحسرة والألم على عيشهم الوحده في بيوتهم بعيداً عن أبنائهم وإن لم يُعلنوا ذلك.

ويضيف الشيخ الصفار: إن الإنسان قد يغفل عن فضل وجود الوالدين أو أحدهما قريباً منه، ولا يعلم كم لذلك من الأثر الكبير على توفيق الله له في حياته، فإن دعاءً من الوالدين لولدهما يساوي الدنيا وما فيها.

وحتى من مات أبواه، عليه أن يسعى لبرّهما بعد مماتهما، بإهداء ثواب الأعمال الصالحة لهما.

وأكد سماحة الشيخ الصفار في ختام خطبته على ضرورة الالتفات إلى هذا الجانب المهم والحساس لواقع الآباء والأمهات خصوصاً في مرحلة كبر السن، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَبْتَلِيَنَّكَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيماً ﴿سورة الإسراء: الآية ٢٣﴾. وعن الآية الكريمة يقول الإمام الرضا عليه السلام: «لو كانت هناك كلمة أدنى من كلمة ﴿أُفُّ﴾ لاستخدمها القرآن الكريم».

تصاعد وتيرة الانحرافات السلوكية والأخلاقية في المجتمع

خطبة الجمعة بتاريخ ٦ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ

حدّر سماحة الشيخ الصفار من تصاعد وتيرة الانحرافات في المجتمع، مؤكداً أن ذلك دليل فشل الجيل السابق في نقل القيم والمبادئ والأخلاق للجيل الجديد، وأشار إلى ضرورة أن يتّجه المهتمون من المجتمع بالجيل الجديد إلى خلق الأجواء التي تُساعد على تخطي هذه المرحلة الحرجة، ومن أهم العوامل المساعدة لذلك: البيئة الصالحة، والتربية والتعليم المناسبان، وعلاج التعارض بين القيم والمصالح.

وفي سياق آخر عالج سماحته موضوع الغريزة الجنسية حيث اعتبرها الامتحان الأشد خطورةً في حياة الإنسان، وهي تمثل نقطة حساسة جداً في طريق الالتزام بالقيم والمبادئ والأخلاق.

وقد أوضح سماحة الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة السادس من ذي القعدة لعام ١٤٢٨ هـ (١٦ نوفمبر ٢٠٠٧م)، أن كل جيل من الأجيال البشرية إنما ينشأ في أحضان الجيل السابق، ومن خلال ذلك تنتقل إليه الصفات والسمات والقيم والسلوكيات، مؤكداً أن انتقال القيم والأفكار والسلوكيات من جيل لآخر أكثر تعقيداً من انتقال الأمور الأخرى، كاللغة وأساليب المعيشة. مضيفاً: إن البشر بطبيعتهم المندفعة نحو الأهواء والشهوات يُعتبر من أكبر معوّقات الالتزام بالقيم والأخلاق. مؤكداً أنه ينبغي للمهتمين بالجيل القادم أن يحرصوا على تحقيق هذا الهدف الأسمى، وهو أن تتوفر لهذا الجيل المقوّمات التي تُساعده على اكتساب القيم والمبادئ التي نشأ فيها، وسار عليها

الجيل السابق.

وأشار سماحة الشيخ الصفار إلى مجموعة من تلك العوامل، وهي:
 أولاً: البيئة الصالحة، حيث إنها من أبرز المقومات لخلق جيل ملتزم بالقيم الإيمانية،
 وعلى العكس من ذلك البيئة الفاسدة.

ثانياً: التربية والتعليم المناسبان.

وفي هذا الجانب أكد سماحته على ضرورة أن تستجيب العملية التعليمية لتطورات العصر، لا أن تعيش في الزمن الماضي بينما الحياة تتقدم عليها بقرون، مشيراً إلى أنه توجد بعض الإشكالات على بعض المناهج في البلاد الإسلامية وخصوصاً المناهج الدينية، إذ إنها قاصرة عن استقطاب الجيل الجديد، وذلك لأنها تطرح المواضيع الدينية بنفس الأسلوب القديم، الذي لا يتناسب ومتغيرات العصر الحديث. مضيفاً: إن بعض هذه المناهج تطرح قضايا في العقيدة والفقہ لا أساس لها من الوجود في عصرنا الحاضر.

ثالثاً: علاج التعارض بين القيم والمصالح، فالالتزام بالقيم لا يعني نفي المصالح، وبالعكس أيضاً اهتمام الإنسان بمصالحه الشخصية لا يعني أنه غير ملتزم. إضافةً إلى أن مصالح الناس تعددت، وهنا يلفت سماحة الشيخ النظر إلى ضرورة أن يكون هناك تيسير في الأحكام الشرعية من أجل أن يطمئن الجيل الصاعد، بالحفاظ على مصالحه التي يفرضها هذا العصر في إطار الإسلام.

وبعبارات ممزوجة بالألم يقول سماحة الشيخ الصفار: ينبغي لنا أن نعترف بأننا فشلنا في نقل أخلاقياتنا التي ندعي التزامنا بها للجيل الجديد، مؤكداً أن هذه الحقيقة لا تحتاج إلى تدليل، فالظواهر الخارجية المتمثلة في الجرائم والسلوكيات المنحرفة خير دليل عليها، وأشار إلى جانب من إحصائيات الأمن العام السعودي لعام ٢٠٠٦م، التي تقول:

جرائم القتل بلغ عددها (١٥٤٩٢) جريمة قتل، أي بمعدل (٤٣) جريمة

كل يوم.

السرقاا بلغت (٣٩٦٠٨) جريمة سرقة، أي بمعدّل (١١٠) جريمة كل يوم.
الجرائم الأخلاقية بلغت (١١٦٨٠) جريمة.
وقال سماحته مستنكراً: ألا يدل ذلك على فشلنا في امتحان نقل القيم الصالحة

للجيل القادم!

واختتم سماحته حديثه في الخطبة الأولى بلفت أنظار الآباء إلى أنه على كل أب لا يريد أن يرى ابنه مجرمًا، ولا يريد أن يرى ابنته في فخ الانحراف، أن يُجسّد من خلال سلوكه العملي طريق الصلاح والالتزام بالقيم، فذلك مدعاةٌ لأن يلتزم أبناؤه وبناته بذات السلوك الذي يسير عليه. كما أن على الجميع التعاون من أجل خلق الأجواء الصالحة في المجتمع، لا أن يقتصر البعض على محيطه الخاص متجاهلاً المجتمع، فما يُصيب المجتمع قد يصل إلى بيت أي واحد في المجتمع.

وفي الخطبة الثانية عالج سماحة الشيخ الصفار موضوع الغريزة الجنسية حيث اعتبرها الامتحان الأشد خطورةً في حياة الإنسان، وهي تمثل نقطة حساسة جدًا في طريق الالتزام بالقيم والمبادئ والأخلاق.

وأكد على أن الإنسان رغم وجود عدد كبير من الغرائز في شخصيته إلا أن الغريزة الجنسية تبقى هي الأكثر تأثيراً على سلوك الإنسان وتصرفاته، ولذا جعل الله تعالى بدء تكليف الإنسان عند انبثاق هذه الغريزة، ذلك لأن أكثر الذنوب التي قد يتعرض الإنسان لارتكابها، إنما تنطلق من هذه الغريزة.

وأضاف سماحته: إن الله تعالى خلق هذه الغريزة ليتم عبرها استمرار التناسل البشري، كما أنها وسيلة من وسائل استمتاع الإنسان، ووضع الله جل وعلا لذلك ضابطاً شرعيًا يحكم التعامل مع هذه الغريزة.

من جانب آخر، يقول الشيخ الصفار: والغريزة الجنسية هي من الغرائز التي

تتفاعل مع الأجواء الخارجية، فإذا كانت الأجواء الخارجية مثيرة لها، فمن الطبيعي أن تتحرك هذه الغريزة وتتفاعل.

لذا أوجب الإسلام الحفاظ على عفة الأجواء العامة بتشريعها للأحكام التي تقود لذلك، ومن أبرز تلك الأحكام الشرعية: (غض البصر)، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١].

وأشار سماحة الشيخ الصفار إلى أن الممارسة الجنسية كان يفترض في ممارستها الحياء، وذلك من طبيعة البشر، إلا أن الواقع الخارجي يُثبت عكس هذه الحقيقة، فمثلاً مواقع الإنترنت تضم عدداً ضخماً من المواقع الإباحية. كما أنه بات طبيعياً بيع الأفلام الإباحية في الأسواق. مؤكداً سماحته أن أجواء المجتمع أصبحت تُهيج الغريزة الجنسية بمختلف الوسائل والطرق.

مضيفاً: إن الشرع الشريف يؤكد على ضرورة الابتعاد عن المقدمات التي تؤدي إلى الفساد، ومنها النظرة المحرّمة، يقول الرسول الأكرم ﷺ: «من ملئ عينيه من حرام، ملئ الله عينيه يوم القيامة من النار»، ويقول الإمام علي ﷺ: «العيون مصائد الشيطان»، ويقول ﷺ: «من غصّ طرفه، أراح قلبه»، وقال ﷺ: «نعم صارع الشهوات غض البصر».

واختتم سماحة الشيخ الصفار الخطبة بمقطع من رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ يقول فيه: «وحق فرجك أن تُحصّنه عن الزنا، وحفظه مما لا يجل لك، والاستعانة عليه بغض البصر، فإنه من أعون الأعوان، وضبطه إذا هم بالجوع والظما، وكثرة ذكر الموت والتهديد لنفسك بالله، والتخويف لها به».

التوافق الصعب في المجتمعات العربية

خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار في الخطبة الأولى للجمعة لتجاوز حالة الصراع والنزاع التي تعيشها أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، والاحتكام للصلح والوفاق، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، مؤكداً أن الواقع العربي والإسلامي يعيش حالة التمزق والصراع في أغلب حالاته، وأشار إلى أهم الأسباب وراء هذه الحالة: سيطرة العواطف والانفعالات، على حساب التعقل، روح الهيمنة والغلبة على الطرف الآخر، على حساب الاعتراف بالآخر وبحقه في المشاركة في الساحة بشكل عام، وأخيراً فقدان المرجعية القانونية والدستورية.

وفي الخطبة الثانية تحدث سماحته بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الرضا عن الجانب العلمي في حياة الإمام مقتبساً من توجيهاته قوله: لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا.

وأكد سماحة الشيخ حسن الصفار في الخطبة الأولى للجمعة الثالث عشر من ذي القعدة لعام ١٤٢٨ هـ (٢٣ نوفمبر ٢٠٠٧ م) أن حدوث الاختلافات والصراعات في المجتمعات البشرية أمرٌ طبيعي، نظراً لاختلاف الآراء والأفكار من جهة، وتضارب المصالح من جهةٍ أخرى. مضيفاً أن هذه الحالة الطبيعية قد تتجاوز الحدود في حال تحوّلت إلى صراعٍ مدمر. وأوضح أن الفطرة والعقل ويؤيدهما الشرع في التأكيد على أن

الأصل في حل الخلافات هو إيجاد آلية وقانون. وهذا المنهج الذي تسير عليه المجتمعات المتقدمة، بعكس الواقع الذي تعيشه المجتمعات المتخلفة، التي تنجح إلى تحويل الخلافات الصغيرة إلى معارك وحروب طاحنة.

وأكد الشيخ الصفار أن أغلب الدول العربية والإسلامية تعيش حالة الصراع والاحتراب، وأعطى مثلاً على ذلك الواقع المرير الذي تعيشه الصومال، والنزاعات الداخلية في الشعب الفلسطيني رغم أنه يعيش تحت وطأة الاحتلال، والوضع المجهول الذي يعيشه الشعب اللبناني في هذه المرحلة.

وأشار إلى أن الوضع اللبناني مع خطورته إلا أن هناك جهات خارجية مغرضة تتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية التي تريد أن تزيد الوضع خطورةً بانحيازها لجهة ضدّ أخرى، وتتوعدّ كل مع يقف مع الطرف الآخر، وتُعلن ذلك على الملأ.

وتساءل سماحة الشيخ الصفار: لماذا تكون مجتمعاتنا العربية والإسلامية أقرب للنزاع والصدام، منها للوفاق والصلح؟ مؤكداً أن الدين الإسلامي يؤكد على أن الصلح خير، يقول تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنًا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٨]، مضيفاً أن المفسرين يؤكدون أن كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ ليست من باب تفضيل الصلح على سواه، فهذا أمر طبيعي، وإنما هي صفة مشبهة، وتعني أن الصلح هو بذاته خير. وتؤكد الآية الكريمة أن الركون إلى الصلح يستلزم تطهير النفس من البخل الذي يتمثل في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، ومن مصاديق ذلك: عدم قبول بعض الأطراف لتقديم التنازلات رغبة في الصلح، وهذه الحالة بالطبع معوّق أساس للوصول إلى الصلح.

وقال الشيخ الصفار: المشكلة الأساس للركون إلى النزاع والصراع مشكلة أخلاقية تتمثل في عدم وصول هذه المجتمعات إلى النضج الكافي الذي يؤهلها لتجاوز هذه الحالة، مشيراً إلى ثلاثة أسباب تُكرّس حالة النزاع والصراع:

أولاً: سيطرة العواطف والانفعالات، على حساب التعقل. فأحياناً يفكر الإنسان بطريقة عقلانية في مواجهة الاختلافات، وأحياناً يتجه إلى الصراع والنزاع دون دراسة العواقب.

ثانياً: روح الهيمنة والغلبة على الطرف الآخر، على حساب الاعتراف بالآخر وبحقّه في المشاركة.

ثالثاً: فقدان المرجعية القانونية والدستورية، وهذا ما توجّهت إليه المجتمعات المتقدمة فيما بينها، أما المجتمعات العربية والإسلامية فأغلبها تعيش بلا دستور، وإذا وُجد الدستور يكون الخلاف والصراع في فهم الدستور وتطبيقه. وكأن هذه المجتمعات بالفعل عندها شهية مفتوحة للنزاعات والصراعات.

مختتماً حديثه بالتأكيد على ضرورة أن يُطبّق كل فرد هذه المسألة على حياته سواءً العائلية أو الاجتماعية، ويرى أين هو من هذه المعادلة.

وفي الخطبة الثانية هنا سماحة الشيخ الصفار جموع المصلين بذكرى ميلاد ثامن الأئمة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مؤكداً على أهمية استثمار هذه الذكريات في التعرف إلى شخصيات الأئمة، والإمام الرضا كسائر الأئمة، كان الشخصية الأبرز في عصره بإجماع معاصريه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ولم تقتصر أفضلية الإمام على جانب دون آخر.

وركّز الشيخ الصفار على الجانب العلمي للإمام الرضا مستطرداً في ذكر بعض النقول التي تبين شهادة الكثير للإمام بالأفضلية والعلم.

فعن محمد بن عيسى اليقطيني: جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر ألف مسألة.

وعن أبي الصلت الهروي: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء

الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل وأقر على نفسه بالقصور.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيوا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها. وعن إبراهيم بن العباس: ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم.

وعن علي بن يقطين: قال لي موسى بن جعفر عليه السلام: هذا أفتقه ولدي. مضيفاً أن مكانة أهل البيت في الأمة ليست مجهولة ولا منكورة، فالمنصف يجد نفسه أمام شخصيات امتلكت مقومات الفضل والكمال، وهذا هو دافعنا في الاعتقاد بإمامتهم، إضافةً إلى ما نعتقده من وجود النص الدال على ذلك. ونحن - كما يقول الشيخ الصفار - إذا أردنا أن نتعلم أمور ديننا فعلياً أن نتجه إلى أفضل مصدر وأوثق مصدر، وهذا لا يتحقق إلا عند أهل البيت عليهم السلام.

ونقل الشيخ الصفار روايةً عن الإمام الرضا يقول فيها: لا يستكمل عبداً حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: «التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا»، مؤكداً أن الإيمان قد يكون قسرياً وقد يكون حقيقياً، والإمام الرضا في هذه الرواية يؤكد على أهمية الجانب السلوكي في تحقيق حقيقة الإيمان.

وأضاف الشيخ الصفار: إن الإمام الرضا يؤكد في حديثه على ثلاثة جوانب مهمة

ينبغي التوجه إليها بوعي:

الأول: التفقه في الدين.

وليس المقصود هنا الفقه بمعناه الاصطلاحي، أي تعرف الأحكام الشرعية وحسب، وإنما ينبغي التوجه إلى معنى التفقه الذي يعني الفهم، بحيث يكون الإنسان فاهماً للأبعاد الدينية المختلفة. ودعا سماحته إلى ضرورة أن يكون للإنسان برنامجاً للتفقه في الدين.

الثاني: حسن التقدير في المعيشة

خصوصاً مع التضخم الاقتصادي، والذي يتبعه غلاء في جميع الأشياء، تكون الحاجة إلى حسن التقدير في المعيشة حاجة ماسة وضرورية. مؤكداً أن على الجميع التوجه باتجاهين:

١. الفاعلية والنشاط الاقتصادي، فنحن نعيش في بلد تكثر فيه مجالات الكسب وتحصيل الثروة، والمطلوب لتحقيق ذلك فاعلية ونشاط.
٢. التخطيط في الإنفاق، فليس من التقدير في المعيشة أن يصرف الإنسان بدون أن يكون له تخطيط استراتيجي للصرف، أو ميزانية واضحة للصرف.

الثالث: الصبر على الرزايا

فالحياة لا تخلو من صعوبات ومشاكل وأزمات، وهنا ينبغي للإنسان أن يتمثل بالصبر، ليحرز الأجر والثواب من جهة، والخروج من المصائب بأقل الخسائر.

إسرائيل من صراع الحدود إلى صراع الوجود

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار الأنظمة العربية بأن لا تفرض ضروراتها على خيارات الشعوب في مقاومة إسرائيل، مقلداً من التوقعات المعقودة على مؤتمر أنابوليس، مشيراً إلى أن الكيان الصهيوني يشعر الآن انه يخوض صراع وجود بفعل المقاومة داخل فلسطين وفي لبنان، وبإصرار الشعوب الإسلامية على مواجهته ورفض التطبيع معه. جاء ذلك في الخطبة الأولى لصلاة الجمعة التي ألقاها الشيخ الصفار في القطيف بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧م.

وبدأ سماحته بالحديث حول الآية الكريمة ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية: ٣٥]. فإن الله تعالى يحذر المسلمين من التفاوض مع العدو من موقع الشعور بالضعف والوهن، فذلك يفسح المجال للعدو لفرض شروطه، ويشجعه على تكرار عدوانه، ثم توجه الآية الكريمة المسلمين إلى استحضار مكان قوتهم ونقاط تفوقهم لتفعيلها في مواجهة العدو، ولتكون مصدراً للشعور بالثقة والقوة، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾. وهذه الآية لا تنافي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فليس أصل المسالمة والمهادنة مرفوضاً، وإنما المرفوض الانطلاق من موقع الوهن والضعف.

وعن مؤتمر (أنابوليس) الذي انعقد في الولايات المتحدة الأمريكية، لإطلاق

المفاوضات من جديد حول القضية الفلسطينية، قال الشيخ الصفار: إنه للاستهلاك السياسي والإعلامي، نظراً لتدني شعبية بوش وأولمرت داخل بلديهما. وهدف إيهام الرأي العام العربي والإسلامي باهتمام الإدارة الأمريكية بالقضية الفلسطينية. إن إسرائيل كيان غاصب قام على العدوان والإجرام ولا يمكن الثقة بأي مفاوضات معها، كما أثبتت ذلك تجارب مؤتمر مدريد للسلام، ولقاءات أوسلو، وخارطة الطريق، وكل التنازلات التي قدمتها بعض الأنظمة العربية والتي وصلت إلى حد التطبيع مع إسرائيل.

إن الشيء الوحيد الذي تفهمه إسرائيل هو مقاومتها في مختلف الميادين، وواضح جداً من تصريحات عدد من قادة إسرائيل ومفكريها أنهم يشعرون الآن أنهم في صراع وجود بعد أن كانوا خلال العقود الماضية في صراع حدود.

كانوا ينكرون وجود الشعب الفلسطيني ويرفعون شعار أن اليهود شعب بلا أرض وفلسطين أرض بلا شعب، وكانوا يتحدثون عن القضية الفلسطينية باعتبارها قضية لاجئين، وكانوا يطمحون إلى بناء دولة واسعة من النهر إلى البحر، ويتطلعون إلى الهيمنة على مقدرات المنطقة ومصيرها.

لكنهم الآن وبفعل ممانعة الشعوب الإسلامية ورفضها، وبفضل صمود الشعب الفلسطيني وتضحياته، وانتصارات المقاومة الإسلامية في لبنان، صاروا يتحدثون عن القبول بدولة فلسطينية، ويقبلون التفاوض عن القضايا النهائية كالحدود والقدس واللاجئين.

وإذا كانت الأنظمة العربية تجد نفسها مضطرة للتعاطي مع الدعوات الأمريكية باسم السلام، فإن عليها أن تفسح أمام الشعوب لممارسة خياراتها.

واستنكر الشيخ الصفار على السلطة الفلسطينية قمعها لشعبها الذي خرج متظاهراً ضد مؤتمر (أنابوليس)، فلماذا تمنع الأنظمة الشعوب حتى من التعبير عن موقفها

الرافض لإسرائيل؟

الخطبة الثانية

فيها أبدى سماحة الشيخ الصفار تفاؤله بانخفاض مستوى العنف في العراق، وتوجه الساحة العراقية إلى تجاوز آثار الفتنة الطائفية، مشيراً إلى زيارة وفد من علماء السنة والشيعة العراقيين من مختلف المحافظات إلى سماحة المرجع السيد علي السيستاني في النجف الأشرف وقوله لهم: (أنا خادم للعراقيين، وأحبهم جميعاً، ولا فرق بين سني أو شيعي أو كردي أو مسيحي)، مضيفاً سماحة السيد السيستاني: (أنا منذ اليوم الأول لسقوط النظام كنت أدعو للوحدة، وكانت البيانات الصادرة من المكتب كلها تدعو إلى الوحدة بين الشيعة والسنة، وكنت أقول لأتباعنا: لا تقولوا لأهل السنة إخواننا السنة بل قولوا أنفسنا، أما هذه الأعمال المؤلمة التي جرت في العراق فهي بفعل الأجانب من خارج العراق الذين حاولوا اختراقنا وزرع الفتنة بين العراقيين).

واستذكر آية الله السيستاني قصة سفيان الثوري، وكيفية أخذه واستفادته من علوم وأفكار الشيعة دون أن يرى مشكلة في ذلك، وكذلك ما تعرض له مالك إمام المذهب المالكي والشافعي إمام المذهب الشافعي من اتهامات بالتشيع لأن فتاواهما كانت قريبة من فتاوى الإمام جعفر الصادق وآرائه.

وختم الشيخ الصفار الخطبة بأن على سائر الشعوب أن تتأمل تجارب البلدان التي عانت من الصراعات الداخلية، حيث لم يتمكن طرف من حسم المعركة لصالحه، ووصلوا إلى أن لا بديل عن الحوار والتفاهم، رأينا ذلك في السودان بعد سنين من القتال بين الشمال والجنوب، وسقوط آلاف الضحايا، وإتاحة الفرصة لتدخلات الأجانب، ثم انتهوا إلى الحوار والمشاركة. وهكذا الحال في لبنان في أعقاب الحرب الأهلية التي استمرت خمسة عشر عاماً.

ويتكرر الآن الأمر نفسه في العراق، فلا بديل من أن تتحاور الأطراف مع بعضها ويصلون إلى اتفاق يحفظون به على وحدة بلادهم وضمّان مصالحهم.

مستشهداً بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «إن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحداً بفرقة خيراً، ممن مضى ولا من بقي».

الاحتفاء باليوم العالمي لحقوق الإنسان

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله تعالى فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين بعضهم من بعض»^(١).

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ كلام يتفق مع مضمون هذا الحديث، فيه تأكيد على أن أي اجترأ أو تعدّ من قبل الإنسان على شيء من حقوق أخيه الإنسان هو - عند الله - أعظم جرماً من الاعتداء على شيء من حقوقه سبحانه، يقول ؑ: «وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَزْحًا بِالْمُدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ»^(٢).

هذان توجيهان دينيان كريمان يرشدان الإنسان المسلم إلى أهمية الاهتمام بحقوق الناس، بحيث يقدمان ذلك على أداء حقوق الله سبحانه، فحينما يعتدي الإنسان على شيء من حقوق الله فيقصر في عبادة أو طاعة وإن كان لا ينبغي للإنسان مثل هذا التقصير، فإن هذا التقصير قد يُعفى الإنسان من تبعاته يوم القيامة، وهو ما تؤكد آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن عفو الله ومغفرته يوم القيامة.

(١) كنز العمال. باب الظلم والغضب ص ٤٩٨ ح ٧٥٨٨.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦، ص ٢٥٥.

وفي المقابل فإن أي اعتداء على حق من حقوق الناس، هو اعتداء غير قابل للعفو من قبله سبحانه، لأنه غير مرتبط بالله، بل بالطرف الآخر من الناس، فهي حقوق شخصية، لا يمكن لله سبحانه أن يتجاوز عنها، وإنما يقتص لأصحابها. لذلك كان من المفترض بالمسلمين أن تكون مثل هذه الأحاديث والإرشادات الدينية دافعاً لهم للحرص على تحقيق مظاهر حقوق الإنسان في المجتمعات الإسلامية أكثر من الأمم والشعوب الأخرى.

القيادات الدينية ورعاية حقوق الآخرين

وقد كان عهد رسول الله ﷺ أنموذجاً راقياً في رعاية حقوق الآخرين، وذلك لما مثله الرسول ﷺ من تحقيق لذلك في تعامله مع أعدائه قبل أصحابه. حتى إنه ﷺ قبيل وفاته أعلن في خطبة له أمام المسلمين استعداده لتقبل القصاص منه لأي مظلمة لأحد عليه، كما ورد في بعض روايات السيرة النبوية، أنه ﷺ قال: «إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوز ظلم ظالم فنادتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء»^(١).

ويقسم الإمام علي ﷺ بالله تعالى على أنه يفضل تحمّل أقسى الآلام والمعاناة على التورط في تجاوز أدنى الحقوق لأحد من الناس، يقول ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيَّتَ عَلَيَّ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجْرِيَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْخَطَامِ»^(٢).

وفي هذا السياق ينقلون عن المرجع الديني السيد حسين البروجردي ﷺ، الذي كان زعيم الحوزة الدينية في قم المقدسة في أيامه، أنه سئل في أحد بحوثه الخارج من قبل

(١) بحار الأنوار. ج ٢٢ ص ٥٠٨ ح ٩.

(٢) نهج البلاغة. من كلام له ﷺ يتبرأ من الظلم، خطبة رقم ٢١٥.

أحد الطلبة سؤالاً، وأجابه بما يوضح الفكرة ويرد ما لديه من تساؤل، ومع ذلك لم يقتنع الطالب بالإجابة، فأعاد السؤال مرة أخرى، فأجابه السيد البروجردى منفعلًا، فصدرت منه كلمة نائية تجاه الطالب.

وفي منتصف الليل تفاجأ أحد أعوان السيد في مكتبه بمن يدق بابه، وإذا به السيد البروجردى، الذي كان يذكره بما دار نهارًا حول هذا الموقف، وإن كان يعرف بيت ذلك الطالب وذلك رغبة في الاعتذار منه.

حيث أخبره السيد البروجردى بأنه - بسبب هذا الموقف - لا يستطيع الخلود إلى النوم قبل أن يعتذر لهذا الطالب عما توجه به إليه، رافضاً الانتظار حتى الصباح خوف أن يدركه الأجل وهو محمّل بوزر تلك الكلمة القاسية تجاه تلميذه.

ومما يؤسف له أن تكون المعادلة لدى بعض المتدينين معكوسة، فتراه لا تسمح له نفسه بأن يفوت على نفسه صلاة، أو أن يترك يوماً من شهر رمضان دون أن يصومه، وفي موسم الحج تراه على درجة كبيرة من الدقة في تطبيق مناسك الحج، لدرجة أن يصل بهم الأمر في موضوع الحرص على أداء العبادة إلى مستوى الهوس والوسواس في تطبيق هذه الأحكام، فنرى البعض يعيد الوضوء مرات، حتى يتيقن من صحة وضوئه.

وهو أمر ناشئ عن الحرص في أداء العبادات وأحكامها، وهو أساس جيد، فلا بد للإنسان من وازع ذاتي تجاه تطبيق الأحكام، ولكن أن تصل الحالة إلى الهوس، فهي حالة مرضية غير مطلوبة.

ونحن نتساءل: لماذا لا يكون هناك حالة من الوسواس والهوس تجاه حقوق الآخرين المادية والمعنوية، ولماذا نرى أوجهًا كثيرة من التقصير في هذا الجانب، لدى شريحة كبيرة من المتدينين؟

الاهتمام بثقافة حقوق الإنسان

لعل الدوافع الذاتية والقيمية داخل المجتمعات غير الإسلامية لا تكون بتلك القوة الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهم لا يمتلكون هذا التوجيه الديني والروحي الذي نمتلكه في الإسلام، لكنهم شعروا بأهمية حقوق الإنسان فيما بينهم، وبخاصة في مجال الحريات العامة وتحقيق الكرامة لعموم الإنسان، إذ رأوا ذلك يحقق لهم من المصالح الذاتية والاجتماعية الشيء الكبير، ووضعوا لذلك القوانين والمواثيق التي رعتها كثير من المؤسسات والمنظمات والهيئات الحكومية والمدنية، تحولت مع الزمن إلى مؤسسات دولية ومواثيق عالمية، لعل من أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، ومجلس حقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٦م.

وها نحن نستقبل اليوم العالمي لحقوق الإنسان، الذي يصادف العاشر من ديسمبر من كل عام، وهي مناسبة تحتفي بها الشعوب والمؤسسات العالمية.

وربما يكون من الغريب على مجتمعاتنا أن تحتفي بغير تلك الأيام التاريخية التي ترتبط بمناسباتنا الدينية، وهي عادة جيدة وحسنة، ولكن لا يصح أن نغيب عن عصرنا وواقع حياتنا، والاحتفاء بمثل هذه المناسبة العالمية التي لا تختص بشعب دون آخر، أو ديانة دون أخرى في طليعة التأقلم مع الحياة المعاصرة، وبخاصة أن هذا الإعلان ينادي بما نادى به النصوص الإسلامية قبل أكثر من أربعة عشر قرناً.

النظرة الضيقة

في بعض الأوساط الدينية - عندما يطرح أمامها تبني الاحتفاء بمثل هذه المناسبات - ترفضها بدعوى أنها منتج غربي، لا يمتُّ للإسلام بصلة، وهي نظرة ضيقة وغير صحيحة، فأول نداء بتكريم الإنسان والدفاع عن حقوقه بشكل شامل وعميق انطلق من رسالة الإسلام، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠].

إن المفاهيم والتشريعات والقوانين الإسلامية كلها تدل دلالة واضحة على اهتمام الدين بحقوق الإنسان أكثر من أي ديانة أخرى، سماوية كانت أو وضعية.

وما حدث هو ابتعاد المسلمين في واقعهم الحياتي عن كثير من هذه المفاهيم والتشريعات، واقتصارهم - في تطبيق الدين - على طقوس وعبادات فردية، على حساب الاهتمام بالجانب التشريعي الجماعي والمؤسسي.

من جهة أخرى، قد تُنتهَم دعاوى المؤسسات والهيئات الغربية أو العالمية بالازدواجية في المعايير، وبأنها مجرّد واجهة إعلامية لما تقوم به حكوماتهم من نهب لثروات وخيرات بقية بلدان العالم، ولا توجد أي مصداقية لمثل هذه المناداة بحقوق الإنسان.

وهو طرح صحيح إلى حدّ كبير، وبخاصة فيما يخص بعض إدارات الدول المستكبرة، كما هو الحال مع الإدارة الأمريكية الحالية في صورتها البشعة باحتلالها لأفغانستان والعراق، وفي حصارها للشعب الفلسطيني، وتحالفها مع الكيان الصهيوني الغاصب.

لكن المسألة لا ترتبط بالحكومات، بقدر ما هي مناداة لعقول وضائر الشعوب الحية في جميع مناطق العالم، بشتى انتماءاتهم وأعراقهم ومعتقداتهم، وكذلك المسألة ترتبط بالمؤسسات الدولية التي يجب تفعيلها على هذا الصعيد، وإلا فإن المراقبين في العالم اليوم يرصدون تراجعاً في الالتزام بحقوق الإنسان حتى في داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد نشرت صحيفة الحياة يوم الجمعة (٧/١٢/٢٠٠٧م) تقرير وزارة العدل الأمريكية، الذي: (أظهر ارتفاعاً «غير مسبوق» في عدد السجناء الأميركيين، أو الخاضعين لرقابة قضائية، بين العامين ألفين، عندما تولى الرئيس جورج بوش، حتى نهاية العام ٢٠٠٦.

وأفاد مكتب الإحصاء في الوزارة أن ما يصل إلى ٢, ٧ مليون رجل وامرأة في الولايات المتحدة يخضعون للإصلاح، بينهم ٢, ٢٥ مليون في السجون ونحو خمسة

ملايين لرقابة قضائية أو اجتماعية. وهذه النسبة هي الأعلى في العالم، إذ تؤوي السجون الأميركية ٧٥١ شخصاً من أصل كل ١٠٠ ألف نسمة.

ولاحظت منظمة «هيومن رايتس ووتش»، التي تعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان، إن الولايات المتحدة لم تشهد يوماً مثل هذه النسبة المرتفعة من السجناء.

ومقارنة مع الولايات المتحدة، لا تزيد نسبة السجناء في بريطانيا (الأعلى أوروبا) على ١٤٨ سجيناً لكل مئة ألف نسمة وفي كندا ١٠٧ وفرنسا ٨٥. وتزيد النسبة المسجلة في الولايات المتحدة على النسبة في ليبيا (٢١٧ سجيناً لكل مئة ألف نسمة) وإيران (٢١٢) والصين (١١٩).

وارتفع عدد السجناء في الولايات المتحدة بنسبة ٥٠٠ في المئة خلال العقود الثلاثة الأخيرة ويواصل ارتفاعه. كما أن عدد السجينات ازداد بنسبة ملحوظة (٥, ٤ في المئة) في الأعوام الخمسة الأخيرة).

ويضاف إلى هذا كله ما تقوم به الجهات الأمنية الأميركية من مضايقات وإجراءات تشددية تجاه المواطنين، وأولئك القادمين إلى الولايات المتحدة.

هذا، فضلاً عن معتقل غوانتانامو، الذي يعامل فيه المتهمون دون مراعاة لأدنى حقوق الإنسان. وكذلك ما يحصل في العراق، والفضائح التي ظهرت في سجون أبي غريب، وفي تعامل مرتزقة هذه الإدارة وجنودها مع المواطنين العراقيين. ولكن هذه الممارسات لا يصح أن تكون ذريعة لأن نهمل أو نتجاهل مسألة حقوق الإنسان، فعلى الشعوب أن تتبنى هذه المسألة، وأن تتفاعل معها.

دعم مسيرة حقوق الإنسان في المملكة

ونحن هنا نريد أن نقرب الصورة إلى ما يجري في بلادنا، فقد أصبح موضوع حقوق الإنسان مطروحاً ومشروعاً، بعد أن كان في الماضي يعد الحديث عنه ضرباً من

المعارضة السياسية.

ولكنه بفعل التطورات الداخلية والدولية التي أوجبت أن يكون موضوع حقوق الإنسان موضوعاً مطروحاً يناقش ويتحدث حوله، تكونت لجان ومؤسسات رسمية تعنى بهذه المسألة، حيث أنشئت الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وهيئة حقوق الإنسان، وهذه خطوة متقدمة في بلادنا.

كما أن الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان أصدرت أول تقرير يتحدث عن أوضاع حقوق الإنسان في المملكة، وعن بعض مجالات الانتهاكات، وهي خطوة متقدمة ورائدة.

وهذا لا يعني أننا في وضع مستقر من هذه الناحية، فما زلنا نطمح للمزيد من الخطوات، ولكن هذه الخطوات التي نأمل بتحقيقها لا يمكن أن تتحقق دون تفاعلنا مع مثل هذه المبادرات، وذلك بغية التطوير في مسيرة حقوق الإنسان داخل وطننا.

زيارة وفد هيئة حقوق الإنسان للمنطقة

وكان قد زار المنطقة قبل أسبوعين وفد من هيئة حقوق الإنسان بالمملكة من أجل البحث في بعض القضايا التي يشكو منها المواطنون في المنطقة، سواء فيما يرتبط بمجال شعائرهم الدينية، أو صلاحيات محكمة الأوقاف والمواريث، وقضايا أخرى مختلفة، وقد تواصل هذا الوفد مع بعض فعاليات وأعيان المنطقة.

وهي بادرة نأمل أن يرى الناس نتائجها إن شاء الله، ولا نريد أن نكون مثاليين، فتتوقع أن تعالج جميع القضايا دفعة واحدة، وبالطريقة المثالية التي يفكر بها البعض، لأننا لا ندعي بأن ما يحصل عالج كل القضايا العالقة، وأن الوضع كما يرام، وهو أمر لا تدعيه الجهات المعنية - كذلك -، ولكننا في الوقت نفسه لا ينبغي أن نتجاهل التطورات الإيجابية، بل علينا أن نتعاون مع هذه الجهات والمؤسسات، فالتواصل معها وإيصال

الشكاوى والقضايا هو الذي يدفع بمسيرتها.

ما ضاع حق خلفه مطالب

وهنا أودّ الإشارة إلى نقطة مهمّة، وهو ما نتمتع به في هذا العصر من وجود وسائل الاتصال والإعلام المختلفة، فنحن نرى كيف أن قضية شخصية - في حال سلطت عليها الأضواء - تصبح قضية محلية، أو عالمية في بعض الأحيان، تُتخذ بعدها كثير من الاحتياطات، ويعاد النظر بسببها في بعض الأنظمة والقوانين.

وذلك مثل قضية الطفلة (غصون) ذات التسع سنوات التي قضت بسبب التعذيب من قبل والدها وزوجته في مكة المكرمة، والتي تحدث عنها الإعلام، إذ دعت مثل هذه القضية إلى الاهتمام بموضوع العنف الأسري، وكذلك الحريق الذي أصاب مدرسة للبنات في مكة المكرمة، الذي سلّط الضوء على بعض أوضاع تعليم البنات، فاتخذت بسببه إجراءات معينة من أجل تحسين الأوضاع فيها.

وهو أمر ينطبق على مجال القضاء في حال حصول أي خطأ أو مخالفة، فإن المطالبة بالحقوق القانونية وتسليط الضوء عليها قد يساعد في حل بعض المشاكل، ويرفع حالات الظلم على المتضررين.

ولا بدّ - هنا - من الإشارة إلى أن المطالبة بالحقوق لا نعني به الجهات الرسمية فقط، فهناك ظلم اجتماعي يطال كثيرًا من أفراد المجتمع، فما يشير إليه تقرير جمعية حقوق الإنسان هو أن الشكاوى التي وصلت إليها في غالبها من الناس تجاه بعضهم بعضًا، من الزوجات تجاه أزواجهن، ومن الأبناء تجاه آبائهم، ومن العمال تجاه أرباب أعمالهم، وهكذا.

وتلخيصًا لما مضى أركّز على نقاط ثلاث حول موضوع حقوق الإنسان:

أولاً: الاهتمام بثقافة حقوق الإنسان، خاصة ونحن نستقبل ذكرى الإعلان العالمي

لحقوق الإنسان، فنقرأ عن هذه الحقوق، ونشارك في حضور الندوات والمحاضرات التي تقام بهذا الخصوص، ونشجع المبادرات الاجتماعية بهذا الاتجاه.

وهنا تقع مسؤولية كبيرة على الخطباء والكتاب، إذ يجب أن يكون لهم دور في تسليط الضوء على هذه المسألة ونشر ثقافة حقوق الإنسان بين المواطنين.

ثانياً: التعاون مع هذه المؤسسات الحقوقية، من خلال العضوية فيها والارتباط بها، وإيصال الشكاوى والآراء والمقترحات إلى فروعها المختلفة في مناطق المملكة.

ثالثاً: على أي إنسان تعرض لظلمة ألا يسكت عن المطالبة بحقه وردّ ظلامته. وذلك وفق الأساليب المشروعة والممكنة، وبخاصة أن وسائل الشكاوى والتظلم اتسعت مع توفر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، بحيث يمكن للإنسان في أي بقعة من العالم أن يوصل صوته لكثير من المؤسسات والهيئات الدولية.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتورعين في دينه الذين يراعون حقوقه سبحانه وحقوق الناس، وهي حقوق تبدأ بالتعامل مع الزوجة والأبناء والعمال والخدم، ومع زملاء العمل، ولا تنتهي بمن نلتقيهم في محيطنا الاجتماعي والوظيفي.

خطورة العنف العائلي والاهتمام بالنظافة

خطبة الجمعة بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

حدّر سماحة الشيخ حسن الصفار من خطورة العنف الأسري مؤكداً أن ذلك من مظاهر العدوان. ومن جانب آخر أذان الممارسات الإرهابية التي أفقدت المجتمعات الإسلامية الأمن والاستقرار، معتبراً أنها تشوّه صورة الإسلام، وفيها تعمّد الإساءة للشريعة السمحاء.

وفي سياق آخر تناول سماحته اهتمام الإسلام بالنظافة إذ أعطاها صبغةً شرعية فأوجبها في بعض الموارد، وندب إليها في كل الأمور. مستعرضاً العديد من النصوص الدينية في الموضوع، مؤكداً أنه ينبغي للمسلمين الذين يؤمنون بهذا الدين الحنيف الذي يدعو للنظافة أن يُحسّدوها في حياتهم، بيد أن الأمر ليس كما ينبغي في الغالب، وواقع المسلمين في الحج خير شاهدٍ على ذلك.

وقد استعرض سماحة الشيخ الصفار في الخطبة الأولى للجمعة ٣ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ (١٤ ديسمبر ٢٠٠٧ م) النصوص الواردة في موضوع النظافة، مؤكداً أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان، ففي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «النظافة من الإيمان، والإيمان وصاحبه في الجنة»، مشيراً أن هذا الحديث موجود في المصادر الشيعية كبحار الأنوار، ومثيلٌ له أو بما معناه في المصادر السنية كسنن الترمذي حيث جاء فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله طيبٌ يُحبُّ الطيب، نظيفٌ يُحبُّ النظافة». وفي كنز العمال، للمتقي الهندي، جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تنظّفوا بكل ما استطعتم، فإن الله تعالى بنى

الإسلام على النظافة».

وأشار إلى أن النظافة تعني التقاوة، والخلو من الوساخة والدرن والنجس. مؤكداً أنه من الطبيعي أن يتعرّض جسم الإنسان وثيابه والأدوات التي يستخدمها إلى الأوساخ والقذارة، وذلك إما عن طريق إفرازات جسم الإنسان نفسه، أو من الخارج، لذا فإنه يجب أن يتعهّد الإنسان جسمه بالنظافة، ليكون نظيفاً في محيط نظيف.

وأضاف الشيخ الصفار إن الفطرة والعقل يأمران بالنظافة، وفوق ذلك فإن الإسلام أعطى للنظافة صبغةً شرعية، حيث أوجبها في بعض الموارد، وندب إليها في كل الأمور والأحوال، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٨]، إضافةً إلى ذلك فإن القرآن الكريم قرن النظافة المادية المحسوسة بالنظافة المعنوية، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٢].

وأشار الشيخ الصفار إلى جانبٍ من آثار وفوائد النظافة على حياة الإنسان، ومنها:

- حماية الجسم من الجراثيم والبكتيريا، التي بدورها تُسبب أضراراً للإنسان.
- الراحة النفسية، فالإنسان النظيف أقرب للراحة النفسية من غيره، وهذا ما تدل عليه الكثير من النصوص الدينية، فعن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «أكثر من الطهور، يزيد الله في عمرك». وقال أمير المؤمنين ﷺ: «النظيف من الثياب، يذهب الهمّ والحزن».

- سلامة الذوق، فالذوق السليم يتفاعل وينمو بالنظافة.
- إضفاء جانبٍ من الراحة للآخرين، حيث إن النظافة تؤدي دوراً كبيراً في هذا الجانب، والنصوص الدينية جاءت لتؤكد هذه الحقيقة، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «بئس العبد القاذورة»، وقال الإمام علي ﷺ: «إن الله يبغض من عباده القاذورة الذي يتأنف به من جلس إليه».

وأشار الشيخ الصفار أن الفقهاء جعلوا لموضوع النظافة والطهارة اهتماماً بالغاً،

ومن نماذج ذلك الإمام الشيرازي رحمته الله إذ أفرد مجلداً كاملاً من موسوعته المشهورة (موسوعة الفقه) تحت عنوان: الفقه - كتاب النظافة، يقع في ٥٥٠ صفحة، استعرض فيه مختلف المسائل التي تدور حول النظافة.

ويُضيف الشيخ الصفار: إن النظافة التي يأمر بها الإسلام على قسمين، أحدهما واجب، كالأغسال الواجبة، والوضوء، والآخر مستحب، كالأغسال المستحبة والوضوء المستحب كذلك. لذا فقد ذهب كثيرٌ من الفقهاء إلى استحباب الغسل في كل يوم، فذلك مما يوجب النشاط، وبالتأكيد النظافة.

وبعد هذا الحديث المستفيض حول النظافة وأهميتها وتأكيد الإسلام عليها، ينقل سماحة الشيخ الصفار جموع المصلين إلى الرحاب الطاهرة حيث يؤدي المسلمون هذه الأيام شعائر فريضة الحج المباركة، التي تحتضن المسلمين من جميع بقاع العالم، وقد أعرب سماحته عن استيائه الشديد للواقع الذي يعيشه البعض وهم يؤدون هذه الفريضة العظيمة، فإنك تراهم في أدنى مستويات المحافظة على النظافة خصوصاً في المشاعر المقدسة، وكأنهم لا يتمون لدين أعطى للنظافة الاهتمام البالغ. مضيفاً إن هذا الواقع السيئ يُعطي انطباعاً سلبياً للمجتمعات الأخرى التي تنظر عن كثب لهذه الجماهير المليونية وهي تمارس أقدس شعيرة في الإسلام.

واختتم سماحته الخطبة الأولى بتأكيدهِ على ضرورة أن يرتقي المسلمون بذوقهم العام، ولن يتأتى ذلك إلا من خلالهم اهتمامهم ومحافظتهم على التعاليم الإسلامية الحقة، ومن أبرزها موضوع النظافة، ذلك لأن انخفاض مستوى الاهتمام بها يعني انخفاضاً في مستوى الذوق والتربية والأخلاق.

الخطبة الثانية :

تحدث سماحة الشيخ الصفار عن جانب آخر من الجوانب التي ابتعد المسلمون

عنها في حياتهم اليومية رغم حرص الإسلام الشديد على التأكيد عليها، ذلك الجانب يتمثل في العدوان على الآخرين بأي نوع كان ذلك الاعتداء، فقد يكون باللسان، عبر السباب والشتيم، وقد يكون باليد من خلال الضرب وما شابهه، كل ذلك منهئي عنه في الإسلام، بل إن الإسلام جعل من حق المعتدى عليه القصاص، والأخذ بحقه ممن اعتدى عليه.

وهذا نبينا الأعظم على عظمته، ومع عصمته، إلا أنه يقف موقفاً صارماً مع هذا الجانب، فتراه في سيرته المباركة حذراً جداً من أن يكون لأحد عليه حق. وفي ذلك تأديبٌ لنا، للأخذ بهذه السيرة العطرة.

وأعرب الشيخ الصفار عن استغرابه الشديد لما يحصل في المجتمع من انتشار لحالات العنف الأسري، حيث التعدي الواضح على من هم في مناطق الضعف، كالأطفال والنساء، إذ قد يتجرأ البعض ليمارس عنفاً شديداً بمبرر التربية والتأديب، رغم أن الإسلام قد أجاز التأديب إلا أنه وضع له ضوابط تحكم استخدامه، وفي حال التعدي على تلك الضوابط فإن الإسلام أوجب الدية والقصاص، سواءً فيما يتعلق بالأطفال أو النساء.

واستعرض سماحة الشيخ جانباً من النصوص والأحاديث التي تُحذر من استخدام القوة، أو العدوان على الآخرين، ومن تلك النصوص، قول أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها».

وأدان سماحة الشيخ الصفار في نهاية خطبته كل أساليب العنف التي تُمارسها بعض الجماعات التي تدعي الإسلام، وتتغنى بشعارات إسلامية، مؤكداً أن هذه الجماعات بأساليبها الإرهابية البشعة حوّلت بلاد المسلمين إلى واقع مظلم، وسلبت الناس أمنهم واستقرارهم، إضافةً إلى أنهم شوّهوا سمعة الإسلام، وذلك يدل دلالة قاطعة على ابتعادهم عن الدين، بل وتعمدهم للإساءة لشرع الله تعالى ودينه القويم.

النظافة والجمال قيمة دينية

خطبة الجمعة بتاريخ ١١ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

إن الله جميل يحب الجمال، شعار أطلقه رسول الله ﷺ وأكد عليه أئمة الإسلام ﷺ ليكون عنواناً لحياة المسلم في ظل بيئة نظيفة، بمظهر أنيق، وذوق جمالي رفيع. ويمثل هذا الشعار قاعدة تشريعية ينبثق منها الترحيب بكل مظاهر الجمال والأناقة ضمن الضوابط الشرعية، كما تدل على رفض أي مظهر للقذارة والبؤس. ويشير الشعار ذاته إلى فلسفة الاهتمام بالنظافة والجمال، من خلال وصف الله تعالى بالجمال وأنه يحب الجمال.

لقد جاء هذا الشعار في حديث رسول الله ﷺ حسب رواية مختلف المصادر الإسلامية، حيث أخرجه مسلم في صحيحه^(١)، وأورده الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله إنه ليعجبني أن يكون ثوبي جديدًا، وراسي دهينًا، وشراكي نعلي جديدًا. قال: وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه، فقال ﷺ «ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطن الحق وازدري الناس»^(٢). وفيه عن عبدالله بن عمرو قال: «قلت يا رسول الله، أمن الكبر أن ألبس الحلة

(١) صحيح مسلم. حديث ١٤٧.

(٢) محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، بيروت: دار الكتب العلمية)، حديث ٦٩.

الحسنة؟ قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١).

ومثله جاء في بحار الأنوار للمجلسي^(٢).

وكان أئمة أهل البيت ﷺ يذكرون الأمة بهذا الشعار، ويؤكدون على مصاديقه وتجلياته.

فعن أمير المؤمنين علي ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، ويجب أن يرى أثر النعمة على عبده»^(٣).

وعن الإمام جعفر الصادق ﷺ قال: «إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن يراها عليه لأنه جميل يحب الجمال»^(٤).

وعنه ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ يحب الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتبؤس»^(٥).

وكان الإمام الحسن بن علي إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه، ف قيل له: يا بن رسول الله، لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي»^(٦).

إن الله تعالى قد خلق الإنسان في أحسن قوام وهيئة، وأبدع تكوينه في أجمل صورة وشكل، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين، الآية: ٤].

ويقول تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٤].

وأسكن الله تعالى الإنسان في أحضان الطبيعة الخلّابة، بجبالها الساحر، حيث تُظله سماء تضيئها الكواكب والنجوم، وتقله أرض تخضّر أرجاؤها بألوان الأشجار والنباتات

(١) المصدر السابق. حديث ٧٠.

(٢) بحار الأنوار. ج ٧٠ ص ١٩٢.

(٣) الكافي. ج ٦ ص ٤٣٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق. ص ٤٤٠.

(٦) وسائل الشيعة. حديث ٥٧٠٤.

المثمرة والزاهية، التي تملأ النفس بالبهجة والسرور، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق، الآيتان: ٦-٧].

لقد أضاف الله تعالى على الكون مسحة من الروعة والجمال، ليستمتع الإنسان بهذا الجمال، فتشرح نفسه، وترتاح مشاعره. إن جمال الطبيعة وزينة الحياة هي من أجل الإنسان، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

ويمكننا أن نستوحي من كثير من النصوص الدينية أن على الإنسان مسؤولية تجاه جمال الطبيعة ونظافة البيئة تتجلى في أبعاد ثلاثة:

- التفاعل مع روعة الكون وجمال الطبيعة، بالتأمل والنظر، ليدرك الإنسان عظيم قدرة الله تعالى، وإبداعه في خلقه، ويسعد الإنسان نفسه بالبهجة واللذة والسرور عبر مناظر الحسن والجمال.
- الحفاظ على جمال الطبيعة ونظافة البيئة، وعدم العبث بها أو تلويثها، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٦].
- الالتزام برعاية النظافة وإظهار الأناقة والجمال في الحياة الشخصية.

النظافة من الإيمان

النظافة هي النقاوة، بمعنى الخلو من الوسخ والدرن والدنس، ونظف الشيء أي نقاه بإزالة القذارة والوسخ منه.

ومن الطبيعي أن تعرض القذارة والوسخ على جسم الإنسان وثيابه والأشياء التي يستخدمها، من خلال ما يفرزه الجسم من فضلات، أو ما يحصل من أسباب خارجية.

وعلى الإنسان أن يتعهد جسمه وثيابه ومكان تواجدته والأدوات التي يستخدمها

في شؤونه بالتنظيف والتطهير، ليعيش نظيفاً نقيّاً في محيط نظيف نقي .
وقد أضاف الإسلام على النظافة صبغة دينية، فأوجب بعض مظاهرها، وندب إلى كل ما يرتبط بها، وعدّها جزءاً لا يتجزأ من حالة الإيمان والتدين.
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «النظافة من الإيمان والإيمان وصاحبه في الجنة»^(١).
وجاء في سنن الترمذي عنه ﷺ: «إن الله طيّب يحب الطيب نظيف يحب النظافة»^(٢).
وفي كنز العمال عنه ﷺ: «تنظفوا بكل ما استطعتم، فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف»^(٣).

وقد تحدثت النصوص الدينية عن التزام النظافة في جزئيات مواردها، وتفاصيل ممارستها، كما أنها شغلت مساحة واسعة من مسائل الفقه الإسلامي ضمن عدد من أبواب الفقه، وبخاصة كتاب الطهارة. والتهارة كمصطلح إسلامي تعني النظافة والنزاهة.
والأحكام الشرعية الكثيرة في كتاب الطهارة تُعنى كلها بنظافة الإنسان من القذارة والدنس في البعدين المادي والمعنوي.

وقد انبرى أحد الفقهاء المعاصرين - السيد محمد الشيرازي - فلملم شتات ما يرتبط بالنظافة المادية والمعنوية من مسائل الفقه في مجلد كبير تحت عنوان (الفقه / كتاب النظافة)، وطبع في أكثر من ٥٥٠ صفحة^(٤).

نظافة الجسم

تقف النظافة حائلاً دون نمو البكتريا والجراثيم المسببة للأمراض عند الإنسان، وإضافة إلى ضرورة النظافة لصحة الجسم، فإنها تنعكس على الجانب النفسي للإنسان،

(١) بحار الأنوار. ج ٥٩ ص ٢٩١.

(٢) محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي. سنن الترمذي، ج ٣، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٥٣٧، حديث ٢٧٩٩.

(٣) كنز العمال. ج ٩ ص ٢٧٧، حديث ٢٦٠٠٢

(٤) السيد محمد الشيرازي. الفقه كتاب النظافة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، هيئة محمد الأمين.

فيشعر بالراحة والارتياح، كما تساعده على النجاح في علاقته مع الآخرين، وارتباطه بهم، حيث يرتاحون إلى مجالسته والاقتراب منه، بينما ينفرون ويتقززون من الشخص الذي تنبعث منه روائح كريهة، أو يرونه في منظر كريه.

ويأتي في طليعة وسائل نظافة الجسم غسله بالماء، لإزالة البكتريا والجلد الميت والأوساخ والنسالة والمواد الزيتية من الجسم. وغسل الجسم بالماء يبعث على الحيوية والنشاط.

وقد أوجب الإسلام على الإنسان غسل جميع جسمه في عدد من الموارد، فيما يطلق عليه فقهيًا الأغسال الواجبة، كغسل الجنابة وغسل مسّ الميت وغسل الحيض والاستحاضة والنفاس، فيما يختص بالمرأة، وهناك موارد كثيرة ندب الإسلام فيها لغسل الجسم ضمن الأغسال المستحبة.

ويرى السيد الشيرازي أنه «يستحب الغسل في كل يوم، وليس ذلك من دخول الحمام المكروه كل يوم، فإن الغسل مثل الوضوء، كما يستحب دوام التطهير بالوضوء، كذلك يستحب الغسل كل يوم، على ما يفهم عن خبر حنان بن سدير قال: دخل رجل من أهل الكوفة على أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له: «أتغتسل من فراتكم في كل يوم مرة؟»^(١).

كما يستحب الغسل طلبًا للنشاط، فعن ابن طاووس قال: رأيت في بعض الأحاديث: أن مولانا عليًا عليه السلام كان يغتسل الليالي الباردة طلبًا للنشاط في صلاة الليل^(٢).

وإلى جانب الغسل شرع الله تعالى الوضوء، وهو غسل ومسح لأربعة أجزاء ظاهرة من الجسم، الوجه واليدين والرأس والقدمان، إضافة إلى بعض المستحبات فيه كالمضمضة والاستنشاق، وموارده الواجبة تفرض القيام به أكثر من مرة في اليوم لأداء فرائض الصلاة اليومية، كما يجب ويستحب لجميع الأعمال العبادية والحياتية، بل هو

(١) الفقه. كتاب النظافة ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق. ص ١٧٢.

مستحب في حد ذاته.

ولمزيد من الاهتمام بنظافة جميع أجزاء جسم الإنسان، تحدثت النصوص الدينية بالتفصيل عن العناية بنظافة كل عضو من أعضائه، بدءاً من غسل شعر الرأس وحلقته، واستحباب تسريحه وتمشيطه وتدهنه، وكذلك شعر اللحية والشارب، مروراً بنظافة العين وكحلها، وتنظيف الأنف، والتشديد على نظافة الفم وتعاهد الأسنان بالسواك، الذي كاد رسول الله ﷺ أن يجعله فريضة واجبة عند كل صلاة، لولا خوف المشقة على الناس، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»^(١) وانتهاءً بتقليم الأظافر.

إن ورود هذا العدد الكبير من الأحاديث والروايات حول نظافة الجسم، تدل على مدى اهتمام الإسلام بموضوع النظافة والطهارة. حتى عند النوم ينبغي للإنسان أن ينام نظيف الجسم، جاء عن رسول الله ﷺ: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره، ولا يتقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً»^(٢).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من تطهر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده»^(٣).

نظافة البيئة

من أجل أن يعيش الإنسان في بيئة نظيفة، أكد الإسلام على رعاية النظافة في كل جوانب الحياة، كنظافة الثياب، ونظافة البيت، ونظافة الطعام والشراب، ونظافة الشوارع والمرافق العامة كالمساجد، ونهى عن أي تلويث عبثي للبيئة، أو تخريب شي من جمال

(١) الكافي. ج ٣ ص ٢٢.

(٢) كنز العمال. حديث ٢٦٠٠٣.

(٣) الكافي. ج ٣ ص ٢٢.

الطبيعة، وهذا ما تفيض به الأحاديث والروايات الكثيرة. بل اهتمت بعض النصوص الدينية بالحث على رعاية نظافة الحيوانات، فهي جزء من البيئة، ولحياة الإنسان بها ارتباط وثيق، وعدم الاهتمام بنظافتها ونظافة بيئتها يجعلها في معرض الخطر على صحة الإنسان وسلامته.

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نظفوا مرايض الغنم وامسحوا رغامهن»^(١). والرغام هو التراب، أي امسحوا التراب وأزيلوه عنها، وفي رواية أخرى: امسحوا رغامها، أي المخاط الذي يسيل من أنوفها. وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «امسحوا رغام الغنم وطيبوا مرايحها»^(٢). وأورد الزمخشري في ربيع الأبرار عنه ﷺ أنه قال: «امسحوا رغام الشاء، ونقّوا مرايضها من الشوك والحجارة»^(٣).

الأناقة والتجمل

النظافة بمعنى النقاوة، وإزالة الأوساخ والأدران هي المستوى الأول من مستويات الجمال الذي يحبه الله، لذا لا تقف عند حده النصوص والتوجيهات الدينية، بل تطالب الإنسان بالارتقاء إلى مستوى الأناقة والتجمل واستخدام وسائل الزينة. يقول السيد الشيرازي: النظافة والطهارة شيء، والجمال شيء، فكما أمر الإسلام بالطهارة والنظافة المادية والمعنوية وجوباً أو ندباً، كذلك أمر بالجمال في كل الأمور، من الجمال المعنوي، والجمال المادي في الملابس والبدن والأثاث والمتاع، وفي كل شيء، وذلك لإطلاق المتعلق في الروايات^(٤).

(١) وسائل الشيعة. ج ١١ ص ٥١٣.

(٢) كنز العمال. ج ٧ ص ٣٤٠ حديث ١٩١٦٨.

(٣) أبو القاسم محمود الزمخشري. ربيع الأبرار، ج ٥، الطبعة الأولى، (قم: انتشارات الشريف الرضي)، ص ٤٠٩.

(٤) الفقه. كتاب النظافة ص ٤١.

إن الله تعالى يأمر بني البشر بأن يتزينوا، وأن يظهروا زيتهم وأناقتهم في أماكن العبادة ومواقع الاجتماع، يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣١].

وردًا على الأفكار المتخلفة التي تصوّر الدين وكأنه يعني عدم الاهتمام بشؤون الحياة، والعزوف عن متعتها ومباهجها، وترك الأناقة والزينة والتجمل، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

إنه منطوق عقلي وجداني، فلو كان استخدام الزينة حرامًا، والتمتع بالجمال ممنوعًا، لما خلق الله ذلك وهياه للعباد، ولما غرس في نفوسهم الميل إليه، ثم إن المؤمن أولى بنعم الله تعالى من غيره.

وحين يأمر الله تعالى عباده بالأناقة والتجمل، عند أداء الصلاة ومواقع العبادة، فإن ذلك يعني محبوبة هذا المظهر عند الله تعالى، وأنه جزء من حالة العبادة والامتثال لله، وأنه سمة مطلوبة في شخصية الإنسان المسلم.

وقد ورد كثير من الأحاديث والروايات التي تؤكد على ذلك، وتتناول تفاصيل مظاهر الأناقة والزينة والجمال.

أورد بن عساكر عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا وتزينوا، وتنظفوا»^(١).

وجاء في الكافي عن بريدة بن معاوية قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لعبيد بن زياد: «إظهار النعمة أحب إلى الله من صيانتها فإياك أن تتزين إلا في أحسن زيِّ قومك»، قال: فما رأيي عبيد إلا في أحسن زيِّ قومه حتى مات^(٢).

(١) كنز العمال. حديث ١٧١٧٥.

(٢) الكافي. ج ٦ ص ٤٤٠.

وعنه عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس، فإن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمة أحب أن يرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك؟ قال عليه السلام: ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويخصص داره، ويكنس أفنيته، حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق»^(١).

وعنه عليه السلام: «البس وتجمل فإن الله جميل يحب الجمال»^(٢).

وعنه عليه السلام قال: أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً شعثاً شعر رأسه، وسخة ثيابه، سيئة حاله، فقال صلى الله عليه وسلم: «من الدين المتعة»^(٣).

وجاء في مكارم الأخلاق للطبرسي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينظر في المرأة، ويرجل جمته، ويمتشط، وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه، ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تجمله لأهله، وقال: إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهياً لهم ويتجمل^(٤).

(١) وسائل الشيعة. ج ٥ ص ٥.

(٢) المصدر السابق. ج ٥ ص ٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي. مكارم الأخلاق، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٣٢.

الموضوعية في مناقشة قضية الإمامة

خطبة الجمعة بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن موضوع الإمامة والخلافة بعد رسول الله في عصرنا الحاضر متروك للبحث والنقاش بموضوعية، ودون إعادة الصراعات التاريخية السابقة التي نشأت بسبب الخلاف في هذا الموضوع. مؤكداً أنه ليس من الوحدة مصادرة التعبير عن الرأي، أو أن يتنازل أحد عن معتقداته وآرائه.

وفي سياق آخر قارب سماحة الشيخ بين الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وبين أوضاع المجتمعات الأخرى، في جانب نجاح تلك المجتمعات في صنع أجواء سلمية في أوساطها، وفشل الأمة الذريع في هذا الجانب. مؤكداً أن سبب ذلك يكمن في عدم التوافق على نظام عادل لتداول السلطة وإدارة المجتمع.

وأكد سماحة الشيخ في بداية خطبة الجمعة ١٨ ذي الحجة ١٤٢٨ هـ (٢٨ ديسمبر ٢٠٠٧م) المصادف لذكرى عيد الغدير أن حادثة الغدير ثابتة، وقد أوردتها كتب الأحاديث والسير والتاريخ، ولا يستطيع مسلم أن يُنكر هذه الحادثة بمجمل تفاصيلها. وتعرض سماحته لذكر حديث الغدير، حيث أوقف رسول الله ﷺ جموع الحجيج الذين كانوا معه عند منصرفه من حجة الوداع السنة العاشرة للهجرة، عند غدير خم، وهو وادٍ بين مكة والمدينة في الجحفة التي تتشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وصلى بالمسلمين صلاة الظهر، ثم قام فيهم خطباً، وكان يوماً هاجراً اشتدت فيه حرارة الشمس، حتى إن الرجل يضع بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه من

شدة الرمضاء.

وأوصى النبي أمته بالثقلين الكتاب والعترة، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض اباطهما وعرفه القوم أجمعون، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثلاث مرات. وأشار إلى رأي الشيخ الألباني، وهو من أبرز علماء الحديث السلفيين، حول حديث الغدير إذ يُعدّه من الأحاديث التي لا شك ولا ريب في صحتها، وذكر لها الشيخ الألباني ٢٣ طريقاً تنتهي بعشرة من صحابة رسول الله . كما جاء في موسوعته «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ج ٤ حديث رقم ١٧٥٠.

وفي إطار موضوع الغدير تحدث سماحة الشيخ الصفار حول البعد الأساس في هذه الحادثة، وهو قضية الخلافة والإمامة، مؤكداً أن قضية الخلافة والإمامة هي أول قضية سببت الخلاف والصراع بين المسلمين، وعلينا ونحن نعيش في هذا العصر أن لا نُعيد تلك الصراعات إلى ساحة الأمة من جديد. مضيفاً: إن ذلك لا يعني منع حرية التعبير عن الرأي، ولا يعني عدم مناقشة أحداث التاريخ مناقشةً موضوعية بعيداً عن التشنج وإثارة العواطف. مبيناً أنه ليس من الإنصاف أن تُتاح الفرصة للبعض بأن يُيدوا آراءهم ويُصرحوا بها في موضوع الخلافة، بينما تعيش طائفة من الأمة حالة الإقصاء، لا شيء سوى أنها تتبنى رأياً مختلفاً. وأكد أنه ليس من الوحدة أن يتخلى الإنسان عن آرائه ومعتقداته، ولا أن تُصادر حرية التعبير عنها، بل إن ذلك من عوامل التمزق والشقاق في الأمة.

ومن جانب آخر يقول الشيخ الصفار: لو فكّرنا في موضوع الخلافة والإمامة للأمة بعد رسول الله بموضوعية وتساءلنا: هل يُعقل أن رسول الله ﷺ يترك الأمة الناشئة دون أن يُحدد لها طريقاً لضبط موضوع الخلافة والإمامة؟ في حين أن هذا الموضوع لم يغيب عن ذهن الخلفاء الذين تولوا من بعده، فالخليفة أبو بكر رشح الخليفة عمر، حرصاً منه على وحدة الأمة، والخليفة عمر عين ستة من الصحابة لاختيار خليفة من بعده، حرصاً

منه على وحدة الأمة، ورسول الله ﷺ يدع الأمة وشأنها دون أن يتطرق لهذا الموضوع! فإن قلنا بذلك، فهل يعني ذلك أن الخلفاء أحرص من رسول الله على مصالح الأمة، وأكثر حكمةً منه؟

وردّ سماحته على من يقول بأن الرسول ترك الأمر للشورى، بتساؤله: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يلتزم الخليفة أبو بكر بذات الطريقة، مضيفاً: إن رسول الله في سيرته المباركة لم يُعوّد الناس على هذا النظام حيث إنه كان يُعيّن من ينوب عنه في إمارة المدينة وصلاة الجماعة حال سفره، وفي الحروب التي يغيب عنها كان يُعيّن القائد بنفسه للجيش أو السرية، وفي إحدى الحروب وهي مؤتة عين ثلاثة من القادة تتابعاً. ويسترسل سماحته فيقول: وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يضع رسول الله نظاماً للشورى يرجع إليه المسلمون؟!!

وأكد الشيخ الصفار إن الأمر من الناحية العقلية يدعوننا لأن نؤمن بأن رسول الله لم يترك مسألة الخلافة والإمامة باباً مفتوحاً تدخل منه شرور الاختلافات على المسلمين وحادثة الغدير هي من أجلى تجليات هذا الأمر. ولا ينحزم الأندلسي رأي يقول: إن أفضل طرق عقد الخلافة وأصحها أن يعهد الإمام إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته، وهذا الوجه نختاره ونكره غيره.

مضيفاً: إذا كان العقل يؤكد حرص رسول الله على مصلحة الأمة، فالروايات المتواترة أكدت ذلك نقلاً، مؤكداً أن الروايات التي وردت في فضل الإمام علي وموقعته القيادية مستفيضة، ولا يمكن إنكارها.

وأشار إلى أن البعض يفهم موضوع الولاية بمعنى المحبة والمودة، وردّاً على ذلك يقول الشيخ الصفار: إن رسول الله ﷺ في أكثر من مورد يذكر موضوع الولاية ويُتبعها بلفظة غاية في الأهمية وهي (من بعدي)، فإذا كان المقصود بها المحبة فما معنى قوله: من بعدي؟

ومن جانب آخر يقول الشيخ الصفار: إن كفاءة الإمام علي وأفضليته على جميع الصحابة تؤهله لذلك، فقربه من رسول، وعلمه، وشجاعته، كلها تشهد له بذلك، وأشار الإمام علي إلى مكانته من رسول الله في بعض خطبه، ومنها قوله: «ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة،...». وفوق ذلك فإن الإمام علياً عليه السلام أكد على أحقيته بالخلافة، حيث قال بضرس قاطع حينما تولى الخليفة عثمان: «لقد علمتم أني أحق بها من غيري والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة».

وقد شهد للإمام علي بالأفضلية أئمة المذاهب الإسلامية، ومن أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل حيث جاء عنه قوله: «ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحيحة ما لعلي بن أبي طالب». وقد سأله ابنه عبد الله: ما تقول في الأفضلية؟ فأجاب: في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وسكت. فسأله: وماذا عن علي؟ فقال: عليٌّ من أهل بيت لا يُقاس بهم أحد.

وأكد الشيخ الصفار في ختام الخطبة أن يوم الغدير هو اليوم الذي أوضح فيه رسول الله بكل جلاء موقعية الإمام علي وإمامته للأمة من بعده، مؤكداً أن هذا الأمر في عصرنا الحاضر متروك للبحث والنقاش بموضوعية، ودون إعادة الصراعات التاريخية السابقة التي نشأت بسبب الخلاف في هذا الموضوع.

الخطبة الثانية

وفي الخطبة الثانية أكد سماحة الشيخ الصفار أنه يتوجب على الأمة وخصوصاً في هذا العصر أن تُهيئ في ساحتها أجواء السلم والوئام، بحيث يعيش أبناء الأمة فيما بينهم متحابين منسجمين، مبيناً أن ذلك لا يتأتى للأمة دون أن يكون الواقع الذي تعيشه الأمة باعثاً لهذه الحالة، فإذا ساد العدل والإنصاف أجواء الأمة، وكان هناك احترامٌ للحقوق،

في ذلك الحين ونتيجة لهذا الوضع تصل الأمة إلى مستوى السلام. أما إذا ساد في الأمة الظلم والاستبداد والإقصاء فإن الأمة ستكون أبعد ما تكون عن السلم. ويتعجب الشيخ الصفار كيف أن هذه الأمة التي يُنادي قرآنها ليل نهار بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٠٨]، تعيش أسوء حالات العنف في مختلف أرجائها، بينما المجتمعات الأخرى قد صنعت لها نظاماً يحكمها بالتوافق وتوصلت إلى مستوى متقدم على هذا الصعيد.

ويُضيف الشيخ الصفار: إن الأوضاع في البلاد الإسلامية تنذر بالخطر الشديد، فلا يمر يوم إلا ونسمع عن تفجيرٍ هنا ومذبحةٍ هناك، والأحداث الأخيرة التي حصلت في باكستان قد تفتح باب الشر على مصراعيه هناك. وفي مقارنةٍ سريعةٍ يطرحها الشيخ الصفار بين الهند وباكستان، إذ تأسستا كدولتين في وقت واحد، إلا أن الأوضاع فيهما متباعدة في كل شيء، وأهم جانب الاستقرار الأمني، ويتساءل بعد ذلك: لماذا تعيش الشعوب الإسلامية هذه الأوضاع؟

مؤكداً أن الأمر يعود إلى المسألة السياسية، هذه المشكلة القديمة والجديدة في الوقت ذاته، هي أساس هذه الحالة.

الجمعة يوم الأناقة والزينة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

لا يحتاج الإنسان إلى أدلة وبراهين ليتأكد من حسن النظافة ورجحان الأناقة، فهو يدرك ذلك بفطرته ووجدانه، إن كل إنسان سويٌّ يجد في نفسه الميل لمظاهر الجمال، والارتياح للشيء النظيف والهيئة الأنيقة.

ودفعاً لأيّ غفلة أو إهمال من جانب الإنسان، تذكّر النصوص الدينية بأهمية النظافة وفوائدها لحياة الإنسان في أبعادها المختلفة.

ومن أبرز ما أشارت إليه تلك النصوص الآثار التالية:

أولاً: محبة الله تعالى ورضاه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٢]. والتوبة نظافة معنوية تزيل أدران الذنوب والمعاصي، بينما الطهارة نظافة مادية.

وعن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب الناسك النظيف»^(١).

لذا فإن من لا يهتم بالنظافة يخسر محبة الله، كما ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل يبغض من عباده القاذورة الذي يتأنف به من جلس إليه»^(٢).

إن الزينة والتجمل إظهار لنعمة الله تعالى على الإنسان، والله تعالى يحب ذلك ويكره التنكر لنعمة وتجاهلها، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى، الآية: ١١].

(١) كنز العمال. حديث ٢٦٠٠٠.

(٢) بحار الأنوار. ج ١٠ ص ٩٩.

جاء في تفسير القرطبي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعطى خيراً فلم يُر عليه، سمي بغيض الله، معادياً لنعم الله». وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، فرآني رتّ الثياب، فقال ﷺ: ألك مال؟ قلت: نعم يا رسول الله، من كل مال، قال ﷺ: «إذا أتاك الله مالاً فليرّ أثره عليك». وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال، ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(١).

ثانياً: راحة النفس، فالنظافة والأناقة تبعث في نفس الإنسان الراحة والسرور، وتمنحه الحيوية والنشاط، بينما تكون الأوساخ والقذارة من دواعي الكآبة والضعف، وتجلب الهمّ والغمّ.

يقول السيد الشيرازي: إن النظافة بالإضافة إلى كونها طهارة وجمالاً، وصحة وعافية، توجب انشراح النفس، والنفس المنشرحة مبعث كل خير، بخلاف النفس المنقبضة التي هي سبب كل تأخر وانزمام، كما ثبت في علم النفس^(٢).

جاء عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن»^(٣).

ثالثاً: حماية الصحة، فالوسخ والقذارة هي بيئة البكتيريا والجراثيم الضارة، ولعل ذلك هو ما تطلق عليه بعض النصوص عنوان الشيطان، كالحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تبيتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهاراً فإنها مقعد الشيطان^(٤)، وحين تعتل صحة الإنسان تنخفض حركته وفاعليته، كما يستهلك علاج الأمراض ثروته.

(١) أبو عبد الله محمد القرطبي. تفسير القرطبي ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٦٩.

(٢) الفقه كتاب النظافة ص ٤٠.

(٣) الكافي. ج ٦ ص ٤٤٤.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٥ ص ٣١٨، حديث ٦٦٦٣.

لذلك تشير بعض النصوص الدينية إلى علاقة بين النظافة وطول العمر وزيادة الرزق، وإلى ارتباط بين القذارة والفقر والمرض.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «كنس البيوت ينفي الفقر»^(١)، وعن ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «اغسلوا أيديكم قبل الطعام وبعده فإنه ينفي الفقر ويزيد في العمر»^(٢).

رابعاً: كسب مشاعر الآخرين: حيث يرتاح الناس للشخص النظيف، والهيئة الجميلة، والمظهر الأنيق، بينما ينفرون من الشخص القذر، والمنظر الكريه، ويصدق ذلك على القرييين والبعيدين من الإنسان، لذلك ينبغي لمن يحترم نفسه أن يبدو نظيفاً أنيقاً، داخل بيته وضمن عائلته، ومع القرييين منه، كما يحرص على ذلك أمام الآخرين. جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتھياً لهم ويتجمل»^(٣).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يجب أن يراه في أحسن الهيئة»^(٤). وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إلى المسجد من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، حتى لا يتأذى الناس من رائحتها الكريهة. جاء في صحيح مسلم^(٥) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته».

وفيه أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مسجدنا، ولا يؤذينا

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار. ج ٦٣ ص ٣٥٦.

(٣) بحار الأنوار. ج ١٦ ص ٢٤٩.

(٤) الكافي. ج ٦ ص ٤٣٩.

(٥) صحيح مسلم. باب نهى من أكل ثوماً وبصلاً، حديث ٧٤٣.

بريح الثوم»^(١).

وورد عن علي عليه السلام: «من أكل شيئاً من المؤذيات بريحها فلا يقربن المسجد»^(٢).

يوم النظافة والأناقة

التزام النظافة وإظهار الأناقة يجب أن يكون خلقاً دائماً للإنسان المسلم، وليس حالاً موسميّاً يرتبط بزمان أو مكان خاص، فالأحكام الشرعية المتعلقة بالطهارة والنظافة تغطي كل أوقات وحالات الإنسان كصفة دائمة مستمرة.

وحتى عند الوفاة أو جب الله تعالى تغسيل الميت ثلاث مرات، بقاء الصدر، ثم بقاء الكافور، ثم بالماء القراح^(٣). بعد إزالة أيّ نجاسة وقذارة عن جسده، ولو خرجت من الميت نجاسة أو أصابته نجاسة، أثناء تغسيله، أو بعد تكفينه، وجب إزالتها، وإذا تنجس الكفن وجب إزالة النجاسة، ولو بعد وضع الميت في قبره، بغسل مكانها، أو قرصها من الكفن، أو بتبديل الكفن مع الإمكان^(٤).

هذه الأحكام الشرعية وأمثالها تؤكد التزام النظافة في جميع الحالات والأوقات. وتتأكد أهمية النظافة والأناقة في الأزمنة المباركة، والأماكن المقدسة، وعند مباشرة الأعمال المهمة.

إن الله تعالى يأمر عباده أن يتخذوا مظاهر الأناقة والزينة عند ذهابهم إلى المساجد، وتوجههم لأداء العبادة، لكي ينفي أي تضاد بين الاستمتاع بمباهج الحياة والتطلع إلى رضوان الله وسعادة الآخرة، ولتكون صورة الاجتماع الإسلامي زاهية بيضاء العبادة والخشوع، وجمال المنظر والمظهر. يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

(١) المصدر السابق. حديث ٥٦٣.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٥ ص ٢٢٧ حديث ٦٤٠٣.

(٣) العروة الوثقى. في كيفية غسل الميت ص ٢٧١.

(٤) المصدر السابق. فصل في شرائط الغسل.

[سورة الأعراف. الآية: ٣١].

ويوم الجمعة، وهو سيد الأيام، وفيه تقام أعظم فريضة صلاة وهي صلاة الجمعة، وهو موعد تلاقي المسلمين واجتماعهم، لذلك تتأكد فيه مراعاة النظافة وإظهار الأناقة والزينة والجمال.

من أجل أن يتمتع المسلم فيه بأعلى درجات الحيوية والنشاط، وتكون نفسه في غاية السرور والانشراح، وليحقق الامتثال لأمر ربه بإظهار نعمه عليه، فينال محبة الله ورضاه الذي يحب المتطهرين ويجب الجمال.

وليكون المسلم عند حضوره صلاة الجمعة، والتقاءه إخوانه المسلمين في كامل أناقته وزينته، ليشارك معهم في تكوين صورة المجتمع الحضاري الجميل. وفيما يلي بعض برامج النظافة والأناقة ليوم الجمعة حسبما ورد في النصوص الدينية.

غسل الجمعة

تؤكد أحاديث كثيرة على أهمية غسل الجمعة وفضله، وبعضها ظاهر في وجوبه، وهو ما أفتى به بعض قدامى الفقهاء، لولا وجود قرائن أخرى تصرف ظاهر تلك الأحاديث إلى قصد التأكيد على ندبه واستحبابه، وهو الرأي السائد عند الفقهاء سنة وشيعة.

جاء في صحيح البخاري ووسائل الشيعة عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»^(١).

وفيه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»^(٢).

(١) صحيح البخاري. حديث ٨٧٧ - وسائل الشيعة حديث ٣٧٤٨.

(٢) المصدر السابق. حديث ٨٧٩.

وعن عبدالله بن المغيرة قال: سألت الإمام الرضا عليه السلام عن الغسل يوم الجمعة؟ فقال عليه السلام: «واجب على كل ذكر وأنثى، عبد أو حر»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لا تدع الغسل يوم الجمعة فإنه سنة»^(٢).

وعن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن - الإمام موسى الكاظم - عليه السلام عن النساء، أعليهن غسل الجمعة؟ قال: نعم^(٣).

وعن الأصبغ قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول: «والله لأنت أعجز من التارك الغسل يوم الجمعة، فإنه لا يزال في طهر إلى الجمعة الأخرى»^(٤).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في علة غسل يوم الجمعة، قال: إن الأنصار كانت تعمل في نواضحها وأموالها، فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد، فتأذى الناس بأرواح أباطهم وأجسادهم، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالغسل فجرت بذلك السنة^(٥). وورد في صحيح مسلم عن عائشة قريب من مضمونه^(٦).

وكيفية غسل الجمعة كغسل الجنابة، بنية التقرب إلى الله تعالى، ووقته من طلوع الفجر إلى الزوال من يوم الجمعة، ولو اغتسل بعد الزوال إلى الغروب نواه قرينة مطلقة، دون قصد الأداء والقضاء، وإذا فاتته الاغتسال يوم الجمعة قضاه يوم السبت إلى الغروب، ويجوز تقديمه يوم الخميس رجاءً إن خاف فقدان الماء يوم الجمعة، وإذا توفر له الماء يوم الجمعة أعاده فيه.

ويصح غسل الجمعة من الجنب، ويجزئ عن غسل الجنابة، وكذا يصح من الحائض

(١) وسائل الشيعة. ج ٣، ص ٣١٢ حديث ٣٧٣٠.
 (٢) المصدر السابق. ج ٣، ص ٣١٢ حديث ٣٧٣٢.
 (٣) المصدر السابق. ج ٣، ص ٣١٤ حديث ٣٧٣٥.
 (٤) المصدر السابق. ج ٣، ص ٣١٨ حديث ٣٧٥١.
 (٥) المصدر السابق. ج ٣، ص ٣١٥ حديث ٣٧٤٢.
 (٦) صحيح مسلم. حديث ٨٤٧.

إذا كان بعد النقاء، ويجزئ حينئذٍ عن غسل الحيض.
ويكفي غسل الجمعة عن الوضوء عند فقهاء السنة وأكثر فقهاء الشيعة كالسيد
السيستاني والسيد الخوئي، ومنهم من لا يرى كفايته عن الوضوء كالإمام الخميني
والسيد الشيرازي.

وقصر معظم فقهاء السنة استحباب غسل الجمعة على من يحضر صلاة الجمعة،
وقوفاً عند نص الحديث: إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل^(١). بينما يرى فقهاء الشيعة
شموله لجميع المكلفين، تبعاً لإطلاق الروايات الواردة.

نظافة الجسم وأناقته

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: تقليم الأظفار، وقصّ الشارب، وغسل
الرأس بالخطمي، كل جمعة، ينفي الفقر، ويزيد في الرزق^(٢).
والخطمي نبات كان يغسل به الشعر، يؤدي دور السوائل المستعملة حالياً لغسل
الشعر - شامبو-.

وعن علي بن عقبة، عن أبيه قال: أتيت عبدالله بن الحسن فقلت: علمني دعاءً
في طلب الرزق، فقال: «قل: اللهم تولّ أمري ولا تولّ أمري غيرك، فعرضته على أبي
عبدالله - جعفر الصادق - عليه السلام فقال: ألا أدلك على ما هو أنفع من هذا في طلب الرزق؟
تقص أظافيرك وشاربك في كل جمعة»^(٣).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ليأخذ أحدكم من شاربه، وشعر أنفه،
وليتعاهد نفسه، فإن ذلك يزيد في جماله»^(٤).

(١) صحيح البخاري. حديث ٨٧٧.

(٢) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٥٩.

(٣) المصدر السابق. حديث ٩٥٧٦.

(٤) الفقه كتاب النظافة ص ٤٢.

استخدام الطيب والعطورات

الروائح الزكية العطرة تشرح النفس، وتنعش الأحاسيس والمشاعر، وتريح الأعصاب، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرائحة الطيبة تشدّ القلب»^(١). لذا جاءت الأحاديث والروايات تحث الإنسان على استخدام الطيب، وخاصة في يوم الجمعة، وعند الذهاب إلى أماكن العبادة والاجتماع، وحين التقاء الآخرين. عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كانت لرسول الله ﷺ ممسكة - من المسك - إذا هو توضأ أخذها بيده وهي رطبة وكان إذا خرج عرفوا أنه رسول الله ﷺ لرائحته^(٢). وقال الإمام الكاظم عليه السلام: كان يعرف موضع سجود أبي عبد الله عليه السلام بطيب ريحه^(٣).

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة»^(٤). وعن معمر بن خلاد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «لا ينبغي للرجل أن يدع الطيب في كل يوم، فإن لم يقدر عليه فيوم ويوم لا، فإن لم يقدر ففي كل جمعة ولا يدع»^(٥).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال عثمان بن مظعون لرسول الله ﷺ: قد أردت أن أدع الطيب، وأشياء ذكرها، فقال رسول الله ﷺ: لا تدع الطيب، فإن الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، فلا تدع الطيب في كل جمعة»^(٦).

(١) الكافي. ج ٦ ص ٥١٠.

(٢) الشيخ يوسف البحراني. الحدائق الناضرة، ج ٣، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٥٠٠.

(٣) المصدر السابق. ج ٧ ص ١١٥.

(٤) فقه السنة. ج ١ ص ٢٩٩.

(٥) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٨٩.

(٦) المصدر السابق. حديث ٩٥٩١.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ليتطيب أحدكم يوم الجمعة ولو من قارورة امرأته»^(١).

الزينة والثياب الجميلة

عندما يريد الإنسان لقاء شخصية مهمة ذات موقع ومقام، فإنه يتهيأ لذلك بلبس أوفر ملابسه وأجمل زينته، وكذلك الحال عند حضور الإنسان في مجلس الوجاهة، ومناسبات الأفراح.

ولأن عظمة الله تعالى تملأ نفس الإنسان المؤمن، ولأن العبادة والصلاة تعني الحضور بين يدي الله تعالى، لذلك ينبغي أن يقبل الإنسان على عبادة ربه بأفضل صور الأناقة والجمال، وبخاصة حين تكون العبادة ذات طابع جمعي كصلاة الجماعة، لما يعني ذلك من تقدير واحترام لمن يلتقيهم من المصلين.

وقد خصت الأحاديث والروايات يوم الجمعة بالتأكيد على أهمية ارتداء الثياب النظيفة الجميلة فيه، واستخدام مظاهر الزينة والأناقة.

جاء في (كتاب فقه السنة) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه، وإن كان له طيب مس منه. رواه أحمد والشيخان.

وفيه عن ابن سلام أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته». رواه أبو داود وابن ماجه.

وروى البيهقي عن جابر أنه كان للنبي ﷺ برد يلبسه في العيدين والجمعة. وفي الحديث استحباب تخصيص يوم الجمعة بملبوس غير ملبوس سائر الأيام^(٢).

وعن هشام بن الحكم قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «ليتزين أحدكم يوم

(١) المصدر السابق. حديث ٩٥٩٣.

(٢) فقه السنة. ج ١ ص ٢٩٨.

الجمعة، يغتسل ويتطيب، ويسرّح لحيته، ويلبس أنظف ثيابه، وليتهيأ للجمعة»^(١).
وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سألته عن النساء، هل عليهن من الطيب والتزيّن في يوم الجمعة والعيدين ما على الرجل؟ قال عليه السلام: نعم»^(٢).
إن هذه الأحاديث والروايات تكشف عن إرادة دينية، بأن يكون يوم الجمعة يوماً للنظافة والجمال، في حياة الفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي، وأن تكون صلاة الجمعة مظهراً لمستوى حضاري رفيع تعيشه الأمة في البعدين المادي والمعنوي.
وإذا كانت هذه النصوص تتحدث عن برامج ومفردات في مجال النظافة والأناقة، فإنها بمثابة المصاديق والتطبيقات لعنوان وقيمة لا تنحصر بها.
إن النظافة من الإيمان، وكل برنامج يخدم النظافة تشمله دائرة الإيمان، وإن الله يحب الجمال، فكل شكل من أشكاله محبوب عند الله، وقد أمر الله الناس بقوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣١]. فكل مظهر للزينة مرغوب شرعاً..
لأن مفردات النظافة والجمال والزينة قد تتجدد أشكالها ومظاهرها باختلاف البيئات والعصور، لكنها تبقى محكومة بنفس العنوان ما دامت ضمن الضوابط الشرعية.

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٧٧.

(٢) المصدر السابق. حديث ٩٦٧٩.

کتابیات | _____

تصريح لسماحة الشيخ حسن الصفار في أعقاب العدوان على موقعه الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن اختراق موقعنا على الإنترنت مع عشرات من المواقع الأخرى، الذي حصل بتاريخ ٢٣/٤/١٤٢٨هـ - ١١/٥/٢٠٠٧م، واستمر لمدة أربعة أيام ليمثل شاهداً واضحاً على خطر الاتجاهات التعصبية الطائفية، التي تدفع أصحابها للعدوان على ممتلكات الآخرين والتجاوز على حقوقهم، دون رادع ديني، أو مراعاة للأئمة والقوانين.

إن الإسلام لا يبيح البغي والعدوان، واختلاف المذهب والرأي لا يبرر الاعتداء على أشياء الآخرين وحقوقهم. إن الرأي يواجه بالرأي، والفكر يقارع بالفكر، عبر وسائل الاستدلال والإقناع.

واللجوء إلى تخريب المواقع الإلكترونية دليل إفلاس وخواء فكري، وشاهد على انعدام الأخلاق وسوء التوجهات.

والكلام القبيح الذي بثه المعتدون خلال اختراقهم لموقعنا بما فيه من إساءة لكبار

الصحابة وأمّهات المؤمنین یشکل الوجه الآخر لعملة التعصب الطائفي المقيت، ويعرف الجميع رفضنا المبدئي الواضح لوجهي هذه العملة البائسة.

فنحن نرفض بشدة مثل هذا الكلام المسيء لمقام رسول الله ﷺ ولعرضه المقدس الشريف، ونبراً إلى الله تعالى منه، كما أعلننا ذلك سابقاً مراراً وتكراراً، ونحمل أشخاص المتفوهين به أعباء إثمهم، ومضاعفات نتائجه على وحدة الأمة في هذا الظرف الخطير.

ومن قاموا بالعدوان على موقعنا الإلكتروني يعرفون موقفنا هذا، لكن تطرفهم يدفعهم إلى التعميم، وإلى السعي لإثارة الفتنة، فيشتمون بالأمة أعداءها الذين يسرهم بالتأكيد انشغال المسلمين ببعضهم، وتخريبهم لمواقع بعضهم بعضاً، في ردود أفعال متبادلة، لأن القدرة على تخريب المواقع الإلكترونية ليست صعبة المنال على أي جهة.

نسأله تعالى أن يعصمنا بالورع والتقوى، وأن يمنحنا معالي الأخلاق، إنه ولي التوفيق.

حسن موسى الصفار

١٤٢٨/٤/٢٨ هـ

٢٠٠٧/٥/١٥ م

آليات التقارب أم الجدل المذهبي؟^(١)

ليسمح لي الأخ الكريم الأستاذ بندر بن عبدالله الشويقي في الاختلاف معه في منهجية معالجة موضوع الخلاف المذهبي السني الشيعي.

فما فهمته من مقاله هو أن المعالجة تكمن في أن يتناقش السنة مع الشيعة حول خلافاتهم العقدية، حتى يتفوقوا على رأي واحد فيها، فتنتهي الثنائية السنية الشيعية، أو على الأقل أن يتنازل الشيعة عن بعض ما يؤمنون به، ويأخذون برأي أهل السنة.

فالحوار يأخذ منحى المحاكمة والموازنة بين الآراء المختلف فيها، والنتيجة التي ينبغي الوصول إليها هي الاتفاق على رأي واحد.

بالطبع هناك في الوسط الشيعي من يوافق الأخ بندر الشويقي على رأيه، ويعتقدون أن مذهبهم هو الأصح والأصوب، وأن الحوار وشعارات التقارب مع أهل السنة غير مجدٍ، وأن المنهج الصحيح هو مناقشة أهل السنة لإقناعهم بخطأ آرائهم وليتوحدوا مع

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، ملحق الرسالة، العدد ١٥٩٩٧، الجمعة ٢١ محرم ١٤٢٨هـ، الموافق ٩ يناير ٢٠٠٧م، كتبه الشيخ الصفار ردًا على مقال الأستاذ بندر الشويقي المنشور في ملحق صحيفة المدينة (الرسالة) العدد ١٥٩٨٣ بتاريخ ٧ محرم ١٤٢٨هـ، بعنوان (ولكن لماذا ينجح العدو بسهولة في استثمار الانقسام السني الشيعي؟).

الشيعة على الأخذ بمذهب الشيعة.

وأعتقد أن الأخ بندر مطلع على هذا الرأي.

والذي أراه أن هذا النهج في معالجة الخلاف السني الشيعي الذي يتبناه بعض الشيعة وبعض السنة ليس صحيحاً ولا مجدياً ولا يوصل الأمة إلى نتيجة، بل يكرّس واقع الصراع، ويشعل ساحة الأمة بالفتن، ويشغلها عن مصالحها الحاضرة، ويعطي الفرصة لتدخلات الأعداء.

وقد أخذ هذا النهج فرصته الطويلة الكافية، طيلة العقود والقرون الماضية، فكانت نتيجته تراثاً ضخماً من المساجلات والمباحكات والمناظرات، التي استهلكت وقتاً طويلاً من العلماء وطاقت الأمة، إضافة إلى سجل من الأحداث في النزاعات والصراعات التي عادة ما ترافق مثل تلك المناظرات، وبقي السنة سنة والشيعة شيعة، اللهم إلا تحول أفراد من هذا الطرف إلى ذاك الطرف أو العكس.

بناءً على هذه الرؤية فإني أبتعد عن المساجلات المذهبية ووضعت أي مذهب على المحك، وأرى التعايش بين أتباع المذاهب وبقاء أهل كل مذهب على ما اقتنعوا به واختاروه لأنفسهم.

نعم، لا بد من وقف الإساءة من أيّ طرف للآخر بالتكفير أو التحريض أو النيل من رموزه ومقدساته، مع حق كل طرف بأن يطرح رأيه ورؤيته.

ولديّ في الأخير عتاب على الأخ الشويقي، فهو قد ذكر أنني أطرح شعارات الوحدة والتقارب دون أي طرح لآليات التطبيق. مع اطلاعه حفظه الله على كلمتي في (المؤتمر العالمي لتكريم الإمام شرف الدين في بيروت) التي تحدثت فيها عن ما أراه من آليات مناسبة للوحدة والتقارب.

فقد نقل منها مقطعاً من أول الكلمة انتقدت فيه عدم الاهتمام بآليات الوحدة والتقارب، ليكون مدخلاً لطرح ما أراه على هذا الصعيد.

فلماذا تجاهل ذلك؟ إنه إذا كان مخالفاً للآليات التي اقترحها، فليقرر وجهة نظره، وأنه يختلف معي في تلك الآلية ويرى غيرها، لا أن ينكر أصل الطرح ويتجاهله.

علماً بأن لدي عددًا من الكتب المنشورة التي تعالج موضوع آليات الوحدة والتقارب ككتاب (التنوع والتعايش)، وكتاب (نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة)، وفي المكاشفات التي نشرها الأستاذ عبد العزيز قاسم في ملحق الرسالة لجريدة المدينة تحدثت عن أطروحتي في هذا المجال، وقد وجه الأستاذ عبدالعزیز قاسم جزاءه الله خيراً في بداية الحلقة الثالثة المنشورة بتاريخ ١/٩/١٤٢٥ هـ دعوة إلى مناقشة المشروع الذي طرحته فقال: ما نصه: «إنني أتمنى على كل مهتم بالشأن العام والوطني، وخصوصاً من إخوتنا في التيار الإسلامي عبر أطرافه المتعددة، أن يتأملوا مشروع الشيخ حسن الصفار الذي يطرحه اليوم ويتضمن فتح حوار للتفاهم بين طائفته وبين التيار الإسلامي العريض في ساحتنا المحلية».

وأعيد هنا - بالمناسبة - ملخصاً لما ذكرته في كلمتي في بيروت حول آليات الوحدة والتقريب، على المستوى الإسلامي العام دون النظر إلى بلد أو مجتمع معين، ونشرتها مجلة الكلمة في العدد (٥٢) لصيف ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

أولاً: تحقيق مفهوم المواطنة: التي تساوي بين الناس الذين يعيشون على أرض واحدة، في ظل نظام سياسي واحد، وإن اختلفت أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم. هذا المفهوم الجديد في هذا العصر لم يأخذ حقه من البحث في اهتماماتنا الفكرية والفقهية، وبقينا نتعامل مع الوطنية والمواطنة باعتباره مفهوماً وافداً أجنبياً دخيلاً على حياتنا، وبالتالي لم نحدد مواقفنا تجاه تفصيلاته ومستلزماته.

ثانياً: تبني قضية حقوق الإنسان، ومناقشة وثيقة حقوق الإنسان المعتمدة دولياً، والاتفاقيات الملحقه بها، وتسليط الأضواء عليها برؤية دينية إسلامية، وإذا كان هناك تحفظ على مادة أو مادتين مثلاً، فلا يصح تجاهل كل تلك الجهود، خاصة وأن مجتمعاتنا

بحاجة ماسّة لتفعيل هذه القضية، إن إغفال الاهتمام بحقوق الإنسان هو الذي يفتح المجال لتيارات التطرف والتشدد، وللتوجهات التعصبية، التي تسيء فهم الدين، وتمارس العدوان على الحقوق المادية والمعنوية للمخالفين لها في الدين أو المذهب أو الاتجاه الفكري والسياسي.

إن هذه الجهات لا تعترف ولا تلتزم بالحقوق الإنسانية لمخالفها، وقد تهدر دماءهم أو تستيبح حرماهم المادية والمعنوية. إن فقهاءنا يصرفون جهداً كبيراً في بحث مسائل الطهارة والنجاسة والعبادات، وهو جهد مطلوب يشكرون عليه، لكن قضايا حقوق الإنسان لم تنل من جهودهم واهتمامهم بمقدار ما تحتاجه في الساحة الداخلية وعلى المستوى العالمي.

وحين يكون هناك إقرار رسمي وديني واجتماعي بحقوق الإنسان فإن ذلك يكرّس حالة الاحترام المتبادل، ويساعد على الابتعاد عن حالات الإساءة والعدوان، وذلك هو ما يصنع أجواء التقارب والوحدة.

ثالثاً: إقرار التعددية الفكرية والسياسية، فمشكلة الأوساط الدينية أنها تخلط بين اعتقادها بأحقية معتقدها، وبين الإقرار بحق الآخرين في تبني معتقداتهم، إن اعتقاد أي جهة بأنها على الحق والصواب أمر طبيعي، لكنها يجب أن تعرف وتتعترف بأن الآخرين ينظرون لأنفسهم كذلك، ويرون أنهم على الحق والصواب.

إن القبول بالتعددية الفكرية مبدأ مهم، نفتقده مع الأسف في أوساطنا الدينية ليس بين المذاهب فقط، وإنما حتى بين المدارس والتيارات داخل المذهب الواحد.

إن القمع الفكري لا يحقق الوحدة كما قد يتوهم البعض، بل يؤسس للصراع والاحتراب. بينما يوفر إقرار التعددية حالة من الاطمئنان والثقة بين الأطراف المختلفة، ويمكنها من صنع إطار جامع، تحافظ من خلاله على المصالح المشتركة.

وهذه ليست فرضية علمية، ولا أطروحة نظرية، بل هي واقع قائم تعيشه سائر

المجتمعات البشرية، التي يتنوع أبنائها في أديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وأحزابهم. إن إقرار التعددية الفكرية يترتب عليه الاعتراف بحق مختلف الأطراف في التعبير عن آرائها وإعلان مواقفها، وممارسة شعائرها الدينية، وإقامة مؤسساتها الاجتماعية، ضمن قانون يخضع له الجميع، دون هيمنة واستعلاء من أحد، أو تهميش وإقصاء لأحد.

رابعاً: تجريم التحريض على الكراهية والإساءة، بأن يحاسب القانون ويعاقب النظام على ذلك، إن من أهم أسباب الفتن والصراعات الداخلية، وجود دعاة دينيين يصدرون فتاوى وينتجون خطابات تعبوية تتضمن الإساءة لآخرين مخالفين لهم، وتبيح هدر حقوقهم، ويتم التغاضي عن هذه الجهات، بل ويحصل التشجيع لها في بعض الأحيان، بمرور أنها تعكس رأياً شرعياً، أو كما يقول عنها أصحابها إنها تكليف شرعي. إن البحث في مثل هذه الآليات، وتأصيلها من الناحية الشرعية، وتحويلها إلى صيغ قانونية نظامية، وتوعية جمهور الأمة بالبرامج العملية المنبثقة عنها.. كل ذلك يرسم لنا خارطة طريق لتحقيق التقارب والوحدة، وينقلنا من حالة التطلع والأمل، إلى واقع الممارسة والتطبيق.

الشيخ الصفار يرد على د. البريك:

لا ولن نقبل مرجعاً تكفيرياً وأرفض تدخل أي مرجع في الشؤون السياسية الداخلية لبلادنا^(١)

أتقدم بوافر الشكر والتقدير للأخ الكريم فضيلة الشيخ سعد البريك حفظه الله
لثائه على المقال الذي نشرته في ملحق الرسالة بتاريخ ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ -
١٩ يناير ٢٠٠٧ م وإشادته بما تضمنه من (دعوة إلى الوحدة والالتقاء ورصّ صفوف
الأمة) وإبداء فرحته بما فيه من (دعوة إلى نبذ الفرقة وعدم الانجرار إلى أتون الفتنة
المذهبية التي يخطط لها أعداؤنا، والوعي بما يراد بالأمة من صراع مهلك واقتتال
مدمر).

وهذا الكلام من الدكتور سعد البريك دلالة إنصاف وإخلاص لما يخدم وحدة
الأمة ومصلحة الإسلام، وهو متوقع من أمثاله، جزاه الله خيراً.

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، ملحق الرسالة، الجمعة ٢٨/١/١٤٢٨ هـ الموافق ١٦/٢/٢٠٠٧ م،
العدد ١٦٠٠٤.

لكنه أشار إلى ما يعكس صفو هذا الكلام الجميل حسب تعبيره، وهو وجود فتوى للسيد السيستاني بتكفير أهل السنة، ولأنني اعتبره المرجع الديني فهذا يعني التزامي بفتواه مما يناقض الدعوة إلى الوحدة والتقارب.

وطلب حفظه الله بياناً صريحاً حول الموضوع واستجابة لطلبه، وتجاوباً مع اهتمامه وتقديره، أخط السطور التالية، راجياً أن تؤدي الغرض المطلوب.

مركزاً بياني الصريح في نقطتين:

الأولى: إني لا أعرف فتوى ولا رأياً للسيد السيستاني في تكفير أهل السنة، وخرجهم من الإسلام إذا لم يعتقدوا بوجوب إمامة علي وذريته من بعده، وأستغرب جداً من الدكتور البريك كيف أرسل هذا الاتهام إرسال المسلمات ولم يذكر نص كلام السيد السيستاني ولا مصدر فتواه المزعومة.

مع أن الدكتور قد أسهب في ذكر الشواهد والأدلة على ارتباطي بمرجعية السيد السيستاني الدينية، مقتبساً نصاً من مقابلة لي على قناة الجزيرة مع ذكر التاريخ، ومشيراً إلى فقرة في مقابلة لي مع وكالة رويتر مع ذكر التاريخ أيضاً، ومصدر النشر، معدداً شواهد أخرى موثقة لإثبات شيء معروف واضح أجاهر به ولا أنكره، هو ارتباطي بمرجعية السيد السيستاني الدينية.

ثم يقرر دعوى خطيرة هي اتهام أكبر مرجع للشيعة بتكفير أكثر من ألف وثلاثمائة مليون مسلم، مرسلًا هذه الدعوى إرسال المسلمات دون أن يكلف نفسه ذكر نص الفتوى أو مصدرها.

إنه لأمر غريب جداً لم أكن أتوقعه من الأخ الكريم.

أعود لأقول: إن ما أعرفه من فتوى ورأي السيد السيستاني هو رفض التكفير ورفض النزاعات والاحتراب الطائفي.

وبين يديّ رسالته الفقهية التي تضم فتاواه في جميع أبواب الفقه وتقع في ثلاثة

أجزاء تحت عنوان (منهاج الصالحين) تحتوي على ٣٥٠٠ مسألة فقهية، والله ما وجدت فيها أثراً لمثل هذه الدعوى الخطيرة.

وبين يدي أيضاً كتاب توثيقي لجميع (النصوص الصادرة عن السيد السيستاني في المسألة العراقية) أعده ممثل سماحته في بيروت الأستاذ حامد الخفاف، ونشرته دار المؤرخ العربي في بيروت - ١٤٢٧هـ.

وكل سطور بياناته وآرائه تؤكد على رعاية حرمة المسلم سنياً كان أو شيعياً، بل على رعاية حرمة جميع المواطنين بمختلف دياناتهم. وتدعو إلى الوحدة والتعايش وحفظ الأمن والنظام.

وأنقل هنا فقرات من بيانه الأخير بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨هـ، ٣ فبراير ٢٠٠٧م وقد تداولته وسائل الإعلام. حيث جاء فيه:

«تمر الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحديات هائلة تمس حاضرها وتهدد مستقبلها، ويدرك الجميع - والحال هذه - مدى الحاجة إلى رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ولا يبدو سبيل إلى حلها بما يكون مرضياً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي إذناً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولا سيما أنها لا تمس أصول الدين وأركان العقيدة، فإن الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد، وبرسالة النبي المصطفى ﷺ، وبالمعاد، ويكون القرآن الكريم - الذي صانه الله تعالى من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية، وبمودة أهل البيت ﷺ، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة، ومنها دعائم الإسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها.

فهذه المشتركات هي الأساس القويم للوحدة الإسلامية، فلا بد من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء هذه الأمة، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي

بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل، وبعيداً عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية أياً كانت عناوينها.

فينبغي لكل حريص على رفعة الإسلام ورفي المسلمين، أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم، والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية، لئلا تؤدي إلى مزيد من التفرق والتبعثر، وتفسح المجال لتحقيق مآرب الأعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الإسلامية والاستيلاء على ثرواتها.

وفي إطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الإعلام - من الفضائيات ومواقع الانترنت والمجلات وغيرها - بين الحين والآخر فتاوى غريبة تسيء إلى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية، وتنسبها إلى السيد السيستاني، في محاولة واضحة للإساءة إلى موقع المرجعية الدينية، وبغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولاً إلى أهداف معينة.

إن فتاوى السيد السيستاني إنما تؤخذ من مصادرها الموثوقة - ككتبه الفتوائية المعروفة الموثقة بتوقيعه وختمه - وليس فيها ما يسيء إلى المسلمين من سائر الفرق والمذاهب أبداً، ويعلم من له أدنى إلمام بها كذب ما يقال وينشر خلاف ذلك.

ويضاف إلى هذا أن مواقف سماحته والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق الجريح، وما أوصى به أتباعه ومقلديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام، وما أكد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أياً كان صاحبه، كل هذا يفصح بوضوح عن منهج المرجعية الدينية في التعاطي مع أتباع سائر المذاهب ونظرها إليهم، ولو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الأمور إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان، وقتل فظيع لا يستثني حتى الطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الحامل وإلى الله المشتكى.

هذا هو السيد السيستاني الذي اعرفه واعتمد مرجعيته الدينية.

النقطة الثانية: أشار الدكتور البريك إلى مفهوم التقليد للفقهاء المراجع عند الشيعة، وأحب أن أوضح هنا، أن ضوابط المرجعية والتقليد شديدة صارمة عند الشيعة، حيث لا يُقلد إلا الفقيه المجتهد ذو الخبرة العلمية العتيدة، فالمشهور عندهم وجوب تقليد الأعلام، ولذا فهم لا يعانون من مشكلة انفلات الفتوى، ولا يصل إلى موقع المرجعية العليا إلا من توفرت فيه المؤهلات الكافية.

والتقليد لأي مرجع ليس ارتباطاً حتمياً نهائياً، فإذا ما تبين للمقلد - بكسر اللام - اختلال شروط التقليد بفقد العدالة مثلاً، أو بروز من هو أعلم، يجب عليه العدول عن ذلك المرجع وتقليد غيره.

كما أن التقليد لا يكون في القضايا العقدية ولا الموضوعات الخارجية، فالقلد - بكسر اللام - غير ملزم بآراء مرجعه العقدية والسياسية.

جاء في كتاب العروة الوثقى بتعليق السيد السيستاني مسألة رقم (٦٧) من كتاب الاجتهاد والتقليد: «محل التقليد ومورده هو الأحكام الفرعية العملية فلا يجري في أصول الدين، ولا في الموضوعات الصرفة».

وأخيراً، فإني أعلنها بيان صريح: لا ولن نقبل مرجعاً تكفيرياً. فمدرسة أهل البيت عليهم السلام المعتمدة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ليست من المدارس المتسرعة في رمي الآخرين بالكفر والشرك وهي ترفض نهج التكفير. فقد ورد عن الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين عليهما السلام: أن جده علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: «هم إخواننا بغوا علينا».

بقي أن أشير إلى أن الشيعة يأخذون الفتاوى الشرعية والأحكام الفقهية من المرجع ورسالته العملية، أما الأحاديث والروايات الموجودة في المجاميع الحديثية لهم وفي كتب التراث فإنها لا تعبر عن فتوى أو حكم، ولا يصح أن يأخذ منها إلا الفقيه الملتزم بضوابط الاجتهاد والاستنباط، العارف بقواعد علم الحديث والرجال ليميز بين

الصحيح والضعيف والموضوع.

وأيضاً أعلنها بصراحة: إني أرفض تدخل أي مرجع في الشؤون السياسية الداخلية لبلاَدنا، فنحن جزء من هذا الوطن وهذا الشعب، ولنا حكومة معنية بإدارة شؤوننا وأمورنا ورعاية مصالحنا، نسأل الله تعالى لها الرعاية والتسييد. وليس من سيرة مراجعنا مداخلات كهذه، بل إنهم يؤكّدون على أتباعهم ضرورة رعاية النظام والقانون في أي بلد يعيشون فيه حتى في البلاد غير الإسلامية، حيث أفرد سماحة السيد السيستاني حفظه الله في الكتاب الصادر عن مكتبته تحت عنوان: (الفقه للمغتربين) فصلاً كاملاً حول التعامل مع القوانين النافذة في دول المهجر.

أرجو أن يكون هذا البيان واضحاً كافياً، وأعتذر سلفاً عن عدم استعدادي للدخول في أي جدل أو سجال مذهبي، لأنني لا أراه مفيداً ولا مجدداً، بل أعتقد أنه يضر بوحدتنا الإسلامية والوطنية وخاصة في هذه الظروف العصيبة. نسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا ويحفظ أمننا وأن يصلح ولاة أمورنا ويوفّقهم لخدمة مصالح الوطن والأمة والحمد لله ربّ العالمين.

«الرسالة» تعتذر لكل الأخوة الذين تداخلوا في موضوع الشيخ الصفار ولم تنشر لهم، حرصاً منها على ألا يتشعب الموضوع ويتشتت القارئ، وسيكون السجال محصوراً بين الفضلاء د. سعد البريك والشيخ حسن الصفار والباحث بندر الشويقي.

تصريح للشيخ الصفار حول الإثارات الطائفية^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

لقد غمر التفاؤل والأمل قلوب المواطنين حين طرحت قيادة البلاد رعاها الله مشروع الحوار الوطني، لتعزيز الوحدة بين أبناء الوطن على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية، حيث نصت توصيات لقاءاته على الإقرار بواقع التعدد المذهبي والتنوع الفكري، في إطار الوحدة والتعايش القائم على نهج العدل والإنصاف.

ثم جاء بلاغ مكة الصادر عن الدورة الاستثنائية لمؤتمر القمة الإسلامي بتاريخ ٥ و٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ ليؤكد على هذا التوجه الوحدوي على مستوى الأمة كلها انطلاقاً من اتفاق مذاهبها على المبادئ والأصول الإسلامية المشتركة.

لكن ما يثير الألم والقلق ما نلاحظه هذه الأيام من تصعيد في نبرة الخطاب الطائفي

(١) نشر بموقع الشيخ الصفار www.saffar.org بتاريخ ٧ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٢٥ فبراير ٢٠٠٧م.

والتعبئة المذهبية، عبر وسائل الإعلام، ومن قبل بعض الأئمة والدعاة في المساجد، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى القنوت بالدعاء على أتباع أهل البيت ونبزهم بالألقاب السيئة. إن هذه التعبئة والتحريض المذهبي تشكل خطراً على الوحدة الوطنية وظلماً وعدواناً على المواطنين الشيعة المتواجدين في أنحاء مختلفة من المملكة، وتؤلب عليهم، وتصنع الحواجز والفواصل بينهم وبين بقية إخوانهم المواطنين، كما تشجع على استهدافهم من قبل الفئات المتطرفة، وهي ورقة يستفيد منها الأعداء لتشويه سمعة البلاد وممارسة الضغوط عليها.

وقد حصلت بالفعل مضايقات وضغوط على المواطنين الشيعة في بعض المناطق، كما تعرض بعضهم للإساءة بسبب تأثيرات هذه التعبئة الطائفية المقيتة. وحفاظاً على وحدتنا الوطنية وثقة منا بحرص قيادة البلاد على الأمن والاستقرار وتوخي العدل، وحماية حقوق وكرامة جميع المواطنين، فإننا نتوجه إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وإلى ولي عهده الأمين حفظهما الله، لاتخاذ إجراءات تضع حداً لهذه الفتنة الطائفية التي لا يستفيد منها إلا أعداء الدين والوطن.

كما يهمننا التأكيد على الأمور التالية:

أولاً: إن النزاعات والصراعات الحاصلة في محيطنا الإقليمي هي صراعات سياسية بين الأطراف المشاركة فيها، ولا يصح أن تُعطى صفة دينية مذهبية، وواجب العلماء والقادة المخلصين أن يعملوا لمساعدة تلك الأطراف للتغلب على خلافاتها، لا الانحياز إلى طرف والدعوة إلى نصرته ضد الطرف الآخر، فذلك تأجيج للصراع وتشجيع للاقتتال.

ثانياً: إن الاعتراض على أي جهة سياسية لا يبرر النيل من المذهب الذي تتبعه، ولا اتهام كل الطائفة التي تنتمي إليها، فذلك تعميم ظالم حيث ﴿وَلَا تَرْرُ وَازِرَةٌ وَرَرَ أُخْرَى﴾، كما يؤدي إلى توسيع رقعة الفتنة والصراع.

ثالثاً: المواطنون الشيعة في المملكة هم جزء لا يتجزأ من كيانها وشعبها، وهم

يشتركون مع إخوانهم المواطنين في الإيمان بأصول الإسلام وأركانه، ويرفضون المزايدة عليهم في الولاء لوطنهم والإخلاص لشعبهم وحكومتهم، فهم أبناء هذه الأرض، وحريصون على سيادتها وأمنها واستقرارها، ورفض أي تدخل في شؤونها من أي جهة خارجية، وتاريخهم الوطني الناصع خير شاهد على ذلك.

رابعاً: نوصي أبناءنا المواطنين الشيعة بالتحلي بالصبر وضبط النفس، وعدم الاستجابة للاستفزازات التي تصدر من بعض الجهلاء أو المغرضين، وعدم الدخول في أي جدل أو سجال مذهبي يؤدي إلى سوء العلاقة بينهم وبين الآخرين. عسى الله تعالى أن يكشف سريعاً هذه الغمة عن هذه الأمة، وأن يجمع شمل المسلمين ويصلح ولادة أمورهم، وأن يحفظ بلادنا وشعبنا من كل مكروه. والحمد لله رب العالمين.

٧ صفر ١٤٢٨ هـ

٢٥ فبراير ٢٠٠٧ م

إشادة وتقدير بجهود "مركز البيت السعيد" (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين
وصحبه الطيبين

في مواجهة التحديات الكبيرة التي تعصف بمجتمعاتنا، وتهدد قيمها الأخلاقية،
وعلاقتها الإنسانية، وتندر بتغيير خطير في أنماط السلوك ومستوى التواصل بين أبناء
المجتمع حتى ضمن المحيط العائلي.. في مواجهة كل ذلك لا بد من استنفار تربوي ثقافي
اجتماعي يحفظ للمجتمع أصالته، ويحمي قيمه الحضارية وترابطه الإنساني، ويقلل من
الآثار والانعكاسات السلبية لتطورات ظروف الحياة، والانفتاح الواسع بين الثقافات
والحضارات.

ووجود المؤسسات المهمة بالقضايا الاجتماعية والمتخصصة في معالجتها هو أفضل

(١) مركز متخصص في التوجيه والتدريب الاجتماعي والتربوي والأسري، المملكة العربية السعودية،
المنطقة الشرقية، صفوى.

وسيلة للارتقاء إلى مستوى التحدي، وخوض غمار مواجهة المشكلات.
 من هنا نقدر لمركز البيت السعيد دوره الريادي في المنطقة كأول مؤسسة أهلية
 تتصدى لهذه المسؤولية. فمطبوعات المركز والدورات التي يقيمها والندوات التي
 يعقدها تكشف عن إدراك عميق للواقع الاجتماعي، وقدرة واعية في استلها المعالجات
 والحلول من مصادر ثقافتنا الدينية.

وإنني إذ أشيد بالجهود الطيبة التي يبذلها الإخوة القائمون على المركز، وفي
 طليعتهم فضيلة الشيخ صالح البراهيم، لأرجو لهم المزيد من البذل والعطاء في خدمة
 الدين والمجتمع، وآمل أن يتجاوب معهم رجال الخير في مجتمعنا ليمكنوا من تطوير هذا
 المشروع الريادي، الذي يلبي حاجة دينية اجتماعية كبيرة.

والحمد لله رب العالمين

حسن الصفار

٢٩ صفر ١٤٢٨هـ

تقديم للموسوعة الشعرية المهدوية^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين
الإمام المهدي قضية إسلامية كبرى تناولتها مئات الأحاديث والروايات والأخبار
إن لم تكن ألوفاً.
وهو عنوان عريض لمستقبل الأمة الواعد حيث سيتحقق على يديه إظهار الإسلام
فعلياً على الدين كله.
وهو تجسيد لتطلع الإنسانية عبر تاريخها الطويل لحياة العدل والأمن والرخاء،
لأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.
فمن الطبيعي إذن أن تشغل العقول والنفوس بموضوع الإمام المهدي، وأن يأخذ
مساحة كبيرة وحيزاً واسعاً من عالم الفكر والثقافة والأدب.
فقد أفاض في نقل أخباره المحدثون والرواة، وناقش تفاصيل الاعتقاد به الباحثون
وعلماء الكلام، كما تغنى بإشراقه طلعتة البهية الشعراء والأدباء.

(١) الحاج عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم. الموسوعة الشعرية المهدوية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ -
٢٠١٠م، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع).

ولأن الحديث عن الإمام المهدي يعني الحديث عن الألم الموجه الذي تعانيه البشرية من الظلم والفساد، حيث يكون دواؤه وإزالته على يديه الكريمتين، ويعني التطلع إلى الأمل المشرق الذي سينبثق فجره من ظهوره المرتقب، لذلك فالحديث عن الإمام المهدي هو الذي يفجر قرائح الشعراء، ويخصب خيال الأدباء، لأن الشعر والأدب في جوهره تعبير عن المشاعر والأحاسيس، والألم والأمل هما رافدا تلك المشاعر، وباعثا تلك الأحاسيس.

من هنا تبارى الشعراء في ساحة هذا الإمام العظيم، وتسابقوا على حلبة ميدان قدسه، يعرضون أمامه ملفات الألم، ويستنهضونه لتحقيق الأمل. وفي الحقيقة فإن هؤلاء الشعراء لا يعبرون عن مشاعر ذاتهم فقط في إبداعاتهم المهدوية، وإنما هم لسان البشرية كلها في التعبير عن أوجاع الآلام وتطلعات الآمال. وحين يقرأ الإنسان المسلم شيئاً من الأدب المهدوي، أو يصغي له، يجد في نفسه تفاعلاً عميقاً، وتجاوباً مرهفاً مع وقع كل تفعيلة في النص الأدبي، ومع كل فكرة في مضامينه.

وقد وفق الله أخانا العزيز، وصديقنا الحبيب، صاحب الأخلاق الكريمة، والولاء الصادق للنبي وآل بيته الطاهرين الحاج عبد القادر بن الشيخ علي آل أبي المكارم، ليقوم بمهمة جمع ما جادت به قرائح الشعراء في ذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بعد أن حالفه التوفيق في جمع المدائح النبوية، الذي صدر كموسوعة أدبية في تسعة عشر مجلداً أخذت موقعها في مكتبة الثقافة والأدب.

فهنيئاً لأبي عدنان هذا التوفيق الإلهي الكبير، فمن خدمة خاتم الأنبياء إلى خدمة خاتم الأوصياء، أرجو لموسوعته هذه النجاح، وأن يجد فيها الأدباء وعشاق الإمام المهدي المنتظرون لظهوره بلهفة وشوق، أن يجدوا فيها جميعاً ما يرفع معنوياتهم، ويشعل جذوة الأمل والحب في نفوسهم، ويزيدهم إيماناً وثقة بمعتقدهم، وولاء وإخلاصاً لإمامهم

المهدي المنتظر، حتى تقرّ أعينا وأعينهم بالنظر إلى غرته الشريفة وطلعتة الرشيدة.
وأجزل الله لأبي عدنان خير الجزاء والثواب على ما بذل من جهود في جمع هذه
القصائد والتراجم، وتقبل منه بأعلى درجات القبول.
والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

٢٤ يونيو ٢٠٠٧ م

مبادرة لانطلاق الحوار بين السلفيين والشيعة^(١)

الدعوة التي أطلقها سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، للحوار الإسلامي - الإسلامي، وخاصة بين السلفيين والشيعة، تشكل مبادرة مهمّة يجب أن يتفاعل معها ويستجيب لها كل من يحمل همّ وحدة الأمة، ويعي أخطار الفتنة الطائفية التي تحيط بها.

فقد اشتملت هذه المبادرة على عناصر وضوابط تضمن لها الجدّيّة والموضوعية والشفافية، بعيداً عن الطرح الإعلامي الشعاراتي، وبعيداً عن سيطرة حالة المجاملات والبروتوكولات، وعلى أساس الالتزام بمنطق الحوار العلمي، واعتماد لغة الصراحة والصدق، بالاحتكام إلى مرجعية الكتاب والسنة، وأخذ واقع الأمة ومصالحها بعين الاعتبار.

(١) نشر بموقع الشيخ الصفار www.saffar.org بتاريخ ٣ شعبان ١٤٢٨هـ الموافق ١٦ أغسطس ٢٠٠٧م.

إن صدور هذه الدعوة من سماحة السيد فضل الله يعطيها مصداقية كبيرة، فهو فقيه مفكر، يتبنى خط الانفتاح ووحدة الأمة، منذ انطلاقة مشروعه الثقافي الاجتماعي قبل نصف قرن، ولم تتلوث صفحات حركته بأي موقف أو شعار طائفي، وهو من مؤسسي ورعاة الحركة والصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، من خلال أفكاره التأصيلية، وأطروحاته النظرية، واحتضانه ودعمه للتوجهات الحركية العاملة، ومن خلال تصديه للقضايا الإسلامية الكبرى، كقضية فلسطين، والمقاومة الإسلامية في لبنان، ومقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق.

كما أنه يمثل مرجعية دينية مؤثرة في الوسط الشيعي، وخاصة في الأوساط الحركية، وشرائح الشباب، والجمهير الواعية.

واستقلاليته في آرائه الدينية، ومواقفه السياسية، أمر واضح للجميع، يكشف عن بصيرة وثقة، وشجاعة في مواجهة مختلف الضغوط.

من ناحية أخرى، تأتي هذه الدعوة في وقت يدرك فيه الجميع خطورة الفتنة الطائفية، فتصريحات المسؤولين والحكام في المنطقة، والقيادات السياسية، وعلماء الدين، والمثقفين والكتاب، كلها تحذر من الفتنة، وتدين الأحداث الطائفية التي تقع هنا وهناك، لكن مجرد التحذير والإدانة هو موقف سلبي لا يعالج المشكلة، ولا يقف أمام تصاعدها وتفاقمها، خاصة مع وجود مصلحة للقوى المعادية للأمة، في تأجيج الفتن لتمزيق الأمة، وإضعاف مقاومتها، وإرباك ساحتها، واستنزاف طاقاتها وجهودها في الاحتراب الداخلي، ومع وجود قوى متطرفة داخل مختلف المذاهب من السنة والشيعة، تتحرك بقصد أو دون قصد ضمن مخطط الفتنة الطائفية.

من هنا أهيب بقيادات الأمة الواعية، وبالعلماء والدعاة الحريصين على مصلحة الإسلام، أن يتجاوبوا مع هذه الدعوة، وأن يسعى الجميع لترجمتها وتحويلها إلى مشروع فعلي، وأخص بندائي هذا إخواني العلماء والدعاة في المدرسة السلفية، في المملكة العربية

السعودية ودول الخليج، حيث يستهدف الأعداء النيل من استقرار هذه المنطقة، وتمزيق الوحدة الوطنية لمجتمعاتها.

وسبق لي أن وجهت دعوة مماثلة قبل ثلاث سنوات حين نشرت كتاباً تحت عنوان (نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة).

وتلقيت ردوداً إيجابية من عدد من العلماء والدعاة السلفيين، وحصلت مع بعضهم لقاءات طيبة، أرجو أن تشكل هذه المبادرة الجديدة لسماحة السيد فضل الله دافعاً ومحفزاً لحركة فعلية واسعة، تخدم مصلحة الأمة وأمن المنطقة ووحدة أوطانها.

وأحب أن أُنَبِّه هنا، إلى أن هناك من يريد توظيف الأحداث السيئة التي حصلت في العراق، لخدمة مشروع الفتنة والاحتراب الطائفي، ولنقل شرره إلى المناطق الأخرى، حيث يُعَدُّون ما حدث دليلاً على عدم جدوى شعارات الوحدة والتقارب، وعلى عقم محاولات الحوار والتفاهم، وتسعى هذه الجهات من خلال الترويج لهذه الفكرة، إلى إثارة المزيد من الشكوك والهواجس المتبادلة عند كل طرف تجاه الآخر، في مختلف المناطق، بينما على الواعين من علماء الأمة وأبنائها أن يجعلوا ما حدث في العراق دافعاً للإصرار على نهج الحوار والتقارب، وأن يأخذ الجميع العبرة والدرس، من أجل تحصين ساحاتهم ووقايتها من الانزلاق في طريق الفتنة، والوقوع في فخاخها.

وقد اتضح للجميع أن ما يحصل في العراق ليس حرباً مذهبية، بل هو صراع سياسي تستخدم فيه الطائفية. وقد أضر بكل الشعب العراقي، ولم ينتصر ولن ينتصر فيه أحد. وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَا ظَفِرَ مِنْ ظَفِرِ الْإِثْمِ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ».

إن وجود أخطاء من هذا الطرف، وممارسات سيئة من ذلك الطرف، السني أو الشيعي، في أي منطقة كان، لا يبرر التراجع عن السعي للوحدة والتقارب، والعمل من أجل التعايش السلمي، فذلك مبدأ ديني، وضرورة حياتية لحفظ الأمن والاستقرار،

وإنما يجب معالجة الخطأ ومحاصرته ومنع تكراره وانتشاره.
على العلماء المخلصين والدعاة الواعين أن لا يتركوا جمهور الأمة فريسة لدعاة
التطرف، وأن يصدعوا ويجهروا بدعوة الحق لإنقاذ الأمة من هذا المأزق الخطير.
إن الدعوة للحوار والتعايش دعوة لإحياء الدين والأمة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

حسن موسى الصفار

٣ شعبان ١٤٢٨ هـ

١٦ أغسطس ٢٠٠٧ م

تقديم لكتاب على خطى الزهراء (١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. لا شك أن للمعرفة والثقافة دوراً رئيساً في تقدم المجتمع، فكلما اتسعت رقعة المعرفة، وتساعدت حركة الثقافة كان المجتمع أسرع خطى على طريق التقدم والرقي. ومن أهم مقاييس تقويم المستوى المعرفي والثقافي في أي مجتمع، دور المرأة ودرجة مشاركتها في الحركة العلمية، فلا يمكن أن يتقدم مجتمع يغطّ نصفه في سبات الجهل العميق، ولا يرتقي مجتمع تنعدم فيه الفاعلية الثقافية للمرأة. والمرأة هي الحضن الذي يمرّ من خلاله كل أبناء المجتمع ويتربون فيه، فإذا كانت جاهلة متخلفة فسينعكس أثر ذلك على تربيتها للجيل، وحين تكون مثقفة واعية يمكن التطلع بثقة أكبر إلى تأهيل المتخرجين من أحضان تربيتها. ويمكننا القول بجزم وتأكيد أنه لا يكفي أن تكون المرأة مثقفة واعية، بل لا بد من مشاركتها في إنتاج المعرفة وصنع الثقافة، فالعلم والمعرفة ليس حكراً على الذكور من أبناء

(١) بتول مرزوق رجاء الشريمي. على خطى الزهراء الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، (القطيف: أطيايف للنشر والتوزيع).

البشر، ولا تقل قدرات المرأة الذهنية عن قدرات شقيقها الرجل. لكن بيئة التخلف وأجواء الهيمنة الذكورية هي التي تجعل مسيرة الثقافة والمعرفة في المجتمع عرجاء، تعتمد على رجل الذكر وحده، وتشلّ دور المرأة. إن الخطاب الإلهي في الرسائل السماوية موجه لأبناء البشر ذكوراً وإناثاً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، ومعنى ذلك أن على المرأة أن تستقبل هذا الخطاب الإلهي، وأن تفهمه وتدبره، وأن تستجيب له، تماماً كالرجل.

جاء في صحيح مسلم عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: «يا أيها الناس! وكانت الجارية تمشطها، فقالت للجارية: استأخري عني - أي أمهليني حتى أسمع - فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فأجابتها أم سلمة: إني من الناس».

لذا ورد في الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وورد في إحدى صيغ رواياته إضافة (مسلمة) مع أن كل مسلم موضوعه الشخص فيشمل الذكر والأنثى على حدّ تعبير السندي في شرحه لسنن ابن ماجه. وفي تاريخنا الإسلامي كان للمرأة دور معرفي لا ينكر، فكانت كالرجل طريقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومصدراً لمعرفة أحكام التشريع، حيث أجمع علماء المسلمين على الأخذ بروايات النساء، حينما تتوفر فيها شروط القبول والصحة، قال الشوكاني: «لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه ردّ خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة».

وقد أثبت الإمام الخوئي رحمته الله في موسوعته (معجم رجال الحديث) في باب

(النساء) أسماء ١٣٤ راوية روين الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة من آله ﷺ. وجاء في كتاب (عناية النساء بالحديث النبوي) لمؤلفه مشهور بن حسن آل سلمان ٣٥٤ من تراجم النساء اللاتي كان لهن دور في مجال الحديث.

لكن عصور التخلف التي توالى على الأمة كان من آثارها تهميش دور المرأة العلمي والثقافي، وبالتالي دورها السياسي والاجتماعي.

ومن مقتضيات صحوة الأمة في هذا العصر إحياء دور المرأة في المجتمع بدءاً من دورها المعرفي والثقافي، وخاصة على صعيد المعرفة الدينية بأن تأخذ موقعيتها في الحوزات والمعاهد العلمية، وأن تشارك في الإنتاج الثقافي والحركة العلمية.

وقد سررت كثيراً باطلاعي على هذا البحث الجميل الذي أعدته الأخت الفاضلة بتول مرزوق رجاء الشريمي (أم عمار) حفظها الله، حول سيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، وترسم خطاها الرسالية.

ولفت نظري سعة اطلاع الأخت الفاضلة، ورجوعها إلى عدد كبير متنوع من المصادر، من بينها موسوعات ومجلات، مما يدل على علاقة وصدقة وثيقة لها بالمطالعة والكتاب.

إن سعة الاطلاع وتنوع مصادر المعرفة تفتح أفق الإنسان وتثري آراءه وأفكاره. وقد بذلت المؤلفة جهداً مشكوراً في تقديم صور التأسى والاقتداء من سيرة سيدة النساء، على صعيد بناء الشخصية، والتقدم في طريق المجد والكمال.

جزى الله المؤلفة الكريمة خير الجزاء، ووفقها للمزيد من الإنتاج والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، وحقق الله لها ما تأمله في تحفيز أبناء وبنات المجتمع للسير على خطى الزهراء البتول، فإن ذلك هو طريق التقدم في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ولا يفوتني أن أشير إلى أن هذا البحث قد كشف لي جانباً من شخصية زوج المؤلفة، وهو الأخ الفاضل الشيخ فهد أبو العصاري حفظه الله، الذي عرفته داعية مخلصاً، ومثقفاً

منفتحاً، مسكوناً بهم خدمة الدين والمجتمع، حيث يظهر هذا الكتاب نعمة جليلة من نعم الله تعالى على أئمتنا الكريمة الشيخ فهد، إذ تقف إلى جانبه زوجة واعية صالحة، تشاركه اهتمامه بخدمة الدين وإصلاح المجتمع.

أرجو أن تكون هذه العائلة الكريمة قدوة صالحة في تحقيق السعادة والنجاح، وحسن التربية والرعاية، ونشر الوعي والفضيلة، مصداقاً للدعاء القرآني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٥ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

٢٥ / ١٢ / ٢٠٠٧ م

متابعات | _____

الشيخ الصفار لرويترز: الشيعة موالون لوطنهم وليس لإيران^(١)

قال رجل دين شيعي بارز يوم الاثنين إن الشيعة السعوديين لن ينجروا إلى صراع طائفي في المنطقة وان ولاءهم للمملكة العربية السعودية وليس لإيران. وقال الشيخ حسن الصفار أبرز رجال الدين بين الأقلية الشيعية في السعودية للصحفيين أن المدنيين الشيعة فخورون بقوميتهم ولا يعتبرون أنفسهم طرفاً في صراعات سياسية إقليمية في إيران أو العراق أو لبنان. وجاءت تصريحاته في الوقت الذي يحتفل فيه الشيعة بيوم عاشوراء وهو الذكرى السنوية لمقتل الإمام الحسين عام ٦٨٠ ميلادية. ودفع القتال بين الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران والمسلحين من الأقلية السنية العراق نحو حافة الحرب الأهلية وأثار توترات طائفية في جميع أرجاء المنطقة.

(١) وكالة رويترز. ٣١/١/٢٠٠٧م.

وتشارك المملكة العربية السعودية الولايات المتحدة الشعور بالقلق من البرنامج النووي لإيران الشيعية وكذلك المخاوف من أن طهران ستساعد الأغلبية الشيعية في تعزيز هيمنتها على العراق عندما تسحب واشنطن قواتها من هناك في نهاية المطاف. وقال الصفار إن الشيعة السعوديين الذين يعيش معظمهم في المنطقة الشرقية الواقعة على ساحل الخليج لا يتخذون من السلطات الشيعية في إيران أو العراق قيادة لهم.

وقال إن المرجعية «السلطات الدينية الشيعية» في العراق وإيران لم يحددوا موقفاً سياسياً أو اجتماعياً في المملكة العربية السعودية». وقال إن كون وجود هذه المرجعية في الخارج ما هو إلا ذريعة لإشاعة الشكوك والتحريض ضد الشيعة. وكان الشيعة في المنطقة الشرقية التي توجد بها معظم حقول النفط الكبيرة بالمملكة العربية السعودية تمردوا على السلطات السعودية بعد اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩.

وترتاب الحكومة في أمرهم منذ ذلك الحين. وخففت السلطات السعودية القيود على ممارسة الشيعة لشعائرتهم بشكل علني منذ أن بدأ مسلحون سنة على صلة بتنظيم القاعدة حملة للإطاحة بالعائلة السعودية الحاكمة عام ٢٠٠٣.

والقي القبض على بعض الشيعة بعدما عبروا عن تأييدهم العلني لجماعة حزب الله اللبنانية الشيعية العام الماضي خلال الحملة العسكرية الإسرائيلية التي استمرت شهراً على لبنان.

وقال الصفار إن الزعماء السعوديين في حاجة لعمل المزيد لوقف تيار الفتاوى المناهضة للشيعة التي يصدرها كبار رجال الدين من السنة. ويتم رجال الدين السنة بالسعودية الشيعة بالكفر والتحالف مع إيران للقضاء على السنة في العراق مما يثير المخاوف من وقوع اشتباكات طائفية في السعودية.

وقال الصفار وهو معارض سابق يصفه بعض الشيعة بأنه أصبح أكثر توافقاً مع الحكومة أن الشيعة يشعرون بالقلق من هذه الفتاوى وهذه التعبئة ضدهم.

وقال الصفار إن الرأي العام السائد بين الشيعة يؤيد التعامل مع الدولة السعودية وهذا نابع من الخطوات الايجابية التي اتخذتها الدولة تجاههم.

الشيخ الصفار: الفتنة بين السنة والشيعة هدف إسرائيلي في هذه المرحلة^(١)

أرجع الشيخ حسن الصفار حالة الشحن المذهبي القائمة في البلاد العربية إلى النكسة التي منيت بها إسرائيل في عدوانها الأخير على لبنان وإلى وجود خلل في العلاقات بين فئات الأمة. مضيفاً أن الاستهداف المذهبي لطوائف بأكملها عبر التكفير وبيانات التحريض والتهيج والإثارة خطر يهدد مجتمعاتنا الإسلامية. وأشار الصفار في محاضرة ألقاها مساء الاثنين في القطيف في ذكرى عاشوراء إلى أن أعداء الأمة وجدوا أن إثارة النعرات الطائفية بين السنة والشيعة من جديد هي السبيل الأمثل لتمزيق حالة الوحدة التي برزت إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان. وأضاف بأن الأصوات المتطرفة أخذت تعكر صفو العلاقة بين المسلمين حتى

(١) شبكة راصد الإخبارية ٣٠ / ١ / ٢٠٠٧ م

صارت تهدد بإعادة الأمة إلى نقطة الصفر والمربع الأول بعد أن خطت خطوات متقدمة في ردم هوة الخلاف عبر سلسلة الحوارات والمؤتمرات واللقاءات بين قيادات الأمة الدينية والسياسية.

وقال إن اللافت في هذه الموجة أنها تأتي بعد النكسة التي منيت بها إسرائيل على يد المقاومة الإسلامية في حرب تموز والتي ضربت صميم المشروع الصهيوني وزلزلت أركان الكيان باعتراف العدو نفسه.

وكشف بأن الهدف الرئيس لأعداء الأمة اليوم هو في أن يقنعوا الشيعة بأن عدوهم الأول هم السنة، وأن يقنعوا السنة بأن عدوهم الأول هم الشيعة. إلا أن المؤسف هو وجود الأرضية النفسية المهيأة والمستعدة لتقبل هذه الإثارات في مختلف أوساطنا، كما أضاف الصفار.

صراع سياسي بعناوين مذهبية

وقطع الشيخ الصفار بأن الصراع القائم في العراق هو سياسي بالدرجة الأولى على الأدوار والحصص والمواقع السياسية، وإنما تستعمل الطائفة والمذهب كعناوين لذلك الصراع في وقت يتم تغذية الصراعات في أماكن أخرى بعناوين مختلفة. مضيئاً بأن «المشكلة الرئيسية تكمن في وجود الخلل في العلاقات وانعدام القدرة على التوافق.» وضرب الصفار عدة أمثلة لصراعات أيدت فيها قرى وراح ضحيتها مئات الآلاف من القتلى والمشردين وهتك الأعراض لدواعٍ سياسية محضة في دارفور والصومال وأفغانستان.. وفلسطين مؤخراً «علماً بأن الفئات المتصارعة في هذه الشعوب تنتمي لذات القومية واللغة والدين والمذهب.»

وتساءل مستغرباً: «هل يعود سبب الصراع في أي من هذه الأماكن أيضاً إلى التبشير

المذهبي الشيعي أو وجود نفوذ لـ «دولة مجاورة»؟»

إدانة

وأضاف الصفار بأن التعبئة الطائفية والتطرف مدانان من أيّ طرف صدرت من السنة أو الشيعة. موضحاً بأن ذلك لا يعني بأيّ حال تجريد بعضنا بعضاً من اتخاذ المواقف التي يراها مناسبة تجاه مختلف القضايا، فذلك ما يدخل في باب التعددية في الرأي. واستهجن حالات التعبئة المذهبية التي تستهدف مذاهب وطوائف بأكملها معتبراً ذلك خطراً يهدد أمن واستقرار مجتمعاتنا الإسلامية.

وطالب الشيخ الصفار «بالعودة للرشد والعقل والصواب». حاضماً القيادات السياسية والدينية في الأمة على المبادرة إلى «إنقاذ الموقف.. فإن التعبئة ليست في مصلحة أحد.»

شعبة الخليج يحيون عاشوراء وقادتهم يحذرون من الفتنة

الشيخ الصفار: إذا لم تبادر الأنظمة للمساواة بين

المواطنين ستحدث مشاكل^(١)

احتفالات حاشدة في القطيف

أحيا الشيعة في بلدان الخليج أمس ذكرى عاشوراء في مدن المنطقة الشرقية بالسعودية وفي البحرين والكويت، فيما اتهم رجل دين شيعي سعودي الولايات المتحدة وإسرائيل بالسعي لإثارة فتنة طائفية بين السنة والشيعة في المنطقة. وطافت مواكب العزاء في أحياء بلدة سيهات ومدينة القطيف في المنطقة الشرقية من السعودية، حيث ازدحمت الطرقات في الأحياء ذات الغالبية الشيعية بالمعزين الذين ارتدوا السواد ودقوا صدورهم أمام حسينيات رفعت عليها الأعلام السوداء على وقع أصوات الخطباء عبر مكبرات الصوت.

وفي كلمة أمام مئات المعزين ففي بلدة سيهات، اتهم رجل الدين الشيعي السعودي

(١) صحيفة الراية القطرية: السبت ٣١ يناير ٢٠٠٧م، الموافق ١٢ محرم ١٤٢٨هـ.

الشيخ حسن الصفار الولايات المتحدة وإسرائيل بالعمل «على إثارة فتنة طائفية بين السنة والشيعية في المنطقة» مضيفاً: «للأسف الشديد نجحوا في خطتهم إلى حد كبير». وقال الصفار «حينما نصغي إلى الخطاب الإعلامي العربي نرى غياباً للقضية المركزية (فلسطين) وكأن القضية الآن ليست إن أمريكا وإسرائيل تخطفان لإثارة الحرب المذهبية .. وأصبحت المعركة الآن مذهبية بين السنة والشيعية».

وأضاف الصفار: «ليست هناك مشكلة مذهبية بل هناك خلل في العلاقة بين أطراف الأمة .. إذا لم تبادر الأنظمة العاقلة لإصلاح الأمر ومساواة المواطنين ستحدث مشاكل».

وعزا الصفار ما اعتبره مخططاً أمريكياً إسرائيلياً لإشعال الفتنة الطائفية، إلى حيثيات حرب الصيف الماضي بين إسرائيل وحزب الله في لبنان حيث «إن تصدي المقاومة لإسرائيل جعل جميع ساحات المسلمين تعيش جواً نفسياً واحداً أمام العدو الصهيوني».

وتابع: «هذا ما أثار الأعداء وأثار قلق الأمريكيين والصهاينة .. دفعهم هذا للتساؤل: كيف يتحد المسلمون في شرق العالم وغربه في تأييد المقاومة؟ .. إذا لا بد من مخطط يشغل المسلمين بأنفسهم وينشغلون عن إسرائيل».

وأشار الصفار إلى «أن ما يحدث في العراق ليس مشكلة طائفية بل مظهر من مظاهر الخلل الذي تعيشه الأمة»، مضيفاً: «أن كل عاقل سنياً كان أم شيعياً لا يقبل ما يجري في العراق» متسائلاً: «هل الحل يكمن في استعادة الخلافات الطائفية وإصدار الفتاوى الطائفية؟».

وتابع: «هذا ليس حلاً، بل يدمر البلدان، والمطلوب وضع حد لهذا الخطاب ووضع حد للمتطرفين الشيعة والسنة». وتعيش في السعودية أقلية شيعية تمثل ١٠٪ على الأقل من إجمالي المواطنين البالغ عددهم حوالي ١٧ مليوناً، ويتركز وجودها في المنطقة الشرقية.

دعاة سعوديون : نرفض «الروافض» وتنبذ «النواصب»

الشيخ الصفار: لا تستجيبوا للمتطرفين^(١)

رغم اختلاف أطيافهم الفكرية، وانتماءاتهم المذهبية، إلا أن رموز العلم والدعوة بالمملكة العربية السعودية أجمعوا على أهمية نبد التآجيج الطائفي والصراع المذهبي بين المسلمين، والعمل على ألا يكون الاختلاف المذهبي تكتة لإشعال الحروب بين أبناء الأمة الواحدة، ومبررًا لسعي كل منهم لاستئصال الآخر وكسر شوكته، مؤكدين على أن أعداء الأمة هم وحدهم المستفيدون من هذا الصراع.

وشدد العلماء السعوديون - سنة وشيعة - على وجوب عدم الانسياق وراء دعاوى المتطرفين من الجهات المختلفة، ومواجهة ممارساتهم بحزم، والوقوف ضد إطلاق أحكام التكفير من هنا أو من هناك. كما دعوا إلى تجنب استخدام الألقاب والمصطلحات المثيرة للشحناء والبغضاء، مثل «الروافض»، و«النواصب»، مؤكدين على عدم استمرار

(١) شبكة إسلام أون لاين. نت www.islamonline.net / ١١ / ٢ / ٢٠٠٧م، إعداد: وائل كردي - السعودية.

الدلالات التاريخية لهذه الألفاظ.

لا تستجيبوا للمتطرفين

كان لا بد من الاطلاع على وجهة النظر الشيعة تجاه هذه القضية، لذا توجهنا إلى الشيخ حسن الصفار، الذي بدأ حديثه قائلاً: «أدعو نفسي وجميع العقلاء الواعين إلى عدم الاستجابة لضغوط المتطرفين في ساحتنا، الذين يهملهم إسقاط وإضعاف نهج الدعوة إلى الوحدة والتقارب، واستدراجنا إلى خنادق الاصطفاف والمواجهة الطائفية التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة».

وأكد الصفّار على أن وحدة الأمة والحوار والتقارب بين فئاتها على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، يجب أن يكون غاية نبيلة وهدفاً مقدّساً، وليس مجرد وسيلة لتحقيق مصالح محدودة، ويجب أن يصبح إستراتيجية دائمة لا مجرد تكتيك مرحلي.

وتعليقاً على ما يحدث بالعراق، قال الشيخ الصفار: «ما يجري في العراق هو ثمرة مرة لحقبة سيئة عاشها الشعب العراقي، في ظل نظام استبدادي أذاق شعبه الويلات، ومزق أوصاله بسياسته الجائرة، ثم جاء الاحتلال الأمريكي ليستثمر النتائج ويقطف الثمار».

واعتبر الشيخ الصفّار أن استخدام العنف داخلياً وباستهدافات طائفية، الذي عاشته الساحة العراقية، يشكل أكبر خدمة لأطماع الاحتلال الأمريكي، وإخضاع المنطقة للهيمنة الأجنبية، مؤكداً على أهمية إعلان الرفض والإدانة للعنف والإرهاب الطائفي من أي جهة صدر.

وأشار الصفار إلى أنه من الخطورة بمكان مواجهة الخطأ بخطأ أكبر، يقصد بذلك التعبئة المذهبية الطائفية، وقال: «النقد والرفض والاعتراض يجب أن يتوجه إلى الممارسة وإلى الجهة السياسية فيها، لا أن يصبح مبرراً لحملة شعواء على المذهب، تنال أصوله

ومعتقداته وتاريخه ورموزه، وأن يكون هناك طعن وتجريح ينال كل المتمين إلى المذهب في مختلف أنحاء العالم».

وأعلن الشيخ الصفار رفضه لمظاهر التعبئة الطائفية، التي تتمثل في بعض فتاوى التكفير، وبيانات التشكيك والتجريح، وخطب التحريض وإثارة الضغائن، التي تساعد - على حسب قوله - على تحقيق أهداف الأعداء بتمزيق الأمة، وإشغالها بخلافاتها، وتعيد المنطقة إلى أجواء الصراعات المذهبية التي عاشتها أيام الحرب العراقية الإيرانية، وتهدد بضياح الجهود المخلصة التي بذلها خادمو الحرمين الشريفين في قمة مكة الاستثنائية، وفي الحوار الوطني، وكذلك جهود كل المصلحين والمخلصين من علماء الأمة ودعاتها ومفكريها، كما تفتح الثغرات في جدار الوحدة الوطنية.

وفي الختام أكد الشيخ حسن الصفار على أنه لا يصح لنا أن ننهزم أو نتراجع عما نعتقده مبدأً شرعياً، ومصلحة عقلية واضحة، وضرورة حياتية، لحصول عقبة هنا أو نكسة هناك، وقال: «لا يجوز لنا أن نخضع لضغوط المتطرفين في مختلف الساحات الذين هم في الأصل ضد فكرة الحوار والتقارب، ويسعون لإفشالها، ويستغلون الأحداث السيئة لذلك».

هل يمكن إضعاف مفهوم الولاء والبراء ..^(١)

يرى الكثير من علماء المسلمين أن إضعاف مفهوم الولاء والبراء غير وارد اذا نظرنا بعقلانية وتطبيق شرعي للنصوص لتعاملنا مع الغرب على أنه جزء من أمة الدعوة، وأن ما يحدث من شطط وخروج عن المنهج إنما هو اجتهادات خاطئة بعيدة كل البعد عن المنهج الشرعي..

ولهذا شاع في المصطلحات الإسلامية تعابير: أمة الدعوة وأمة الإجابة، أمة الدعوة هي العالم بأسره، وأمة الإجابة هم من آمن به ﷺ، واتبع النور الذي أنزل معه، وللغرب في هذه المنظومة من الخصوصية ما ليس لغيرهم من بقية هذه الأمة، فجدورهم ترجع في الجملة إلى أهل الكتاب، ولأهل الكتاب من الخصوصية ما ليس لغيرهم، فقد أباحت الشريعة طعامهم، وأحلت نكاح نسائهم، بما لم تجزه مع فئة أخرى من غير المسلمين، وعقدت لأهل الكتاب الأمان في مجتمعاتها، وأعطتهم على ذلك ذمة الله ورسوله.

(١) عكاظ: جريدة يومية سعودية، العدد ٢٠٨٩، الأربعاء ١٧/٢/١٤٢٨هـ، ٧ مارس ٢٠٠٧م، إعداد: بدر الغانمي.

وللنصارى منهم اعتبار أخص ورد ذكره في كتاب الله عز وجل عندما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٢].

ما دامت هذه القاعدة الشرعية هي أساس التعامل الغائب في ترسيم العلاقة بين المسلمين والآخر، فلماذا تتعقد الصورة كلما حانت لحظة الاقتراب.. ويظل التساؤل الأكبر.. هل هناك أمل في الالتقاء في ظل الإطار العقدي القائم على الولاء والبراء؟

معلومات خاطئة

سألت القس عما نويل غريب، راعي الكنيسة الإنجيلية الوطنية بالكويت كأحد وجود التمثيل من الطرف الآخر عن رؤيته لشكل العلاقة بين المسلمين والمسيحيين من خلال تجربته بالكويت فقال: من أبرز ما لاحظته خلال السنوات العشر الأخيرة تحديداً أن بعض المفاهيم الخاطئة التي تسلت إلى أفكار بعض إخواننا المسلمين عن فكر الذين يختلفون عنهم في العقيدة قد بنيت على المعلومات المتواترة وأفكار وفتاوى أناس غير متخصصين وغير متعمقين في الدراسة والفهم الصحيح لنظرة دينهم إلى الآخر، أو من خلال مظاهر التحرر والإباحية التي تظهر على السطح في المجتمعات الغربية في ظل غياب القيم الروحية والمبادئ السامية التي بنيت عليها حضارتهم التي تظهر في الصورة، لذلك فأنا أهيب بدور إخواننا المسلمين المتخصصين الأمناء في تصحيح المفاهيم الخاطئة التي توارثتها المجتمعات الإسلامية في نظرتها للآخرين ممن يختلفون عنهم في العقيدة.

قلت له: ولكنك ترى ما يحدث للمسلمين في بلادهم وبلاد الغرب من انتهاك للكرامة الإنسانية وحقوقهم المشروعة.. فكيف يكون التعامل بالمثل؟ فقال: على الجميع أن يعترفوا بحق الآخرين في الحياة الكريمة، فنحن نشترك جميعاً في أننا آدم وحواء. فالبشر من هذه الناحية إخوة، والاعتراف المتبادل في حق الحياة الحرة الكريمة دون تهديد

أو اضطهاد بسبب لون أو جنس أو دين من المبادئ الأساسية التي يريدونها الآخر من المسلمين.. وأضاف: إن العالم يتكون من شعوب وقبائل وأمم مختلفة في اللون واللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم والأفكار وكل الكتب السماوية تعلن هذه الحقيقة بوضوح بل إن الحقيقة الأكبر هي أن البشر متساوون، ولا فضل لواحد على الآخر إلا بالتقوى كما هو معروف لديكم.. وكلما اقتربنا إلى الله عز وجل، اقتربنا من بعضنا البعض فالاحترام المتبادل وإعطاء كل ذي حقه دون النظر لأي اعتبار آخر هي من ضمن ما يطلبه الآخر من المسلمين والعكس أيضاً.

وأكد القس عما نويل في ختام حديثه على ضرورة الحوار والتواصل في جوٍّ من الألفة والمودة بين المسلمين والمسيحيين لكسر الحواجز وإسقاط الأسوار وتصحيح المفاهيم وإعطاء الفرصة لكل طرف للاطلاع على تفاصيل الصورة عن قرب، فلا تطمس الملامح بسبب البعد والنظرة العابرة قائلاً: إننا نحتاج أن نجلس معاً ونتحاور لكي نجد أهدافاً مشتركة نتفق عليها ونسعى معاً لتحقيقها في مجتمعنا الذي نعيش فيه، وليتنا نتواصل ونضع أيدينا معاً ونتعاون على أعمال البر والخير والتقوى بدلاً من الاختلاف والتقاتل ونبذ الآخر.

احترام الحريات

الشيخ حسن الصفار تساءل في ردّه عن كيفية الوصول إلى لغة تفاهم بعيداً عن حالة العداء الدائم قائلاً: أعتقد إن الإنسان قد يعادي شخصاً لأنه أساء له أو اعتدى على حق من حقوقه وهذا موقف مفهوم مشروع، وقد تعادي شخصاً لأنه ينافسك أو يزاحمك على مصلحة من المصالح أو مكسب من المكاسب، وهو أمر وارد وقابل للنقاش، أما أن تعادي شخصاً لأن له رأياً يخالف رأيك في قضية علمية أو دينية أو سياسية، فذلك موقف لا يسوغه لك الشرع ولا العقل، وكما تعرف أن الرأي من شؤون قلب الإنسان، وهو

من أخص خواصه الذاتية الشخصية، فلا يحق لأي أحد أن يتدخل في هذا الشأن بالقسر والقوة، كما أن التدخل في هذه المنطقة المحرمة لا يجدي ولا يؤثر، فإذا ما حاولت أي قوة أن تفرض على إنسان رأياً أو تمنعه من رأي، فإنها لن تستطيع إلا إخضاعه ظاهراً، أما قراره الداخلي، وإيمانه القلبي، فيستعصي على الفرض والإكراه، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ينفي إمكانية الإكراه على الدين وينهى عنه، يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦]، فالرأي والاعتقاد لا يغيره الضغط والقهر، والتظاهر بالتخلي عن ذلك الرأي لا يزيله من قرارة نفس الإنسان، بل قد يزداد ثبوتاً ورسوخاً، بدافع التحدي وردّ الفعل.

حرص مندفع

واستغرب الشيخ الصفار حماس البعض لمبادئهم وآرائهم بحيث يضغطون على أعصابهم ويتأزمون نفسياً ويتجاوزون الحدود في التعامل مع الناس، وكأن لهم الوصاية والسيطرة على أفكار الآخرين وتوجهاتهم، وهذا خطأ فظيع، مشيراً إلى أن رسول الله ﷺ كان حريصاً على هداية قومه، إلى حدّ أنه كان يجهد نفسه أكثر من اللازم، فجاءه التوجيه من الله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٣]، ومرة أخرى يخاطبه الباري جلّ وعلا: ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى * [سورة طه: الآيات ١-٣] وفي القرآن آيات كثيرة تؤكد على أن مهمة النبي والداعية تنتهي عند حدود التبليغ والإرشاد، ولا يصح تجاوز هذه المهمة إلى حد ممارسة الوصاية والضغط على الآخرين.

يقول تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء: الآية ٨٠]. ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٠].

وأوضح الصفار إن هذه التوجيهات الربانية والمفاهيم القرآنية التي سبق ذكر

البعض منها إضافة لسيرة الأنبياء والأئمة ﷺ تردع الإنسان عن أن يكون حادًا متشنجًا مع من يخالفه في الدين والرأي، أو أن يجعل اختلاف الرأي سببًا ومبررًا للعداء والخصومة، مشيرًا إلى أن الإنسان إذا كان مخلصًا لأفكاره، وملتحمًا لنشرها، واستقطاب الآخرين باتجاهها، فإن الطريق لذلك هو الانفتاح على الآخرين، وخلق جو من الاحترام والود معهم، فالعقل الواعي الذي يريد خدمة أفكاره، وأن تشق طريقها إلى قلوب الناس، هو الذي يمتلك سعة الصدر ورحابة الأفق، ولا يفعل تجاه الرأي المخالف، حتى ولو تعامل معه الآخرون بشكل سيء، فإنه يمارس أعلى درجات ضبط النفس، والتحكم في الأعصاب، بحيث يقابلهم باللطف والإحسان، فيمتص التشنجات، ويستوعب الاستفزازات ويدفعهم لإعادة النظر في موقفهم تجاهه، ويشجعهم على الانفتاح على أفكاره، مما قد يغير قناعاتهم، ويستقطبهم إلى جانبه وإلى صفّ رأيه.

أرضية مشتركة

الدكتور محمد عبدالغفار الشريف الأمين العام للأوقاف بدولة الكويت والعميد السابق لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت أكد على وجود أرضية مشتركة دائماً لدى المسلمين في الحوار مع الآخر، بل إن الإسلام له المبادرة في ذلك في ظل وجود ضوابط عقدية، مثل مسألة الولاء والبراء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

الشيخ الصفار لـ«الوطن»:

نحتاج لنشر ثقافة التسامح فليس كل مخالف جاحداً^(١)

قال الشيخ حسن الصفار: إن الاختلاف في الرأي بين السنة والشيعة في الأمور العقديّة والفقهية موجود ولا يمكن إنكاره.

وهو اختلاف قديم ليس جديداً ولا طارئاً، وهناك مشتركات كبيرة بين الطرفين في الإيمان بأصول العقيدة وأركان الإسلام ومرجعية الكتاب والسنة.. لكن تحويل هذا الاختلاف إلى صراع ونزاع إنما يتم غالباً بسبب العوامل السياسية الداخلية والخارجية. وأضاف الشيخ الصفار في حديث لـ«الوطن» حول الآلية التي يمكن بها تحقيق التواصل بالنسبة للقلّة الشيعية المتواصلة مع الآخر، وحول إمكانية قيام الحوزة بدور في هذا الصدد: «لكي تتسع رقعة التواصل بين علماء السنة والشيعة، لا بد من مبادرات من المرجعيات الدينية العليا من الطرفين، أما إذا كان سقف المبادرات من العلماء في الصف

(١) الوطن: صحيفة يومية السعودية، العدد ٢٣٥٢، الجمعة ١٩ صفر ١٤٢٨هـ، الموافق ٩ مارس ٢٠٠٧م، إعداد: هاني حجي.

الثاني، فإنهم سيواجهون ضغوطاً من المتطرفين المتعصبين من الجانبين، كما نحتاج إلى وجود أطر ومؤسسات تنمي حالة التواصل وترعاها بين علماء السنة والشيعة، ونأمل أن يخصص مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني جزءاً من جهوده لذلك على الصعيد الداخلي.

والحوارات العلمية تستطيع أن تقوم بدور فاعل أيضاً بدعم ثقافة التقريب والوحدة». وعن إمكانية احتواء تيار شيعي سلفي - تحدث عن وجوده - لمنعه من التغلغل إلى ذهنيات الشباب، وإن تسبب الإشارة إليه ردة فعل بسبب الجراءة في الطرح.

قال: «هذا التيار السلفي الشيعي يأتي كرد فعل للتيار السلفي السني المتطرف مذهبياً الذي يصدر فتاوى التكفير ضد الشيعة ويجرّض على عداوتهم، ويمكن احتواؤه بمواقف المرجعية الدينية الواضحة تجاه الوحدة، وفي هذا السياق لا بد من الإشادة بفتوى الإمام الخميني للشيعة بالصلاة مع السنة في الحرمين الشريفين، وبالبيانات والفتاوى التي صدرت عن الإمام السيستاني.

أما خشيتي من رد الفعل بسبب طرحي لهذه الآراء فهي موجودة لكنني أرى ضرورة تحمل المسؤولية الشرعية وخاصة مع الظروف الخطيرة الحساسة التي تمر بها المنطقة، كما أراهن على ارتفاع مستوى الوعي في المجتمع الشيعي».

وكانت رابطة الحوار الديني في الحوزة العلمية بقم في إيران قد وَّجَّهت دعوة للشيخ حسن الصفار للمشاركة في الندوة التي عقدها في مركز بحوث العلوم والثقافة الإسلامية في مدينة قم بعنوان مواجهة الفتنة المذهبية يوم الخميس ١١ صفر ١٤٢٨ هـ الموافق ١/٣/٢٠٠٧ م.

وحضر الندوة جمع من العلماء، منهم الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الشيخ محمد علي التسخيري، ورئيس مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية الشيخ حسن رباني، ورئيس قسم بحوث الفقه والحقوق في المركز الشيخ

أحمد مبلغى .

وقال الشيخ حسن الصفار في كلمته التي وجهها للندوة عبر الهاتف: «من الطبيعي أن تتوجه الأنظار والقلوب عند النوازل والمشاكل إلى الأوساط العلمية الدينية، فهي التي يجب أن تتصدى لبحثها، وأن توجه ساحة الأمة إلى المواقف الصحيحة منها، وأن تقدم الوعي والإرشاد المطلوب حولها».

وتابع الشيخ الصفار: «أعتقد أن القضية هي أعمق من الخلافات الطائفية المذهبية، وأن هذه الفتنة ما هي إلا عرض لمرض خطير ومظهر لخلل عميق، يتمثل في عجز مجتمعات الأمة عن إقامة علاقات سليمة بين أطرافها.

ففي غالب بلاد المسلمين هناك خلافات ونزاعات عنيفة، بمختلف العناوين والمبررات، تارة بعنوان اختلاف العرق والقومية، وأخرى بعنوان اختلاف الدين والمذهب، وثالثة بعنوان اختلاف التوجه الفكري والسياسي، وهناك حروب بعنوان اختلاف الجذور القبلية».

وأضاف: «كمثال على ذلك أذكركم بما يدور الآن في دارفور غرب السودان، وحيث تريد أمريكا والقوى الغربية استغلال ما يجري فيها للتدخل تحت مسمى وجود قوات دولية تابعة لمجلس الأمن، وترفض الحكومة السودانية ذلك معتبرة إياه تدخلاً في شؤونها وانتقاصاً من سيادتها. دارفور - غرب السودان مساحتها ٥٠٠ ألف كيلو متر مربع، وسكانها ستة ملايين نسمة، كلهم مسلمون، وكلهم يتبعون المذهب المالكي، وفيهم آلاف من حفظة القرآن، وكلهم عرب، لكن بعضهم ينتمي لقبائل جذورها عربية وبعضهم ينتمي لقبائل جذورها إفريقية، وهناك حرب الآن بين هذين الطرفين تدور رحاها منذ سنوات وقد بلغت حصيلتها كما تقول المصادر الدولية: ٢٠٠ ألف قتيل، ومليونى مشرد، وأحرق ٢٠ ألف قرية، وحصلت حالات فظيعة من الاغتصاب.. قد تكون هذه الأرقام مبالغاً فيها، كما تقول حكومة السودان، لكنها لا تنكر أن هناك نزاعاً

وأن هناك انتهاكات وفظائع.

لماذا تدور هذه الحرب في دارفور؟ هل هناك صراع طائفي بين السنة والشيعة؟». وتابع: «لماذا يتعايش الناس في العالم المتقدم كأوروبا مع تنوعهم القومي والعرقي والديني والمذهبي، ويصنعون اتحاداً أوروبياً، يضم مجتمعات تختلف في ثقافتها وتاريخها، ويحتدم فيها التنافس المادي المصلحي، بينما تعجز عندنا مجتمعات يجمعها دين واحد عن الاتحاد والاتفاق؟» وتحدث الشيخ الصفار عن وجود خلل عميق تسببه ثقافة التحريض على الكراهية «فعلى الصعيد المذهبي مثلاً نحن نجد أن هناك تعبئة متبادلة بين السنة والشيعة، حيث تقوم بعض الجهات الدينية المتشددة من الطرفين بذلك، حتى تثبت أفضلية مذهبها، فإنها تتوسع في ذكر مثالب الطرف الآخر، وتصفه بالكفر أو الشرك أو الابتداع، وأنهم لا يستحقون اللجنة وأن مصيرهم إلى النار.. إننا بحاجة ماسة إلى نشر ثقافة التسامح في جمهورنا الشيعي والسني.. فليس كل مخالف جاحداً. فقد يكون مخلصاً صادقاً لكنه لم تتضح له الحقيقة بسبب القصور أو التقصير.

وليس كل مخالف في النار، حيث وردت أحاديث عن طريق السنة والشيعة عن سعة رحمة الله تعالى، وأن المسلم حتى المخالف إن لم يكن جاحداً يدخل الجنة».

وأكمل: «لا شك أن مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة تمر هذه الأيام بانتكاسة مؤلمة، يعرف كل الواعين أسبابها، والقوى المعادية التي تقف خلفها من خارج الأمة وداخلها. لكن المهم ألا نسمح لهذه الانتكاسة بأن تتحول إلى حالة إحباط ويأس في نفوس الوجدويين، وأن تؤدي إلى تراجع في عزيمة الإصلاحيين وتطلعاتهم نحو الوحدة والتقريب. فذلك هو ما تسعى إليه قوى الاستكبار الخارجي والتطرف والتعصب الداخلي.

بل يجب أن تدفعنا هذه الانتكاسة إلى وقفة تأمل ومراجعة، لتلافي الثغرات ونقاط الضعف التي استفاد منها العدو، ولوضع الخطط والبرامج لتجاوز هذه المحنة،

والانطلاق بهمة أعلى وأقوى، وللتقويم الموضوعي للإنجازات الكبيرة لهذه المسيرة المباركة، التي دفعت الأعداء لتوجيه ضرباتهم لها، فلو لم تكن لمسيرة التقريب آثار ونتائج عظيمة في واقع الأمة لما اهتم الحاقدون بالتصدي لمواجهتها».

وأضاف: «لا تزال دائرة الانفتاح والتواصل بين علماء ومثقفي المذاهب الإسلامية ضيقة محدودة، ولو أردنا تقدير عدد المهتمين بقضية التقريب والوحدة عملياً في الوسط الشيعي مثلاً، من الذين يحضرون المؤتمرات ويقومون بالزيارات، وينشئون العلاقات والصدقات مع أمثالهم ونظرائهم في الضفة الأخرى لوجدناه عدداً قليلاً جداً، لا يتناسب مع أهمية القضية وخطورة التحدي، ولا مع العدد الضخم من العلماء والطلبة الذين تعجب بهم حوزاتنا العلمية وساحاتنا الدينية. إن علماء الشيعة في مختلف المناطق عادة ما تُستهلك جهودهم ويستغرقون في القضايا والشؤون الداخلية لمجتمعاتهم، أما الاهتمام بالعلاقة مع الآخر المذهبي، والسعي للتواصل معه فلا يتجه له أحد منهم إلا نادراً».

وهذه مشكلة نواجهها في مجتمعنا الشيعي، حيث نجد صعوبة بالغة في التجاوب مع هذا التوجه من قبل غالبية العلماء والطلبة، الذين يتذرعون بمختلف الأسباب والمبررات الفكرية والنفسية والاجتماعية للعرزوف عن هذا الاهتمام. لذا ينبغي التفكير في معالجة هذه الحالة من خلال برامج الحوزة العلمية وتوجيه المرجعية الدينية، ورعاية الجهات المتصدية لإدارة شؤون المجتمعات الشيعية».

وواصل الشيخ الصفار حديثه: «لقد وجدت من خلال تجربتي المحدودة أن للانفتاح والتواصل مع الآخرين عظيم الأثر في تجاوز الحواجز النفسية، وتصحيح الانطباعات والتصورات الفكرية، والتجاوب مع دعوة الحوار والتقريب».

وأشيد هنا بالدور الكبير الذي يقوم به سباحة آية الله التسخيري لحرصه على المشاركة في مختلف اللقاءات والمؤتمرات، ولحضوره الثقافي والإعلامي في مختلف الساحات، إننا بحاجة إلى أن يقوم عدد من علمائنا وشخصياتنا من مختلف مجتمعاتنا

الشيعة بمثل هذا الدور». وتابع الشيخ الصفار متحدثاً عن انبعاث لتيار سلفي شيعي، يركز على قضايا الخلاف ويضخمها، ويجدد طروحات الغلو والمبالغة في بعض القضايا الولائية الشعائرية، مما يربك الساحة الشيعية الداخلية، ويقدم صورة منقّرة عن المذهب للآخرين، ويعطي الذرائع للمتطرفين من الجهة الأخرى.

وقال: «لا بد من تسليط الأضواء على بواعث هذا التيار ودوافعه، والحذر من تغلغله في الحوزات والمؤسسات الدينية، ودعم توجهات العقلانية والاعتدال والانفتاح.

وبسبب هذا التيار المتشدد نواجه بعض العقد الصعبة في علاقتنا مع إخواننا أهل السنة، ولعل من أبرزها مسألة التعرض لبعض الرموز المقدسة عندهم باللعن والسب. حيث لا يمكن أن يقبل الطرف الآخر بسب ولعن رموزه المقدسة بل سيدفعه ذلك إلى رد فعل عدائي، لذلك نهى القرآن الكريم المسلمين عن سب أصنام قريش تجنباً لرد فعلهم تجاه الذات الإلهية يقول تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٨].

وكذلك نهى الإمام علي عن سب أهل الشام قائلاً لأصحابه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين...». ويصعب أن يقبل الآخرون إنكار اللعن والسب ما دام موجوداً في نصوص متداولة كالفقرات الواردة في بعض صيغ زيارات عاشوراء. وكذلك وجود مقام في كاشان ينسب لقاتل الخليفة الثاني».

وختم الشيخ الصفار حديثه قائلاً: «إن هذه المسألة توقعنا في حرج شديد، وتعطي الفرصة للفئات المتطرفة من أهل السنة لتعميق الهوة بين الطائفتين. فلا بد من معالجة جريئة من قبل المرجعية الدينية والجهات القيادية في العالم الشيعي، وإلا فإن مسيرة التقريب تبقى متعثرة، وأرضية الفتنة ستبقى خصبة أمام الطامعين».

الشيخ الصفار يدعو القيادات السياسية في مؤتمر القمة العربية للتوجه لمعالجة جراحات التمزق في الأمة^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار القيادات السياسية في مؤتمر القمة العربية للتوجه لمعالجة جراحات التمزق في الأمة، مؤكداً أن الظرف الذي تنعقد فيه هذه القمة من أخطر الظروف التي تواجه الأمة العربية والإسلامية، حيث إن الجسم العربي والإسلامي مليء بالجراحات من مختلف الأجزاء في فلسطين والعراق ولبنان والسودان والصومال وأفغانستان، مؤكداً أن الرسول الأكرم قد حقق أعظم إنجاز وحدوي في تاريخ البشرية وسط مجتمع متناحر يعيش الحروب والنزاع لأتفه الأسباب. وأكد أن القيادات السياسية والدينية في الأمة تتحمل العبء الأكبر من المسؤولية، مضيفاً أن مشروع الوحدة لا يتحقق إلا إذا تبنته هذه القيادات وسعت باتجاهه.

وأشار الشيخ الصفار في خطبة الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول ١٤٢٨هـ

(١) جريدة الرياض: العدد ١٤١٥٣ بتاريخ ٦/٣/١٤٢٨هـ الموافق ٢٥/٣/٢٠٠٧م، إعداد: عرفات الماجد.

(٢٣ مارس ٢٠٠٧م) التي أقيمت في القطيف إلى موضوع الوحدة مبيناً للأمة الإسلامية والعربية أن تحقيق الوحدة يحتاج إلى تبني حقيقي من القيادات المسؤولة، أما إذا ارتبطت مصالح بعض القيادات السياسية بالتفرقة والتمزق فإن الوحدة لا يمكن أن تتحقق. وأشاد الشيخ الصفار بالجهود الكبيرة التي بذلتها قيادة المملكة العربية السعودية في توحيد الصف الفلسطيني حتى تمكن من تحقيق حكومة وحدة وطنية مؤكداً أن آمال الأمة تتطلع إلى مؤتمر القمة العربية الذي سينعقد في الرياض عاصمة المملكة موجهة رسالته للقيادات السياسية بأن يتوجهوا لمعالجة الجراحات الأخرى في لبنان والعراق والصومال والسودان وأفغانستان، وذلك لأن أي جرح في الأمة لا يبقى في حدوده وإنما سيغال الأمة كلها إذا لم يتم التصدي له.

وأكد أن الأعداء لا يريدون للأمة خيراً، لا للمواطنين، ولا للقيادات، فلا سبيل أمام جبروت الأعداء إلا التسليح بسلاح الوحدة. ودعا الشيخ الصفار جميع المواطنين لأن يأخذوا دورهم في تقديم آرائهم للمؤتمر، وأن يضغطوا باتجاه اتخاذ القرارات الصائبة التي تحقق للأمة أمنها واستقرارها، إن شاء الله.

وفي الخطبة الثانية أوصى الشيخ الصفار جموع المصلين بتقوى الله، فهي وصية الأنبياء، وهي طريق الفوز برضا الله سبحانه وتعالى، وأشار إلى جوانب متفرقة من أحكام صلاة الجمعة وشرائطها باعتبارها تقام لأول مرة في القطيف.

الشيخ الصفار: اللجوء إلى تخريب المواقع الإلكترونية دليل إفلاس وخواء فكري^(١)

استنكر رجل الدين الشيعي السعودي البارز الشيخ حسن الصفار عملية الاختراق التي تعرض لها موقعه الشخصي قبل أيام من جانب بعض «المتطرفين» السنة، ووصفها بأنها عديمة الأخلاق وتدل على الإفلاس الفكري.

وقال الصفار في بيان حصل موقع آفاق على نسخة منه «إن اختراق موقعنا على الإنترنت مع عشرات من المواقع الأخرى، والذي حصل بتاريخ ٢٣/٤/١٤٢٨ هـ - ١١/٥/٢٠٠٧ م، واستمر لمدة أربعة أيام ليمثل شاهداً واضحاً على خطر الاتجاهات التعصبية الطائفية، التي تدفع أصحابها للعدوان على ممتلكات الآخرين والتجاوز على حقوقهم، دون رادع ديني، أو مراعاة للأنظمة والقوانين».

وأضاف «إن الإسلام لا يميز البغي والعدوان، واختلاف المذهب والرأي لا يبرر

(١) صدر البيان بتاريخ ٢٨/٤/١٤٢٨ هـ الموافق ١٥/٥/٢٠٠٧ م، نشرته شبكة آفاق على موقعها الإلكتروني.

الاعتداء على أشياء الآخرين وحقوقهم. إن الرأي يواجه بالرأي، والفكر يقارع بالفكر، عبر وسائل الاستدلال والإقناع. واللجوء إلى تخريب المواقع الإلكترونية دليل إفلاس وخواء فكري، وشاهد على انعدام الأخلاق وسوء التوجهات».

وتابع «والكلام القبيح الذي بثه المعتدون خلال اختراقهم لموقعنا بما فيه من إساءة لكبار الصحابة وأمهات المؤمنين يشكل الوجه الآخر لعملة التعصب الطائفي المقيت، ويعرف الجميع رفضنا المبدئي الواضح لوجهي هذه العملة البائسة».

وقال الصفار «فنحن نرفض بشدة مثل هذا الكلام المسيء لمقام رسول الله ولعرضه المقدس الشريف، ونبراً إلى الله تعالى منه، كما أعلننا ذلك سابقاً مراراً وتكراراً، ونحمل أشخاص المتفوهين به أعباء إثمهم، ومضاعفات نتائجه على وحدة الأمة في هذا الطرف الخطير. ومن قاموا بالعدوان على موقعنا الإلكتروني يعرفون موقفنا هذا، لكن تطرفهم يدفعهم إلى التعميم، وإلى السعي لإثارة الفتنة، فيشتمون بالأمة أعداءها الذين يسرهم بالتأكيد انشغال المسلمين ببعضهم، وتخريبهم لمواقع بعضهم بعضاً، في ردود أفعال متبادلة، لأن القدرة على تخريب المواقع الإلكترونية ليست صعبة المنال على أي جهة».

يذكر أن عددًا من المواقع الشيعية والليبرالية في السعودية تتعرض من حين لآخر لعمليات اختراق وقرصنة يقوم بها من يطلقون على أنفسهم «المدافعون عن صحيح الإسلام وأهل السنة والجماعة» ويثون فيها آيات قرآنية وأناشيد تكفيرية.

الشيخ الصفار: أبو السعود كان أملاً واعداً لخدمة الدين والمجتمع^(١)

ألقى الشيخ حسن الصفار كلمة تأبينية على جنازة الشيخ سعد أبو السعود^(٢) بعد الصلاة عليه في مقبرة القطيف حيث شيع الفقيد في حشد كبير من المواطنين من مختلف أنحاء محافظة القطيف وفي مقدمتهم العلماء وطلاب العلوم الدينية. وقال الشيخ الصفار في كلمته التأبينية:

«إن هناك من إذا مات تحسرت وأصيبت به عائلته فقط، وهناك من يتحسر المجتمع كله على موته، ويشعر بالمصيبة لفقده، والفقيد الغالي الذي تشيعه القطيف اليوم يشعر مجتمعه كله بالحزن والحسرة لفقده. فقد كان أملاً واعداً لخدمة الدين والمجتمع، فقد نهل

(١) جريدة اليوم العدد ١٢٤٢٨ بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٨هـ الموافق ٢٥/٦/٢٠٠٧م، إعداد: جعفر تركي - القطيف.

(٢) ولد الشيخ سعد بن مهدي أبو السعود في القطيف بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٣٨٥هـ، توفي يوم الثلاثاء ٤/٦/١٤٢٨هـ.

من علوم الدين بجدّ وذكاء وعشق المعرفة والعلم، وتوفر على أخلاق عالية، حيث كان يحترم الجميع، ويفتح على الجميع، والميزة الهامة في شخصيته أنه كان يحمل هموم مجتمعه، ويتصدى لقضاء حوائج الناس وحلّ مشاكلهم».

وأضاف الشيخ الصفار: «ولا غرو في ذلك فهو ابن عائلة كريمة عريقة (عائلة أبو السعود) التي أنجبت عدداً من الزعامات الاجتماعية الوطنية». ودعا في نهاية كلمته للفقيه بالرحمة والمغفرة، مقدماً التعازي لولديه العزيزين وإخوته الكرام وأسرتهم الكريمة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشيخ الصفار: ناقشنا «ميثاق شرف» تضمن وقف الإساءات المتبادلة بين السنة والشيعة^(١)

كشف الشيخ حسن الصفار عن ميثاق شرف تجري مناقشته بين السنة والشيعة في السعودية، ويقضي بتجاوز سوء الفهم القائم ووقف الإساءات المتبادلة بين أتباع الطائفتين.

وقال الصفار في ندوة نقلتها قناة «الجزيرة مباشر» مساء الجمعة ٢٨/٦/١٤٢٨هـ، وتناولت كتابه «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل» أنه من غير المطلوب تقديم تنازلات عقديّة بين الشيعة والسنة بل المطلوب التنازل عن الإساءات المتبادلة. وحول مغزى مخاطبته للسلفيين تحديداً دون سائر أهل السنة، قال الصفار: «إن السلفيين هم الشريك الآخر والأكبر لنا في الوطن ويمثلون الرأي السائد والمعتمد لدى الحكومة، والمدرسة السلفية هي الأكثر تشدداً عند أهل السنة إزاء مسألة التقارب».

(١) شبكة راصد الإخبارية. ١٧/٧/١٤٢٨هـ.

وأوضح الصفار بأن هناك أصداء إيجابية لدعوته في الوسط السلفي. كاشفاً عن العديد من اللقاءات الخاصة التي جرت بهذا الصدد مع شخصيات سنية بارزة «لكنهم يكتفون بالتجاوب على المستوى الخاص واللقاءات الثنائية والتواصل المحدود».

مضيفاً بأن الكثيرين منهم يتعللون بعدم نضج الأجواء في ساحتهم للإجهاز بدعوى التقارب. وكشف الصفار عن مشاركته وعلماء آخرون في سلسلة لقاءات قادها عن الجانب السلفي الشيخ عبد المحسن العبيكان وحضر بعضها متشددون معروفون من السعودية والخليج لمناقشة بنود ميثاق شرف بين السنة والشيعة في السعودية. ويقضي الميثاق إلى جانب بنود عديدة بوقف الإساءات المتبادلة بين أتباع الطائفتين. وفي تعليقه حول جدوى استمرار دعاوى التقارب في ظل وجود الإساءات الطائفية المتكررة قال الصفار: «إن وجود الإساءات المتبادلة بين الطائفتين - بحسب تشخيص كل طرف - يجب أن يكون دافعاً ومبرراً إضافياً نحو الاستمرار في الدعوة للتفاهم والتقارب».

ونفى الصفار بأن الشيعة ينظرون لأهل السنة باعتبارهم جميعاً من النواصب مشدداً بأنه لا يوجد فقيه شيعي واحد يقول بذلك.

وأضاف القول: «هناك إساءة للشيعة تدرج ضمن الصراع السياسي والخلاف الطائفي لكن لا يوجد مسلم على وجه الأرض يعادي أهل البيت ولو وجد فلن يسكت عنه أهل السنة قبل الشيعة».

ورأى الصفار أنه «من الخطأ الكبير والتعجيزي» أن تكون العلاقة الحسنة بين الشيعة والسنة مشروطة بالتوافق في الرأي فذلك خلاف تعددية الرأي والاجتهاد.

مضيفاً بأن مثل هذا التوافق متعذر ضمن المدرسة والطائفة الواحدة فضلاً عن أن يكون بين الطوائف المختلفة.

وفي رد غير مباشر على اتهامات بتقديم تنازلات أشار الصفار بالقول: «إننا لا ندعو إلى تقديم تنازلات (عقدية) متبادلة بين السلفيين والشيعة..». «لا نريد من السلفيين أن يتنازلوا عن معتقداتهم ولا نقبل نحن الشيعة التنازل عن معتقداتنا.. المطلوب التنازل عن الإساءات المتبادلة» .

أضاف الصفار متهماً «الذين يتحدثون عن التنازلات» بالمزايدة ورفع الصوت، وأن هؤلاء غالباً ما يكونون الأقل فاعلية والأقل نشاطاً في الدفاع عن مذهبهم على حدّ وصفه.

موضحاً بأن واجب كل طرف العمل بالرأي الذي يرتضيه ويقتنع به شرط احترام آراء الآخرين وتجنب الإساءة إليهم. مشدداً على ضرورة «وقف حملات التشهير والتهريج بين السنة والشيعة».

وضمن ذات السياق ألمح الصفار إلى وجود تشجيع أمريكي وغربي للصراع الطائفي القومي والعشائري في العراق «لغرض تبرير الاحتلال وإقامة القواعد العسكرية الدائمة ضمناً لأمن إسرائيل وإرباك الواقع العربي».

معتبراً بأن ما يجري في العراق ليست حرباً مذهبية وإنما صراع طائفي سياسي سببه مسألة المحاصصة الطائفية. وحول مسألة الحوار الوطني في السعودية قال الصفار بأن «الحوار ابتعد عن القضايا الأساسية التي نحتاج إليها لتجاوز حالة القطيعة بين مختلف الاتجاهات السلفية والشيعة والصوفية والليبرالية في المملكة».

مضيفاً: «كنا بحاجة للمزيد من الجدية والخطوات العملية على هذا الصعيد».

الشيخ الصفار يستقبل «نزاركو» بطل دورة كافل اليتيم

بتاروت^(١)

استقبل الشيخ حسن الصفار في مكتبه بالقطيف مساء السبت الفريق - نزاركو- الفائز بكأس المرحوم عبد الله الدبل ضمن مهرجان كافل اليتيم الثاني عشر بجزيرة تاروت. وضم الفريق الزائر الرئيس علي الكرانات، والكابتن السيد نزار الهاشم، ورئيس اللجنة المنظمة للمهرجان محمد الدهان، وأعضاء اللجنة السيد هاشم الدرويش وعلي سالم وعلي العقيلي وعبد المنعم الرامس.

وألقي الشيخ الصفار كلمة استهلها بمباركته لهم بالفوز كما قدم لهم التهاني بميلاد الإمام علي عليه السلام.

بعد ذلك تحدث الصفار عن «الرياضة وأثرها على الجسم والعقل فكلما كان جسم الإنسان صحيحًا كان عونًا لسلامة عقله والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

(١) شبكة راصد الإخبارية ٣٠ / ٧ / ١٤٢٨ هـ، إعداد جعفر الصفار.

وأضاف الصفار: «إن فوزكم دليل على قوة أجسامكم وإرادتكم ومهارتكم مضافاً إلى ذلك ارتباط هذا الفوز بمشروع خيري تستحقون الشكر والثناء عليه».

وأكد الصفار «أن للإنسان وخصوصاً الشاب مباريات كثيرة لا بد أن يسعى بكل ما يملك من جهد لكي يفوز فيها، ومن هذه المباريات المباراة التي تحدث بين العقل والهوى فلكي يحظى بنعيم الدنيا والآخرة لا بد أن يرجح العقل على الهوى، وهذا النوع من الرياضة قد يطلق عليه المصطلح السائد الرياضة الروحية».

وحدث الشيخ الصفار الحضور من فئة الشباب على «المواصلة في التعلم والدراسة وألا يكتفوا بالنجاح فقط بل عليهم أن يكونون من المتفوقين في دراستهم وتحصيلهم العلمي».

في لقاء خاص مع الوحدة الشيخ الصفار^(١)؛

الحرب في العراق ليست حرباً مذهبية أو طائفية... وإنما هي صراع سياسي على الحصص والأدوار...

الشيخ حسن الصفار أحد رجال الدين الشيعة في المملكة العربية السعودية خلال مشاركته في المؤتمر العشرين للوحدة الإسلامية بطهران كانت لنا فرصة اللقاء معه.

■ في البداية، كيف تنظر إلى واقع العالم الإسلامي اليوم؟

العالم الإسلامي يمر في هذه المرحلة بمنعطف خطير وحساس وتحول مهم. الشعور بضرورة السيادة والاستقلال تسود اليوم أوساط الأمة الإسلامية. الشعور بالتحدي الكبير من قبل الهيمنة الأجنبية أيضاً تدفع المسلمين من أجل مواجهة هذا التحدي. وفي الوقت نفسه اتسعت رقعة النخبة الواعية والمثقفة. الهيمنة الأجنبية، قد انتقلت من كونها هيمنة سياسية واقتصادية إلى هيمنة عسكرية واضحة، كالتدخل الموجود في أفغانستان والتدخل الأمريكي والبريطاني في العراق، وتهديدهم لبقية البلدان الإسلامية بالتدخل

(١) مجلة الوحدة: تصدر شهرياً عن مؤسسة الفكر الإسلامي، العدد ٣٠١ رجب ١٤٢٨ هـ - إيران.

من خلال إشهار سلاح المؤسسات الدولية، كمجلس الأمن والأمم المتحدة، وما شابه من المؤسسات التي أصبحت أداة طيعة بيد الأمريكيين. هناك الآن مواجهة بين أبناء هذه الأمة وبين الهيمنة الأجنبية.

■ كما أشترتم فإن العالم الإسلامي على جميع المستويات يواجه تحديات كبيرة، وبين الحين والآخر تعقد مؤتمرات للتقريب وتعزيز الوحدة بين المسلمين. برأيك ما هي أسباب فشل مثل هذه المؤتمرات وما هي العقبات التي تعترضها؟

تعترض مؤتمرات التوحيد والتقريب عقبتين أساسيتين، العقبة الأولى هي عقبة التمييز الذي تعتمده الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي بين مواطنيها. حتى الآن لم يتحقق مفهوم المواطنة في الكثير من البلدان الإسلامية، وإنما يتعاملون مع المواطنين بالتمييز، يصنفونهم حسب قومياتهم وأعراقهم ومذاهبهم. فتكون هناك فئة مميزة تعتبر مواطنين من الدرجة الأولى وفئة أخرى تعتبر مواطنين من الدرجة الثانية. ما دامت حالة التمييز هذه قائمة وموجودة بين المواطنين في بعض الدول الإسلامية، فإن ذلك لا يعطي التوحيد والتقريب مصداقية.

العقبة الثانية تتمثل في إنتاج الثقافة التعبوية التحريضية في أوساط أتباع كل مذهب تجاه أتباع المذهب الآخر. هذه الثقافة التي تنتجها المؤسسة الدينية... ينتجها علماء الدين والخطباء... هذه ثقافة لا تساعد التقريب، وإنما توغر صدور بعض المسلمين على بعضهم، كما نلاحظ في بعض الفتاوى، وبعض خطب الجمعة وعلى المنابر، هذه الثقافة التعبوية تشكل عقبة أمام جهود التقريب والتوحيد، ولكن مع ذلك أنا أعتقد أن هذه المؤتمرات وسّعت رقعة الوعي بأهمية الوحدة وأوجدت أجواء من التواصل والتعارف بين شخصيات من مختلف العالم الإسلامي، ولو لم تكن هذه المؤتمرات لكان الوضع أسوأ.

■ تحدثتم عن الخطاب الديني، ما هي سبل تطوير وتحديث الخطاب الديني لمواجهة هذه التحديات؟

تحديث الخطاب الديني، يتطلب تحديث عقليات المتتجين للخطاب الديني. وهذا يقودنا للحديث عن أوضاع الحوزات العلمية والجامعات، والمعاهد الشرعية التي تخرج القضاة والدعاة والمبلغين. المناهج الدراسية في الحوزات والمعاهد الدينية تحتاج إلى الكثير من التطوير، بحيث تعيد الإسلام إلى أصالته وتتجاوز تراكمات الخلافات والصراعات المذهبية، وتتجاوز عقلية الأسر لآراء السلف والعلماء الماضين، وأيضاً أن يكون في هذه المناهج انفتاح على الفكر البشري، فليس كل ما أنتجه البشر في المجتمعات الأخرى باطل وكفر، وإنما فيه ما هو مفيد وعلينا أن نستفيد منه، وكان رسول الله ﷺ يقول: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها».

■ نحن نعيش في بداية الألفية الثالثة وتطور وسائل الإعلام وعالم الانترنت. ولكن بدل التركيز على هذه الوسائل لتعزيز التآخي والوحدة والتعاقد، أصبحت بعض هذه الأجهزة تثير الفرقة والفتنة والشقاق بين الشعوب!!! كيف تفسر ذلك؟

أصبح الإعلام ساحة تجارية وميداناً سياسياً. ففي المجال الأول هناك قنوات ومؤسسات تستفيد من أجل الحصول على الدعم المالي والاقتصادي، وبالتالي فإنهم يخدمون مخططات بعض القوى والأطراف التي ليس من صالحها السعي لتوحيد الأمة. من ناحية ثانية، هناك وسائل إعلامية سياسية، هي أداة لتنفيذ سياسات معينة، تنفيذ سياسات الصراعات الإقليمية، وسياسات المحاور، وسياسات الاستجابة للتوجيهات الأجنبية. ولكن بحمد الله هناك الآن بعض الوسائل الإعلامية التي نأمل أن تقوم بدور

مهم في نشر ثقافة الوحدة والتقريب وتوعية الأمة تجاه الأخطار المحدقة بها.

■ كلما تحدثت أزمة سياسية في العالم العربي الإسلامي، يتم استدراج العناصر المذهبية والطائفية. مثلما شاهدنا ذلك خلال الحرب العراقية الإيرانية، والغزو العراقي للكويت، والعدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز الماضي. برأيك أين يكمن موقع الضعف لدى المؤسسات الدينية التي تنساق وراء الأزمات السياسية؟

هناك سببان لهذه المواقف: السبب الأول يعود إلى أن هؤلاء لا زالوا يعيشون عقلية الصراع الطائفي، لا زالوا يعيشون حالة التعصب وحالة الكراهية للآخر المختلف معهم في المذهب والاتجاه الفكري، السبب الثاني هو الإيرادات السياسية التي توجه هذه الأطراف، ومن الواضح أنه حتى على المستوى الديني هناك فتاوى تنطلق من خلفيات سياسية وبتوجيه سياسي. فحينما يكون الموقف مخالفاً للمقاومة الإسلامية في لبنان، فإن من الطبيعي أن تكون هناك فتاوى وخطابات وأصوات ضمن هذا الفلك التي هي الأخرى معارضة للمقاومة الإسلامية في لبنان.

■ هل للإعلام الرسمي الحكومي دور في إثارة الخلافات المذهبية والطائفية؟

الإعلام في العالم العربي في غالبه «رسمي». لا يوجد عندنا إعلام أهلي، حتى المؤسسات الإعلامية التي تبدو وكأنها أهلية، هي في الواقع خاضعة وتابعة لجهات سياسية، فليس عندنا في العالم العربي والإسلامي إعلام مستقل وإنما مجمل الإعلام عندنا هو إعلام رسمي.

■ العالم الإسلامي يعاني من أزمات متعددة ومتنوعة، كالاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان والأزمة في لبنان والتواجد العسكري الغربي في الخليج الفارسي، برأيك ما هي سبل مواجهة هذه التحديات؟

هذه الأزمات ساعدت على خلق وعي في أوساط الأمة الإسلامية، ونحن رأينا من خلال حرب إسرائيل على لبنان، كيف انطلقت المظاهرات العارمة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ونحن نرى الآن كيف أن اغلب الشعوب الإسلامية والرأي السائد فيها، يؤيد الموقف الإيراني في حقه في الحصول على التقنية النووية. هذه الأحداث ساعدت في إيجاد وعي ونضج إسلامي عند الناس. وأيضاً كشفت وعرت شعارات الدول التي كانت تنادي بحقوق الإنسان.

الأمريكيون في وقت من الأوقات، كادت الساحة أن تنبهر بشعاراتهم، وبما كانوا ي طرحونه من شعارات تدعو للديمقراطية، والانفتاح والإصلاح السياسي. ولكن مع الأحداث التي حدثت تأكد لجميع الشعوب أنه لا مصداقية لهذه الأطروحات الأمريكية والغربية، وأن الهدف هو الهيمنة وتأمين المطامع، وأنهم ليسوا جادين ولا صادقين في طرحهم لشعارات حقوق الإنسان والإصلاح السياسي في منطقة الشرق الأوسط.

■ العراق لا يزال يشهد صراعات مذهبية وطائفية... هل تتخوف من أن تتوسع دائرة هذه الصراعات لتشمل مناطق ودول أخرى؟ وكيف تنظر إلى مستقبل المنطقة؟

في الواقع الحرب في العراق ليست حرباً مذهبية أو طائفية، وإنما هي صراع سياسي على الحصص وعلى الأدوار!! في ساحة كانت تعيش مرحلة شديدة من القمع والاستبداد في ظل نظام صدام حسين الزائل، وجاءت الإرادات الإقليمية المتصارعة في الساحة

العراقية لتنتج هذه الأحداث المؤلمة في العراق. فبال تأكيد هي ليست حرباً مذهبية، ليست حرباً بين الشيعة والسنة، وإنما هي معارك وصراعات سياسية من أجل تقاسم الأدوار والخصص في النظام المزعم إقامته من جديد في الساحة العراقية.

ونحن نرى أن الوضع في العراق هو مظهر من مظاهر عجز هذه الأمة العربية والإسلامية عن التوافق فيما بين أطرافها وشرائحها. نفس الحالة التي تعيشها الأمة في دارفور في غرب السودان. ليست هناك حالة مذهبية، كلهم مسلمون، ستة ملايين مسلم يقيمون في دارفور وينتمون لمذهب واحد وهو المذهب المالكي، وفيهم عشرات الألوف من حفظة القرآن الكريم. ولكنه صراع بين قبائل جذور بعضها عربية وجذور بعضها إفريقية. هذا الصراع استمر الآن أكثر من سبع سنوات. وكانت ضحاياه حسب ما تشير التقارير، أكثر من مئتي ألف قتيل، وعشرون ألف قرية أحرقت ودمّرت عن بكرة أبيها، ومليوناً مشرد، وحالات من الاغتصاب، بحيث إن هناك إرادة من قبل الدول المستكبرة لاستغلال الأوضاع والتدخل الدولي فيها.

ونجد هذا الأمر في الصومال أيضاً، وقبل ذلك وجدناه في الجزائر، وفي أفغانستان، شعوب الأمة لم تنضج بعد، إلى حد التوافق فيما بينها، بحيث تتفق وتتعاون من أجل التنمية وبناء النظام السياسي العادل الذي يعطي لكل طرف حقه المناسب... إن ما يجري في العراق هو مظهر من مظاهر هذا العجز.

■ هل للجهات الدولية ولا سيما الكنائس الغربية دور في إثارة مثل هذه

الفتن والاضطرابات؟

مما لا شك فيه هو أن الإرادة الأجنبية تستفيد من هذه الفرص، ولكن المحور هو الأرضية الموجودة في داخلنا. وهم يستفيدون من هذه الفرص ويبحثون عنها، ولكن كما يقول القرآن الكريم: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ

يَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ [سورة التوبة: الآية ٤٧]، المشكلة ليست في وجود إرادة معادية لنا، من الطبيعي أن تكون هذه الإرادة موجودة. المشكلة لماذا تتاح لهم الفرصة؛ لأن هناك ثغرات ينفذ الأعداء من خلالها. في المجتمع الواعي والشعب الواعي، لا يجد الأعداء طريقاً للنفوذ إليه.

■ خلال حديثك أشرت إلى الموضوع النووي الإيراني وحقها في امتلاك التقنية النووية، ولكن هناك جهات تثير مخاوف شعوب ودول المنطقة من هذا المشروع... ما سبب ذلك؟

وجود إيران في المنطقة هو وجود أصيل وعريق، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة، الصحيح والسليم هو أن تتعاون شعوب هذه المنطقة فيما بينها، وتقرب من بعضها بعضاً، فالتطمينات تكون من خلال العلاقات السليمة والطيبة. نحن مسرورون أن هناك علاقات طيبة بين حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبين حكومة المملكة العربية السعودية وبين حكومات المنطقة. إن تطوير هذه العلاقات هو الذي يضع حداً لمحاولات الأعداء لإيجاد هوة وفرقة وخلاف وشقاق بين هذه الأنظمة لصالح القوى الاستعمارية ومن أجل منع تطوير وتقديم دول هذه المنطقة.

■ هناك من يحاول ربط شيعة المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، بمجمل تطورات المنطقة، يقال أنه لو تطور الصراع المذهبي في المنطقة أيضاً سوف يشمل الشيعة في السعودية... ما هو موقفكم من هذه الإشاعات والتخرصات؟

الشيعة في المملكة العربية السعودية لديهم وعي وطني، وهم يدركون أنهم جزء من وطنهم، وهم يدركون أن مصلحتهم تكمن في التوافق والانسجام مع محيطهم، وفي

العلاقة الحسنة بينهم وبين الحكومة السعودية. من الجيد أن الحكومة السعودية الآن منفتحة على الشيعة، وعلى بقية المواطنين من خلال الحوار الوطني، وقد حصلت هناك خطوات إيجابية لتحسين أوضاع الشيعة في المملكة العربية السعودية، وكلما أصبحت أوضاعهم أفضل وارتباطهم مع حكومتهم أوثق كان ذلك مانعاً من تأثير الأحداث الخارجية على واقعهم الوطني وعلى علاقتهم مع حكومتهم ومحيطهم.

■ هل هناك استجابة حكومية لطموحات الشيعة ومتطلباتهم مثل حرية

التعبير، وإقامة صلاة الجمعة وغير ذلك؟

المشكلة في المملكة، ليست مشكلة طائفة معينة، المشكلة تكمن في بعض الثغرات وبعض نقاط الضعف في الأوضاع العامة في المملكة العربية السعودية، وهناك سعي لدى القيادة لمعالجتها، وكلما كانت هناك معالجة لمشكلة من المشاكل، يستفيد منها الشيعة وبقية المواطنين، ليست هناك حرية للتعبير عن الرأي خاصة بالشيعة، وإنما حينما اتسع هامش التعبير عن الرأي بالمملكة استفاد منها الشيعة، واستفاد منها غيرهم، وحينما تكونت هيئات لحقوق الإنسان كان ذلك مفيداً للشيعة ولغيرهم. أنا لا اعتقد أن هناك مشكلة خاصة بالشيعة بالمملكة، وإنما هي مشكلات عامة، وهناك سعي من الدولة والمواطنين المخلصين لمعالجة هذه المشكلات بشكل عام لجميع المواطنين.

الشيخ الصفار يؤكد على تعزيز الانطباعات الإيجابية عن الإسلام

نشرت صحيفة عكاظ في عددها رقم ٢٢٣٧ الصادر يوم الخميس ١٩ رجب ١٤٢٨هـ - ٢ أغسطس ٢٠٠٧م، تحقيقًا بعنوان: «تصريحات رابيس الأخيرة حركت الراكد مع العالم الإسلامي.. كيف يرى الأمريكيون الإسلام»، تناول فيه مجموعة من المثقفين التصريحات الأخيرة التي أدلت بها كوندليزا رابيس «وزيرة الخارجية الأمريكية» في مقابلة تلفزيونية مع قناة الحرة.

وقد جاءت مشاركة سماحة الشيخ الصفار بعنوان (الاستفادة من التصريحات) هذا نصها: أما الشيخ حسن الصفار فيرى منطلق الحذر من نوايا الإدارة الأمريكية فيقول «يحق لنا أن نكون حذرين من النوايا السيئة للإدارة الأمريكية وألا ننخدع بأي تصريح ظاهره الإيجابية من مسؤولي هذه الإدارة لأن أفعالها ومواقفها واضحة العداء والانحياز ضد مصالحنا» مفيدًا «لكن علينا أن نستفيد من أي بادرة للتخفيف من موجة الخوف من

الإسلام المتصاعدة في الغرب فيما يعرف (إسلام فوييا)، وحول استعداد الغرب لقبول القيم الإسلامية يقول الصفار: «هناك على ما يبدو استعداد في المجتمعات الغربية للقبول بالقيم الفاضلة والمبادئ السامية التي يطرحها الإسلام وخاصة فيما يرتبط بالإجابة على التساؤلات الأساسية التي يواجهها الإنسان في تفسير وجوده ووجود الكون ونهاية الحياة وكذلك على صعيد التربية الأخلاقية والتهاusk العائلي».

مضيفاً الصفار: «علينا الاعتراف ببشاعة التوجهات الإرهابية وممارسة العنف وأنها تنطلق من فهم خاطئ لبعض المفاهيم الدينية وأنها لا تمثل الرأي العام في المسلمين وترفضها المرجعيات الدينية المعتمدة». ويختتم الصفار قوله «يمكننا الاستفادة من مثل هذا التصريح للسيدة راييس في تعزيز الانطباعات الإيجابية عن الإسلام في المجتمعات الأخرى ولا يصح أن يدفعنا الحذر من نياتهم السيئة لعدم الاستفادة من الحديث الإيجابي».

جديرٌ بالذكر أن التحقيق للصحفيين سلطان حمزي وياسر باعامر، والمشاركون هم: سماحة الشيخ حسن الصفار، والدكتور ضياء رشوان خبير الحركات الإسلامية بمركز الأهرام للدراسات السياسية، ومهنا الحبييل الباحث في شؤون الخليج، وأحمد رمضان رئيس تحرير وكالة قدس برس للأنباء بلندن، والمحامي الدكتور باسم عالم.

أكد استفادة الأعداء من تأجيج الفتنة المذهبية

الشيخ الصفار: وجود أخطاء لا يبرر التراجع عن حوار الوحدة والعمل من أجل التعايش^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار «من علماء المذهب الشيعي» الواعين من علماء الأمة وأبنائها أن يجعلوا ما حدث في العراق دافعاً للإصرار على نهج الحوار والتقارب، وأن يأخذ الجميع العبرة والدرس، من أجل تحصين ساحاتهم ووقايتها من الانزلاق في طريق الفتنة، والوقوع في فخاخها.

وأشار الصفار إلى أن «وجود أخطاء من هذا الطرف، وممارسات سيئة من ذلك الطرف، السني أو الشيعي، في أي منطقة كان، لا يبرر التراجع عن السعي للوحدة والتقارب، والعمل من أجل التعايش السلمي، فذلك مبدأ ديني، وضرورة حياتية لحفظ

(١) جريدة عكاظ: العدد ٢٢٥٨ الخميس ١٠/٨/١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠٠٧م، إعداد: ياسر

الأمن والاستقرار، وإنما يجب معالجة الخطأ ومحاصرته ومنع تكراره وانتشاره». .
 واعتبر الشيخ حسن الصفار في بيان له الدعوة التي أطلقها المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله، للحوار الإسلامي - الإسلامي، وخاصة بين السلفيين والشيعة، تشكل مبادرة مهمّة يجب أن يتفاعل معها ويستجيب لها كل من يحمل همّ وحدة الأمة، ويعي أخطار الفتنة الطائفية التي تحيط بها.

وحول توقيت المبادرة يلفت الصفار إلى أنها جاءت «في وقت يدرك فيه الجميع خطورة الفتنة الطائفية، فتصريحات المسؤولين والحكام في المنطقة، والقيادات السياسية، وعلماء الدين، والمثقفين والكتاب، كلها تحذر من الفتنة، وتدين الأحداث الطائفية التي تقع هنا وهناك، مستدركاً: لكن مجرد التحذير والإدانة هو موقف سلبي لا يعالج المشكلة، ولا يقف أمام تصاعدها وتفاقمها، خاصة مع وجود مصلحة للقوى المعادية للأمة، في تأجيج الفتن لتمزيق الأمة، وإضعاف مقاومتها، وإرباك ساحتها، واستنزاف طاقتها وجهودها في الاحتراب الداخلي، ومع وجود قوى متطرفة داخل مختلف المذاهب، تتحرك بقصد أو دون قصد ضمن مخطط الفتنة الطائفية».

وأهاب الصفار بقيادات الأمة الواعية، وبالعلماء والدعاة الحريصين على مصلحة الإسلام، أن يتجاوبوا مع هذه الدعوة، وأن يسعى الجميع لترجمتها وتحويلها إلى مشروع فعلي، حيث يستهدف الأعداء النيل من استقرار هذه المنطقة، وتمزيق الوحدة الوطنية لمجتمعاتها.

وأبان الصفار عن كونه قد تلقى ردوداً إيجابية على دعوة مماثلة قبل ثلاث سنوات من عدد من العلماء والدعاة السلفيين.

وختم بيانه بقوله: على العلماء المخلصين والدعاة الواعين أن لا يتركوا جمهور الأمة فريسة لدعاة التطرف، وأن يصدعوا ويجهروا بدعوة الحق لإنقاذ الأمة من هذا المأزق الخطير.

في منتدى الخليج الأول للتسامح

شارك سماحة الشيخ حسن الصفرار في منتدى الخليج الأول للتسامح الذي أقيم في قاعة النخلة بأرض المعارض في مملكة البحرين مساء يوم السبت ٣ رمضان ١٤٢٨ هـ الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠٠٧م، من قبل منظمة الشرطان الثقافية التي يرأسها الدكتور منصور العريض.

وكان حديث سماحته تحت عنوان «التسامح الديني منابعه وتجلياته» الذي اشتمل على المحاور والنقاط التالية:

أولاً: مدخل البحث

لم يعد التسامح الديني مجرد قيمة أخلاقية، بل هو ضرورة حياة، فقد تداخلت المصالح وتشابكت العلاقات بين أبناء البشر في عصر العولمة، ولا بديل عن التسامح إلا النزاع والاحتراب.

حين يُفقد التسامح الديني فإن المواجهة لن تكون على الحدود بين الأديان فقط، بل ستتفجر الصراعات داخل الأديان نفسها، فالتعصب الديني تضيق دائرته لتشمل تنوع

المذاهب داخل الدين الواحد، ثم تعدد المدارس في المذهب الواحد.

ثانياً: منابع التسامح

١. الإيمان بكرامة الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، هذه الكرامة الناتجة من إنسانيته قبل أي صفة إضافية، حيث ميّزه الله في خلقته على سائر الكائنات، وجعله سيد الكون والحياة.

٢. الإيمان بحرية الفكر والاختيار، فقد وهب الله تعالى للإنسان عقلاً يفكر به، ومنحه إرادة يختار بموجبها طريقه، فلا يستطيع أحد أن يفرض على عقل ما يرفضه، ولا يحق لأحد أن يسلب الآخر إرادته، وأن الله تعالى لم يفرض الإيمان به على الناس، ولم يأذن لأنبياؤه بمصادرة حقهم في الاختيار، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

٣. ضرورة التعايش، فالحياة ساحة مشتركة، ولا يستطيع أحد أن يلغي الآخر، والتسامح هو أرضية التعايش بين الناس، لتنظم حياتهم، ويديروا مصالحهم وشؤونهم في أوطانهم وعلى المستوى العالمي بأمن وسلام.

ثالثاً: مظاهر التسامح وتجلياته

التسامح الديني لا يعني تنازل أحد عن شيء من التزاماته الدينية، وإنما يتجلى في المظاهر التالية:

١. الاعتراف بوجود الآخر، فالتنوع الديني والمذهبي واقع قائم، وكل منتم إلى دين يرى أحقية دينه، فلا بد أن يكون هناك اعتراف متبادل ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

٢. الاحترام المتبادل للالتزامات الدينية لكل طرف، فيمارس الجميع حرياتهم الدينية وشعائرهم العبادية، والتزاماتهم بالأحكام الدينية لشرائعهم، بغض النظر عن حجم كل طرف أقلية كانت أم أكثرية.

٣. حاكمية العدل وسيادة القانون، ومراعاة حقوق الإنسان وحقوق المواطنة، حيث لا يسوّغ الاختلاف الديني أي نوع من أنواع التمييز، ولا يبرر الإساءة والعدوان.

ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

«وَالنَّاسُ صِنْفَانِ إِمَّا أَحْسَنُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخُلُقِ» كما يقول الإمام علي عليه السلام.

٤. التعاون في المصالح المشتركة، على المستوى الوطني والعالمي، بدعم جهود التنمية البشرية، وتعزيز الأمن والسلام، وحماية البيئة، وخدمة التقدم العلمي.
٥. الحوار في قضايا الاختلاف الديني بمنهجية سليمة قائمة على الموضوعية والمنطق، للتعارف المباشر ولاستكشاف مساحات الاتفاق وموارد الاختلاف، ولإثراء المعرفة.

في مواجهة قوى التطرف التي تنشط عالمياً لافتعال صدام الحضارات، ولإحداث صراع إسلامي مسيحي، تستثمره قوى سياسية مصلحية في الغرب والشرق، لا بد أن يتحرك علماء الدين والمفكرون ومؤسسات المجتمع المدني في الجانبين، لطرح ثقافة التسامح الديني، وللعمل على إصدار ميثاق معاصر، يؤكد قيم التعايش والتواصل والحوار بين أتباع الأديان عموماً، وبين الإسلام والمسيحية على وجه الخصوص.

كما تحدث في المنتدى الدكتور الشيخ محمد بن صالح الدحيم القاضي سابقاً في محكمة منطقة الليث بمكة المكرمة، وكان حديثه تحت عنوان: «التسامح الإسلامي كيف يسهم في تحقيق الوسطية والتعايش».

وأدار الندوة ساحة السيد كامل الهاشمي الذي افتتح الندوة بكلمة تحت عنوان «التسامح الإنساني الثقافة الغائبة».

وقد حضر الندوة عدد من العلماء وأساتذة الجامعات والمثقفين وجمع من المواطنين، وقد أتاحت الفرصة للمداخلات وتقديم الأسئلة من قبل الجمهور. وحظيت الندوة تغطية إعلامية من تلفزيون البحرين والصحافة ومواقع الانترنت.

«الشرطان الثقافية» توقع مذكرة تفاهم لتعزيز الحوار^(١)

وقعت لجنة الشرطان الثقافية مذكرة تفاهم لتعزيز الحوار والتفاهم والاعتدال. وذلك على هامش انطلاق فعاليات منتدى الخليج الأول للتسامح أمس الأول في مركز البحرين الدولي للمعارض بمشاركة الشيخ حسن الصفار والمستشار محمد صالح الدحيم.

وأدار الحوار السيد كامل الهاشمي، الذي ألقى كلمة افتتاحية بعنوان «التسامح الإنساني... الثقافة الغائبة» قال فيها: «إن إطلاق منتدى للتسامح شيء جميل، ولكن لا يمكن أن يفعل التسامح إلا من خلال أرضية مهيأ لها، وإن المشترك بين المذاهب والحضارات والأديان هو الإنسان، ولم يكن إنساناً إلا لأنه يأنس لإخوانه من بني جنسه، ولأن التسامح هو القيمة الأصل التي تجري في عروقه ودمائه، فإنها شرط لازم لبقاء واستمرار الجنس البشري».

وقدم المستشار محمد صالح الدحيم من المملكة العربية السعودية ورقة بعنوان «التسامح الإسلامي... كيف يسهم في تحقيق الوسطية والتعايش»، وأوضح فيها أن التسامح لا يهيم جماعة أو فكرياً معيناً، ولكنه يهيم أمة واعية الرؤية والأهداف، وهذا الحديث في الجوهر يقره الدين والعقل والواقع. وقال الدحيم: «هذا الموضوع يأتي في ظروف صعبة، بعضها ضعفناها نحن بجهلنا وأخرى نحن ضحاياها، والتسامح إذا لم يكن خلقاً من أخلاقنا جميعاً فأعتقد أننا لن نصل إلى نتيجة من وراء طرحه». وأضاف «من أبرز تلك الظروف التي نعانيها هو انتشار أفكار ومفاهيم تعزز فكر الصراع وتجعله ثقافة ضرورية، وخصوصاً بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول وانتشار الأفكار المغلوطة عن الإسلام والمسلمين وظهور الحروب الثقافية التي تنشر عبر وسائل الإعلام المختلفة وكلها غير متكاملة في موازين القوى والمصالح، ومن المعلوم أنه عندما تستشري

(١) صحيفة الوسط العدد ١٨٣٧، الاثنين ١٧ سبتمبر ٢٠٠٧ الموافق ٥ رمضان ١٤٢٨هـ.

ثقافة الصدام فإنها تحدُّ بشكل كبير من الحوار والتسامح وتبعث على الفرقة». وأشار إلى أن التسامح الإسلامي ما لم يعزز بتسامح اجتماعي واقتصادي وسياسي فإنه سيظل في إطار نظري، ولا بد من التناغم بين هذه كلها. من جهته أكد الشيخ حسن الصفار أننا بحاجة إلى تبني الأفكار الإنسانية والقيمة العامة المشتركة، فمجتمعاتنا الإسلامية مقصرة في تبني تلك القيم المشتركة. وقال: «نحن أمة تتحمل مسؤولية الشهادة على الناس «لتكونوا شهداء على الناس»، وقد سبقنا الآخرون في إنشاء مؤسسات تبني هموماً مشتركة تهتم كل الناس على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم، فحينما ينشئون منظمات لحقوق الإنسان فإنها تشمل جميع الناس بلا استثناء، وحينما يقرون منظمات لنشر السلم والسلام العالمي فإنهم يتبنون فكرة تشمل بظلالها كل أبناء البشر... ولكن واقعنا نحن المسلمين مازال متخلفاً على هذا الصعيد».

واختتم حديثه قائلاً: «لعل عالمنا العربي والإسلامي بحاجة ماسة اليوم إلى إعادة النظر والاعتبار لمفهوم التسامح من دون النظر إليه باعتباره أحد إفرازات الحضارة الغربية الوافدة ومن دون الدخول في سجال وجدل بشأن وجود المفهوم في التراث والممارسة الإسلامية على اعتباره غير مفكر فيه في الثقافة الإسلامية».

الدحيم: أتباع محمد؟ سنة وشيعة هم من يمثل الإسلام^(١)

أكد المستشار والمفكر السعودي الشيخ محمد الدحيم أن التسامح الإسلامي يعد أهم الموضوعات في حياتنا، لافتاً إلى أن التسامح لا يعني فرداً دون آخر أو جماعة دون أخرى أو حتى دولة بعينها، بل يعني هذه الأمة الواحدة التي قدر لها أن تكون حاملة اللواء الإسلامي. وقال: إن الحديث عن التسامح هو حديث في الجوهر يفرضه الدين والعقل والواقع.

وأضاف الدحيم خلال حديثه في المنتدى الخليجي الأول للتسامح الذي نظّمته

(١) جريدة الوطن. العدد ٦٤٥ بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٧.

جمعية الشيطان الثقافية في قاعة أرض المعارض مساء السبت الماضي، أن هناك ظروفاً صعبة تمر على الأمة اليوم، بعضها صنعناه من جهلنا وتراجعنا وعدم أخذنا بالأسباب، والأخرى نحن ضحاياها، وبالتالي هي كلها تحتم علينا التجرد حين نتحدث عن مثل هذا الموضوع.

وتابع: «نعاني من انتشار أفكار ومفاهيم تحتم الصراع، وكأن الصراع والصدام حتمي، ومن يروجون لهذه الأفكار هم ذاتهم الذين يقتلون التسامح، وهذه المسألة برزت خصوصاً بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) حيث كثرت الحروب الثقافية والسياسية غير المتكافئة، وبالتالي فإن كل هذه الأمور تحد من مساحة الحوار والمثاقفة والتسامح، باعتبار أن الآخر، أي كان، مصارع، وهكذا نخنتق في مثل هذه الثنائية وتضييق المساحة بتصور فكرة الصدام والدفاع بين الطرفين».

وأضاف: «هناك من يعتقد بأن المتطرف والإرهابي والمتشدد هو الذي يمثل الإسلام، وهذه فكرة يجب كشفها، فهم لا يمثلون الإسلام والذين يمثلون الإسلام الحقيقي والتسامح هم أصحاب محمد ومن اتبعهم، سنة كانوا أم شيعة. ومن الأمور التي تخنق التسامح، العجز الثقافي الذي تعاني منه مناهجنا التعليمية، وكذلك التكونات الاجتماعية غير الصحيحة التي تصور المذهب والأديان بطريقة غير سليمة، وبعضها يكون بطريقة غير بريئة بصنع ظروف سياسية معينة في وقت معين، ما أفرز أفكاراً تحولت إلى سلوك».

وأشار الدحيم إلى محاولات التآلف بين الأديان والمذاهب فقال: «أكثر هذه المحاولات فردية وبعضها لم يجد صدى، لكن هناك بشارات كثيرة تدعونا إلى التفاؤل، فالرسالة الإسلامية تمتاز بميزتين، أولهما أنها خاتمة الرسالات، والثانية أنها عالمية وخالدة، وبالتالي نحن نتحمل المسؤولية الكبرى التي يجب أن نتحرك عليها من خلال التسامح، وغيابه يؤدي إلى العنف والتعصب والتجريم، وهذا ضد الذي أمرنا به».

وأضاف: «القرآن الكريم يعبر عن التسامح بمفهومين، أولهما التعارف في قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، والثاني التآلف في الآية الكريمة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٣].

التسامح يرتبط بالنوايا والاحترام والقبول والتعددية والاعتراف بالثقافات وتدعيم المعرفة، وبالتالي هو تناسق مع الاختلاف وهو مطلب سياسي وحقوقى وليس أخلاقياً فقط، وبه تجعل السلام حقيقياً لا خيالياً».

وزاد الدحيم: «يجب أن يكون التسامح الأصل في الإسلام، ليس لأننا مسلمون فقط، بل لأن الحديث عنه يتحتم التعامل مع الإنسان الذي وصفه القرآن بأربعة أوصاف، الضعف والعجل والنسيان والخطأ، وهي المكونات الأساس للطبيعة الإنسانية، فهي (أي الصفات) تُوجد حالة لا يعلو عليها إلا التسامح والحب، وفي الوقت ذاته فإن الإنسان مدني بطبعه يجب أن يتعايش ويتداخل مع الآخرين، وكل هذه الأمور عندما تتفاعل من صفات أربع وحب التعايش مع الآخرين تحتاج ل يتم ضبطها آلياً التسامح. ولذلك فإن الشرائع كلها تأتي مكملة للفطرة الإنسانية وتحديد دوائر العلاقة الثلاث، الكون والإنسان والحياة، التي يجب أن تتناغم، وهو التكوين الصحيح، فليس من بنية الإنسان التشدد والتعنت».

الحرية الدينية

وتطرق الدحيم إلى الحرية الدينية بقوله: «القرآن الكريم تحدث في ١٠٠ موضع عن حرية اختيار الدين، ويجب أن يكون هناك اقتداء في تطبيق النصوص، ولكن أزمنا ليست في النصوص بل في طريقة تحويل النصوص إلى إيمان يغذيه وينقله إلى الأفضل، أي بمعنى آخر تحويل الفكر إلى سلوك. كما تكمن أزمنا في عجزنا في طريقة فهمنا للنصوص، فلدينا إعاقة ذهنية، إذ طالما فسقنا وكفّرنا الآخر بسبب فهم مجرد من نص،

مشيراً إلى نماذج من التعامل مع الآخر في القرآن الكريم الذي يؤكد أن جميع الخلق من نفس واحدة، ثم يبين أن هذه النفس تكونت منها الشعوب والقبائل، فعندما يتسامح الإنسان مع الآخر إنما يتسامح ويتعارف مع نفسه. وقال: «فأنا أنت عندما أكون أنت أنا.. والحريّة والحوار مكفول في القرآن، فالله يذكر فيه ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤]، وهذا معنى راقٍ في التسامح وهو الاعتلاء على المختلف فيه إلى المتفق فيه، وهذا يعني أيضاً النظر إلى أهداف ومقاصد وغايات بدون التشدد».

ونوّه الدحيم إلى سيرة النبي المصطفى ﷺ فقال: «في حياته معانٍ للتسامح والرحمة، ويجب علينا أن نعيد فهمنا للسيرة ولا نقرأها بعقلية المؤامرة بل بعقلية الهداية، وبالتالي علينا أن نفهم ظاهرة التشدد الإسلامي وهو في الواقع تشدد طائفي ومذهبي، ونعرف بالضرورة ظروفها ونشأتها في مصطلح الإسلام السياسي حيث ركب الإسلاميون فكرة الإسلام السياسي دون فهم، فهي وسيلة لا غاية، ونحن هداة والرسالة الإسلامية وجدت هداية للناس ورحمة».

التكوين الفقهي المغلوط

وواصل الدحيم حديثه في المنتدى الخليجي الأول للتسامح: «على ذلك يجب أن نفهم عدداً من الأمور، أولاً ألا نعلمد إلى الاجترار التاريخي للحوادث والانقسامات والمذاهب، وعلينا حل ظاهرة العيش المتناقض بين أمجاد الأمس الإسلامي وواقعيته الحالية، وكذلك التكوين الفقهي المغلوط الذي أفرزه فقهاء خارج منطقة الواقع، وحامل الفقه ليس بفقهي، إضافة إلى إيجاد التسامح الإسلامي في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو فعل مقابل فعل ولا يعني القبول بالذل والاستغلال في سبيل التسامح، فعلى الطالبين له أن يمدوا اليد لليد، كما حدث في صحيفة المدينة حيث أمّن فيها النبي

اليهود على أموالهم وأنفسهم واشترط عليهم ألا يخلفوا بهذه الوثيقة». واختتم الدحيم بالإشارة إلى أننا في سفينة واحدة وعلينا أن نحافظ عليها، فإن غرقت سنغرق كلنا، وهذه السفينة لن تغرق لأننا موعودون بنصر الله .

قيمة أخلاقية

ومن جانبه، أشاد الشيخ حسن الصفار بفكرة المتدى الخليجي للتسامح، لأنه يتبنى الأفكار الإنسانية والقيم العامة المشتركة، ولأن مجتمعاتنا العربية تفتقر لمثل هذه اللقاءات مع أننا في أمس الحاجة لها. وذكر أن هناك مؤسسات غربية سبقتنا في تبني هذه القيم، فالآخرون يعملون على مستوى هذه القيم والحقوق الإنسانية التي تجمع الجميع، وكان من المفترض أن نكون نحن السابقين؛ لأن أمتنا هي الأمة التي ستشهد على سائر الأمم، لكننا للأسف متأخرين في هذا الجانب .

وقال الصفار: «التسامح الديني لم يعد مجرد قيمة أخلاقية وإنما ضرورة حياة خاصة في هذا العصر، فلا يستطيع أي شعب أو أي أمة الاستغناء عن الأمم والشعوب الأخرى، ولا يمكن لأحد أن يعيش بمعزل عن الآخر، والبديل عن عملية التسامح سيكون حتماً الصراع والحروب».

وأضاف: «التسامح حالة غير قابلة للتجزئة، فمن يدعي التسامح عليه أن يتعامل به في مختلف الجهات والأبعاد، والأمر ذاته في حالة التشدد الذي لا يقف عند حدود الصراع بين أتباع الديانات وإنما ينتقل إلى داخل الديانة الواحدة بين المذاهب ومن ثم ينتقل داخل المذهب الواحد نفسه».

وأشار الصفار إلى منابع التسامح بقوله: «من أهم منابع التسامح الإيمان بكرامة الإنسان، فالإنسان له كرامته واحترامه، والقرآن الكريم يؤسس لهذه الكرامة الإنسانية فنجد المولى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم يخصص التكريم على كونه مسلماً أو مؤمناً،

ولكن من المؤسف أن نجد في بعض الروايات التي يُشتم منها التنقيص من كرامة الذمي أو الكافر، فإذا هي صحت فإنها مواقف وليست على العموم ليقاس عليها، وحتى النصوص الفقهية التي تأتي بهذه الشاكلة لا يجب أن نأخذها بعلتها لأنها تنافي صريح القرآن بكرامة الإنسان وإن كان كافراً أو ذمياً، حتى إننا نجد من غرابة الأمر في بعض كتب الفقه أن تحرم غيبة المؤمن ولكنها لا تحرم على الذمي، وهذا كلام غير سليم.

محاسبة البشر

وقال الصفار: «ومن منابع التسامح، الإيثار بحرية الفكر والاختيار في اعتناق أي مذهب أو دين تؤمن به، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً، وبالتالي فإن الله هو المسؤول في محاسبة البشر وليس البشر أنفسهم، ولا يحق للبشر أن يتخذوا إجراءات معينة خارج إطار العدل. ومنها أيضاً ضرورة التعايش، وكما يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: صلاح شأن الناس التعايش».

وتابع: «من مظاهر التسامح، أن يكون الإنسان ملتزماً بدينه ومذهبه مع الاعتراف بوجود الآخر، وكذلك الاحترام المتبادل للالتزامات الدينية لكل طرف، كما فعل النبي صلى الله عليه وآله عندما أراد وفد نجران النصراني أن يصلوا بصلاتهم فأذن لهم في المسجد، مشيراً إلى أن الغرب الذي يطالب المسلمين بالحرية الدينية يسيء إلى المقدسات الإسلامية تحت عنوان حرية الرأي، وهذا لا يمكن أن يكون، فنحن مأمورون في القرآن بعدم التجني والسب والإساءة لمعتقدات الآخرين، والله يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: من الآية ١٠٨]، وبالتالي فإن هذا الكلام مرفوض وغير مبرر ويسبب إلغاء إمكانية التعايش».

وفي ختام المنتدى، سلم رئيس مجلس إدارة جمعية الشرطان الثقافية الدكتور منصور العريض الشيخ محمد الدحيم والشيخ حسن الصفار هدايا تذكارية، بعدها تم التوقيع

على وثيقة التسامح .

«الشرطان الثقافية» تنظم منتدى الخليج الأول للتسامح في ١٥ سبتمبر^(١)

تنطلق في الخامس عشر من سبتمبر الجاري فعاليات منتدى الخليج الأول للتسامح بمشاركة اثنين من العلماء والمفكرين والباحثين في العالم الإسلامي في قاعة النخلة بأرض المعارض في قرية السنابس. وي طرح الملتقى الذي تنظمه جمعية الشرطان الثقافية قضايا تتعلق بالتسامح بين الدين الإسلامي وبقية الأديان السماوية، إضافة إلى التركيز على أهم النقاط التي تتشارك فيها هذه الأديان في خطوة للحوار والتواصل بينها.

يحاضر في المنتدى من المملكة العربية السعودية كل من فضيلة الشيخ حسن بن موسى الصفار، والمستشار والمفكر الإسلامي الشيخ محمد بن صالح الدحيم. ومن المنتظر أن يطرح الصفار والدحيم أفكارهما بشأن التسامح وتعاطي الإسلام مع بقية الأديان، من خلال التركيز على الأمثلة المشرقة التي يزخر بها التاريخ الإسلامي في كيفية التعامل والتعاطي مع أصحاب الديانات والشعوب الأخرى. من جانبه أوضح رئيس مجلس إدارة جمعية الشرطان الثقافية منصور العريض أن طرح قضية التسامح والحوار بين الديانات وترسيخ مفهوم التعايش السلمي بين أتباعها أصبح ضرورة ملحة وحاجة لا يمكن تجاهلها، لاسيما مع ما تشهده الساحة الدولية والإقليمية من متغيرات طالت مختلف الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. مضيفاً بأن الدين الإسلامي في لبه دين يحث على التسامح والعطاء والانفتاح على الآخرين.

انطلاق فعاليات منتدى التسامح بين الدين الإسلامي والأديان الأخرى في البحرين^(٢)

طهران - وكالة الأنباء القرآنية العالمية (Iqna): تنطلق فعاليات منتدى الخليج الأول للتسامح في الخامس عشر من سبتمبر الجاري بمشاركة العلماء والمفكرين

(١) صحيفة الوقت العدد ٥٦٦، الأحد ٢٧ شعبان ١٤٢٨ هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٧.

(٢) وكالة الأنباء القرآنية الإيرانية. الثلاثاء ٢٩ شعبان ١٤٢٨ هـ الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠٧ م.

والباحثين المعروفين في العالم الإسلامي في قاعة النخلة بأرض المعارض .
يعتبر هذا المنتدى الذي تنظمه جمعية الشيطان الثقافية الأول من نوعه، إذ يطرح قضايا تتعلق بالتسامح بين الدين الإسلامي وبقية الأديان السماوية، إضافة إلى التركيز على أهم النقاط التي تتشارك فيها هذه الأديان في خطوة للحوار والتواصل بينها .
ومن المنتظر أن يطرح الصفار والدحيم أفكارهما بشأن التسامح وتعاطى الإسلام مع بقية الأديان، من خلال التركيز على الأمثلة المشرقة التي يزرعها التاريخ الإسلامي في كيفية التعامل والتعاطى مع أصحاب الديانات والشعوب الأخرى .
وفي هذا الإطار أوضح د. منصور العريض رئيس مجلس إدارة جمعية الشيطان الثقافية - لجريدة اخبار الخليج البحرينية - أن طرح قضية التسامح والحوار بين الديانات وترسيخ مفهوم التعايش السلمى بين أتباعها أصبح ضرورة ملحة وحاجة لا يمكن تجاهلها، لاسيما مع ما تشهده الساحة الدولية والإقليمية من متغيرات طالت مختلف الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية .
مضيفاً بأن الدين الإسلامي في لبه دين يحث على التسامح والعطاء والانفتاح على الآخرين . وأشار العريض إلى أن الاختلاف والتغاير في الطرح والرؤى أمر طبيعي ومقبول، في الوقت الذي سيركز فيه المتدون على خطورة الخلاف الذي لا يخدم النقاش ويؤدي إلى التفرقة .

منتدى الخليج الأول للتسامح في ١٥ سبتمبر^(١)

تنطلق في الخامس عشر من سبتمبر الجاري فعاليات منتدى الخليج الأول للتسامح بمشاركة اثنين من العلماء والمفكرين والباحثين المعروفين في العالم الإسلامي في قاعة النخلة بأرض المعارض في قرية السنابس عند الساعة ٨:٣٠ مساء . ويعتبر هذا المنتدى الذي تنظمه جمعية الشيطان الثقافية الأول من نوعه إذ يطرح قضايا تتعلق بالتسامح بين

(١) أخبار الخليج العدد ١٠٧٦١ الأحد ٢٧ شعبان ١٤٢٨ هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٧ م.

الدين الإسلامي وبقية الأديان السماوية، إضافة إلى التركيز على أهم النقاط التي تشارك فيها هذه الأديان في خطوة للحوار والتواصل بينها.

ويحاضر في المنتدى من المملكة العربية السعودية كل من فضيلة الشيخ حسن بن موسى الصفار، والمستشار والمفكر الإسلامي الشيخ محمد بن صالح الدحيم. ومن المنتظر أن يطرح الصفار والدحيم أفكارهما بشأن التسامح وتعاطي الإسلام مع بقية الأديان، من خلال التركيز على الأمثلة المشرقة التي يزرعها التاريخ الإسلامي في كيفية التعامل والتعاطي مع أصحاب الديانات والشعوب الأخرى.

وفي هذا الإطار أوضح د. منصور العريض رئيس مجلس إدارة جمعية الشرطان الثقافية أن طرح قضية التسامح والحوار بين الديانات وترسيخ مفهوم التعايش السلمي بين أتباعها أصبح ضرورة ملحة وحاجة لا يمكن تجاهلها، لاسيما مع ما تشهده الساحة الدولية والإقليمية من متغيرات طالت مختلف الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

مضيفاً بأن الدين الإسلامي في لبه دين يحث على التسامح والعطاء والانفتاح على الآخرين. وأشار العريض إلى أن الاختلاف والتغاير في الطرح والرؤى أمر طبيعي ومقبول، في الوقت الذي سيركز فيه المنتدون على خطورة الخلاف الذي لا يخدم النقاش ويؤدي إلى التفرقة.

الشيخ الصفار يشارك النادي الأدبي احتفالية اليوم الوطني^(١)

تحت عنوان (نادي المنطقة الشرقية الأدبي ينظّم ندوة احتفالية باليوم الوطني) نشرت جريدة اليوم في عددها ١٢٥٢١ الصادر الأربعاء ١٤ رمضان ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٦/٩/٢٠٠٧م مشاركة سماحة الشيخ حسن الصفار في الندوة المقامة بمناسبة اليوم الوطني، بالإضافة إلى مشاركات كل من الشيخ عبد الرحمن بن عثمان الملا رئيس نادي الأحساء الأدبي، والدكتورة الجوهرة بوبشيت، والشاعر جاسم الصحيح.

وهذا نص ما نشرته الجريدة من كلمة سماحة الشيخ الصفار:

«أكد الشيخ حسن الصفار في كلمة ألقاها تحت عنوان «الوطن والمواطن»، أهمية قيام المواطن بواجباته تجاه حفظ وحدة الوطن، مشيراً إلى أن مسؤولية حفظ الوحدة لا تقع على الدولة وحدها، خاصة أنها تجتهد في إرساء المساواة بين المواطنين، من خلال دعواتها المتكررة على أن المواطنين متساوون في الحقوق، وكذلك تركيز خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على ذلك الأمر في أول كلمة له حين تولى مقاليد

(١) صحيفة اليوم: العدد ١٢٥٢١ الأربعاء ١٤ رمضان ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٦/٩/٢٠٠٧م.

الحكم في البلاد.

وتطرق الشيخ الصفار إلى أربع نقاط متعلقة بواجب المواطن تجاه هذا البلد، في ظل الهجمة التي تتعرض لها المنطقة لتمزيقها من قبل القوى العالمية متمثلة في إسرائيل وأمريكا، وقال: إن هناك نقاطاً محددة ينبغي أن يهتم بها المواطن:

أولها: الالتفاف حول الدولة، التي تجتهد ولا تدعي الكمال، لحفظ هذا الوطن. أما النقطة الثانية: فهي حاجتنا إلى التواصل الاجتماعي وتحقيق الاندماج الوطني، الذي يساهم في تحصين وحدة الوطن، وكذلك الحاجة إلى تعميق ثقافة الوحدة، التي يدعو لها الدين الإسلامي، إضافة إلى عدم التأثر بما يحدث في الخارج، خاصة أن دولتنا ترفع شعار التضامن الإسلامي.

معتبراً أن الاحتفاء باليوم الوطني ينبغي أن يذكرنا بعظمة الإنجاز وعلينا جميعاً الحفاظ عليه وصيانته، في ظل الظروف الخطيرة التي حدثت بالمنطقة، داعياً إلى السعي لتوحيد الصفوف حتى لا تأتي غفلة تفرق الشمل، ومؤكداً أن بلادنا تعد من قلاع الممانعة ضد التمزيق، لذلك ما زال بعض الأعداء يخططون لإضعاف هذا الحصن، وأن ذلك لن يكون إلا إذا وجدت تربة صالحة أو ثغرة ينفذون منها».

الشيخ الصفار يفتتح اجتماع جماعة الخط العربي بالقطيف^(١)

عقدت جماعة الخط العربي بالقطيف الخميس اجتماعاً عاماً في مجلس الزاير ببلدة الجش بمحافظة القطيف للتصويت على انتخاب الرئيس الرابع للجماعة. وحصل الخطاط السيد مصطفى العرب على أغلب الأصوات متفوقاً على منافسه الخطاط الأستاذ إبراهيم الزاير بأصوات قليلة. حضر الاجتماع عدد كبير من أعضاء الجماعة يتقدمهم روادها الخطاط عبد الله الغانم، والخطاط مكي الناصر، والخطاط علي السنان، والخطاط رضا آل ثاني. وافتتح الحفل ضيف الجماعة الشيخ حسن الصفار بكلمة أكد فيها على أهمية التعاون والتكاتف في الأعمال الخيرية والعمل من أجل البروز على الساحة الوطنية. وأكد على أن الموهبة نعمة من الله، وشكر الله على هذه النعمة يكون بالحديث عنها

(١) شبكة راصد الإخبارية: إعداد علي سعيد البيك.

وإظهارها، وإتقان الخط موهبة من المواهب، وإظهار هذه الموهبة نوع من أنواع الشكر لله وتشجيع للآخرين.

وأضاف الصفار: إن الاهتمام بالخط العربي اهتمام راقٍ، وهو فن إسلامي أصيل وفيه خدمة للغتنا، والاهتمام به ليس أمراً كماليًا.

كما أكد على ضرورة صقل وتطوير مثل هذه المواهب وتشكيل أُطر ومؤسسات لرعايتها.

وتحدث الصفار عن أهمية وضرورة العمل الجمعي، وذكر أن العمل الجمعي فيه صعوبات وهو يحتاج إلى اندفاع ذاتي، ومرونة مع آراء الآخرين، ويحتاج الفرد في العمل الجمعي إلى قدرة نفسية.. وهو يكشف عن تطور الإنسان.

وأشار الصفار إلى قضية الترشيح والتصدي للمسؤولية في الأعمال الخيرية، والمبادرة إلى عمل الخير، وحث على ذلك بقوله: «بادر إلى الخير تكن من أهله».

وفي نهاية حديثه تحدث الصفار عن أهمية البروز على الساحة الوطنية، وعدم الانزواء والانطواء في منطقتنا وقال: «إذا أردنا أن نخدم مجتمعنا وبلدنا ومذهبنا علينا أن نبرز على الساحة الوطنية.. أطالبكم أن تعملوا على ساحة الوطن وأن تمثلوا الوطن على المستوى العالمي».

وبعد ذلك ألقى «شيخ الخطاطين» الأستاذ عبد الله الغانم كلمة ترحيبية للجماعة، وخص بالشكر الخطاط الأستاذ نافع التحيفاء وأثنى عليه، وقال: «عندما كنا نجتمع في بيتنا لتأسيس الجماعة كنت أستفيد وأتعلم منه، وهذا الاجتماع يدل على تكاتف أعضاء الجماعة ووفائهم للأستاذ نافع، وقال: «كلما أرى معرضاً من معارض الجماعة أقول: «هذا معرض الخطاط نافع».

وأشاد مقدم الحفل الخطاط صالح الحداد بالأستاذ التحيفاء وقال: «إن معلم الخط قد يتصف بسلسلة أسلوبه وبيانه وبأخلاقه وتواضعه، وكل هذه الأمور اجتمعت في

الأستاذ نافع».

وأشار الحداد أثناء الحفل إلى مشاركة الخطاطات في المعرض الأخير في الدمام وأشاد بمستواهن ومشاركتهن المتميزة، وشكر للسيد مصطفى العرب على جهوده في تطوير موهبتهن.

وفي كلمة للأستاذ إبراهيم الزاير قال فيها: «إن كلمة شيخ الخطاطين الغانم توضح لنا كيف يكون التواضع، وتكشف لنا عن الروح الكبيرة التي يتمتع به الخطاط الغانم، وهذا أعظم أمر يمكن أن نتعلمه منه».

ثم ألقى الخطاط نافع التحيفاء كلمة مقتضبة تحدث فيها عن جيله من الخطاطين وقال: «نحن تربينا في بيئة غنية جداً، استفدنا من لوحات الخطاطين أبو ديب والعلي والخطاط مكّي الناصر والخطاط علي السنان.. وبجهودهم وتشجيعهم واصلنا».

وتحدث التحيفاء عن زملائه الخطاط إبراهيم الزاير والخطاط حسن الزاهر وغيرهما الذين كانوا مثلاً للصبر والمثابرة مؤكداً على الجانب العلمي والأكاديمي في فن الخط العربي، ودراسته بالطرق العلمية الصحيحة.

وختم كلمته بالقول: «أنت أيها الخطاط تمارس فناً مقدساً وعظيماً، وأنت تحدث بنعمة ربك..» وشكر الجميع وحثهم على المواصلة والإبداع في مجال الخط العربي.

وألقى الخطاط الفنان علي السنان كلمة قصيرة تحدث فيها عن تعلقه بفن الخط العربي من الصغر، وذكر أنه في بداية حياته استفاد من الأستاذ/ محمد العمران، وكان موظفًا في وزارة الزراعة، وكان على معرفة بأنواع وقواعد الخط العربي، وقد تعلم منه أنواع الخطوط العربية.

وقال السنان: «كانت المجلة الوحيدة التي عندنا والتي استقيت منها في ذلك الوقت هي مجلة العربي الكويتية، وبعد ذلك بعدة سنوات وصلت إلينا كراسة الخطاط هاشم البغدادي».

ثم ذكر أساتذته في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة، ومدرسة الخطوط العربية بالقاهرة والجيزة، وكيف أن بعض الأساتذة كانوا يعملون عدة أعمال لكي يوفروا لقمة العيش ورغم ذلك كانوا حريصين على تعليمنا فن الخط.

وتحدث رئيس جماعة الخط العربي الخطاط حسن آل رضوان في كلمته عن مسيرة الجماعة خلال السنوات القليلة الماضية وعدد الأنشطة المختلفة التي قامت بها الجماعة من دورات ومعارض ومحاضرات وورش عمل وزيارات داخل المملكة وخارجها.

وأشار الرضوان إلى المشاركة الدولية للجماعة في معرض القرآن الكريم الخامس عشر في طهران في شهر رمضان الماضي وتحدث عن الأعضاء وذكر أنهم بلغوا ١٠٠ عضو، وتحدث أيضاً عن الجمعية السعودية للخط العربي التي بدأت أبوابها للمؤسسين.

بعد ذلك تحدث كل مرشح عن برنامجه والمشاريع التي سيقدمها، وتم التصويت وفرزت الأصوات، وأعلن الخطاط الأستاذ نافع التحيفاء عن اسم الفائز وهو الخطاط السيد مصطفى العرب الذي حصل على ٢٣ صوت مقابل ٢٠ صوت للأستاذ إبراهيم الزاير وصوتين للخطاط عبد الله الغانم، الذي سوف يستلم الإدارة في غرة شهر ربيع الأول لعام ١٤٢٩هـ.

ندوات و خطابات | _____

عاشوراء من أيام الله^(١)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة ابراهيم: الآية ٥].

المحور الأول: أهمية التذكير بأيام الله

لفهم المقصود بـ «أيام الله» الوارد في الآية الكريمة، لابد من التمهيد لذلك يبحث لفظ «اليوم» علمياً وعرفياً.

تحديد معنى اليوم

اليوم - علمياً -: يعرف بأنه المدّة الزمنيّة التي تستغرقها الأرض للدوران حول نفسها، والتي تمتدّ لأربع وعشرين ساعة.

بينما اليوم - عرفاً -: ما يقابل الليل، حيث يبدأ اليوم من شروق الشمس وينتهي بغروبها. فيقال في كثير من أدبيات العرب: اليوم واللييلة، و«مسير يومٍ وليلة». وقد

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ١ محرم ١٤٢٨هـ، إعداد: حسين الشيخ.

استعمل هذا المعنى في بعض الأحاديث الشريفة. كما صنفت بعض كتب الأدعية فيما يسمّى بـ «أدعية اليوم والليلة»، بينما في الحقيقة فإن الليل يقابله النهار، ومن الليل والنهار يتكون اليوم الواحد.

بداية اليوم

اختلفت الشعوب والمجتمعات في تحديد بداية اليوم:

- فالعرب - وبالتالي عند المسلمين - واليهود يعتبرون أن بداية اليوم من غروب الشمس، فتكون بداية الليل هي البداية الفعلية لأي يوم، ليكون غروب شمس ذلك اليوم هو آخر أوقاته، والساعة ما قبل الغروب هي آخر ساعات ذلك اليوم.
- بينما ما عليه الرومان والأوروبيون الآن أن بداية اليوم تكون من منتصف الليل.

نسبة الأيام إلى الله تعالى

في الآية الكريمة توجيه إلهي للنبي موسى ﷺ بأن يذكر قومه بـ «أيام الله»، فما المقصود بهذه الأيام؟

الأيام من ناحية زمنية كلها أيام الله، فهو سبحانه خالق الزمان والمكان، وخالق كل ما يحيط بنا في هذا الكون الفسيح.

ولكن نسبة أمر ما إلى الله تعالى يدل على تشریفه وتعظيمه، وذلك كنسبة بعض الأمكنة لله، كالمسجد الذي يطلق عليه أنه بيت من «بيوت الله». وكذلك شهر رمضان الذي يطلق عليه أنه «شهر الله».

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ «أيام الله» الواردة في الآية الكريمة على ثلاثة

أقوال:

١. فقال بعضهم إن «أيام الله» هي تلك الأزمنة والأيام التي انتصر الله تعالى فيها

لأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وذلك لما تحقق فيها من عزّة لدين الله ونصره ولأوليائه ولقيم الحق. وعلى هذا يكون معنى الآية: ذكرهم بأيام انتصارات الأنبياء والمؤمنين على أولئك الطغاة المعاندين.

٢. بينما يرى بعض المفسرين أن المقصود بـ «أيام الله» تلك الأيام التي حلّت فيها نقمة الله وغضبه على الكافرين الظالمين الذين كانوا يصرون على معاندة ومناوأة أنبياء الله وعباده الصالحين، وذلك لما في هذه الأيام من ظهور لمقدرة الله وبطشه ونكاله بهؤلاء الظالمين المعتدين في الأرض.

٣. ورأى آخرون أن المعنى أشمل من هذين الموردين، فكل يوم حصل فيه حدث مصيري في تاريخ البشرية أو تاريخ مجتمع من المجتمعات فإن ذلك اليوم يعتبر من أيام الله، وذلك لما في هذه المناسبات والأيام من عبّر ودروس ومواعظ يتعلّم منها الإنسان وتتعض منها الشعوب والمجتمعات.

وعلى هذا الرأي يكون معنى الآية الكريمة أن الله تعالى يوجّه نبيه موسى ﷺ ويأمره بأن يذكرّ قومه بتلك الأحداث والمواقف التي حصلت فيها تطوّرات مهمّة وتحولات مصيرية في تاريخهم، كانتصاراتهم على الطاغية فرعون حينما أهلكه الله تعالى مع جنوده.

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله»^(١).

وهذا يدلّ دلالة واضحة على أن هذا التعليم الربّاني ممتدّ مع بقية النبوات، ليكون سمة بارزة في حياة المجتمعات المتديّنة، يتذكّر أفرادها ومجموعاتها تلك الأيام التي يجد فيها الإنسان ما يتعظّ به ويفيده في حياته العملية، وقال الفخر الرازي: إنه يعبر بالأيام عن

(١) السيد جعفر مرتضى العاملي. المواسم والمراسم، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - طهران، ص ٣٦، نقلاً عن مسند ابن حنبل، ج ١، ص ١٦٧.

الوقائع العظيمة التي وقعت فيها، يقال: فلان عالم بأيام العرب. ويريد وقائعها^(١).

إقامة الذكرى عرف اجتماعي

وقد أصبح متداولاً ومعروفاً اليوم في المجتمعات البشرية أنها تهتمّ بأيام ذات أحداث مصيرية وتاريخية مهمّة.

فأغلب الدول تحتفي بيوم استقلالها وتحزّرها من نير الاحتلال الأجنبي، وأصبح هذا الأمر تقليداً دولياً، لا تكاد ترى دولة في العالم لا تحتفل بيوم استقلالها، وتجعله يوماً وطنياً ويوم عطلة. كما أن لكل دولة أو أمة من الأمم أياماً تحتفي بها رسمياً وشعبياً. فالفرنسيون - مثلاً - يحتفلون بيوم سقوط الباستيل، ذلك السجن الذي كان رمزاً للظلم والطغيان.

وقد تعارفت بعض المجتمعات البشرية على تخصيص بعض الأيام لتكريس وتأكيد بعض القيم والاهتمامات الجيدة، وذلك مثل يوم «عيد الأم». الذي هو عرف وتقليد قديم عند المجتمعات الأوروبية من القرن السابع عشر الميلادي، كيوم يتذكّر فيه الناس فضل الأم وتضحياتها ويجددون عهد التقدير والاحترام للأم، لما تتحمّله من عناء وبما تفيضه على الأبناء من محبة وعطف في الحمل والرضاع والتربية.

أهمية التذكير بأيام الله

للتذكير بالأيام المفصلية في حياة كل أمة أهمية عظيمة تنطبع على واقع الأمة ومستقبلها، وذلك:

١. من أجل أن ترتبط المجتمعات البشرية بتاريخها وتستفيد من التجارب والدروس والعبر التي حصلت في تلك الوقائع والأحداث السابقة، وإلاّ لو لم يكن هذا التركيز لكانت معرفة تلك الوقائع خاصّة بأولئك المعنيين بأمور التاريخ

(١) فخر الدين الرازي. التفسير الكبير، ج١٩، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٨٤.

والأبحاث التاريخية فقط. لذلك فإن إعلانها والتذكير بها وطرحها بشكل عام يلفت أنظار الجميع، وبالتالي يستفيد الجميع من عبرها وتجاربها.

٢. ومن ناحية ثانية تكون إقامة ذكرى هذه الأحداث تخليدًا لمن قام بتحقيقها، فالبطولات التي تأسست عليها حضارات الأمم والشعوب يقف وراءها أبطال، تكون هذه الاحتفالات تخليدًا لذكراهم وتلمسًا لمواقع البطولة والتميز لدى هؤلاء الأفراد أو هذه المجموعات.

برامج التذكير بأيام الله بين المنع والقبول

في الآية القرآنية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه موسى ﷺ بتذكير قومه بأيام الله، فالقرآن هنا لم يضع كيفية معينة بها يتحقق هذا التذكير، ولكن ما عليه كثير من الأمم والشعوب أن يتم ذلك عادةً من خلال الاحتفال الشعبي، وما يصاحب ذلك من إدخال بعض التقاليد والأعراف في إحياء هذه المناسبات التي - غالبًا - ما تقام سنويًا.

والاحتفاء بالمناسبات الدينية أو الاجتماعية بهذه الطريقة قد تحفظت عليها بعض المدارس الإسلامية، وهي المدرسة السلفية، فهم يرون أن الاحتفال بشكل منتظم ومبرمج بأي مناسبة - تاريخية أو اجتماعية أو دينية - غير مشروع وبدعة في الدين.

ولذلك كان هناك ممانعة في الاحتفال باليوم الوطني في المملكة داخل البلاد ضمن مظاهر رسمية، فقد كان ذلك ممكنًا في سفارات المملكة في الخارج، ولكن لم يكن ممكنًا بسبب التحفظ الديني الذي كان يديه بعض علماء هذه المدرسة.

ولكن حينما أصبح هناك ضرورة أن يعيش الناس في هذا البلد الانتماء إلى وطنهم وأن يشعروا بقيمة هذا الكيان وحبّه وأن تكون هناك هوية مشتركة يجتمع فيها المواطنون ويلتقون فيها عاطفيًا ما عادت تظهر تلك المعارضة التي كانت في الماضي.

وهذا الرأي (التحفظ في إقامة الاحتفالات الدينية أو الاجتماعية أو التاريخية) يبقى رأي مدرسة معينة، والغالبية الساحقة من المسلمين وفقهائهم لا يرون هذا الرأي،

ونجد ذلك واضحًا في إقامة ذكرى المولد النبوي الشريف الذي تحتفل به معظم البلاد الإسلامية، وتعتبره عطلة رسمية ومناسبةً مهمةً يجددون فيه الولاء لرسول الله ﷺ ويتحدثون عن سيرته وتاريخه ويجددون العهد بتعاليمه.

ولو دارت المسألة في إقامة الاحتفالات والمناسبات الدينية في إطار اختلاف الرأي لا مانع من ذلك، فلكل طرف رأيه واجتهاده وقناعته، ولا يصح أن تتحوّل هذه المسألة إلى صراع وصدام.

المحور الثاني: عاشوراء نموذجا

في تاريخنا الإسلامي وقائع لها أهمية ومنعطفات تشكّل لحظات مصيرية في تاريخ الأمة، وتؤثر على وجدانها وثقافتها وعلى واقعها الاجتماعي والسياسي. هذه الأحداث يمكن أن تكون مصداقًا لعنوان «أيام الله» الوارد في القرآن الكريم. ويمكننا - بكل ثقة - أن نعتبر «عاشوراء» مصداقًا بارزًا من بين تلك الأحداث، وذلك لما تحفل به هذه الحادثة من دروس وعبر وقيم للأمة وجماهيرها الواسعة.

«عاشوراء» مصطلح إسلامي

يشير بعض علماء اللغة إلى أن مصطلح «عاشوراء» مصطلح إسلامي لم يكن في الجاهلية. هذا ما أكده ابن الأثير في النهاية وابن دريد في الجمهرة. ويُقصد به اليوم العاشر من المحرم، ولا يطلق على أي يوم عاشر من أي شهر غير المحرم.

وهناك من يرى أنه - كمصطلح - كان متداولًا قبل الإسلام، ويروون في ذلك بعض الروايات في صحيح البخاري ومسلم. جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: «فأنا أحق

بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه^(١).

وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فُرض رمضان، كان من شاء صام، ومن شاء أفطر^(٢).

كان ذلك قبل فرض صيام شهر رمضان، فلما فُرض صيام شهر رمضان أصبح صوم يوم عاشوراء ليس مفروضاً على المسلمين، وإنما اعتبروه مستحباً.

ولكن مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا تقبل هذه الأحاديث ولا ترى صحتها من ناحية السند وتناقش أيضاً في مضمونها، وتذهب هذه المدرسة إلى أن هذا المصطلح يظل مصطلحاً إسلامياً تعارف المسلمون عليه بسبب الواقعة التي حصلت فيه باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم.

التعظيم على واقعة «عاشوراء»

حينما نقرأ التاريخ نجد أن بني أمية كانوا يريدون التعظيم على هذه الحادثة، لينسى الناس ما حصل على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، ومن أجل ذلك كانوا يعلنون ذلك اليوم عيداً ويوم فرح وسرور، وهذا ما نجد الإشارة إليه في إحدى فقرات الزيارة الواردة عن الإمام الباقر، حيث يقول فيها: «... اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد».

وورد في كتب التاريخ - كما ينقل أبو الريحان البيروني في الآثار الباقية، «فأما بنو أمية، فقد لبسوا فيه ما تجدد، وتزيّنوا، واكتحلوا، وعيّدوا، وأقاموا الولائم والضيافات، وأطعموا الحلوات والطيبات، وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم».

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٩٢، ح ٢٠٠٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ح ٢٠٠١.

وأما الشيعة فإنهم ينوحدون ويبيكون، أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه^(١). ورووا في ذلك أحاديث وروايات موضوعة ومجعولة، كما يشير ابن تيمية، فيقول: «.. وإظهار الفرحة والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثه، المقابلة للرافضة»، وأضاف ابن تيمية، «.. وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه، من الاغتسال والاكتمال الخ..» وقال: «.. وأحدث فيه بعض الناس أشياء، مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها مثل فضل الاغتسال فيه، أو التكحل، أو المصافحة»^(٢).

ومن أمثلة هذه الروايات الموضوعية ما روه عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [سورة طه: آية ٥٩] قوله: يوم الزينة يوم عاشوراء^(٣). وزعم البعض أن الاكتمال في هذا اليوم مانع من الرمذ في تلك السنة^(٤). ولكننا نجد في قبال هذه الأحاديث الموضوعية أحاديث صحيحة في مصادر المسلمين باختلاف مذاهبهم تبين اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلانه لحزنه وألمه لما يحدث من بعده لسبطه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وهذا مروى في المصادر الصحيحة المعتمدة عند أهل السنة وبأسناد صحيحة عندهم.

من ذلك ما يذكره الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين عن أم الفضل بنت الحارث - وهي لبابة زوج العباس بن عبد المطلب، أول امرأة أسلمت في مكة بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها - تقول: «إنها دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إنني رأيت حلماً منكرًا لليلة، قال: ما هو؟، قالت: إنه شديد، قال: ما هو؟، قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت خيراً،

(١) المواسم والمراسم، ص ٨٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٨٥، نقلاً من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٠١.

(٣) نفس المصدر، ص ٨٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٨٦.

تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري، كما قال رسول الله، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعتة في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع، قالت: فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا! فقال: نعم وأتاني بتربة من تربته حمراء».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).

وأورد المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الحديث السابق في سلسلة أحاديثه الصحيحة تحت رقم ٨٢١ وعلق عليه بقوله: له شواهد عديدة تشهد لصحته، منها ما عند أحمد بن حنبل (٢٩٤/٦) حدثنا وكيع قال: حدثني عبدالله ابن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة، أن النبي ﷺ قال لإحدهما: «لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء». قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقال الهيثمي (١٨٧/٩) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح^(٢).

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم ٦٤٨، بسنده عن عبدالله بن نجبي، عن أبيه، أنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله، بشط الفرات، قلت وماذا؟ قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم. فمد يده فقبض

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٩٤.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص ٤٨٥.

قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتاً^(١).
 في هذه الأحاديث وأمثالها ما يدلُّ على أن رسول الله كان يهتمُّ بيوم عاشوراء
 كواقعة، وهذا أمر كان بيئاً واضحاً لدى أمهات المؤمنين ولدى أصحابه وأهل بيته. وفي
 هذا يقول ابن عباس: ما كنا نشكُّ وأهل البيت متوافرون أن الحسين يقتل بالطف^(٢).
 كل هذا يدلُّ على أهمية الواقعة التي كان رسول الله ﷺ يذكّر بها أصحابه وأهل
 بيته.

ماذا تمثل عاشوراء في ضمير المسلمين؟

عاشوراء كواقعة من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية تمثل لنا
 أمرين مهمين، هما:

١. عظمة الموقف المبدي الذي وقفه سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته
 وأصحابه، إذ كانوا قلة قليلة، ولكنهم ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والثبات
 والالتزام بالقيم والدفاع عن المبادئ والاعتراض على الظلم والفساد والانحراف.
 ونحن حينما نتذكر عاشوراء إنما نتذكر هذه المواقف العظيمة السامية والرائعة.
٢. بشاعة الظلم الذي وقع على أهل البيت ﷺ وعلى الانتهاك لحرمة الله في ذلك
 اليوم.

فالإمام الحسين ﷺ لم يكن رجلاً عادياً، وإنما له شخصيته ومكانته وموقعيته التي
 لا يجهلها أحد من المسلمين. كما أنه لم يمضِ وقت طويل على وفاة رسول الله، الذي كان
 المسلمون يسمعون منه ويرون مواقفه التي يعبر فيها ﷺ عن حبه للحسين وانشداده له.
 لقد قال رسول الله ﷺ على مرأى من الصحابة ومسمع منهم: «الحسن والحسين
 ريحانتي من الدنيا».

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) المستدرک على الصحيحين، حديث رقم ٤٨٢٦، ج ٣، ص ١٩٧.

وفي موضع آخر سمعوا منه قوله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».

وروى عبدالله بن شداد عن أبيه قال: سجد رسول الله ﷺ سجدة أطلها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليه، فسألناه عن ذلك، فقال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته..»^(١).

وغيرها من الأحاديث التي يتذكّرها المسلمون ويروونها لبعضهم ويتناقلونها فيما بينهم.

لذلك لا يمكن اعتبار ما حصل يوم العاشر من المحرم من انتهاك للحرمات حدثاً عادياً، بل يجب التأمل فيه جيداً، والوقوف عند محطات هذه الحادثة للاستفادة من أحداثها والدروس العظيمة التي تجلّت فيها.

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين بن علي، ج ١، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: دار البلاغة)، ص ٩٦.

حب أهل البيت ﷺ في نفوس المسلمين^(١)

قال الله العظيم، في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى: الآية ٢٣].

المحور الأول: الأصل الديني لحب أهل البيت

آيات القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ التي اعتبرها المسلمون في مختلف مذاهبهم صحيحة ثابتة هي التي تدفع كل مسلم لكي ينعقد قلبه على حب أهل البيت.

ومن الآيات الكريمة التي تدعو لحب أهل البيت ﷺ هذه الآية الكريمة، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. والأنبياء حينما يبلغون رسالات الله فإنما يقومون بالتبليغ استجابة لأمر الله تعالى، وبالتالي فهم لا يريدون من أحد - مقابل تبليغهم للرسالة - أجراً، ولذلك ورد على لسان خمسة من الأنبياء: نوح،

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطف بتاريخ ٢ محرم ١٤٢٨ هـ.

وهود، ولوط، وصالح، وشعيب، وفي خمسة مواقع من سورة الشعراء، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠].

إذاً لا أحد من الأنبياء يريد من الناس أجراً أو يتوقع منهم ذلك، في مقابل تبليغه رسالة الله. وكذلك النبي محمد ﷺ أمره الله تعالى أن يقول للمسلمين: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: الآية ٨٦]، بينما نجد الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ أن يطلب من الناس أجراً، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فكيف يُمكن التوفيق بين هذه الآية الكريمة، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، وكيف أن النبي ﷺ يطلب أجراً من المسلمين على تبليغ الدعوة الإلهية بعكس سائر الأنبياء؟ هذا التناقض الذي يبدو لأول وهلة تجيب عنه آية أخرى، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة سبأ: الآية ٤٧].

إذاً الفائدة الكبرى من المودة في القربى هي للمسلمين، وليست للنبي الأكرم. فالأمة حينما تحب أهل البيت وترتبط بهم فإن ذلك في مصلحة الأمة نفسها ولخير الأمة نفسها.

وحول الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وردت روايات وأحاديث كثيرة نقلتها مصادر المسلمين، كما في تفسير الكشاف^(١) والصواعق المحرقة^(٢) وغيرهما من المصادر الإسلامية المعتبرة، أن الصحابة سألوا رسول الله: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال: «هم علي وفاطمة وابنهما».

(١) أبو القاسم الزمخشري. تفسير الكشاف ج ٤، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٢١٣.

(٢) ابن حجر الهيتمي. الصواعق المحرقة ج ٢، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٤٨٧.

ومن ذلك أيضاً: أن الإمام الحسن عليه السلام خطب في الناس بعد استشهاده أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «أنا من أهل البيت الذين فرض الله مودتهم عليكم»^(١).
وروايات أخرى كثيرة مذكورة في الكتب ومصادر الحديث الإسلامية هذا على صعيد الآية الكريمة.

الأحاديث الشريفة ودعوتها لحب أهل البيت

أما على صعيد الأحاديث والنصوص الواردة في مصادر الحديث فهي كثيرة، ومنها الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»^(٢)، وفي حديث آخر صححه الشيخ الألباني^(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يبغيضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار»، وهناك أحاديث كثيرة تتحدث عن أفراد أهل البيت، فمثلاً عن الصديقة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»^(٤).

أما في حق علي، ففي صحيح ابن ماجه عن علي عليه السلام قال: «عهد إليّ النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يجنبني إلا مؤمن ولا يبغيضني إلا منافق»^(٥). قال الشيخ الألباني: (وهذا حديث صحيح).

وأما في حقّ الحسنين عليهم السلام فالأحاديث كثيرة، ومنها قوله: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٦).

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣ ص ١٨٩، حدیث ٤٨٠١ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٢، حدیث ٤٧١٦ .

(٣) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٥، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (الرياض: مكتبة المعارف)، ص ٦٤٣ حدیث ٢٤٨٨ .

(٤) صحيح البخاري، ج ٢ ص ٤٧٠ حدیث ٣٧١٤ .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٦ حدیث ٩٢ .

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ٦٤ حدیث ١١٧ .

إذا هناك نصوص شرعية، وهي تؤصل لأصل ديني يدفع كل مسلم للولاء لأهل البيت ولحبتهم.

المحور الثاني: مكانة أهل البيت في الأمة

انطلاقاً من هذه النصوص ومن شخصيات أهل البيت ﷺ التي فرضت نفسها بعلمها وفضلها، فإن الأمة كانت تحترم أهل البيت وتحبهم، فقد اتفقت الأمة في جميع عصورها على محبة أهل البيت وتعظيمهم. صحيح كانت هناك فئة من الأمة تظهر العداء والبغض لأهل البيت، وقد أطلق المسلمون عليهم مصطلح النواصب، وهذا المصطلح يعني تلك الفئة التي تبغض أهل البيت. في بداية الأمر كان هناك نوع من الصراع السياسي فالحاكمون رأوا في أهل البيت منافسة لهم في حكمهم في نفوذهم، ورأوا أن الأمة تنجذب وتنشد إليهم، ولذلك أقصوا أهل البيت وجفوههم.

والمشكلة أن هناك من حوّل هذا الصراع السياسي إلى دين، وهؤلاء مغرضون، حصل ذلك منهم تملقاً إلى الحكام، أو غفلة منهم، أو من أجل مصلحة عندهم، حيث حوّلوا الجفاء لأهل البيت إلى دين، وصاروا يبغضون أهل البيت ويناثونهم بتأثير الأجواء السياسية. ومن نتائج ذلك شتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ سبعين سنة على منابر المسلمين، وهذا نوع من التضييل، والناس بطبيعتهم يتأثرون بالأجواء الإعلامية المصنوعة.

والتاريخ ينقل لنا بعض القصص والشواهد على ذلك، ومنها ما قاله أحد أعلام المسلمين عن أحد الرواة وهو: حريز بن عثمان الحمصي^(١)، أنه شامي ثقة وكان يحمل على علي بن أبي طالب، ويا عجباً فكيف هذا الراوي ثقة، وهو يحمل على علي بن أبي طالب ﷺ ويصرح ببغضه لأمير المؤمنين، قال عمران بن أبان: سمعت حريز بن عثمان

(١) راجع سيرته في: تهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٧٢، والكامل في ضعفاء الرجال ج ٢ ص ٤٥١، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ١ ص ١٩٧، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٦٥.

يقول: لا أحبه قتل آبائي - يعني عليًا -، ويُنقل في ترجمته أنه كان في كل يوم يلعن عليًا في الغداة سبعين مرة وفي الليل سبعين مرة.

ومن طريف ما ينقل في قصص العلماء^(١) أن نجيب باشا والي بغداد ذهب إلى النجف الأشرف، وطلب من الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، أن يأخذه إلى زيارة قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعند وصولهما وقف الوالي أمام ضريح الإمام ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بحرمة لحيتي البيضاء تجاوز عن ذنوب الإمام علي إذ أهرق الكثير من دماء المسلمين.

خلاصةً، هناك فئة محدودة من الأمة يُظهرون العداء لأهل البيت، ولكن أغلب الأمة يُعلنون حبهم لأهل البيت، صحيح أن المحبة لأهل البيت درجات، وأن أغلب المسلمين يحبون أهل البيت قلبياً ونفسياً، لكنهم لا يعتقدون بأنهم هم قيادة الأمة، وأنهم خلفاء رسول الله ﷺ وأن أقوالهم واجبة الاتباع، فهذه حالة اختص بها شيعة أهل البيت.

فأصل محبة أهل البيت يتفق عليها المسلمون، أما دورهم ومكانتهم فهي محل نقاش، وكما يقول السيد الإمام الخوئي ﷺ في موسوعته الاستدلالية: «الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب والولاء، وهم غير منكرين لها - بهذا المعنى - بل قد يظهرون حبهم لأهل البيت ﷺ. وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجه وإنما هي مسألة نظرية وقد فسروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليدًا لأبائهم وعلماؤهم وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت، وقد أسلفنا أن إنكار الضروري إنما يستتبع الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستلزمًا لتكذيب النبي ﷺ كما إذا كان عالمًا بأن ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة، وهذا لم يتحقق في حق أهل الخلاف

(١) الميرزا محمد بن سليمان التكنابي، قصص العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، (بيروت: دار المحجة البيضاء)، ص ١١٩.

لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت ﷺ، نعم الولاية - بمعنى الخلافة - من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين^(١).

فالمعنى واضح: خلافة أهل البيت ﷺ وقيادتهم للأمة من ضرورات المذهب الجعفري، وهو ما اقتنع وآمن به شيعة أهل البيت، أما بقية المسلمين عندهم قناعة ورأي آخر، بالطبع المجال مفتوح للنقاش وللحوار، فنحن لنا أدلتنا ولنا براهيننا وبقية المسلمين عندهم تأويل لهذه النصوص.

وأئمتنا ﷺ ما كانوا يرون أن من كان له رأي آخر لتأويل أو لشبهة يكون خارج الدين، وإنما تجري عليه أحكام الإسلام، بل إنه ورد في كتاب البحار للعلامة المجلسي - أعلى الله مقامه - عن الإمام جعفر الصادق ﷺ عن آبائه ﷺ عن علي ﷺ قال: «إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منه شيعتنا ومحبونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»^(٢)، يعني مخالف لأهل البيت ولكن ليس في قلبه بغض لأهل البيت لسبب أو لآخر.

العلاقة مع الآخر بحسن الظن

وهنا مسألة مهمّة ينبغي تسليط الأضواء عليها في العلاقة بين المسلمين على تنوع مذاهبهم، إذ ينبغي أن يكون هناك حسن ظن بين المسلمين، ولا يفترض الواحد من أتباع مذهب بأن أتباع المذهب الآخر معاندون جاحدون يعرفون الحق ولا يتبعون، وهذا الاعتقاد خاطئ، فأغلبية الناس لا يعرفون الحق، فهم قد عاشوا في بيئة وأصبحوا ضمن نهج تلك البيئة المذهبية، وبسبب القصور لم تتضح لهم الحقيقة وإلا ليس كل واحد يريد أن يدخل النار، وهو يعرف طريق النجاة ويتركه. صحيح هناك بعض الأشخاص يتضح

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة ج ٢ ص ٨٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٩ ص ١٥٩ حديث ٥.

لهم الحق لكنهم يكابرون ويححدون، وهذا لا ينطبق على كل الناس. ولذلك ينبغي أن يتعامل المسلمون فيما بينهم على أساس حسن الظن في بعضهم بعضاً، ولا يفترض السني أن الشيعي يسير على طريق وهو يعلم أنه خطأ، بل عليه أن يعتقد أن الشيعي يسير على طريق وهو مقتنع أنه صحيح وإلا ما سار عليه. ولا يعتقد الشيعي أن السني يسير على طريق وهو يعلم أنه باطل، كلا! فالسني يسير على طريق وهو يعتقد أنه حق، ولو اتضح له أنه باطل لما سار عليه. وهذا الكلام لا ينفي وجود أشخاص في هذا الطرف وفي ذلك الطرف مكابرون وجاحدون.

تاريخ الأمة ومحبة أهل البيت

إذا قرأنا في تاريخ الأمة نرى أن هناك تقديراً وتعظيماً واحتراماً واضحاً عند المسلمين، في كل عصر وجيل، لأهل البيت، فنجد ذلك حتى عند الحاكمين السابقين المناوئين لأهل البيت، نعم منعوا أهل البيت ﷺ من حقهم الطبيعي في إدارة الأمة، ولكن في أعماق نفوسهم يعرفون مكانة أهل البيت، وهناك رواية تنقل عن المأمون العباسي أنه قال: إنما تعلم فضل أهل البيت من أبيه هارون، وذلك أنه رأى أباه وهو يجلس ويقدر الإمام موسى بن جعفر فتعجب من ذلك.

يقول: وكنت أجراً وُلِدَ أبي عليه فلما خلا المجلس قلت يا أمير المؤمنين: من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجلته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده. فقلت يا أمير المؤمنين: أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله ﷺ مني ومن الخلق جميعاً والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك فإن الملك عقيم^(١).

(١) الشيخ الصدوق ابن بابويه، عيون أخبار الرضا ج ١، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، (بيروت: مؤسسة

فالأمة تعرف مكانة أهل البيت السامقة، وهنا نماذج من تقدير أئمة المذاهب لأهل البيت.

أئمة المذاهب الأربعة واحترام أهل البيت

لو أخذنا نموذجاً أئمة المذاهب الأربعة المعروفة، وقرأنا في حياتهم وسيرتهم لوجدنا أنهم كانوا يعلنون أمام الناس احترامهم وحبهم لأهل البيت ﷺ وتعظيمهم للمكانة الرفيعة التي يتسمنها أهل البيت أنفسهم.

يتحدث الإمام مالك عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ فيقول: «مارأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادةً وورعاً»^(١)، وقال: «كان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده رسول الله ﷺ أصقّر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلى على ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن»^(٢).

رأي الإمام أبي حنيفة:

له كلمة معروفة ومشهورة: «لو لا الستتان لهلك النعمان»^(٣) أي لو لا الستتان اللتان كان يحضر فيهما مجلس الإمام جعفر الصادق.

وحينما ألزمه المنصور العباسي بأن يناظر الإمام الصادق اعترف واعتبرها فرصة للإشادة بالإمام الصادق، قال: دعاني أبو جعفر المنصور حينما كان في الحيرة وقال لي: إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيبى له من المسائل الشداد. يقول فهيات له أربعين مسألة. ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس على يمينه، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي

الأعلمي للمطبوعات)، ص ٨٤.

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الرابع ج ٨، ص ٣٧١.

(٢) المصدر السابق: المجلد الرابع ج ٨ ص ٣٧١-٣٧٢.

(٣) عبدالحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق، ص ٢٥٢.

جعفر المنصور، ثم يكمل - أبو حنيفة - بأنه سأل الإمام عليه السلام والإمام يجيبه فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، ويضيف أبو حنيفة: ألسنا روينا: إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس^(١).

وأما الإمام الشافعي:

الذي عُرف بحبه لأهل البيت فهو صاحب الشعر المعروف^(٢):

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
وهو صاحب الشعر الذي يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

أما رأي الإمام أحمد بن حنبل

ففي مسنده عدد كبير من الروايات في فضل أهل البيت، ولعله ليس في كتب الصحاح والمسانيد كتاب فيه من فضائل أهل البيت ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وله كتاب أفردته في فضائل علي بن أبي طالب، وله كلمات ومواقف تنقل على هذا الصعيد: فمرة ينقل ولده عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: حدث أبي بحديث سفينة، فقلت: يا أبت ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت: وعلي بن أبي طالب! قال: يا بني، علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد^(٣).

صلاة المسلمين تشهد بمحبة أهل البيت

هذا بالنسبة لأئمة المذاهب، والمسلمون بمختلف مذاهبهم يُقرّون بمحبة أهل

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. المجلد الأول ج ١ ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق. المجلد الرابع ج ٨ ص ٤١٦.

(٣) السيد المرعشي. شرح إحقاق الحق، ج ١٥ ص ٦٩٩.

البيت، ويشهدون لهم بالفضل، فكل المسلمين في تشهدهم في الصلاة يقولون: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١)، وهذا واجب عند الشافعي، وعند أحمد بن حنبل على قول^(٢). والملاحظ هنا لم يُذكر أحد سوى أهل البيت، وهذا بسبب صريح النص الذي ورد عن رسول الله ﷺ في كيفية الصلاة عليه، فحينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، سُئِلَ: كيف نصلي عليك؟ فعلمهم هذه الصيغة التي تشمل النبي وآله، قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٣)، ولذلك فإن عدم ذكر الآل في الصلاة يجعلها بتراء فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء». قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: «اللهم صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»^(٤)، واقتصار الصلاة على النبي وآله في التشهد دون ذكر الآخرين ميزة واضحة.

كتب العلماء تزخر بفضائل أهل البيت

أما الكتب فقد أفرد كثير من علماء السنة كتباً في فضل أهل البيت، وأكتفي بذكر نماذج معاصرة، مع العلم أن الماضي يحفل بكتب كثيرة، كنور الأبصار للشبلنجي، وذخائر العقبي للطبري، وينايع المودة للقندوزي، والمناقب للخوارزمي وغيرها.

أما الكتب المعاصرة فكثيرة أيضاً، ومنها: كتاب لعالم معاصر من علماء الحديث

(١) الموسوعة الفقهية ص ٩٧.

(٢) عبد الله بن أحمد المقدسي بن قدامة. المغني، ج ٢ ص ٢٢٨، الطبعة الثانية ١٢٤١ هـ، (القاهرة: هجر للطباعة). قال ابن قدامة ص ٢٢٩: (وظاهر مذهب أحمد رحمه الله وجوبه، فإن أبا زرعة الدمشقي نقل عن أحمد أنه قال: كنت أتهدب ذلك، ثم تبينت، فإذا الصلاة واجبة. فظاهر هذا أنه رجع عن قوله الأول إلى هذا).

(٣) صحيح مسلم ص ٢١٦ حديث ٦٦ باب الصلاة على النبي بعد التشهد.

(٤) القندوزي. ينايع المودة لذوي القربى، ج ١ ص ٣٧.

المعروفين وهو الشيخ محمود سعيد بن محمد ممدوح من علماء مصر ويعتبر ضمن المدرسة السلفية في مجال الحديث، وهو من المحدثين ويعترف جميع علماء الحديث بمكانته العلمية، وله كتب تباع في المملكة، وكتبه من الكتب العلمية في مجال الحديث، هذا العالم وقبل سنتين طبع كتاباً مهماً جداً، قدّم له مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة السيد علي الهاشم، والكتاب مطبوع من قبل مؤسسة الفقيه في أبو ظبي عام ١٤٢٥ هـ، وهو كتاب جميل ورائع، عنوانه: (غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل)^(١)، يقع في قريب من ثلاثمائة صفحة أو أكثر، وكله مدعّم بالأدلة والنصوص.

في هذا الكتاب يؤكد على حقائق كثيرة ومهمّة من أبرزها هذه الحقيقة، يقول في (ص ٣٦): ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه لم يُروَ في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب، ويقرر أيضاً حقيقة أخرى: أن الذين يرون أفضلية الخلفاء على الإمام علي عليه السلام فيه نقاش، فالتقدم في الخلافة تقدم زمني لا يدل على الأفضلية، يقول في (ص ٦٧): وقد يحتج أو يستأنس بعضهم على الأفضلية بترتيبهم في الخلافة، فيقال: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، كترتيبهم في الخلافة، وهذا التلازم فيه نظر، فبعد الاتفاق على أنه ظني، فإنه لا يصلح دليلاً على تفضيل متقدّم في الخلافة على متأخر؛ لأن الخلافة بعد انتقال النبي، والناس لا يتفاضلون بالمناصب بل بكثرة الفضائل والخصائص.

ويأتي بآراء بعض الصحابة حول أفضلية علي بن أبي طالب على جميع الصحابة، ويذكر منها هذا الحديث ويصححه، يقول: سئل أبو ذر صاحب رسول الله، الذي قال فيه: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر»^(٢)، يقول في (ص ١٢٩): «جاء رجل أبا ذر وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا ذر ألا تخبرني

(١) الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ (أبو ظبي: مكتبة الفقيه).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٨ حديث ١٢٧.

بأحب الناس إليك، فإني أعرف أن أحبهم إليك أحبهم إلى رسول الله؟ قال: إي ورب الكعبة إن أحبهم إلي أحبهم إلى رسول الله ﷺ وهو ذاك الشيخ، وأشار بيده إلى علي ﷺ وهو يصلي أمامه».

وذكر في (ص ١٣٥) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كُنَّا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب.

والجميل أن المؤلف أفرد في كتابه فصلاً حول فاطمة الزهراء ﷺ تحت عنوان: تنوير الأئمة الذكية بتفضيل البضعة النبوية في (ص ٩٥)، يقول فيه: ومنهم - أي العلماء - من يفضل فاطمة ابنة النبي ﷺ على الجميع باعتبارها بضعته الشريفة المنيفة.

وذكر أن هذا مذهب أم المؤمنين عائشة، فقد صح عنها أنها قالت: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها، ثم يذكر قول رسول الله: «فاطمة بضعة مني» ويقول: لا نعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحداً، ثم يذكر قول الألويسي: إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد، ويضيف في (ص ٩٦) أن الإمام مالك قال: لا أفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحداً.

نموذج ثانٍ نذكره لأحد علمائنا في المملكة، وهو قاضٍ في المحكمة الكبرى بالقطيف الشيخ صالح الدرويش، فقد ألف كتاباً حول الإمام الصادق، نعم قد نختلف معه في بعض الجوانب المذكورة في الكتاب باعتبار رؤيتنا وعقيدتنا حول الإمام، بينما من حيث المجمل فإن الكتاب يتضمن الإشادة بالإمام والإقرار بأفضليته في زمانه، يقول: هو إمام أهل زمانه جعفر الملقب بالصادق وأبوه إمام أهل زمانه محمد بن علي الملقب بالباقر ابن إمام التابعين في زمانه علي بن الحسين زين العابدين^(١).

فواضح أن كل واحد منهم في زمانه هو إمام زمانه، وماذا يعني ذلك سوى أنه هو

(١) الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش، الإمام جعفر الصادق، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ، (الدمام: دار ابن الجوزي)، ص ١٥.

الأفضل في زمانه، ونقل نصوصاً كثيرة عن العلماء ومن التاريخ في فضل الإمام جعفر بن محمد الصادق.

وهناك قاضٍ آخر وهو الشيخ عبدالعزيز العمير في المحكمة نفسها، ألف كتاباً تحت عنوان: نجى كربلاء عليه السلام، يعني الإمام زين العابدين عليه السلام وفي كتابه الكثير من التعظيم والتجليل في الإمام، يقول في مقدمته: اللهم إني أشهدك على محبتي لأهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله.^(١) أقول: هذا لا يعني أننا نتفق معه في كل ما ذكره في الكتاب من آراء، فمعروف أن هناك خلافاً بين الشيعة وبين غيرهم فيما يرتبط في مقام أهل البيت ومكانتهم، ولكن نريد الإشارة إلى أن فضل أهل البيت وعظمتهم لا يستطيع أن ينكرها أحد.

المحور الثالث: مسؤولية التعريف بأهل البيت عليهم السلام

في أزمنة سابقة كان هناك حظر على الحديث عن أهل البيت عليهم السلام والإشادة بمكانتهم والتعريف بعلمهم للناس، ولذلك فإن قسماً كبيراً من الأمة لا يعرفون فضل أهل البيت عليهم السلام، ولم تصلهم معارفهم. ونحن الآن نعيش في عصر أصبح المجال مفتوحاً من أجل أن تتعرف الأمة أكثر إلى أهل البيت عليهم السلام، وهذه مسؤولية على عاتق كل عالم واعٍ من السنة والشيعة؛ لأن التعريف بأهل البيت جزء من محبتهم ومودتهم المفروضة على كل مسلم بحكم القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتختص الشيعة بمسؤولية أكبر وشاملة للتعريف بأهل البيت عليهم السلام لأنهم أتباعهم، فعليهم أن يوصلوا صوت أهل البيت عليهم السلام إلى كل العالم الإسلامي بل إلى العالم الإنساني.

والسؤال: كيف يُمكن لنا أن نقوم بواجبنا في التعريف بأهل البيت عليهم السلام؟

في الروايات الواردة عن أهل البيت أن هناك ثلاثة توجيهات أساس في تحمل

المسؤولية لنشر معارف أهل البيت عليهم السلام والتعريف بهم:

(١) عبدالعزيز بن أحمد العمير، نجى كربلاء عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ص ٧.

أولاً: مسؤولية إيصال معارفهم للناس

ففي الرواية عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال سمعت علي بن موسى الرضا ﷺ أنه يقول: «رحم الله عبداً أحبباً أمرنا، قلت: كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تَبْعُونَا»^(١)، وفي هذه الرواية أمر من الإمام أن نحبي أمرهم بإيصال معارفهم للناس، وعلينا أن نعترف بالتقصير على هذا الصعيد، حيث إننا لم نول هذا الجانب الاهتمام المطلوب، فعلى صعيد الطباعة والنشر، كم من النسخ نُشر من الصحيفة السجادية ونهج البلاغة، وإلى كم لغة تُرجم، وهذا أمرٌ في غاية السهولة، ناهيك عن الجوانب الأخرى التي ما زال العالم الشيعي متجاهلاً لها.

ثانياً: التحذير من تعريض أهل البيت للإساءة

ف نجد في روايات أهل البيت ﷺ تحذيراً لشيعتهم من أن يرووا عنهم ما يسيء لهم. فقد ورد في عيون أخبار الرضا ﷺ عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أنه قال: «يا ابن أبي محمود إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام، أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا وشيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨]»^(٢).

ثالثاً: الدعوة لأهل البيت بالسلوك الإيجابي

أهل البيت ﷺ كانوا يريدون من شيعتهم أن يكونوا بسلوكهم نموذجاً في التعريف بأهل البيت، وقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «كونوا دعاة لنا

(١) وسائل الشيعة. ج ٢٧ ص ٩٢.

(٢) عيون أخبار الرضا. ج ٢ ص ٢٧٢.

بغير ألسنتكم»^(١).

وقال: «إن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرنى ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر»^(٢). وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال للمفضل: أي مفضل، قل لشيعتنا: «كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصيه، واتباع رضوان الله، فإنهم إذا كانوا كذلك، كان الناس إلينا مسارعين»^(٣). وعن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا لنا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول، وقبيح القول^(٤). ورواية أخرى عن الإمام الصادق: «رحم الله عبداً استجرّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا»^(٥)، وجاء في حديث آخر: «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(٦).

موقعية الإمام الحسين عليه السلام في الأمة

واضحٌ من خلال البحث كيف أن الأمة كانت تنظر إلى أهل البيت نظرة إجلال وتعظيم، والإمام الحسين بن علي عليه السلام كانت له موقعيته المميزة بين الأصحاب، حيث كانوا يجلونه ويحترمونه ويقدرونه، تقول كتب السير كما ورد في الإصابة عن الإمام الحسين عليه السلام أنه دخل مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير يقول: «أتيت عمر وهو يخطب على المنبر

(١) الوحيد البهبهاني. حاشية مجمع الفائدة والبرهان، ص ٢٤.

(٢) الكافي. ج ٢ ص ٦٣٦.

(٣) دعائم الإسلام. ج ١ - ص ٥٨.

(٤) الشيخ الطوسي. الأمالي، ص ٤٤٠.

(٥) مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٥ ح ١٤٠٨٦.

(٦) المصدر السابق ج ٨ ص ٣١١ ح ٩٥٢١.

فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصي بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علمك؟ قلت: والله ما علمني أحد^(١).

وأيضاً في الإصابة^(٢) أن عمر قال للإمام الحسين ﷺ: إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم.

وفي التاريخ فاضل الخليفة عمر بين الناس في العطاء، لكنه أعطى الحسن والحسين مثل عطاء أهل بدر مع أنهم لم يشهدوا بدرًا فسئل عن ذلك، فأجاب لمكانتهما من رسول الله.

وهذا ابن عباس يزجر مدرك بن زياد أو ابن عمارة بسبب لومه إياه على مسكه الركاب وتسويته الثياب للحسن والحسين، قائلاً له: يا لكع أو تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أوليس مما أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما الركاب وأسوي عليهما الثياب^(٣).
وها هو عبد الله بن عمرو بن العاص يُخبر أصحابه لما اجتاز عليهم الحسين ﷺ في مسجد جده ﷺ قائلاً:

- ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟

- بلى.

- هذا الماشي - وأشار إلى الحسين -^(٤).

وهذا أبو هريرة يحتفي بالإمام الحسين، كما جاء عن أبي المهزم، قال: كنا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجيء بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما فلما أقبلنا أعياء الحسين فقعده في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفذ التراب عن قدميه بطرف ثوبه فقال

(١) ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢، ص ٦٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٦٩.

(٣) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٠٦.

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧.

الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا؟ قال أبو هريرة: دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم^(١).

نعم.. لقد رأى الصحابة أن الإمام الحسين عليه السلام هو بقية الله في أرضه والمثل الأعلى لجدّه، فأولته المزيد من حبها وتقديرها، وراحت تتسابق للتشرف بخدمته وزيارته، فسلام الله على الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًّا.

(١) ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر ص ٢١٤.

الإمام الحسين ونهجه في الدعوة والحوار^(١)

قال الله العظيم في كتابه الكريم:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

المحور الأول: سبيل التأثير على الآخرين

من الطبيعي أن يجد الإنسان نفسه في هذه الحياة أمام من يختلف معه في الرأي، ومن تتضارب مصالحه مع مصالحه، فالناس يختلفون في آرائهم وأفكارهم وتوجهاتهم، وكل واحد من الناس يريد أن يحوز على أكبر قدر ممكن من المكاسب في هذه الدنيا، مما يسبب نوعاً من التضارب في المصالح بين الناس. وحينما يكون الإنسان أمام من يخالفه في الرأي فإنه قد يسعى لإقناعه برأيه إما انطلاقاً من حالة دينية باعتبار أن الدين يدفع المؤمن للتبشير به، والنصوص الواردة تؤكد ذلك، كالحديث الشريف: «لأن يهدي الله

(١) أُلقيت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ٣ محرم ١٤٢٨هـ.

على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت»^(١).
 وفي بعض الأحيان يتجسد حب الذات لدى الإنسان في سعيه لنشر آرائه باعتبارها
 نوعاً من الانتصار للذات، وبذلك يتباه السرور والفرح.
 والسؤال المهم: ما هو السبيل للتأثير على الآخرين؟ وكيف أحافظ على مصلحتي
 حينما تتضارب مع مصلحة الآخرين؟
 هناك طريقتان:

الأول: استخدام القوة والفرض.

وهنا يلجأ الإنسان للقوة حتى يفرض رأيه، بالطبع الفرض في المجال الفكري
 ومجال الرأي ليس صحيحاً وغير ممكن، فكما أن لك عقلاً، فإن لغيرك عقلاً، قد يختلف
 معك في التفكير، والله تعالى خلق الناس أحراراً في هذه الدنيا، فلا يصح لأحد أن يسعى
 لفرض رأيه على الآخرين حتى وإن كان معتقداً بأن رأيه حق، إذ كل واحدٍ يعتقد أن رأيه
 حق، وهذا الاعتقاد لا يبرر فرض الآراء على الآخرين فالله سبحانه وهو رب البشر لم
 يفرض على الناس الإيذان به، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
 جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٩٩].

وكذلك الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالة الحق للناس من قبل الله تعالى، لم
 يسمح لهم أن يفرضوا دعواتهم على الآخرين بالقوة وإنما دورهم يكمن في التبليغ: ﴿وَمَا
 عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور: الآية ٥٤]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ
 بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية: الآية ٢٢]. فإذا كان الأنبياء والرسل لا يحق لهم أن يفرضوا رأي
 الحق ورسالة الحق على الناس، فهل يصح لأي واحد أن يقوم بهذا الدور؟

لكن بعض المتجبرين يسعون لفرض الرأي بالقوة، وفي تاريخنا الإسلامي نجد
 كيف أن بعض الحاكمين كانوا يسعون لذلك. وفي الواقع ليس إخلاصاً منهم لتلك

(١) ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٣٢٤.

الآراء، ولكن ذلك ممارسة للتسلط والهيمنة على الناس، فلا يكتفون بالتسلط على أجساد الناس، وإنما يريدون أيضاً التسلط على أفكارهم والتحكم بأرائهم. وهنا نذكر مثلاً واحداً:

المهدي العباسي الذي حكم الأمة الإسلامية ١١ سنة (١٥٨هـ إلى ١٦٩هـ)، إبان حكمه تبنى شعار مواجهة الزنادقة، وهم الذين لديهم آراء تخالف الإسلام، فكيف واجههم؟ بالطبع لم تكن المواجهة بالمنطق ولا بالحوار ولا بالدليل، ولكن بالسيوف. فأي اتهام يصله ضد أحدٍ بأنه زنديق، يأمر بقتله. وبهذه السياسة صار هناك مجال للوشايات ولتصفية الحسابات، ويذكر أن وزيره أبو عبيد الله معاوية بن يسار، وكان أديباً عالماً وهو أول من صنف كتاباً في الخراج، هذا الوزير حصل بينه وبين الربيع الحاجب سوء تفاهم، فأراد الحاجب أن يصفي حسابه معه فوشى إلى المهدي أن وزيرك له ابن اسمه محمد وهو متهم في دينه. فقال المهدي: عليّ به، وقال: يا محمد اقرأ القرآن - فاستعجم عليه القرآن (باعتباره شاباً وفي حضرة الخليفة ارتبك ولم يستطع القراءة)، فالتفت إلى أبيه وقال له: يا معاوية ألم تخبرني أن ابنك جامع للقرآن؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، ولكنه فارقني منذ سنين وفي هذه المدة نسي القرآن.

فقال المهدي: قم فتقرب إلى الله بدمه، فذهب ليقوم فوقع.

فتدخل أحد الحاضرين وهو العباس بن محمد قال: يا أمير المؤمنين إن شئت أن تعفي الشيخ، ففعل، وأمر المهدي بآبته فُضرب عنقه^(١).

هذه الطريقة لا يقبل بها العقل والدين، فما هو السبيل إذن؟

الثاني: التأثير على الآخرين عن طريق الحوار والإقناع.

وهذا هو الطريق الذي يأمر به القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

(١) محمد الخضري بك. الدولة العباسية، ١٩٧٠م (القاهرة: المكتبة التجارية)، ص ٨٩.

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٠﴾.

والحكمة من الإحكام، وهي وضع الشيء في موضعه. فحينما تريد أن تقنع شخصاً فاختر الكلام المناسب والدليل المناسب وبالأسلوب المناسب، والحكمة تعني مخاطبة العقل مع دليل وبرهان.

والموعظة الحسنة: تعني إثارة الوجدان والمشاعر الطيبة، بحيث لا تكون الموعظة خشنة.

وقد يكون لدى الطرف الآخر شبهة فكن مستعداً واستقبل رأيه وتناقش معه، فهذا هو هدي السماء وتوجيهها، بأن تناقش وتتجادل معه بأفضل أسلوب وأحسن خطاب ﴿وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

المحور الثاني: أزمة الحوار في المجتمع الإسلامي

نحن نرى، وخاصة في هذا العصر، أن المجتمعات المتقدمة قطعت شوطاً في النضج في تعاملها الداخلي مع مشاكلها الفكرية، والسياسية، وفي المصالح المختلفة، فهم يختفون ولكن يتناقشون ويتحاورون ويصلون إلى حل وسط، ويتعايشون مع اختلافاتهم المتنوعة وفي مختلف الميادين والأبعاد. لكن، مع الأسف، في مجتمعنا الإسلامي، هذا المجتمع الذي كان يجب أن يكون نموذجاً في علاقاته الداخلية، بنص القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠]، نجد واقعنا لا يعكس تلك الصورة المشرقة التي يريدها لنا القرآن الكريم. ولذا تجد مجتمعاتنا تعيش أزمات متعددة على هذا الصعيد، وهذه الأزمات على نوعين: أزمات متفجرة، وأخرى نار تحت الرماد يُمكن أن تتفجر في أي يوم. لماذا؟

لأننا لا نسلك طريق الحوار، وهذا قد يكون من تأثير العصبية الجاهلية، بعكس الهدى الإسلامي الذي ربى هذه الأمة عبر الهدى القرآني والنبوي، والذي من أبرز معالمه:

التسامح، الاحترام المتبادل، التعاطف، ولكن رواسب العصبية الجاهلية، لم تتلاش. وفي بعض الأحيان تحصل فتن ومشاكل وصراعات دون مبرر وسبب.

فقد نقل عن سبب إحدى المعارك الكبيرة في تاريخ العرب أن رجلاً مدَّ رجله في وسط الطريق وصاح: من كان رجلاً فليبعد رجلي عن هذا الطريق. أحد المارة لم يتحمل هذا الكلام، فأخذ سيفه وقطع رجله. وبسبب هذا الحدث البسيط حصلت بين القبيلتين حربٌ شعواء نتيجة تصرف أحمق.

وفي واقعنا الاجتماعي الأمر شبيه بذلك، ونظِّع أحياناً على حرب بعض المشاكل وعند التدخل لحلها نجد أن أصلها تافه ولا يستحق أن تحصل بسببه مشكلة.

وتجد هذه الحالة سائدة في محيطنا الإسلامي والعربي وعلى مختلف الصُّعد والمستويات سواءً: العائلي أو السياسي أو الاجتماعي أو المذهبي، ولذلك ترى بلدان المسلمين في أفغانستان وفلسطين ولبنان والعراق والصومال ودارفور في السودان مشاكل متعددة وهكذا بقية المناطق. والسؤال لماذا هذه المشاكل المتراكمة في المحيط الإسلامي والعربي؟ بينما نجد انخفاض مستوى المشاكل في المجتمعات الأخرى، أليس عندهم تضارب في المصالح أيضاً؟ بلى، والمصالح هناك أرقى بكثير مما هي عليه في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية. ونجدهم يختلفون وتتضارب مصالحهم، وما يُميزهم امتلاكهم لمنهجية في التعامل مع مشاكلهم. ونحن مع الأسف ليست عندنا هذه المنهجية.

وبلادنا لا تخلو من هذا النوع من المشاكل أيضاً، ففي تاريخ ١٧/١٢/١٤٢٧هـ قرأت في (جريدة اليوم) خبرين عن مناسبتين متباينتين، الخبر الأول: يتحدث عن صراع في إحدى مناطق المملكة بين أشخاص حصل بينهم اختلاف في المقبرة، جاء في الخبر: أن المعزين اشتبكوا مع بعضهم البعض خلال تشييع الجناز بسبب ملاسنة بين عدد منهم وأسفر الشجار عن إصابة البعض بإصابات مختلفة.

وتعود تفاصيل الواقعة إلى مشادة كلامية بين اثنين من المعزين إثر خلاف قديم

بينهما تحول إلى تشابك بالأيدي. ثم تدخل بعض الحضور وتطور التشابك إلى استخدام العصي وتحولت المقبرة إلى حلبة مصارعة، وقد ساهمت الدوريات الأمنية في تهدئة الخلاف، وأسفر التشاجر عن إصابة أربعة أشخاص إصابة أحدهم بالغة.

مع العلم أن الإنسان في المقبرة ينبغي أن يتذكر الموت والحساب فيخشع قلبه، ولكن هذا ما حصل وكما قال الشاعر القديم: الحرب أولها كلام.

والخبر الآخر الذي نشرته الجريدة نفسها وفي اليوم نفسه عن مدينة الخبر، يتحدث عن خلاف حوّل حفلة عرس إلى مأتم بسبب خلاف بين أهل العريس وأهل العروس، وسالت فيه الدماء، وتحول الفرح إلى حزن وانتهى في مركز للشرطة.

ما هذه الحالة المتخلفة؟

وتبرز حالة الخلاف واضحة في المجال المذهبي، ومن آخر الأحداث، مؤتمر الدوحة في التقريب بين المذاهب الإسلامية، ومع أن المؤتمر للتقريب إلّا أننا وجدنا حالة التشنج واضحة في بعض الكلمات التي ألقيت في المؤتمر. بالطبع وجود هذا اللقاء أفضل من عدمه، والمصارحة طريقاً للتعارف وإيضاح الصورة للجميع، وهذا أفضل من أن تبقى الخلافات محبوسة في النفوس فيعيش الجميع حالة التباعد والاحتقان.

وكما ذكرت، فإن الأفراد والجماعات في المجتمعات الناضجة إذا اختلفوا، يلتقون ويتحاورون حتى يصلوا إلى حل وسط ويتفقون على نقاط مشتركة، بينما في المجتمعات التي لا تمتلك هذا النضج فإن الاختلاف بين أفرادها يؤدي إلى القطيعة والتباعد.

وهنا نذكر حادثة حصلت في التاريخ العربي لنبينا محمد ﷺ قبل البعثة، وكان عمره الشريف خمساً وثلاثين سنة، عندما أراد العرب تجديد بناء الكعبة، وحصل بين القبائل خلاف حول أي قبيلة يكون لها شرف وضع الحجر الأسود في مكانه. هذا الخلاف كاد أن يؤدي إلى حرب ضروس لولا أن أحد الحكماء أشار عليهم أن يحتكموا لأول من يدخل عليهم المسجد الحرام، وبالفعل اتفقوا على ذلك فكان أول من دخل عليهم رسول الله،

فلما أن رأوه قالوا: جاء الصادق الأمين، قبلنا به حكماً. فطرحوا عليه المشكلة. فقال: أتوني برداء واسع ووضع الحجر فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة طرفاً من الرداء، حتى إذا اقتربوا من مكان الحجر استلمه رسول الله ﷺ ووضعوه في موضعه.

فالمشاكل لا تستعصي على الحل إذا أتيح للعقل أن يتدخل في الأمر.

واليوم تعيش أمتنا الإسلامية المشكلة المذهبية الطائفية التي يراد تفجيرها في الأمة في هذا الوقت العصيب. ولو كانت المسألة بيد العقلاء لكان الأمر كثيراً، إلا أن الساحة متروكة للمتطرفين وللمتشنجين، إضافة لوجود إرادات مصلحة، سياسية، تريد أن تفجر أوضاع الأمة وتشغل الأمة بهذه المشكلة. وإلا فإن المذاهب ليست جديدة، والاختلاف المذهبي أمر تاريخي منذ أربعة عشر قرناً، وكنت أقول لبعض العلماء السنة كل الإشكالات التي عندكم على المذهب الشيعي قديمة، والإجابات التي لدينا قديمة قالها علماءنا، فإلى متى نبقي في هذه القوقعة العمياء؟

هنا تكمن أهمية الحوار والتقارب. فلماذا التباعد؟ ولماذا الاتهامات؟ ولماذا نترك الفرصة للأعداء ليستفيدوا من هذه الخلافات على حساب مصالحنا وكرامتنا وحرمتنا ومستقبلنا؟

وبالفعل هناك علماء في هذا العصر تحدثوا بصوت العقل والمنطق، منهم الإمام الشيخ علي - أبو الحسن - الخنيزي رحمته الله (١٢٩١ هـ - ١٣٦٣ هـ) الذي ألف كتاب (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية)^(١) فيما يزيد على الألف صفحة.

وكذلك الشيخ محمد صالح بن الشيخ علي بن الشيخ سليمان آل الشيخ مبارك (١٣١٨ هـ - ١٣٩٤ هـ) هذا العالم الكبير سليل الأسرة العلمية الذي حاز على إجازات اجتهاد من بعض كبار علماء عصره، كالشيخ عبدالكريم الزنجاني والإمام الشيخ محمد

(١) علي أبو الحسن الخنيزي. الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ، (بيروت: مطبعة الإقبال).

كاشف الغطاء، وتولى القضاء في منطقتنا عام ١٣٧٦هـ حتى وفاته، يعني ثمانية عشر عاماً، وقد تتلمذ على يديه كبار علماء المنطقة، أمثال الشيخ فرج العمران والشيخ منصور البيات والشيخ منصور السيف والشيخ أحمد السنان والشيخ محمد صالح البريكي.

أقول: هذا العالم الكبير له كتاب اسمه (الدعوة في كلمة التوحيد)^(١) اتبع فيه طريق التقريب بين المسلمين ودعوتهم إلى فهم بعضهم بعضاً قبل أن يكيل أحدهم الاتهامات الجائرة لإخوانه، مؤكداً على أهمية الوحدة في كل حال وزمان ومكان.

فما أحوجنا إلى الأصوات التي تتحدث بصوت العقل والمنطق، حتى نعالج الأمور بالحوار وليس بالتهيج ولا بالتهريج ولا بالتعبئة. وعلينا أن نعي الأمر جيداً فإلى أين ستصل بنا هذه التعبئة والتعبئة المضادة؟

نحن أبناء وطن واحد، وكلنا في قارب واحد وبلادنا محسودة من الأعداء، فلماذا نعطي الفرصة للأعداء؟ والمشكلة الكبرى أن آثار التعبئة تظهر على حياة المواطنين وعلاقاتهم مع بعضهم عندما يلتقي أبناء الوطن في مختلف الأماكن كالدوائر الحكومية، والجامعات والمدارس والأماكن العامة، وهذا خطرٌ كبير يجب علينا أن نُجَبِّ بلادنا منه.

المحور الثالث: قبسات من رؤية الإمام الحسين عليه السلام وسيرته

كثير من الناس يعرفون عن الحسين عليه السلام بأنه مظلوم، ويعرفون عن المآسي والآلام التي تحملها الحسين، وهي عظيمة ومهمّة. ولكننا أيضاً يجب أن نتعرف على مدرسة الإمام الحسين عليه السلام ونهجه على صعيد الدعوة والحوار.

فمن كلماته عليه السلام أنه قال: «لا تتكلمن فيما لا يعينك، فإني أخاف عليك الزور، ولا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى للكلام موضعاً، فرب متكلم قد تكلم بالحق فعيب. ولا

(١) الشيخ محمد صالح آل الشيخ مبارك الخطي الصفواني، الدعوة في كلمة التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، (بيروت: شركة دار المصطفى لأحياء التراث).

تمارين حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقلبك، والسفيه يؤذيك»^(١).
وفي الفقرات التالية بعض القبسات من سيرة الإمام الحسين عليه السلام في إطار الموضوع الذي نتحدث فيه.

أولاً: البلاقة في النقد

حينما ترى إنساناً مخطئاً في رأيه أو تصرفه فإنه ينبغي أن تحاول إرشاده، ولكن بلباقة، والبعض من الناس لا يجيدون هذا الأسلوب فتراهم يستخدمون التوبيخ والردع وهذا خطأ.

فلنتأمل هذا الموقف من حياة الإمام الحسين: مرَّ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران على شيخ يتوضأ وهو لا يحسن الوضوء، طبعاً المسؤولية تقتضي توجيهه وإرشاده، وباعتبار أن الرجل كبير في السن وهما صغيران، فكراً في أسلوب لبق بحيث لا يجرحا مشاعر الرجل وأحاسيسه، فالهدف إرشاده، أقبل أحدهما عليه وقال: «أيها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منا»، فتوضأ ثم قالاً: «أئنا أحسن؟»، قال: كلاهما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما»^(٢).

ثانياً: تجنب الجدل العقيم

روي أن رجلاً قال للإمام الحسين: اجلس حتى نتناظر في الدين. فقال: «يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه؟، مالي وللهمارة! وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس في الدين كيلا يظنوا بك العجز والجهل»^(٣).

(١) حياة الإمام الحسين. ج ١ ص ١٥٨.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٣ ص ٣١٩.

(٣) بحار الأنوار. ج ٢ ص ١٣٥ حديث ٣٢.

وهذا درس بليغ جداً يجب أن نتأمل فيه، إن الإنسان ينبغي أن لا ينساق إلى الجدل العقيم. وأحب أن ألفت النظر إلى أن هذا الكلام الطائفي المذهبي الموجود في الأجواء يريد إشغال الناس بالجدل العقيم، ونصيحتي لنفسي ولجميع إخواني المواطنين بأن يتجنبوا الدخول في هذا الجدل.

في بعض الأحيان ترى في المدرسة، أو الجامعة، أو في أي مكان جدلاً من وحي ما يسمعه الناس من الفضائيات، ويتصور البعض أن واجبه الدفاع، وإذا لم يناقش يُصبح ضعيفاً، ومن هذا المنطلق يندفع الكثير للتجاوب مع هذه المجادلات العقيمة، التي لا يُعلم إلى أين ستنتهي. فلا يتصور البعض أنه باستجابته يخدم المذهب والعقيدة، فهذا التصور خاطئ.

وفي كثير من الأحيان يكون هدف الطرف الآخر من النقاش التعبئة واصطناع المشكلة، وقد شاهدنا وسمعنا الكثير على هذا الصعيد. ولهذا القرآن الكريم يصف المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٧٢]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٦٣].

لوا قرأنا كتب الحديث، كالكافي وبحار الأنوار، نجد روايات كثيرة عن أئمتنا عليهم السلام حول المناظرة والجدل والمرء في الدين، وهي تنهى عن هذه الحالة، الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل»^(١)، «لا تخاصموا الناس لدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب... ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس»^(٢). والواضح أنك لا تستطيع تغيير قناعات الآخرين لأنهم أخذوا معارفهم من مشايخ يعتبرونهم أجلاء ويحترمونهم، وهناك رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تؤكد على ضرورة الابتعاد عن الجدل والمناظرات العقيمة فتصف الشيعة بوصفٍ

(١) بحار الأنوار. ج ٢ ص ١٢٨ حديث ٦.

(٢) المصدر نفسه. ج ٢ ص ١٣٣ حديث ٢٤.

عجيب، يقول الإمام: «إنما شيعتنا الخرس»^(١)، تعبيراً عن ابتعادهم عن هذه الحالة العقيمة.

حتى إن بعض تلامذة الإمام الصادق عليه السلام قال للإمام: بلغني أنك كرهت مناظرة الناس؟ قال: «أما كلام مثلك فلا يكره، من إذا طار يحسن أن يقع، وإن وقع يحسن أن يطير، فمن هكذا لا نكرهه»^(٢)، وقال عبدالأعلى: قلت لأبي جعفر: إن الناس يعيرون عليّ بالكلام، وأنا أكلّم الناس. فقال: «أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لا يطير فلا»^(٣).

من هنا نؤكد على أن أي شخص لديه المقدرة على معالجة الموقف بالطريقة السليمة يصح له أن يناقش، أما إذا كان عاجزاً عن ذلك كأن تكون معارفه محدودة، أو لا يقدر على ضبط أعصابه فإن الجدل ليس من مصلحته، وإن المذهب لا ينتصر بالجدل، إنما ينتصر بالعمل الصالح.

ثالثاً: إثارة الوجدان والضمير والقيم الهادية

في طريق الإمام الحسين إلى العراق مرّ بمنطقة تسمى (زرود) ووجد هناك خيمة زهير بن القين، وكان عثمانى الهوى، أي ممن يؤيدون الطلب بئثر عثمان، وبالتالي موقفه متأثر بالموقف الأموي. تُشير الروايات إلى أن زهيراً كان حريصاً على مخالفة الحسين عليه السلام في الطريق حتى لا يتورط في لقائه ولذا لم يتفق أن وقف ركب الحسين عليه السلام وركب زهير في مكانٍ واحد طيلة طريق الحسين عليه السلام إلى العراق إلا في هذه المنطقة (زرود) إذ لم يكن لزهير خياراً آخر.

فبعث إليه الإمام عليه السلام رسولاً يدعوّه إليه، قال الراوي: فبينما نحن جلوس نتغذى إذ

(١) بحار الأنوار. ج ٢ ص ١٣٥ حديث ٣٣.

(٢) المصدر نفسه. ج ٢ ص ١٣٦ حديث ٣٩.

(٣) المصدر نفسه. ج ٢ ص ١٣٦ حديث ٣٨.

أقبل رسول الحسين فسلم، وقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير. فقالت له زوجته: أبيعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه! فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه ومتاعه فحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق! الحقني بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خيراً، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد.

وفي رواية: من أحب منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليتقدم. إني سأحدثكم حديثاً، غزونا (بلنجر) ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد - وفي رواية: سيد شباب أهل محمد - فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فأستودعكم الله، فقالت له زوجته: خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين^(١).

وفي موقف آخر مع أشد الأعداء للحسين ﷺ الذي قاد الجيش ضده وهو عمر بن سعد، مع ذلك تجدد الإمام الحسين ﷺ وفي اليوم التاسع من المحرم يطلب من ابن سعد اللقاء، فيتمنع، وفي الأخير وافق، تقول الرواية: قال له الحسين: ويحك يا بن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك أراك تقاتلني وتريد قتلي، وأنا ابن من قد علمت دع هؤلاء القوم، واركهم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.

فقال له: يا حسين إني أخاف أن تهدم داري بالكوفة، وتنهب أموالي. فقال له الحسين: أنا أبني لك خيراً من دارك.

(١) حياة الإمام الحسين. ج ٣ ص ٦٧.

فقال: أحشى أن تؤخذ ضياعي بالسواد.

فقال له الحسين: أنا أعطيك من مالي البغيغة وهي عين عظيمة بأرض الحجاز، وكان معاوية، أعطاني في ثمنها ألف ألف دينار من الذهب فلم أبعه إياها، فلم يقبل عمر بن سعد شيئاً من ذلك.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو غضبان وهو يقول: ذبحك الله يا بن سعد على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً.

فقال له عمر بن سعد مستهزئاً: يا حسين إن في الشعر عوضاً عن البر^(١). هذا هو نهج الإمام وسيرته، فحريٌّ بالأمة أن تستقي من هذا النهج النبوي ما ينير لها طريق التقدم والازدهار. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

(١) حياة الإمام الحسين. ج ٣ ص ١٣٣.

الإمام الحسين وحركته السلمية^(١)

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٨] صدق الله العلي العظيم.

المحور الأول: ثقافة السلم وثقافة العنف

الإنسان باعتباره مدنيًا يعيش ضمن المجتمع، فإن الأجواء التي يتربى فيها، والثقافة التي يعيش ضمنها توجه نفسه وتؤثر على سلوكه. فإذا نشأ في مجتمع تسوده الرحمة والمحبة والتكافل فإن ذلك يهيئه نفسيًا لكي يسلك طريق السلم والمحبة والتعامل الصحيح في حياته. أما إذا نشأ في أجواء قاسية جافة، أو كانت الثقافة السائدة في مجتمعه ثقافة تشجع على العنف، فإن هذا المجتمع ينتج أشخاصاً متمردين وعنفيين.

ولهذا نجد أن الإسلام يحرص على أن يوفر أجواء اجتماعية محاطة بالرحمة والمحبة، فيشجع الوالدين على أن يغمرا الطفل بالعطف والحنان، وقد ورد في الأحاديث أن تقبيل

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطف بتاريخ ٤ محرم ١٤٢٨هـ.

الأب لولده له فيه أجر، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «من قتل ولده كتب الله له حسنة»^(١)، وعنه ﷺ أنه قال: «أكثرُوا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة»^(٢).

وفي رواية أن أحدهم رأى رسول الله ﷺ وقد أجلس الحسين على فخذه وكان يقبل هذا تارة ويقبل هذا أخرى، فقال: يا رسول الله إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله: «ما عليّ منك أن نزع الله الرحمة منك»^(٣)، وفي الوسائل^(٤) قال: «من لا يرحم لا يرحم».

فينبغي أن يعيش الولد في ظل المحبة والحنان منذ صغره.

المجتمع والسلم

والإسلام يأمر كل أبناء المجتمع أن يعطفوا على الصغير، وهذه من آداب الإسلام ومن توجهاته السامية، كما قال رسول الله: «وقروا كباركم وارحموا صغاركم»^(٥). إنه يُريد للإنسان أن يعيش في مجتمع تسوده الرحمة وليس فقط ضمن العائلة، وبذلك تنعكس هذه التربية على سلوكه فتراه يحترم هذا ويُقدّر ذلك، ويصل أرحامه، ولا يُؤذي جيرانه. وفي الإسلام تعاليم خاصة باليتيم لأنه فقد أحد الوالدين باعتبارهما الجهة التي تغمره بالعطف والرحمة بشكل أساس، لذا يأمر الإسلام بأن تكون لليتم معاملة خاصة، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [سورة الضحى: الآية ٩]، لكي يتربى هذا اليتيم في الأجواء التي يُشجّع عليها الإسلام، وهي أجواء الرحمة والسلام.

أما إذا تربى الإنسان في أجواء قاسية جافة، لا أحد يعتني به، أو يعطف عليه، فهذا

(١) وسائل الشيعة. ج ٢١ ص ٤٨٥ حديث ٢٧٦٥٥.

(٢) مكارم الأخلاق. ص ٢٢٠.

(٣) مكارم الأخلاق. ص ٢٢٠.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٢١ ص ٤٨٥ حديث ٢٧٦٥٧.

(٥) بحار الأنوار. ج ٩٣ ص ٣٥٧.

الإنسان لا يُمكن أن تتوقَّع منه إلا ذات الطريقة التي عاشها في صغره، فقد يكون عنده حس انتقام من المجتمع ومن المحيط حوله، يتعامل بنفس الجفاف والقسوة. ولهذا تجد الإسلام يحذر من وجود حالات الفقر والحاجة والظلم في المجتمع لما تنتجها هذه الحالات من ردات فعل سلبية تجاه المجتمع، ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١). كما أن لأبي ذر الغفاري كلمة جميلة يقول فيها: إذا ذهب الفقر إلى بلدٍ قال له الكفر خذني معك^(٢).

تحية الإسلام

ولأن الإسلام يحرص على أن يعيش الإنسان في ظل ثقافة السلم والسلام، وهذا أمرٌ واضحٌ جدًّا، لذا شرَّع بدأ من تراه بقول: (السلام عليكم ورحمة الله) جاعلاً من هذه التحية أجلى الصور لذلك، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم»^(٣)، وورد عنه: «أبخل الناس من بخل بالسلام»^(٤). وجاء عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال: «إنَّ الله عز وجل يحب إفشاء السلام»^(٥)، وتعاليم الإسلام تشجِّع على البدء بالسلام، حيث جعلته مستحبًّا، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السلام تطوع والرد فريضة»^(٦)، وبالسلام يُرسل الإنسان رسالة اطمئنان لمن يلتقيه وكأنه يقول له: لن تنال مني إلا خيراً.

بين الأنايية وحب الغير

وهكذا يوفر الإسلام هذه الثقافة للإنسان بحيث يكون مهياً للسلم والتعاون مع

(١) الكافي. ج ٢ ص ٣٠٧.

(٢) الشيخ محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان ص ٣٦٤.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٠ ص ١١٨ حديث ١٢.

(٤) مستدرک الوسائل. ج ٨ ص ٣٥٨ حديث ١.

(٥) جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٠ ص ١١٦ حديث ١.

(٦) وسائل الشيعة. ج ١٢ ص ٥٨.

الآخرين في حياته، فتدفعه هذه الثقافة للتفكير في الآخرين لا أن يركز على نفسه، وفي المقابل فإن الثقافة التي تنتج العنف هي ثقافة تجعل الإنسان أنانياً متمحوراً حول ذاته ورغباته ومصالحه، ولا يهتم أمر الآخرين، هذه الثقافة تهيئ أرضية العنف لدى الإنسان، لأنه لا يبالي بالآخرين ويهتم بنفسه فقط. وقد تكون مصالحه تقتضي منه أن يعتدي على الآخرين.

وهنا مسألة مهمة: ثقافة الإسلام والتربية الإسلامية تُربي الإنسان على أن لا يهتم بنفسه فقط، إذ عليه أن يهتم بالآخرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: الآية ٩]، أي الإحسان إلى الآخرين. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله عز وجل فأحبهم إليه أنفعهم لعياله»^(١).

وهذه الثقافة توجه الإنسان إلى أن أهم لذة تحققها ليست تحقيق رغباتك الشخصية المادية، بل هي تلك اللذة المعنوية التي تكمن في خدمتك الآخرين.

وقد سئل أحد العلماء الصالحين: إذا لم يبق من عمرك إلا ساعة واحدة ففيم كنت تصرفها؟

قال: أجلس على باب داري أنتظر صاحب حاجة فأقضي له حاجته. وهذه هي تعاليم الإسلام.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توجه الإنسان للاهتمام بحاجات الآخرين، بل يحض القرآن على الإيثار ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر الآية ٩]، ويروي لنا من سيرة أهل البيت أروع الأمثلة في ذلك، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [سورة الإنسان الآيتان ٨-٩]، هذه الآية تحكي القصة المعروفة^(٢) عن أهل البيت ﷺ،

(١) الشريف الرضي. المجازات النبوية: ص ٢٤١.

(٢) لتفاصيل القصة يراجع تفسير مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٠٩، وبحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٤٥، بالإضافة إلى كتب أسباب النزول.

عائلة كاملة صائمون: علي وفاطمة والحسنان ﷺ وخدامتهم، وعند الإفطار يقدمون كل الطعام لمسكين ويبيتون جوعاً، وفي اليوم الثاني يأتيهم يتيم، وفي اليوم الثالث يأتيهم أسير، وفي الثلاثة أيام يقدمون طعامهم إلى آخرين إثارةً منهم، ولذا خلّد القرآن هذه الحادثة العظيمة.

وفي التاريخ الإسلامي أحداث كثيرة تجسّد هذه الثقافة، ففي إحدى المعارك الإسلامية، قال أحدهم: أتيت أنفق الجرحى وكان عندي ماء، فأتيت ابن عمي وقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه!
فأشار إليّ أن انطلق إليه، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه!
آه!

فأشار أن انطلق إليه فجئتُهُ فإذا هو قد مات. فرجعت إلى الثاني فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات^(١). وهكذا نجد عمق الإيثار لدى أصحاب رسول الله.

وهذه الثقافة تجعل الإنسان يتوقف أمام الاعتداء على الآخرين، سواءً على دمائهم أو على أرواحهم أو على أموالهم. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه»^(٢).

من جانب آخر فإن ثقافة القرآن تعتبر الاعتداء على شخص واحد اعتداءً على البشرية كلها: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة آية ٣٢]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لزوال الدنيا جميعاً أهون عند الله من دم يسفك بغير حق»^(٣).

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تفسير القرطبي ج ١٨، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٢٨.

(٢) الشيخ الصدوق. صفات الشيعة، ص ٣١.

(٣) تهذيب الكمال: ج ٩ ص ٢٣٧، وكنز العمال ح ٣٩٩٤٧.

فهذه الثقافة تربي على رعاية حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٧]، وورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»^(١).

وفي الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله بعد إكمال أعمال منى وقف بالمسلمين وقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، ثم قال: «يا أيها الناس لأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «أيها الناس أي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فإن الله عز وجل حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه»^(٢).

فهذه هي الثقافة التي تربي الإنسان حتى يمتنع عن العدوان على الآخرين في المقابل هناك ثقافة تركز على ذاتية الإنسان.

ثقافة العصر المادية

ومن المؤسف أن البشرية اليوم تعيش في ظل ثقافة تنتج العنف وتربي على العنف، هذه الثقافة المادية التي تركز على محورية الذات وتحرّض شهوات الإنسان وغرائزه، وتوفر عبر الإعلام مختلف الوسائل التي تدعم هذا التوجه.

وهذه الثقافة التي تمجد القوة وتمجد الغلبة، وتغرس في الناس هذا التوجه، حتى الأطفال، من خلال أفلام الكرتون التي في غالبها ثقافة عنف.

إضافةً إلى أن مناظر العنف والدماء والقتل ما عادت مستنكرة كما في الماضي، فيوميًا وفي نشرات الأخبار يرى الإنسان الأشلاء والجثث والقتلى والدمار، هذه المناظر التي كان الإنسان في الماضي ينهار بمجرد أن يسمع عنها لا أن يراها، أصبحت اليوم أمراً

(١) كنز العمال: حديث ٣٩٩٣٥.

(٢) الشيخ الصدوق. الخصال ص ٤٨٧.

مألوفاً وطبيعياً عند الصغار والكبار. هذه المظاهر تنتج العنف وتروج له في المجتمعات. ولذلك تعاني مختلف المجتمعات من العنف والجريمة، ففي أمريكا في كل ثانيتين ونصف تقع جريمة، ويوجد في أمريكا أكثر من ٥ آلاف عصابة إجرامية منظمة، وفي إحصائية أجريت على مجموعة كبيرة من الأمريكيين، وقد سئلوا: ما أبرز المشاكل التي تواجهونها؟ فكان ما نسبته ٢١٪ أجابوا: جرائم العنف. و ٤٠٪ من الأمريكيين يضطرون إلى تغيير نمط حياتهم خوفاً من الجرائم والمجرمين.

ومجتمعنا باعتباره جزءاً من هذا العالم وتصله هذه الثقافة وأنهاط السلوك المختلفة، لذلك أصبحنا نعيش مثل هذه المشكلة في مجتمعاتنا.

المحور الثاني: العنف وتهديد الأمن الاجتماعي

حينما تصبح حالات العنف طبيعية أمام الناس، وحينما تمجد أصحاب القوة بدلاً من الوقوف مع المظلوم، هنا يُهدد أمن المجتمع. في حين أن ثقافة الإسلام تأمر المجتمع بالتعاطف مع المظلوم وإدانة الظالم. والقرآن الكريم يُخلد إدانة لظلم وقع قبل آلاف السنين، لا اعتداء وقع على مجموعة مؤمنة بغير حق، يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [سورة البروج: الآيات ١-٤]. هكذا يُبرز القرآن هذه الحادثة وبهذا التهويل.

التعاطف مع المظلومين

ونحن إذ نذكر المآسي والمظالم والمصائب التي وقعت على أهل البيت إنما من أجل ترسيخ هذه القاعدة، وهي: التعاطف مع المظلومين.

وفي المقابل هناك ثقافة تمجد الظالمين، ولا تستنكر لما يقومون به من ظلم، وعند

موت الظالم تكفيه الشهاداتان!

وفي كتب الرجال نجد ذلك واضحاً، ففي كتاب التهذيب، مثلاً، هناك روايات

عن عمر بن سعد، وفي الترجمة يقال عنه: عمر بن سعد تابعي ثقة قتل الحسين^(١). وكان جريمة قتل الإمام الحسين لا تعني شيئاً.

أمن مجتمعنا... إلى أين؟

الأمن الاجتماعي موضوعٌ مهم جداً، فالإنسان يتطلع للعيش في مجتمع يأمن فيه على نفسه، وماله وعرضه، وهذا أهم معلم لسعادة الإنسان. ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «النعيم في الدنيا الأمان، وصحة الجسم، وتمام النعمة في الآخرة دخول الجنة»^(٢).

في الماضي كان الأمان في مجتمعنا متوفراً، فالناس يأمنون على أنفسهم وبيوتهم وعيالهم وأموالهم، نعم، لم يكن مجتمعنا ملائكياً، فقد تحدث جرائم وسرقات واعتداءات، وهذه طبيعة المجتمعات. ولكن هناك فرق بين أن تكون هذه الحالات فردية محدودة وبين أن تكثر وتقترب أن تكون ظاهرة.

ويستغرب الإنسان مما يسمعه بين آونة وأخرى من حالات الاعتداء على النفوس والأعراض والأموال، حتى لا نكاد نصدق أن ما يحصل بالفعل هو في مجتمعنا الذي كنا نفتخر به، ونتباهى به أمام الآخرين. والحوادث في هذا الإطار كثيرة ومنها الاعتداء على النساء بسرقة حقائبهن وإيذائهن، وكذلك الاعتداء على الأطفال بالاختطاف، وما شابه ذلك، وأيضاً الاعتداء على العمالة الوافدة التي كانت إلى وقت قريب تشعر بالاطمئنان لكونها تعمل في هذه المنطقة، وبعض هذه الجرائم تنقلها وسائل الإعلام والصحف المحلية، مما يؤكد أننا نعيش في وضع خطير ومرعب، ويجب أن نعلن جميعاً حالة الطوارئ، ونعيد النظر في حياتنا وثقافتنا وبرامجنا وتعليمنا، وكذلك أداء

(١) لقد استنكر بعض رجال الحديث توثيق عمر بن سعد، منهم ابن معين حيث قال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٩٦.

(٢) الشيخ الصدوق. معاني الأخبار ص ٤٠٨.

الأجهزة الأمنية والقضائية، فهذه الظاهرة بدأت تنمو، وقد سألت أحد المسؤولين في الجهات الرسمية، هل ما ينشر في الجرائد أمر مضخم؟ أجابني: بل إن ما يُنقل جزءٌ مما يحدث في المجتمع!

وتُشير التقارير الدولية أن أفضل بلد في العالم نجحت في تخفيض نسبة الجريمة هي اليابان، فما هو السبب؟

تقول الدراسات يكمن السبب في كثرة المؤسسات الشبابية في اليابان حيث يوجد (٥٤٠) ألف مؤسسة تهتم بالشباب، واحدة من تلك المؤسسات اسمها «وحدة الإرشاد والتوجيه للشباب»، فيها (١٢٦) ألف متطوع من الشباب، وهناك مؤسسة المرأة للتأهيل، تخصص النساء فقط، وفيها (٣٦٠) ألف امرأة متطوعة.

فوجود المؤسسات التي تعنى بالشباب وتستقطبهم أمرٌ ضروري، ويُساعد على تخفيف حدة الجرائم في المجتمع. وعلينا أن نغتنم فرصة تواجد الشباب في المجالس الحسينية لتوجيه الشباب وتشجيع المجتمع لمثل هذه المؤسسات. كما أن علينا أن لا نُسرّ كثيراً بما يحدث في عاشوراء من تفاعل، إذ إن هذا التفاعل يُحملنا مسؤولية كبيرة، وهي أن لا نغفل عما يجري في المجتمع، فالكُلُّ مسؤول، والأجهزة الأمنية مطالبة ببذل المزيد من الجهد، صحيح أنها انشغلت بمواجهة الإرهاب، ولكن المواطنين يتوقعون دوراً أكبر في حماية الأمن الاجتماعي. والجهات القضائية كذلك عليها أن تكون أكثر صرامة في إصدار الأحكام، لأن العابثين إذا شعروا بوجود تساهل فإن ذلك يدفعهم لممارسة الجرائم وعدم الاكتراث بالعقوبة.

فينبغي أن يكون الردع بالمستوى المطلوب الذي يستحقه المجرم، لا أن تكون شفقة بالمجرمين، ونسمح للوساطات، فنحن في مرحلة نحتاج فيها للصرامة.

المحور الثالث: التزام الإمام الحسين بالسلم في نهضته الحسينية

لماذا تحرك الإمام الحسين؟ هل في نهضته مخالفة لمنهج السلم؟
 في الواقع الإمام الحسين عليه السلام إنما تحرك حفاظاً على سلم الأمة، وقد رأى أن سلطة بني أمية لا تُقدّم للناس أمناً، بل إنها تعتدي عليهم، وقد قال فيهم أمير المؤمنين علي أبي طالب: «والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلوه. وحتى لا يبقى بيت مدر، ولا وبر، إلا دخله ظلمهم ونبأ به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان بيكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لديناه»^(١).

بين الخلافة والملك

هذه الأمة التي كانت تعيش في ظل الخلافة الراشدة، التي انتهت باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفجأة يُصبح يزيد أميراً للمؤمنين!
 الإمام الحسين عليه السلام التزم بوثيقة الصلح التي عقدها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، رغم نكث الطرف الآخر للوثيقة، ورغم كل التلاعب الذي حصل في بيت مال المسلمين، وقد أعلن ذلك معاوية حينما خاطب المسلمين بقوله: ما قاتلتكم لكي تصوموا ولا لتصلوا ولا لتزكوا ولا لتحجوا، وأعلم أنكم تفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، ولقد مكنتني الله من رقابكم وأنتم كارهون.

وأشير هنا إلى كتاب جميل لمفكر إسلامي وداعية معروف وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي وهو من كبار علماء المسلمين في هذا العصر، حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٩٩٧ م. هذا العالم لديه كتاب مهم جداً اسمه (الخلافة والملك)^(٢)، يتحدث فيه عن الخلافة التي انتهت بمقتل الإمام علي عليه السلام ويقارنها بالملك العضوض الذي بدأه بنو أمية. ويُشير أبو الأعلى في كتابه إلى أن الدولة إنما تأسست بسبب الأرضية

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده، خطبة رقم ٩٨.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ، (الكويت: دار القلم).

التي هيأتها البطانة التي أحاطت بالخليفة عثمان.

وقد انزعج البعض من هذا الكتاب بسبب تعرضه للصحابة، وقام الشيخ المودودي برد مفصل ألحقه في الطبعة الثانية وهي المتداولة، أشار فيه إلى أن احترام الصحابة، لا يمنع أن نأخذ الدروس من حياتهم، أو أن نسكت على الأخطاء، فبسكوتنا نُصبح شرعاً يسير عليه الناس.

وأيضاً هناك كتاب للشيخ محمد قطب وهو عالم معروف من مصر أقام في المملكة وشارك في إعداد المناهج الدينية، عنوان كتابه: (كيف نكتب التاريخ الإسلامي) ^(١)، يقول: مما لا شك فيه أن التاريخ السياسي للمسلمين هو أسوأ ما في تاريخهم كله، ومما لا شك فيه أنه قد وقعت انحرافات كبيرة في المجال السياسي عن الخط الإسلامي الأصيل، وأن هذه الانحرافات قد وقعت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام لم يكن ينبغي أن تقع فيه.

والعجيب في أمر يزيد أنه كان يُمارس انحرافه باسم الإسلام، ويقول ابن كثير في (البداية والنهاية) ^(٢) عن يزيد بن معاوية: فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في غالب الأوقات.

ويروي - ابن كثير - أيضاً: أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقروود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات

(١) محمد قطب. كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ١٤١٢هـ، دار الوطن - الرياض.

(٢) البداية والنهاية. ج ٨ ص ٢٣٩.

القرد حزن عليه^(١).

هذا هو أمير المؤمنين!

الهدف الأسمى لنهضة الحسين

ونحن إذ نتحدث عن هذا الأمر إنما لنبين السبب الحقيقي وراء نهضة الإمام

الحسين.

وأعظم مما سبق، عندما أراد معاوية أن يجعل يزيد ولياً للعهد، خاطبه قائلاً^(٢): يا بني ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، ثم أنشده:

انصب نهارك في طلاب العلا واصبر على هجر الحبيب القريب
فباشر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأريب
غطى عليه الليل أستاره فبات في أمن وعيش خصيب
حتى إذا الليل أتى بالدجا واكتحلت بالغمض عين الرقيب
كم فاسق تحسبه ناسكاً قد باشر الليل بأمر عجيب
ولذة الأحمق مكشوفة يسعى بها كل عدو مريب

وحتى إن زياد بن أبيه عندما شاوره معاوية في أمر يزيد أشار عليه أن يتمهل عسى أن يتغير سلوك يزيد فيكون بالإمكان تسويقه، تقول الرواية التاريخية التي يرويها اليعقوبي في تاريخه^(٣) أن ابن زياد قال لمعاوية: ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروود، ويلبس المصبغات، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، ويحضرهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره، ويتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسينا أن نموه على الناس.

(١) البداية والنهاية. ج ٨ ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه. ج ٨ ص ٢٣٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي. ج ٢ ص ٢٢٠.

هذا هو يزيد ملاعب القردة، وشارب الخمر، والمعلن للفسق، وقاتل النفس المحرّمة، وفي الأخير يُصبح أميراً للمؤمنين، ولقد أجاد شاعر أهل البيت السيد جعفر الحلي حيث يصف الحالة بقوله:

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره ومن خساسة طبع يعصر الودكا
لذلك أعلن الإمام الحسين موقفه من أول يوم في دار الوليد حين طلب منه الوليد بن مروان أن يبايع، عندها قال: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»^(١).

وبالفعل أصّر الإمام عليه السلام على موقفه، ولكن يزيد لم يستغ ذلك، فأمر بفرقة أن تمضي إلى مكة وأن تقتل الإمام الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بالكعبة.

الحسين والنهضة السلمية

وعندما علم الإمام الحسين عليه السلام بالأمر تحرّك لتوعية الأمة لكي تتحمّل مسؤوليتها، ثمّ إنه أعلن حركته السلمية للتغيير دون أن يستخدم سلاحاً، وقال كلمته المشهورة التي تبين سبب خروجه: «أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي»^(٢).

وفي أكثر من مورد يعلن الإمام الحسين عليه السلام أن حركته سلمية وليست للحرب، ومن ذلك موقفه مع الحر بن يزيد الرياحي الذي قدم بألف فارس قد أنهكهم العطش^(٣)،

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص ١٧.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين ص ٣٥٤.

(٣) حياة الإمام الحسين ج ٣ ص ٧٤.

وقفوا أمام الإمام عليه السلام في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحر، ورآهم الإمام عليه السلام وقد أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ، وكانت فرصة سانحة للإمام عليه السلام أن يقاتلهم ويستولي على عتادهم، لكنه رفق لحالهم، وغضَّ النظر عنهم، وهو يعلم أنهم جاؤوا لقتاله وسفك دمه، وقد أشار عليه بعض أصحابه بذلك، إلا أن نهج الإمام ليس كذلك، وذلك لأن شعاره: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»^(١)، ثم أمر أصحابه أن يسقوهم وأن يرشفوا الخيل. من هنا يؤكد الإمام الحسين عليه السلام للأمة أنه لا ينبغي استخدام العنف والسلاح حتى في التغيير السياسي لأن ذلك ليس في مصلحة المجتمع. وقد تحدث علماءنا وفقهاؤنا عن هذا الجانب، ومن أبرزهم، المرجع الراحل الإمام السيد محمد الشيرازي عليه السلام، وكتب في هذا المجال كتب عدة حول (اللاعنف في الإسلام)^(٢) وحول (السلم والسلام)^(٣)، وأكد فيها أنه لا مجال لفرض الرأي والتسلط على الناس بالسلاح والقوة، وأن هذه الممارسات ليست من الإسلام في شيء.

ومع الأسف في عصرنا هذا شوّهت سمعة الإسلام والمسلمين بسبب تلك التصرفات الإرهابية التي لا تُريد للإسلام ولا للمسلمين خيراً، وبسببها فقدت الأمة أمنها واستقرارها، ولم يبق بلدٌ من بلاد المسلمين إلا وتضرر منها. نسأل الله تعالى أن يقي الأمة شر الفتن، إنه على كل شيء قدير.

(١) بحار الأنوار. ج ٤٥ ص ٥.

(٢) السيد محمد الشيرازي. اللاعنف في الإسلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، (بيروت: دار العلوم).

(٣) السيد محمد الشيرازي. السلم والسلام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، (بيروت: دار العلوم).

التنافس الإيجابي وتقدم المجتمع^(١)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الملك: الآية ٢].

المحور الأول: طموح التفوق

الإنسان من حبه لذاته يرغب أن يجوز أكبر قدر ممكن من المكاسب والمصالح، وفي بعض الأحيان قد لا يلتفت الإنسان إلى مكسب معين، فإذا ما رأى أن غيره قد أحرز هذا المكسب يحصل لديه تحفز نحو ذلك المكسب، وبالتالي فإن أي تقدم يحرزه إنسان في المجتمع قد يحفز الآخرين حتى يصلوا إلى مستواه، لوجود طموح التفوق.

وكحالة طبيعية في الإنسان السوي أنه يسعى جاهداً ليكون هو المتقدم على

الآخرين، وفي مختلف الميادين، بعكس الإنسان الخامل، فما الفرق بين الشخصيتين؟

الإنسان السوي من الطبيعي أن يكون لديه طموح، والذي لا يملك طموحاً

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطف بتاريخ ٥ محرم ١٤٢٨ هـ.

للتفوق هو الإنسان الخامل.

الإنسان السوي يتمنى الخير لنفسه ويتمنى المصلحة الأكثر لذاته ويرغب فيها ويفتش عن الطرق التي يتقدم من خلالها كما تقدم الآخرون. لكن الإنسان الخامل عادة ما يكون فاقداً للثقة بنفسه، فيبحث عن المبررات، يُبرر بها تقاعسه.

المحور الأساس للتفوق

هناك عوامل مساعدة للتفوق والتقدم، ولكن المحور الأساس للتفوق هو إرادة الإنسان. فالإنسان الذي لديه إرادة يتجاوز الصعوبات والعوائق. وهنا نذكر هذه الحالة التي تكشف قيمة الإرادة: منذ ما يقرب من سنة كانت هناك إحدى الطالبات المتفوقات (مي الملحم)^(١) التي حازت جائزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي (وهي جائزة تهدف لتحفيز الطلاب والطالبات للتفوق والتقدم في دراستهم) أربع مرات متتالية، في المرحلة الابتدائية (١٤١٢هـ) والمتوسطة (١٤١٨هـ) والثانوية (١٤٢١هـ) والمرحلة الجامعية (١٤٢٦هـ)، رغم أنها كانت مبتلاة بمرض مزعج وهو المرض المعروف بـ (أنيميا البحر الأبيض المتوسط) وهو مرض يصيب الدم ويجرم الإنسان من كريات الدم الحمراء التي تحمل الأوكسجين إلى القلب. وقد اكتشف والداها مرضها بعد ولادتها بثلاثة أشهر وأصبحت بذلك تحتاج إلى نقل دم شهرياً.

وتبديل الدم ليس بالأمر اليسير فهو مرض صعب، ولكنها مع ذلك ومع هذا المرض تفوقت في كل المراحل، وقد نشرت عنها الصحف في حينها. هكذا إذا كانت لدى الإنسان إرادة للتقدم والتفوق يستطيع أن يتخطى الظروف التي يعيشها.

(١) جريدة اليوم، عدد ١٢٠٢٢ الاثنين ١٧/٤/١٤٢٧هـ.

قصة من التراث

يقول الأصمعي: كنت أطوف بالبيت فوجدت شخصاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يدعو بإلحاح ويكي: اللهم إني أسألك ميتة أبي خارجة، ويكرر هذا الدعاء بكاء.

يقول: تساءلت في نفسي ما هي ميتة أبي خارجة!! فهل هو حقق فتحاً كبيراً واستشهد، أو قام بإنجاز علمي ضخم ومات،.... يقول: بعد أن أكملت طوافي، جئت عند ذلك الرجل وتركته يهدأ قليلاً من بكائه وتضرعه وتهجده، ووجهت السؤال إليه: كيف كانت موتة أبي خارجه؟!

قال: ألا تعلم؟ قلت: لا!

قال: إن أبا خارجة أكل حتى امتلأ، وشرب حتى ارتوى، ونام في الشمس. فمات شبعان، ريان، دفان.

بعض الناس ليس لديهم طموح فتراه يراوح مكانه فيقبل بأقل مستوى دراسي، وأقل مستوى وظيفي، وهذه طبيعة الإنسان الخامل، ينال الإنسان السوي يتطلع لأعلى مستويات الطموح في مختلف المجالات، يقول الشاعر:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وردت عندنا روايات ونصوص كثيرة تشجع الإنسان على علو الهمة، يقول الإمام علي: «خير الهمم أعلاها»، ويقول: «من رقى درجات الهمم عظمت الأمم»، وقال: «من شرفت همته عظمت قيمته»^(١).

ونقرأ في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام إذ يقول: «اللهم صل على محمد وآل محمد وبلغ بإيماني أكمل الإياني، واجعل يقيني أفضل اليقين،

(١) ميزان الحكمة: مادة (همة).

وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال»^(١).

المحور الثاني: مشروعية التنافس

إذا فكر كل إنسان سوي في أن يكون متفوقاً ومتقدماً، فإن ذلك سيؤدي إلى حصول تنافس في المجتمع، وهذه ميزة المجتمعات المتقدمة. بعكس المجتمعات الراكدة، فالناس فيها يميلون إلى السكون وإلى المحافظة على الأمور، فإذا كان هناك رأي سائد، أو فكرة سائدة، أو زعامة متمكنة فإنهم ينزعجون من ظهور رأي آخر أو فكرة أخرى أو بروز زعامة جديدة.

والسبب في ذلك أن بروز أفكار جديدة، أو ظهور قوة جديدة في المجتمع تخلق حالة من التنافس، وهذه الحالة غير مقبولة في المجتمعات الراكدة؛ لأنهم في الغالب يحملون شعار الحفاظ على الوحدة ضمن مجتمع واحد وضمن حالة واحدة، معتقدين أن تعدد الآراء والأفكار والزعامات تُسبب تمزق المجتمع.

وفي الواقع فإن أي تقدم بالفعل يسبب مشكلات، وتحوطه عوائق، ولكن الركود بحد ذاته مشكلة أكبر، ويُحدث تخلفاً عظيماً في المجتمع.

التنافس: حالة فطرية طبيعية يدعمها العقل، والمتنافس إنسان لديه طاقة وكفاءة، وهذا المتنافس إذا كان في مجتمع متقدم تنمو طاقاته وقدراته، أما إذا كان في مجتمع راكِد متخلف فإن طاقاته تحبو وتوآد. وهذا الكلام يجري على الأفراد والجماعات.

وهنا كلمة رائعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «الناس بخير ما تفاوتوا فإذا تساوا هلكوا»^(٢).

فالتفاوت هو الذي يذكي روح التنافس والتقدم.

والتنافس في مصلحة المجتمع، فبه يفجر كل إنسان طاقته وقدراته، وكل جهة من

(١) الصحيفة السجادية: ص ١٤٥.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، ص ٥٣١.

جهات المجتمع تسعى للتقدم وهذا من مصلحة المجتمع.

ونحن نرى في الأمور الاقتصادية إذا كان هناك جهة واحده تحتكر السوق ولا يوجد من يُنافسها، فإن ذلك ليس في صالح المجتمع، لأن هذه الجهة ستتحكم في السوق، وتتحكم في الأسعار، وفي ذلك ضرر على الناس. ولكن إذا كان هناك تنافس وكان أمام الناس أكثر من خيار، فذلك من مصلحتهم. وهو دافع للمؤسسات لتقوي نفسها وتطور إنتاجها وأسلوب تعاملها، وهذا في صالح المجتمع.

فالتنافس من مصلحة تقدم المجتمع.

والتنافس هو الذي ينضج الآراء، إذا كانت فكرة سائدة في المجتمع، فكيف نضمن أن هذه الفكرة ناضجة وهي الأفضل والأصوب؟ لا يُمكن ذلك إلا من خلال ظهور فكرة أخرى، عندها سيكون نقاش حول الأفكار، فيتبين أي الأفكار أصوب وأحسن، وهذا الكلام ليس فقط على صعيد الآراء والأفكار، بل حتى على صعيد الزعامات والقوى في المجتمع.

تعاليم الإسلام تشجع على التنافس وتدفع الناس نحوه في العمل وفي مختلف المجالات، يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، بمعنى أن الحياة في حقيقتها من أجل أن تتفجر الطاقات وتتفجر الكفاءات، وهذا لا يحصل إلا بالتنافس، وفي آية أخرى الله تعالى يقول: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، أي فليتنافس الناس في أعمال الخير - فالمجال مفتوح، والتنافس مطلوب. وفي آية أخرى، يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٨]، استبقوا من المسابقة بمعنى كل شخص يحاول أن يصل قبل الآخر إلى الخيرات. وفي آية أخرى، الله تعالى يقول: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ٦١].

مسألة فقهية:

هناك مسألة فقهية يذكرها الفقهاء في كتاب صلاة الجماعة حول من يُصلي بالناس

جماعة وهي: إذا تشاح الأئمة رغبة في ثواب الإمامة^(١).

قد يستغرب البعض: كيف يتنافس أئمة على صلاة الجماعة؟! - الفقهاء يقولون نعم؛ لأن صلاة الجماعة فيها أجر، والإنسان يكون إماماً أفضل له من أن يكون مأموماً. أنا أريد أن أكون إماماً حتى يكون ثوابي أكثر.

يقول الفقهاء: يتقدم من يقدمه المأمومون. فإذا اختلفوا، فهناك مقاييس للتقديم: الأفضه - ثم الأورع - ثم الأكبر سنّاً، في حال تساويهم في مختلف المقاييس. وبالتالي فالتنافس مشروع حتى في أعمال العبادة. والإسلام لا يجمع حالة التنافس بل يذكي حالة التنافس في الاتجاه الإيجابي.

ونحن نقرأ في سيرة رسول الله نبينا محمد ﷺ كيف كان يثير التنافس الإيجابي في نفوس أصحابه، ويقر هذه الحالة، كما في مشهد حديثه مع الأنصار بعد غزوة حنين. تقول الرواية: أعطى الرسول ﷺ ما أعطى من العطايا لقريش من المؤلفة قلوبهم، ولم يكن للأنصار منها شيء، حتى كثرت منهم القالة، وقال قائلهم: (لقي والله رسول الله ﷺ قومه)... وقال سعد للرسول: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. فقال الرسول: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟».

قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي. قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة». فلما اجتمعوا أتاهم الرسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!».

فقالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: «ألا تحييونني يا معشر الأنصار؟».

(١) العروة الوثقى: ج ٢ ص ٥٧١، شرائط إمام الجماعة، مسألة ١٨.

قالوا: «بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل!». قال: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أو جدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟... فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»... فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم^(١).

إذن التنافس الإيجابي مشروع ولا يخل بالوحدة، فالوحدة لا تعني أن يذوب الناس جميعاً في اتجاه واحد ورأي واحد وطريق واحد، إنما التعدد أمر مفيد ومشروع، والتعددية لا تعني التمزق والتفرق. نحن نختلف في الرأي والتوجه والانتفاء، ولكن تجمعنا مصلحة واحدة وقواسم مشتركة، فلا مشكلة في هذا الأمر. فوجود التعدد ليس سيئاً، إنما الأمر المهم كيف ندير هذه الحالة من خلال التنافس الإيجابي.

المحور الثالث: بين الصراع السلبي والتنافس الإيجابي

البعض من الناس إذا رأوا منافسين لهم يصبح لديهم حالة سلبية تجاه المنافسة، ولهذا الحالة السلبية أو لنقل الصراع السلبي مظاهر، من أبرزها:
أولاً: كراهة المنافس وقطيعة

فبعض الناس يكره أن يبرز منافس له وينزعج ويحزن ويتألم، لا يريد أن يكون له منافس. ويغفل عن أنه كما من حقه أن يعمل، فمن حق غيره أن يعمل أيضاً. وهذه حالة سلبية يمجتها الإسلام، وقد تصل بالإنسان إلى الحسد، بيد أن الإنسان المؤمن لا يحسد،

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٦١.

بل يغبط أخاه المؤمن بأن يتمنى أن يتقدم كما تقدم غيره، وهذا أمر مشروع، أما أن تصل المسألة إلى الحقد والكرهية فهذا يُسمى حسداً، وفي كلمة جميلة لأمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الحاسد مغتاز على من لا ذنب له»^(١).

والقرآن الكريم يحكي لنا قصة ابني آدم وكيف أن أحدهما وهو (قابيل) قرر قتل أخيه (هابيل) لا لشيء إلا لأن الله تقبل قربانه، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٧].

ثانياً: الإساءة والعدوان على المنافس

قد يتجرأ البعض فيسيء للمنافس ويعتدي عليه، سواءً بتسقيط شخصيته أو تشويه سمعته، أو عرقلة أعماله، أو أن يسيء له بأي طريق كان. هذه الإساءة لا مبرر لها - والمشكلة أن الإنسان إذا سار بهذا الاتجاه يتأخر أكثر. هناك رواية جميلة عن أهل البيت عليهم السلام، هذه الرواية في بحار الأنوار، جاء فيها: «إن من بيني ولا يهدم يرتفع بناؤه، وإن كان يسيراً. ومن بيني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بنائه»^(٢). لماذا يتجه البعض لتسقيط الآخرين؟ لماذا تتعدى على الآخرين وتسيء لهم وتشوه سمعتهم؟ لأنهم سبقوك؟ لأنهم تفوقوا عليك؟ لأنهم أحرزوا ما لم تحرز؟ هذا لا يُحوِّلك ولا يُبرر لك الاعتداء عليهم.

فالصراع السلبي من جانب يؤثر على الجهة نفسها، ويضر بالمجتمع، ومن جهة أخرى يخلق صراعات وعداوات، مما يؤدي إلى تفريق المجتمع وتمزيقه.

التنافس الإيجابي طريق العقلاء

عندما نتكلم عن التنافس الإيجابي لا نتكلم عن حاله مثالية خيالية، فنحن نرى

(١) عوالي اللئالي، ج ١، ص ٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٨٦.

المجتمعات الأخرى المتقدمة، قد فتحت الباب للمنافسة في كل المجالات، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، والأهم من ذلك كله هم يتنافسون على أشياء مهمة، وعلى أرفع المستويات. أما في عالمنا العربي والإسلامي فالمنافسة على أشياء محدودة، ومع ذلك نجد الصراعات والعداوات قائمة.

ولعل بعض المؤمنين كان يتوقع من الله سبحانه وتعالى أن يُغلق الأبواب أمام تلك المجتمعات كي لا تتقدم نظراً لاعتبارهم لا يؤمنون برسالة الإسلام، ولكن الله تعالى يؤكد عدله العظيم في كتابه الكريم فيقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَ لَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

فالإيمان ليس ساحة للركود، وإنما ساحة للعمل والجهاد، وهذه هي سنة الحياة: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

صور التنافس الإيجابي

أولاً: الاعتراف بالآخر واحترامه.

ثانياً: المراهنة على بذل الجهد.

إذا كنت تحب أن تتقدم، ولا يتفوق عليك الآخرون، عليك أن تضاعف جهدك وتطور عملك وإنجازك، فهذا هو السبيل والطريق للنجاح والتنافس الإيجابي، وهو ما تدعو إليه آيات القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.

كم هو عميق معنى هذه الآية الكريمة، وهي تؤكد على العاملين والناشطين أن لا يعبثوا بما يشغلهم عن إنجازاتهم وتقدمهم، وإن واجهوا من يُعرق لهم طريق التقدم فعليهم أن يتمسكوا بهذا النهج الذي تُقدمه الآية المباركة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾. أما إذا انشغل العاملون بالمهارات التي يُراد لها عرقلة نشاطهم، فإنهم بذلك

يُحَقِّقُونَ أَهْدَافَ الْمَغْرُضِينَ، ويتأخرون في مسيرتهم.

وفي آية أخرى يأمر الله تعالى فيها النبي ﷺ بأن يخاطب أهل الكتاب بها: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

وما نجده من مهاترات حول السجال المذهبي لا يخدم الإسلام ولا المسلمين، وقد انشغلت الأمة خلال أكثر من ١٤٠٠ سنة بهذا السجال، وإلى متى نبقي أسارى؟ كفانا ذلك، فلنتجه نحو البناء والتنافس الإيجابي في خدمة قضايا أمتنا وخدمة مصالحنا، وكل واحد يسير على منهجه ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، والساحة هي التي تقيّم والناس هم الذين يحكمون، والتاريخ هو الذي يحكم، ويوم القيامة الله تعالى يفصل بين الناس، هذا هو المنطق العقلائي، وهذا هو المنطق الصحيح.

ثالثاً: التعاون في خدمة القضايا المشتركة

نحن إذا كنا أبناء مجتمع واحد، وتهمنا خدمة مجتمعنا، فعلياً أن نتعاون في خدمة المجتمع. لماذا تحطمني وأحطمك؟ لماذا تعرقل طريقي وأعرقل طريقك؟ لماذا تشوه سمعتي وأشوه سمعتك؟ نحن من مجتمع واحد، أي قوة تنشأ هي قوة لنا جميعاً، وأي نشاط هو لصالح الجميع. فالمهم أن يكون هناك تعاون وتواصل بين مختلف التيارات. في الماضي كان مجتمعنا راكداً لا يوجد فيه تيارات ولا توجهات وليست فيه أفكار جديدة، ولا قيادات شابة.

أما الآن - والحمد لله - تطور الوضع في مجتمعنا على المستوى الديني والأدبي والاقتصادي والتجاري وعلى مختلف الصُّعَد والميادين، وهذا تطور جيّد.

والمهم هنا أن نتجه نحو التنافس الإيجابي حتى نخدم مجتمعنا، وعلينا أن نتعاون إيجابياً لا أن نتصارع صراعاً سلبياً نهدد به وحدة المجتمع.

وفي بعض الأحيان يحصل صراع على قضايا محدودة (مسجد، أو حسينية، أو

موكب). علينا أن لا نشتغل بالصراعات، وإنما نتجه نحو فتح أطر جديدة للعمل، ونحو قضايا أرحب وأوسع دون الانغلاق في قضايا ضيقة ومحدودة. هذا هو التنافس الإيجابي الذي نبغي أن نهتم ونتعاون من أجل تعميق جذوره في المجتمع.

وأخيراً علينا أن نبذل الجهد في نشر ثقافة التنافس الإيجابي، وعلى الواعين من المجتمع تحمل المسؤولية سواء العلماء أو المثقفين.

ومن المؤسف أن تكون هناك حالة من التفرج على المشاكل التي تحصل بين الفئات والجماعات، وهذا أمرٌ خاطئ، فالإسلام يدفعنا باتجاه الإصلاح، يقول رسول الله: «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»^(١).

فمن الضروري أن نتوجه لإصلاح ذات البين، ونشر ثقافة التنافس الإيجابي، وأن نخلق بيئة في مجتمعنا تتسع للجميع وتذكي التنافس الإيجابي لصالح الجميع وعلى مختلف الصُّعد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ٤٤١.

التواصل الاجتماعي^(١)

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء: آية ٣٦].

المحور الأول: التواصل بين الشكل والمضمون

طبيعة حياة الإنسان البشرية تفرض عليه نوعاً من التواصل مع المجتمع الذي

يعيش فيه.

أولاً: لأن الإنسان يأنس بأبناء جنسه، ولا يستطيع أن يعيش من دونهم أو بعيداً عنهم. وقد ذكر بعض اللغويين أن كلمة الإنسان مشتقة من الأُنس على اعتبار أن الإنسان يأنس بمثله. ولو أنك وفّرت لإنسان كل ما يحتاجه في حياته وعزلته عن الناس بحيث يعيش بمفرده، فإن ذلك بالتأكيد لن يريحه، ولهذا فإن من أفسى أنواع العقوبات

(١) أُلقيت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ٦ محرم ١٤٢٨هـ.

السجن الانفرادي.

فالإنسان بشكل طبيعي يميل إلى أبناء جنسه ويأنس معهم، وبالتالي لديه دافع طبيعي للتواصل مع الناس.

ثانياً: حاجات الإنسان الحياتية تفرض عليه أن يتواصل مع الآخرين، فهو لا يستطيع أن يوفر حاجاته بنفسه، فقد يمرض فيحتاج إلى الطبيب، وهو بحاجة إلى العامل في البناء وغيره، وهو يشتري من السوق، وقد يعمل لدى أحد أو يعمل لديه أحد، وبالتالي طبيعة الحياة تجعل المصالح مشتركة والحاجات متداخلة بين الناس، وهذا يفرض على الإنسان حالة من التواصل مع الناس.

ولكن هذا التواصل يبقى في مستواه الأدنى وفي حالته البسيطة الساذجة. إذ إن المجتمع يحتاج إلى نوع من التواصل بشكل أرقى، وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر. وقد كنا نعيش توأماً مكثفاً في مجتمعنا حينما كانت الحياة على بساطتها، وكان الناس يعيشون في مناطق جغرافية محدودة، وضمن اهتمامات محدودة بسيطة، لكننا الآن، ومع هذا التطور الذي حصل على واقع حياتنا، لم نعد نعيش درجة التواصل الاجتماعي السابقة. ولعل من أبرز الأسباب:

- انتشار الناس جغرافياً، فما عاد الإنسان مقيماً في نفس الحي الذي نشأ فيه.
- انشغالات الناس واهتماماتهم تشعبت في هذا العصر، بعكس ما كانت عليه حياتهم في الماضي، حيث تنتهي جميع أعمالهم بحلول الظلام ويصبح الوقت متاحاً للتواصل، وحتى في النهار فإن دائرة الاهتمامات محدودة. أما في زمننا المعاصر فقد انشغل الإنسان باهتمامات مختلفة، معرفية وثقافية وعملية وغيرها، ما قلل من حصة العلاقات الاجتماعية.
- انخفاض الروح الاجتماعية عند أكثر الناس لصالح الاهتمام الفردي، حيث أصبح كل واحد مشغولاً بنفسه، وفي بعض الأحيان ينشغل حتى عن عائلته

وأسرته، بانشغالات بعضها ليست بالذي يستحق التفريط بحق الأسرة لأجلها، كمتابعة بعض الأفلام على التلفاز، أو الانغماس في المتابعة على الإنترنت. وقد أثار هذا حتى على علاقة الأم مع أطفالها، إذ لم تعد العلاقة وثيقة وحميمة كما كانت عليه في الماضي. والأب كذلك أصبح بعيداً عن أسرته بسبب هذه الاهتمامات ذات الطابع السليبي في حالات كثيرة.

هذه الاهتمامات التي بعضها صحيح وبعضها غير صحيح زادت عند الناس على حساب توجههم الاجتماعي، وإن كنا لا زلنا نحفظ بدرجة من التواصل، لكنه في الغالب تواصل مناسباتي وخاصة في مناسبة الزواج ومناسبة العزاء. وهو تواصل شكلي، غير أن ما نحتاج إليه التفكير في التواصل ذي المضمون.

وأشير هنا إلى أبرز معالم التواصل الاجتماعي المطلوب:

أولاً: التقارب النفسي الروحي

الحياة بطبيعتها لا تخلو من ضغوط ومشاكل، خصوصاً في هذا العصر، فيحتاج الإنسان إلى من يتضامن معه نفسياً، وإلى من يقترب منه روحياً ليخفف عنه الآلام، ويرفع من معنوياته. ويحتاج الإنسان إلى من يستشيريه ويأخذ برأيه. وتُشير روايات أهل البيت عليهم السلام إلى هذا المضمون، وتُعبّر عنه بإدخال السرور إلى قلب المؤمن، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من لقي أخاه بما يسره سرّه الله يوم القيامة»^(١)، وعن الإمام جعفر الصادق: أنه قال: «من سرّ مسلماً سرّه الله يوم القيامة»^(٢)، وعنه عليه السلام قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمناً سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله»^(٣).

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦ ص ٣٥٦.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ٢ ص ٤١٥.

(٣) وسائل الشيعة. ج ١٦ ص ٣٤٩.

ثانياً: التعاون في تيسير شؤون الحياة

كل مجتمع يواجه مشاكل، كل قوم في منطقتهم لهم احتياجات، ولا يستطيع الإنسان بمفرده أن يحلّها ويعالجها، وإنما يحتاج أن يتعاون مع الآخرين. وكمثال تقريبي: تربية الأبناء في عصرنا الحاضر في الغالب تكون عملية شاقّة إذا أراد الأب أو الأم وحدهما القيام بهذا الدور، ولكن عندما تكون هناك برامج ولجان تخلق الأجواء الصالحة وتسعى من أجل بناء الجيل الجديد بناءً سليماً، فهذا يكون أكبر دعامة للأسرة على تربية أبنائهم. ويؤكد القرآن الكريم على هذا المضمون في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢].

ثالثاً: المشاركة في خدمه الأهداف المشتركة

كل مجتمع لديه تطلعات وأهداف مشتركة، دينية أو سياسية أو اجتماعية. هذه الأهداف المشتركة تحتاج إلى تعاون وتواصل اجتماعي يحمل هذا المضمون، ويساعد المجتمع على تحقيق الأهداف والتطلعات المشتركة التي يبحث عنها ويسعى من أجلها. والإمام علي عليه السلام يوصي بهذا المضمون في آخر وصية له، فيقول: «وعليكم بالتواصل والتبادل وإياكم والتدابير والتقاطع»^(١)، والتبادل هنا بمعنى البذل والعطاء.

المحور الثاني: نحو أطر جديدة للتواصل الاجتماعي

المجتمعات المتقدمة تبحث عن الأطر التي من شأنها أن تُحقق تطلعاتها، ونحن كمجتمع متدين ينبغي أن يكون الأولى بنا السعي لذلك، لكي تكون في المجتمع أطر للتواصل الاجتماعي من شأنها أن تُحقق المضامين التي سبق الحديث عنها. ومن المناسب هنا الإشارة إلى أنه في المملكة هناك توجه نحو بناء مؤسسات المجتمع المدني، ففي مجلس الشورى يتم التطرق لهذا الموضوع، وكذلك وزارة الشؤون الاجتماعية

(١) نهج البلاغة. ص ٣٦١.

أصدرت كتاباً يضم (١٧٦) مشروعاً مقترحاً للتنمية الاجتماعية ترتبط بالأطفال والشباب والنساء وكبار السن، ولمختلف المجالات المعرفية والتربوية والاجتماعية تحت عنوان (دليل المشروعات الاجتماعية في لجان التنمية الاجتماعية) ١٤٢٥ هـ بإعداد نخبة من المختصين والمختصات.

والعالم اليوم يزخر بالأطر الجديدة والناجعة في هذا المجال، وقد نشرت (جريدة اليوم) في الثاني من ذي القعدة المنصرم (١٤٢٧هـ، ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٦م) تقريراً عن إطار جديد تشكّل في نيودلهي بالهند قبل ٦ سنوات، تحت عنوان (مشروع بها جيتاري) ويعني المشاركة. هذا الإطار تبنته مجموعة من المتقاعدين، وهدفه متابعة الأجهزة والدوائر الحكومية، ومراقبة سير الإدارات فيها، وتوجيه الملاحظات التي يرون أنه من الضروري الانتباه لها. في بداية الأمر لم يكن هناك تجاوب معهم، بل لم يكن يسمع لهم، ولكن فيما بعد أصبح معهم (١٤) ألف عضو، وحققوا خلال ٦ سنوات ألف قصة نجاح، وفي عام ٢٠٠٥م خصصت الأمم المتحدة لهم جائزة باعتبارهم أفضل جماعة في العالم في خدمة النشاط الاجتماعي. حيث يعقد الأعضاء اجتماعات مع أعضاء البرلمان ومسؤولين كبار في الحكومة والوكالات المدنية لحل مشكلات الخدمات، ومناقشة الخطط المطروحة في موضوعات منها توفير إمدادات الكهرباء والمياه، وعزل المواد الصلبة في القمامة، وقضايا الصحة، وتمكين المرأة من ممارسة حقوقها، والاهتمام بالبيئة كتسمية الحدائق مما زاد المساحة الخضراء في نيودلهي عشرة أضعاف.

وهنا كلمة أوجهها للمتقاعدين بأن يُفكروا كما الآخرون، لماذا نجد في العالم مؤسسات للمتقاعدين، وفي مجتمعنا الكثير من المتقاعدين غاية ما يقومون به تكرار الحج وزيارة المراقد المقدّسة، وهذه الأمور مع أهميتها إلا أن خدمة المجتمع لا تقل ثواباً عنها إن لم يكن ثوابها أكبر.

ويتعجب الإنسان من طبيعة الأطر التي تُطرح في تلك المجتمعات، ومنها ما

نشرته (جريدة الحياة) في يوم الخميس ٩/٢/١٤٢٢ هـ عن تأسيس نادي في (مدينة نيم) الفرنسية، اسمه: (نادي الأغبياء الفخوريين بغبائهم)، ومن شروط الانضمام لهذا النادي أن يكون الشخص غيباً ويفتخر بغبائه، ولديهم شعار: الغبي ذكي مجهل ذكاءه.

ونشرت (جريدة الحياة) أيضاً في ٢٣/١٢/١٤٢٣ هـ خبراً عن مسيرة للدفاع عن كرامة القطط في روما، تجمع فيها نحو (٢٠٠٠) شخص.

في تراثنا الإسلامي هناك أوقاف كبيرة تهتم بمثل هذه القضايا، ومنها أن أحد التجار أوقف قطعة نخل من أجل إطعام القطط الجائعة عند مرقد الإمام علي بن موسى الرضا، والسبب أنه عند زيارته للمرقد الشريف ترك قطعة لحم خارجاً وعند خروجه لم يجدها، سأل عنها، فأجيب بأن القطط الموجود في تلك المنطقة أخذتها^(١).

وما نخلص إليه من هذا الطرح، أنه في مجتمعنا ينبغي التفكير في أطر جديدة لمعالجة قضايا المجتمع، وحل مشاكله، ولا يكفي أن نجلس في المجالس ونتقد الأوضاع دون أن يكون لنا أي تحرك. ثم إن الدولة تتحمل جزءاً كبيراً من معالجة المشاكل، والمجتمع بجميع فئاته يتحمل جزءاً أيضاً، فليس هناك دولة تستطيع أن تُعالج كل المشاكل التي تواجهها ما لم يكن هناك تعاون من قبل المواطنين.

من هنا على الجميع تحمل المسؤولية في هذا الجانب بأن يتعاون المجتمع مع الأطر القائمة، كالجمعيات الخيرية واللجان الاجتماعية، والأندية الرياضية، والمجلس البلدي، ولا يُبرر أحد بأنه لا وقت لديه لهذه الأمور، فنحن نجد أن الكثير من أبناء المجتمع يصرفون غالب أوقاتهم على قضايا هامشية، كالسهر مع الشلل، وذلك على حساب عوائلهم ومجتمعهم وأعمالهم أيضاً.

وأذكر هنا بعض النماذج لأطر جديدة:

(١) الأوقاف وتطوير الاستفادة منها ص ١٦.

أولاً: مجالس العائلة

ومن الأطر الجميلة (مجالس العائلة) التي بدأت تتشكل وتقدم تجارب ناجحة على هذا الصعيد، وهذا الإطار مهم جداً لما فيه من تأصيل لصلة الرحم، التي يؤكد عليها الإسلام تأكيداً بالغاً، وأحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ تزخر بالعديد من النصوص التي تؤكد أهمية صلة الرحم، يقول رسول الله ﷺ: «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم»^(١). وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها الله عز وجل ثلاث سنين، ثم تلا ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»^(٢).

وفي رواية أن الإمام الصادق ﷺ التفت إلى أحد أصحابه وهو ميسر وقال له: «يا ميسر لقد زيد في عمرك، فأى شيء، تعمل؟» قال: كنت أجيراً وأنا غلام بخمسة دراهم، فكنت أجريها على خالي^(٣). وفي رواية أخرى: «يا ميسر لقد حضر أجلك غير مرة كل ذلك يؤخرك الله لصلتك لقرابتك»^(٤).

وسأل أحدهم الإمام الصادق ﷺ وهو الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله: تكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليّ حق؟ قال: «نعم، حق الرحم لا يقطعه شيء، وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقان: حق الرحم، وحق الإسلام»^(٥).
فصلة الرحم قضية مهمة جداً، واعتذار البعض بالانشغالات أمر غير مقبول، وفيه ضياع للأجر والثواب الجزيل، وعدم استجابة لتعاليم الإسلام، ففي الحديث عن

(١) تفسير الرازي. ج ١٧ ص ٧١، ومثله في وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٥٣٦ بعبارة (إن أعجل...).

(٢) مستدرک الوسائل. ج ١٥ ص ٢٤١، الآية ٣٩ من سورة الرعد.

(٣) بحار الأنوار. ج ٤٧ ص ٧٨.

(٤) بحار الأنوار. ج ٧١ ص ١٠٢.

(٥) الكافي. ج ٢ ص ١٥٧.

رسول الله ﷺ أنه قال: أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم القيامة، أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة^(١). فمجالس العائلة من الأطر التي ينبغي السعي باتجاهها، وليس بالضرورة أن يجتمع جميع أفراد العائلة، إذ يكفي تكوين لجنة تجتمع دورياً وهي تتفقد شؤون العائلة، ويمكن عن طريق هذه اللجنة تجميع العائلة في فترات محددة.

ثانياً: لجان ومراكز الأحياء

تكونت في مجتمعنا الآن أحياء جديدة، والساكنون فيها من مناطق مختلفة، وفي بعض الأحيان لا يعرفون بعضهم، مع العلم أن الإسلام قد أوصى بالجار وأكد على حقوقه، يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾، و﴿الْجُنْبِ﴾ تعني ليس من أقربائك، وبعض المفسرين قالوا: ليس على دينك. وبعض الروايات تشير إلى أن حد الجوار أربعون بيتاً من جميع الاتجاهات، ورد عن معاوية بن عمار أنه سأل الإمام الصادق: جعلت فداك ما حد الجار؟ قال: «أربعين داراً من كل جنب»^(٢).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والله لا يؤمن بالله، والله لا يؤمن بالله، والله لا يؤمن بالله» قالوا ومن يا رسول الله؟ قال: «جار لا يأمن جاره بوائقه» قالوا: يا رسول الله وما البوائق؟ قال: «شره»^(٣).

من هنا فإن وجود لجان لهذه الأحياء الجديدة أمرٌ في غاية الأهمية، وهذه اللجان من شأنها تفعيل النشاط الاجتماعي في هذه الأحياء، وطريق لتعارف أهل الحي مع بعضهم بعضاً. ووزارة التنمية الاجتماعية تعهدت بدعم هذه اللجان. ومن البرامج المطروحة:

(١) مستدرک الوسائل. ج ١٥، ص ٢٣٧

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ١٣٢.

(٣) مجمع الزوائد. ج ٨، ص ١٦٩، باب جار السوء.

متابعة أمور ومصالح الحي، توثيق العلاقة بين أبناء الحي، إنشاء مكتبة عامة للحي، إنشاء نادٍ رياضي للنساء. وقد طبعت الوزارة كتاباً حول الموضوع بعنوان (مراكز الأحياء) ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

وخلاصة القول أن مجتمعنا بحاجة ماسة لتجديد أطر التواصل الاجتماعي، فما عادت الأطر القديمة قادرة على تفعيل هذا الجانب بالشكل المطلوب.

المحور الثالث: الجانب الاجتماعي في العبادات

العبادات الإسلامية فيها بعد اجتماعي واضح، ولعل أبرز هذه العبادات وضوحاً الحج، إذ إن المسلمين يحجون إلى بيت الله الحرام في زمن واحد، ويجمعون على صعيد واحد.

ومن البرامج العبادية المهمة، ذات الطابع الاجتماعي: صلاة الجماعة، يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٤٣]. التي يتفق جميع المسلمين على أصل تشريعها في جميع الصلوات الواجبة، كما يتفقون على عدم صحة صلاة الجمعة والعيدين - في حال وجوب صلاة العيدين - إلا جماعة. ووقع الخلاف بين الفقهاء في حكم صلاة الجماعة في الفرائض اليومية، والآراء في حكمها ثلاثة:

الأول: واجبة فرض عين: وهو رأي المذهب الحنبلي وبعض الأحناف^(١).

الثاني: واجبة فرض كفاية: وهو رأي الشافعية^(٢).

الثالث: سنة مؤكدة: وهو رأي الجعفرية^(٣)، والمالكية وبعض فقهاء الحنفية^(٤).

(١) الموسوعة الفقهية. ج ١٥، ص ٢٨١.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته. ج ٢ ص ١٥٠، قال: في الأصح المنصوص.

(٣) محمد بن جمال الدين مكي العاملي. اللمعة الدمشقية ج ١ ص ٣٧٧، محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، العروة الوثقى ج ١ ص ٥٤٣.

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته. ج ٢ ص ١٤٩.

هذا وقد وردت أحاديث وروايات كثيرة تؤكد على أهمية صلاة الجماعة، ومنها ما جاء عن رسول الله ﷺ في حديث ذكرته المصادر من الفريقين: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة»^(١) أو كما في صحيح مسلم «صلاة مع الإمام أفضل من خمس وعشرين صلاة يصليها وحده»^(٢).

وورد عن الإمام الباقر أنه قال: «من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علة فلا صلاة له»^(٣).

وكذلك ورد عن الإمام الصادق: «مَنْ لم يصل جماعة فلا صلاة له بين المسلمين، لأن رسول الله قال: لا صلاة لمن لم يصل في المسجد مع المسلمين إلا من علة»^(٤).

وقد سأل زرارَةَ الإمام الصادق: عن ما يروي الناس أن الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة، فقال: «نعم، صدقوا»^(٥).
وعنه: «إن الله يستحي من عبده إذا صَلَّى في جماعة ثم سأله حاجته أن ينصرف حتى يقضيها»^(٦).

وفي هذا المجال ينقل الشيخ الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): روي أن السلف كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، ويعزّون أنفسهم سبعا إذا فاتتهم الجماعة^(٧).

وقد تحدث الفقيه المعروف السيد محمد كاظم اليزدي ﷺ في العروة الوثقى عن الترغيب في صلاة الجماعة بشكل تفصيلي ومن عباراته ما يلي: (هي من المستحبات

(١) وسائل الشيعة. ج ٨، ص ٢٨٩.

(٢) صحيح مسلم. ص ٣٢٦، ح ٢٤٨.

(٣) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ٢٩٩.

(٤) المصدر نفسه. ج ٨، ص ٢٩٣.

(٥) المصدر نفسه. ج ٨، ص ٢٨٦.

(٦) المصدر نفسه. ج ٨، ص ٢٨٩.

(٧) إحياء علوم الدين. ج ١، ص ٢٢٦.

الأكيدة في جميع الفرائض، خصوصاً اليومية منها وخصوصاً في الأدائية، ولا سيّما في الصبح والعشاءين، وخصوصاً لجيران المسجد أو من يسمع النداء، وقد ورد في فضلها وذم تاركها من ضرور التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات) إلى أن قال رحمه الله: (وكلما كان المأمومون أكثر كان الأجر أزيد، ولا يجوز تركها رغبة عنها أو استخفافاً بها... فمقتضى الإيذان عدم الترك من غير عذر سببها مع الاستمرار عليه، فإنه كما ورد لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها)^(١).

فوائد صلاة الجماعة

لصلاة الجماعة فوائد جمة في حياة المسلمين، نذكر منها:

١. تعزيز الحالة الدينية

حينما يحضر المسلمون المسجد ويصلون مع بعضهم بعضاً تتعزز الحالة الدينية في نفس كل واحد منهم وتقوى، فمن طبيعة الإنسان أنه عندما يرى كثرة من الناس تمارس عملاً معيناً يعطيه ذلك دافعاً للقيام بهذا العمل الذي يجد الآخرين يقبلون عليه، فالعمل الجمعي له وقع وقيمة في النفوس، وبما أن صلاة الجماعة هي في الأصل أداء للواجب والتكليف الشرعي ومظهر من مظاهر التدين، فتعزيزها تعزز للحالة الدينية الاجتماعية. وهذا هو ما أشار إليه الإمام علي الرضا بقوله: «إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب»^(٢).

٢. تأكيد التداخل بين اتصال العبد بالله وصلته بالناس

فالمصلي عندما يأتي للجماعة في المسجد ينوي الصلاة مخلصاً لله سبحانه، ولكنه يؤديها مع جماعة المؤمنين، وهذا يؤكّد - وبشكل جليّ - أن للدين بعدين، البعد

(١) العروة الوثقى. ج ١ ص ٥٤٣، فصل في الجماعة.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٥، ص ٣٧٢.

العبادي المتعلق بالصلة بالله تعالى، والبعد الاجتماعي المتعلق بعمق العلاقة بين الفرد وبني مجتمعه.

٣. توثيق الروابط الاجتماعية

ففي صلاة الجماعة يلتقي المؤمنون ويتعرف بعضهم بعضاً، وتكون فرصة للتلاقي اليومي وتبادل الأحاديث والأوضاع الاجتماعية، كما يعيش المصلون حينها يقفون خلف إمام واحد وبجانب بعضهم بعضاً حالة من المساواة وانعدام الطبقة بين مختلف فئاتهم وشرائحهم، وهو أمر يعزز حالة التوادد والمحبة بين الناس.

٤. التربية على النظام

صلاة الجماعة تربي الإنسان على النظام والانضباط الجماعي، فإذا واطب المصلي على الجماعة، فسينضبط في أداء الصلاة في وقتها، وعلى العكس من ذلك الصلاة فرادى، حيث لا يكون هناك أي مُلزم لأدائها في وقتها.

وفي الجماعة تعويد على النظام، حيث يكبر المأمومون بعد الإمام ويؤدون جميع أفعال الصلاة بعده، إلى أن تنتهي الصلاة ويقفون صفوفاً منتظمة مترابطة.

٥. التوجيه والمعرفة الدينية

توفر صلاة الجماعة فرصة جيّدة للتوجيه والمعرفة الدينية، حيث يستفيد المصلون من حضورهم للصلاة باستماع الخطب والمواعظ الدينية وعرض أسئلتهم واستفتاءاتهم الدينية على إمام الجماعة إذا كان من أهل المعرفة والعلم.

العزوف عن صلاة الجماعة

وقد يتساءل البعض: ما دامت لصلاة الجماعة هذه الفوائد والآثار الطيبة على المجتمع، إضافة إلى ما ورد من النصوص الدينية في الحث عليها وتبيين عظيم ثوابها عند الله تعالى، فلماذا نجد العزوف عند الكثيرين من حضورها، حيث لا يمثل الحضور لصلاة الجماعة إلا نسبة قليلة محدودة من المجتمع؟

لابدّ أن هناك أسباباً لعل من أبرزها ما يلي:

الأول: ضعف الاهتمام الديني

فمن يهتم بتعاليم الدين لا يترك صلاة الجماعة، إذا كان عارفاً بقيمتها وفضلها عند الله، ومن يرغب في ثواب الله تعالى، لا يتأخر عن صلاة الجماعة، مع ما ورد فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير.

لكن يبدو أن الكثيرين يفتقدون رغبة الإقبال على هذه الشعيرة العظيمة، بسبب ضعف الاهتمام الديني في نفوسهم.

الثاني: ضعف التشجيع

حيث لا نجد في المجتمع حثاً وتشجيعاً كافياً على أداء صلاة الجماعة، فالكتابات حولها قليلة، والخطباء نادراً ما يتعرضون لفضل صلاة الجماعة ولحث الناس على المواظبة عليها.

بل إن بعض الخطباء وطلاب العلوم الدينية قلّ أن يرى الناس حضورهم في صلاة الجماعة فيما عدا تصديهم للإمامة، وكأن طالب العلم لا صلة له بهذه الشعيرة إلا إذا كان إماماً وليس مأموماً.

الثالث: الكسل

إن قسماً من الناس يستثقل الذهاب إلى صلاة الجماعة، لأنها تأخذ جزءاً من وقته، وتصرف شيئاً من جهده، فيرى صلاته منفرداً في البيت أسهل وأيسر، مع أن الوقت والجهد اللذين تستلزمهما صلاة الجماعة محدود ضئيل، وهو يصرف أضعاف ذلك الوقت والجهد على سائر شؤون حياته من الكماليات والرفاهيات.

الدعوة لصلاة الجماعة

يحتاج مجتمعنا إلى حملة مكثفة من التوعية والتوجيه لحث الناس على صلاة الجماعة، بنشر الكتب والمقالات التي تتناول فضلها وأهميتها، وينبغي أن تفتح المنتديات على مواقع

الانترنت باب النقاش والبحث حول أسباب العزوف عن صلاة الجماعة في المجتمع، وطرق التشجيع على المواظبة عليها، والعلماء والخطباء عليهم أن يكرروا الدعوة إليها والحث على الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة.

ويمكن الاستفادة من الجوال، بإرسال رسائل قصيرة إلى الأصدقاء والأقرباء، لدعوتهم لصلاة الجماعة.

ولو تشكلت في كل مسجد لجنة للدعاية والإعلام لصلاة الجماعة، وابتكار الوسائل والأساليب المؤثرة في جذب الناس لها، فإنها ستحقق نتائج جيدة.

وعلى كل فرد منا أن يحث ويشجع أقرباءه وأصدقاءه، ولا يسأم من دعوتهم لصلاة الجماعة، فإن الدال على الخير كفاعله. وذلك مصداق من مصاديق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف.

وأما شرط العدالة الذي يشترطه الإمامية في إمام الجماعة فليس بمستوى التعقيد الموجود، وهي لا تعني العصمة، بل تعني أن لا يفعل الإمام المحرمات ويترك الواجبات، يقول السيد اليزدي: العدالة ملكة الاجتناب عن الكبائر وعن الإصرار على الصغائر، وعن منافيات المروءة الدالة على عدم مبالاة مرتكبها بالدين، ويكفي حسن الظاهر الكاشف ظنا عن تلك الملكة^(١).

وقد ترتفع العدالة عن إمام الجماعة بفعل المحرم وتعود إليه بالتوبة، يقول السيد السيستاني: ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية وتعود بالتوبة والندم^(٢).

ويكفي في إثبات العدالة للإمام شهادة عادلين، قال السيد اليزدي في العروة الوثقى ووافقه السيد السيستاني ما يلي: بل يكفي الاطمئنان إذا حصل من شهادة عدل واحد،

(١) العروة الوثقى. ج ١ ص ٥٧٠ مسألة ١٢.

(٢) السيد علي السيستاني. منهاج الصالحين، مسألة ٣٠.

وكذلك إذا حصل من اقتداء عدلين به، أو من اقتداء جماعة مجهولين به^(١)، وهناك بعض المذاهب الإسلامية لا يرون شرط العدالة.

وأسوأ ما في الأمر أن ترتبط صلاة الجماعة في مجتمعنا بالانتهايات وبمراجع التقليد التي لا دخل لها في صلاة الجماعة، ولا تؤثر على إمام الجماعة لا من قريب ولا من بعيد. والقصص في هذا الجانب كثيرة: وقد كنا في مجلس المرجع الراحل الإمام الشيرازي رحمه الله ووجه إليه سؤال من الحاضرين قالوا: سيدنا في مجتمعنا إمام مسجد عادل، ولا نجد عليه مأخذاً سوى أنه يعلن أن تقليد سماحتكم غير جائز، فهل نُصلي خلفه؟ السيد أجابهم: إذا كان ما يتحدث به عن قناعة، وهو يُعبّر بذلك عن رأيه، فهذا لا يחדش عدالته، فلا مانع من الصلاة خلفه.

ورائع جداً موقف الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) توفي سنة ١١٨٦ هـ، الذي كان على خلاف شديد مع العلامة الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني، في موضوع الأصوليين والإخباريين، فالشيخ البحراني زعيم مدرسة المحدثين الإخباريين، والوحيد البهبهاني، زعيم المدرسة الأصولية، وكان يردّ آراء الشيخ يوسف بعنف، ووصل به الأمر إلى أن أفتى ببطلان الصلاة خلف الشيخ يوسف البحراني، لكن الشيخ يوسف أفتى بصحة الصلاة خلف الوحيد^(٢). والعجيب أنه في وصيته أوصى بأن الذي يُصلي خلف جنازته هو الشيخ البهبهاني.

وفي الأخير تجدر بنا الإشارة إلى أن صلاة الجماعة لا تقتصر على أن يكون إمام الجماعة من مذهبك، حيث أفتى فقهاؤنا بأنك إذا كنت في مكان أقيمت فيه صلاة الجماعة لإخوانك المسلمين، وإن لم يكونوا على مذهبك فعليك بالمشاركة معهم في صلاة الجماعة حيث تقرأ لنفسك الفاتحة والسورة، وأي حكم يختلف عنهم كالتكثف والسجود على

(١) السيد كاظم اليزدي، العروة الوثقى، مع تعليقة السيد السيستاني مسألة ١٩٧٥.

(٢) الشيخ علي البلادي. أنوار البدرين ج ١ ص ٤٣٥ تحقيق عبدالكريم البلادي.

ما لا يصح السجود عليه في المذهب لك أن تتركه إذا كان في التزامه حرج، وصلاتك صحيحة ومجزية، من هنا لا ينبغي الخروج من المسجد الحرام، أو المسجد النبوي وقت صلاة الجماعة، كما لا ينبغي لمن يعمل أو يتواجد في أي مكان أن يفرد بصلاته عند إقامة الجماعة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

التأثير المتبادل بين القيادة الدينية والجمهور^(١)

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب آية: ٣٩].

المحور الأول: واقع التأثير المتبادل

الانتفاف الشعبي حول القيادة الدينية

من الواضح أن القيادات الدينية - التي تتمثل في هذه العصور في علماء الدين - تمارس تأثيرها على الجمهور، وذلك لما يتمتع به علماء الدين من وثاقة لدى عامة الجمهور، وكذلك باعتبارها تمثل وجهة نظر الدين فيما تطرحه من آراء وأحكام ومواقف، ولأنّ الناس متديّنون بطبيعتهم ويريدون الالتزام بدينهم فإنهم يأخذون معالم دينهم من هذه القيادات الدينية، ويتابعونها في مواقفها وآرائها.

ورغم ما مرّت به المجتمعات الإسلامية من محاولات لإبعاد أبنائها عن الدين

(١) أُلقيت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ٧ محرم ١٤٢٨ هـ.

وعن الالتفاف حول علماء الدين، من قبيل تلك التيارات الفكرية التي عصفت بالأمة وأرادت أن تشكك أبناء الأمة بدينها، وكذلك الإشاعات والدعاوى والتهامات التي أثرت بشكّل واسع ضدّ القيادات الدينية، رغم كل ذلك لم تفلح في إبعاد جماهير الأمة عن قياداتها الدينية لالتزامهم بدينهم من جهة، ومن جهة أخرى لأن الأمة رأت أن تلك البدائل المطروحة لم تكن بالدرجة المرجوة، ولم تكن تتمتع بالإخلاص والحكمة.

فقد جرّبت الأمة الإسلامية الأحزاب التي جاءت بمختلف الشعارات والتوجّهات والدعاوى، فما حصدت الأمة من ورائها إلاّ الويلات، ولم تستطع هذه التوجّهات أن تصلح ولا أن تتغيّر ولا أن تطوّر، وإنما أصيبت الأمة بالكثير من المشاكل والمصاعب والأزمات، ولذلك ازدادت ثقة الناس بدينهم وبقياداتهم الدينية.

وما حصل في العراق أنموذج لهذه التجارب، حيث كانت الاتجاهات المناوئة للإسلام تشيع الدعايات ضدّ الدين، والأفكار المناوئة له ولموزة، فالسلطات التي حكمت العراق طيلة عقود باسم تلك التيارات والأحزاب سعت لإبعاد العلماء عن الناس، وحاولت تحجيم دور الحوزة العلمية، ودور المراجع والعلماء، وأمعنوا في الحوزة تنكيلاً وتبعيداً وقتلاً واعتقالاتٍ، فكم قتلوا من علماء الحوزة وفقهائها في العراق، وسجنوا وطرّدوا وأبعدوا وأقصوا، ولكنّ لما انكشف الغطاء وانجلت الغبرة تبيّن أن الساحة في العراق توالي قيادتها الدينية وتلتفّ حولها بشكّلٍ أذهل العالم.

هذا الالتفاف حول القيادات الدينية - والحمد لله - موجود في كثير من البقاع والمناطق وفي مختلف المذاهب، ولكنّ الدرجات تتفاوت من مكان لآخر ومن مجتمع لآخر.

وما نريد أن نوضّحه هنا أن هناك تأثيراً واضحاً من قبل القيادات الدينية على الجمهور في الأحكام الشرعية وفي المواقف السياسية والاجتماعية.

تأثير الجمهور على نخبه وقياداته

ولكن ما ينبغي بحثه هو مسألة تأثير الجمهور على القيادات الدينية، حيث لا

يمكن إنكار ما يمارسه الجمهور على هذه القيادات من تأثير، وهذا التأثير قد يكون في بعض وجوهه إيجابياً وفي بعضها سلبياً. وهو أمر يمكن أن نرجعه لسببين:

السبب الأول: أن القيادات الدينية بشرية وإنسانية، وبالتالي لها مشاعرها وأحاسيسها تتأثر بالبيئة التي تعيش فيها والمحيط الذي تنشأ فيه، وذلك يؤثر في تقويمها للأمور وتشخيصها للحالات وفي درجة المواقف التي تتخذها.

وهذا أمر نخصّ به علماء الدين دون القيادات الدينية المعصومة، فهذه القيادات لها وضعيتها الخاصة، فالأنبياء والرسل والأئمة المعصومون مسدّدون بعناية إلهية خاصة تعصمهم وتوجّههم لتجنّب الوقوع في الخطأ.

لكنّ الإنسان بشكل طبيعي يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، فالدرجة العلمية للعالم لا تمنعه من التأثر بمحيطه وبيئته.

السبب الثاني: تطبيق الأحكام الشرعية على موضوعاتها الخارجية، فهناك أحكام شرعية، وهذه الأحكام تطبّق على موضوعات خارجية، والموضوعات الخارجية تحتاج إلى تشخيص وتحديد وتقييم، وهذه المهمة يحتاج فيها العالم لرأي الناس ومشورتهم، ولا يمكنه الاستغناء عن هذه المشورة في كثير من المواضع.

كما أن هنالك أحكاماً للموضوعات أولية، وأخرى ثانوية، وتحديد أيّ منهما يحتاج إلى تشخيص دقيق للواقع، قد يستعين الفقيه في تحديده بأصحاب التخصص والكفاءة من الجمهور، والفقيه مطلوب منه أن يستفيد من آراء هؤلاء المتخصّصين.

وهذه نقطة من المهمّ الإشارة والتنبيه عليها، وذلك لما يعتقد البعض من أن العالم والفقيه لا يحتاج إلى الناس، فهو من يقرّر كل شيء ويحدّده، وهذا الاعتقاد خاطئ، فالقيادات الدينية عليها أن تستفيد من خبرات وتجارب الآخرين، خاصة عندما تعيش وسط مجتمع يملك الكفاءات والخبرات والمثقفين وأصحاب التجارب كمجتمعاتنا - والحمد لله، فإن هذه الخبرات التي نملكها لا ينبغي لعالم الدين أن يتجاهلها في تشخيص

الموضوعات ودراسة الظروف.

ومن أبرز ما يحتاج فيه عالم الدين إلى الناس هو القيام بإدارة شؤونهم الدينية والحياتية، من قبيل المؤسسات الدينية الاجتماعية. وكذلك مسألة إدارة أموال الحقوق الشرعية، التي يُطلب صرفها في وجوهها المستحقّة، إذ إن تحديد الموارد الأكثر إلحاحًا وحاجةً قد لا يتأتى لعالم الدين بمفرده أن يقوم به، وفي هذه الحالة على عالم الدين أن يستعين بآراء الخبراء والاقتصاديين الموجودين في المجتمع.

ومن الموارد التي يحتاج فيها عالم الدين لرأي الجمهور برامج التوجيه والتوعية، ومن أبرزها المنبر الحسيني، حيث يحتاج الخطيب - ليؤدّي دوره في خدمة المجتمع - أن يأخذ بآراء المتخصّصين في علم النفس والاجتماع، حيث تساعد آراؤهم في إعطاء صورة جيّدة تستند إلى الدراسات والأبحاث.

ومجتمعنا - للأسف - يعيش نقصًا واضحًا في مؤسساته الدينية في هذا الجانب، حيث لا تستفيد هذه المؤسسات من الخبرات والتجارب الموجودة في المجتمع، وذلك بسبب تجاهل علماء الدين لمثل هذه الكفاءات في بعض الأحيان، كما يتحمّل أصحاب الكفاءات بعض المسؤولية في هذا الاتجاه، فلا ينبغي أن يبعدوا أنفسهم عن التواصل مع العلماء لترشيد المسيرة ولإفادة المجتمع من خلال تجاربهم وطاقاتهم، فالحالة الدينية يجب أن تمتلك مؤسسات وتستفيد هذه المؤسسات من الخبرات والتجارب العصرية.

النبي ﷺ القدوة في المشورة

وإذا ما عدنا للنبي محمد ﷺ نراه وهو النبي المسدّد من الله سبحانه، ويملك كمال العقل وسداد الرأي يُؤمّر من قبل الله تعالى أن يستشير الناس. يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران آية: ١٥٩].

وقد كان النبي ﷺ أكثر أصحابه مشاورة لهم، يروى عن أبي هريرة أنه قال: «ما

رأيت أحدًا أكثر مشاوراً لأصحابه من رسول الله ﷺ ^(١). ومثل هذا الحديث يروى عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: «ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ» ^(٢). كما يروى عنه ﷺ أنه كان يقول لأصحابه في مواقف عديدة: «أشيروا عليّ» أو «أشيروا علينا» ^(٣).

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع في المسجد قائماً، فقال ﷺ إن القيام قد شقّ عليّ، فقال تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع في الشام؟.

تقول الرواية: فشاور ﷺ المسلمين فرأوا أن يتخذوه ^(٤).

وينقل لنا التاريخ كيف كان رسول الله ﷺ يأخذ بالأراء التي يطرحها بعض أصحابه عليه، ومن ذلك ما ينقل في واقعة بدر، حينما جاء رسول الله ﷺ ومَن معه من المسلمين وعسكروا في منطقة عند بئر بدر، فجاء له من أصحابه الحُباب بن المنذر بن الجَموح، فقال له: «يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟!» فقال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال الحُباب: «يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء القوم فننزله». فقال رسول الله: «لقد أشرت بالرأي»، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ^(٥).

(١) الإمام الشافعي محمّد بن إدريس. كتاب الأم، باب المشاورة، ص ١٠٠.

(٢) أحمد بن علي المقرئ. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، باب مشاورته لأصحابه، ج ٢، ص ٧٧٩.

(٣) الميزان للطباطبائي ج ٩ ص ٢٥، الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ١٦٦ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعْذِمُكَ اللَّهُ...﴾ سورة الأنفال آية ٧.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد. ج ١ ص ٢٥٠.

(٥) ابن هشام السيرة النبوية. (تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، ج ١، ص ٦٢٠.

وهكذا في قضية حفر الخندق في معركة الأحزاب، حينما حاصر الكفار والمشركون واليهود المدينة، فجمع الرسول ﷺ أصحابه وطلب منهم المشورة، فقام سلمان الفارسي وقال: «يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة»، فقال: «فما نصنع؟» فقال سلمان: «نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فإننا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فتكون الحرب في مواضع معروفة»، فأمر النبي ﷺ أن يحفروا الخندق حول المدينة عملاً برأي سلمان^(١).

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من قصار كلماته أنه قال: «من استبدَّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»^(٢).

وقد استشار الإمام الصادق ﷺ مرة أحد أصحابه فقال له: أصلحك الله مثلي يشير على مثلك؟ قال ﷺ نعم إذا استشرتك^(٣).

وهذا أمر لا ينبغي للقيادات الدينية أن تغفله أو تتجاهله، وفي الجهة المقابلة على الجمهور أن يطرحوا رأيهم أمام هذه القيادات، ففي بعض الأحيان يكون لدى بعض الناس تهيُّب من طرح وجهة النظر التي قد يخالف فيها عالم الدين، ويكتفي بالتذمُّر أو الحديث عنها في المجالس المغلقة، بينما المفترض أن تصل هذه الاقتراحات وآراء الناس للعلماء والمرجعيات الدينية، فهذه مسؤولية، وعلينا كجمهور أن نقوم بهذه المسؤولية كما أن على العلماء أن يقوموا بمسؤوليتهم.

والقيام بهذه المسؤولية له أثر على العالم ومن ثمَّ الشريحة الأوسع من الجمهور، فعندما يرى العالم أو الخطيب كثرة من الناس تعترض عليه أو تنتقده سيضطر لإعادة

(١) بحار الأنوار. ج ٢٠، الباب ١٧: غزوة الأحزاب وبني قريظة، ص ١٨٦.

(٢) نهج البلاغة. الكلمة ١٦١، ص ٣٨.

(٣) وسائل الشيعة. ج ١٢ ص ٤٤ ح ١٥٦٠١.

بحث الموضوع وتقييم مواقفه، وقد يقتنع بأن المسألة تحتاج إلى تصحيح أو مراجعة.

المحور الثاني: ضغوط الجمهور والموقف الشرعي

القيادة الدينية بين الجرأة والحذر

في بعض الأحيان تكون الجهة الدينية لديها رأي شرعي، أو موقف ترى فيه المصلحة الاجتماعية، ولكن الجمهور - غالبيتهم أو الشريحة الأوسع منهم - يعارضون هذا الرأي أو ذلك الموقف.

وفي هذه الحالة تتنوع ردود أفعال القيادات الدينية، فالبعض منهم يكون لديه درجة عالية من الجرأة والإقدام، خصوصاً إذا كانت هذه القيادة تستند إلى الحجّة الشرعية المؤمّنة، وتستند إلى ما يؤيد موقفها العام، فتصرّ على رأيها وموقفها.

وفي المقابل فإن بعض القيادات ترتئي التراجع والسكوت بسبب ما يتّخذها الجمهور من ردة فعل، قد تكون في بعض الأحيان فيها من الشدّة ما يضطرّ هذه القيادات أن تكون في حالة من التردّد في طرح الرأي والموقف.

وهذا يرتبط بثلاثة أسباب، هي كالتالي:

السبب الأول: مدى وضوح الرؤية عند الجهة الدينية

فإذا كانت الرؤية واضحة تكون عاملاً مساعداً للإقدام والصمود عند القيادة الدينية، بينما إذا كانت الرؤية غير واضحة وفيها بعض التشويش فهذا يسبّب حالة من التردّد، وفي هذا الصدد يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»^(١).

وهذا نص صريح في أن العالم كلما كان على معرفة جيّدة بالوضع العام السياسي والاجتماعي من حوله بشكل أجلى تكون الرؤية أمامه أوضح.

(١) الكافي. باب العقل والجهل، ج ١، حديث ٢٩، ص ١٠.

أمّا إذا لم تكن لديه هذه المعرفة فإنها تهجم عليه اللوالبس، فيتردّد ويتهيب.

السبب الثاني: ضعف الشخصية وقوتها

الناس يتفاوتون - حتّى على مستوى العلماء - في شخصياتهم، فهناك من يملك

الشخصية القويّة والشجاعة، وهناك من لا يملك هذه القوّة.

والعلم والمعرفة لا تبدّل شخصية الإنسان بشكل كامل.

فالقيادة التي تمتلك قوّة الجنان تملك الجرأة في طرح رأيها وموقفها.

السبب الثالث: درجة الإخلاص والاستعداد للتضحية

وخاصّة إذا كانت التضحية تتعلّق بثقة الناس وبسمعة العالم عندهم، فهذا أمر

صعب، فالعالم إذا كانت بعض المواقف تسبب له خسارة مالية أو مادّية أو أذى جسميًّا

قد يتحمّل، ولكن إذا كان من مضاعفات اتخاذ الموقف ما يمسّ سمعته فهذا أمر أصعب

من تلك الخسائر المادّية، فالأصعب على الإنسان أن يتّهم في سمعته أو دينه أو معتقده.

وفي هذا الصدد ينقل أن أحد الأنبياء حينما بعثه الله تعالى طلب منه أن يكفّ ألسنة

الناس عنه. فأجابه الله تعالى: «هي خصلة لم أجعلها لنفسي، كيف أجعلها لك؟!».

من هنا يحتاج العالم إلى درجة كبيرة من الإخلاص والتضحية فيما إذا استلزم الأمر

أن يتّخذ موقفًا شرعيًّا لمصلحة الدين والمجتمع.

ومن أمثلة القيادات الدينية التي تحمّلت في سبيل مصلحة الأئمة الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام الذي كان يدخل عليه بعض أصحابه ويقول له: «السلام عليك يا مدلّ

المؤمنين»^(١)، وهذا أمر لم يكن هيئًا على نفس الإمام، خصوصًا إذا كان يصدر عن خلّص

أصحابه. ولكنّ الإمام كان يرى أن المصلحة فيما اتّخذ من موقف، ومن أجل ذلك تحمّل

عناء هذه الاتهامات.

(١) تحف العقول عن آل الرسول. ص ٢٢٤.

دوافع الجمهور للضغط على القيادات

ومن الجيد الإشارة إلى الأسباب التي تدعو الجمهور إلى الضغط على قياداته الدينية، نذكر منها ثلاثة أسباب:

١. الأعراف والتقاليد السائدة

في كل مجتمع هناك أعراف وتقاليد وآراء سائدة عند الناس، وعادةً ما يتمسك الناس بها فترة من الزمن. فإذا ظهرت لهم الجهة الدينية برأي جديد خلاف عاداتهم وتقاليدهم وما هو سائد عندهم، ففي مثل هذه الحالات لا يكون القبول سهلاً عند الناس.

٢. الاستعجال في النتائج

بحيث تكون هناك مصالح عاجلة يلحظها الناس، بينما العالم يرى أن هناك مصلحة دينية أو اجتماعية مستقبلية أهم، ولكن لا يكون جميع الناس بالمستوى الذي يدركون فيه مثل هذه النظرة المتأنيّة والبعيدة.

٣. تضارب المصالح بين مراكز القوى

إن وجود مراكز قوى دينية واجتماعية قد يكون عاملاً في إثارة الناس ضد بعض القيادات الدينية، بحيث تتخذ إحدى القيادات الدينية موقفاً أو رأياً شرعياً، فيكون هناك علماء آخرون يخالفون هذه الجهة أو القيادة في هذا الموقف أو الرأي. والمخالفة في حدود النقاش والبحث العلمي لا بأس بها، بل هي مطلوبة، ولكن في بعض الأحيان لا تقف عند حدود المخالفة العلمية، بل تصل إلى حدّ التهيج وإثارة الناس على ذلك العالم أو صاحب الرأي الجديد، ويتوسّلون في ذلك بشائعات من قبيل الادعاء عليه بأنه يريد تبديل العقيدة أو الدين، أو أنه يخرج عن آراء العلماء، وفي هذه الأجواء يكون هناك ضغوط من الجمهور على صاحب هذا الرأي، ونجد لذلك أمثلة ونماذج كثيرة عند كل المذاهب الإسلامية، فنرى هذه الحالة قد حصلت لبعض مراجع التقليد عندنا، كما حصل

للمرجع الأعلى في زمنه السيد محسن الحكيم (قده)، حيث كان الرأي السائد في عصره عند الفقهاء القول بنجاسة غير المسلمين على اختلاف أديانهم، بمن فيهم أهل الكتاب، وكان السيد الحكيم يفتي بهذا الرأي، وبالتالي لا يستطيع المسلم لمس غير المسلم برطوبة أو أن يشرب سؤره وما شابهها من أحكام.

ولكن السيد الحكيم جدّد النظر في المسألة فتوصّل إلى الرأي القائل بطهارة أهل الكتاب، فخالف بهذا الرأي ما كان سائداً في ذلك الوقت، فقامت بعض الأطراف واستغلّت الموضوع للتهريج، فاتهموا السيد الحكيم باتهامات باطلة مما أثار ضجة في النجف الأشرف عليه وما ذلك إلا بسبب هذا الرأي الفقهي.

وينقل العلامة الشيخ محمد جواد مغنّية رحمته الله في كتابه فقه الإمام الصادق أنه «عاصر ثلاثة مراجع كبار من أهل الفتيا والتقليد... قد أفتوا جميعاً بالطهارة (طهارة أهل الكتاب)، وأسروا بذلك إلى من يثقون به، ولم يعلنوا خوفاً من المهوشين»^(١).

ويقول الشيخ عفيف النابلسي في كتابه فقه أهل البيت^(٢): وقد عاصرت ثلاثة مراجع كبار من أهل الفتيا والتقليد، الأول كان في النجف الأشرف وهو الشيخ محمد رضا آل ياسين، والثاني في قم وهو السيد صدر الدين الصدر، والثالث في لبنان وهو السيد محسن الأمين، وقد أفتوا جميعاً بالطهارة - طهارة أهل الكتاب - وأسروا بذلك إلى من يثقون به خوفاً من المهووسين.

وفي هذه النقطة ينقل الشهيد مرتضى المطهّري عن المرجع الأعلى في زمانه في إيران السيد البروجردي رحمته الله أنه كان يقول: «التقية من أصحابنا أهم وأعلى»^(٣)، أي من التقية

(١) محمد جواد مغنّية، فقه الإمام الصادق عرض واستدلال، ج ١، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (قم: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر)، ص ٣٢.

(٢) ج ١ ص ٣٤، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، (بيروت: دار الهادي).

(٣) الشيخ مرتضى المطهّري. المشكلة الأساس مع جماعة علماء الدين، ضمن سلسلة محاضرات في الدين والاجتماع (٣)، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات ودار الرسول الأكرم)، ص ٦٤.

تجاه المخالفين.

ويتقل أيضاً في المصدر نفسه القصة التالية، يقول ﷺ: «لقد ارتأى المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي - أعلى الله مقامه -، مؤسس الحوزة العلمية في قم، أن يطلب من عدد من الطلبة تعلّم اللغات الأجنبية وبعض العلوم كمقدمات، لكي يستطيعوا عرض الإسلام على الطبقات المثقفة الجديدة، وفي البلدان الأجنبية، ولكن ما إن انتشر هذا الخبر حتّى جاءت جماعات من العامّة وأشباه العامّة من طهران إلى قم، وقالوا: إن هذه الأموال التي يدفعها الناس باسم سهم الإمام لا يقصد بها أن تصرف لتعلّم الطلبة لغة الكفّار، وإنهم سوف يفعلون كذا وكذا إذا نفذ [الشيخ الحائري] الاقتراح. فلمّا رأى المرحوم أن ذلك سيكون سبباً لانهيار الحوزة العلمية من أساسها ألغى فكرته مؤقّتاً^(١). وتقل لنا الأحداث ما أثير ضدّ السيد محسن الأمين العاملي حينما طرح رأيه حول تنزيه الشعائر الحسينية، حيث ثارت عليه ضجّة وصلت إلى حدّ تكفيره في بعض الأحيان، لدرجة أنه كان يريد التوجّه بعدها إلى زيارة النجف الأشرف فجاءته الرسائل بأن لا يأتي لأن هناك من يتهدّده بالإهانة وربما القتل.

وهذا ليس حكراً على مذهب دون آخر، فهذا الشيخ محمد أبو زهرة ﷺ - من علماء الأزهر وله كتب وآراء ناضجة - قال في أحد المؤتمرات كما نقل عنه الشيخ يوسف القرضاوي: (أنه عنده رأي كتمه عشرين عاماً ويريد أن يبوح به الآن)، وأضاف الشيخ القرضاوي (إنني كتمت بعض الفتاوى لسنين طويلة خشية أن يهاجمني المهاجمون ثم بدأت أفصح عن هذه الفتاوى وأنشرها)^(٢).

وكذلك رئيس مجلس الشورى في المملكة الشيخ صالح بن حميد قال في حفل تكريم والده الشيخ عبدالله بن حميد الذي أقيم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة - حسب ما

(١) المصدر السابق. ص ٦٥.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، ٣٠/١/٢٠٠١م.

نقلت ذلك جريدة المدينة في عددها الصادر في ٣٠ / ١٠ / ١٤٢٦ هـ في ملحق الرسالة: (أن والده تمكن في السبعينيات من كسب معركة بناء الجامع الكبير في بريدة بالأسمت المسلح، بعد أن لقي معارضة شديدة من أهالي المدينة، الذين اعترضوا بشدة، وطالبوه بأن يكون البناء بالطين وسعف النخيل على ما درج عليه أجدادهم معتبرين ذلك معركة حياة أو موت).

لذلك من الضروري أن تمتلك القيادات الدينية البصيرة والشجاعة، والتحلي بدرجة عالية من الإخلاص، والاستعداد للتضحية، إذا كان ما تسعى إليه هذه القيادات من الأمور المهمة، فتقدم على اتخاذ الموقف، وتبين الرأي الشرعي وتذيعه، دون مراعاة هذه الحساسية الجماهيرية المنفصلة.

نماذج من القيادات الدينية الواعية

وهذا النوع من القيادات لا نعدمها في تاريخنا المعاصر، فإننا نجد في هذا العصر روادًا طرحوا آراءهم التجديدية في الفكر والفقهاء الإسلاميين، وأسسوا المشاريع الإسلامية الرائدة، فنجد في العراق - كمثال - الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي طرح مشروعًا فكريًا جديدًا في الاقتصاد الإسلامي وفي الفلسفة الإسلامية، وأسس حركة إسلامية واعية في العراق، وقد واجه من أجل ذلك ضغوطًا كثيرة يذكرها من كتب عنه من تلامذته ومن درسوا الحالة العراقية في وقته.

وفي لبنان نجد الإمام موسى الصدر والشيخ محمد جواد مغنية والشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرهم من علماء الدين الذين أسسوا وساهموا في نشر الوعي الإسلامي الوطني في لبنان، وقد واجه جميع هؤلاء مشاكل وافترقات وضغوطًا، ولكنهم تحمّلوا مسؤولياتهم وأدوا ما عليهم من أدوار.

ولا ننسى أن في منطقتنا - والحمد لله - لدينا بعض العلماء الرواد في طروحاتهم الفكرية والعلمية، وفي هذا المجال يجدر بنا أن نشيد بشخصية العلامة الدكتور الشيخ

عبد الهادي الفضلي - من الله عليه بالصحة والعافية -.

هذا العالم الذي يمكن اعتباره - وبدون مبالغة - أبرز كفاءة علمية في منطقتنا في هذا العصر، إذ لا يصح أن نبخسه حقه في هذا الجانب، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة الأعراف آية: ٨٥]، فنحن - وللأسف - قد نكون جريئين في الإشادة بشخصيات من خارج المنطقة، أو الإشادة بشخصياتنا بعد رحيلها، وهذه الحالة ليست من سمات المجتمعات الحية المنصفة، فالشيخ الفضلي كفاءة علمية عظيمة ينبغي الإشادة بها، فهو فقيه، وكتابات وآراء العلماء تدلُّ على مكانته الفقهية والعلمية.

كما أنه شخصية أكاديمية، فبالإضافة إلى دراساته الحوزوية في النجف الأشرف وحضوره البحث الخارج على أيدي كبار الفقهاء والمراجع هناك، واصل دراساته الأكاديمية، فنال درجة البكالوريوس من كلية الفقه في النجف، ودرجة الماجستير من جامعة بغداد، والدكتوراه من جامعة القاهرة. فهو أكاديمي حوزوي.

يضاف إلى درجته العلمية نتاجه الفكري والثقافي، فله مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات تصل إلى أكثر من ٦٠ كتاباً في مختلف المجالات، من أبرزها دروس في فقه الإمامية في أربعة مجلدات. وبعض كتبه تدرّس في الحوزات العلمية من قبل أكثر من ثلاثين سنة.

وفي مجال النشاط الحركي كان من المؤسسين للحركة الإسلامية في العراق، وكان عضواً في جمعية منتدى النشر، وعضواً في جماعة العلماء، وفي رابطة النشر، وكان عضواً في هيئة تحرير مجلة الأضواء وهيئة تحرير مجلة النجف، وغيرها من الأنشطة الثقافية.

وابتداءً من سنة ١٣٩١ هـ جاء إلى مدينة جدّة وأصبح أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة، وهو من أسس قسم اللغة العربية فيها، كما كان عضواً مؤسساً ودائماً في لجنة المخطوطات في مكتبتها المركزية^(١).

(١) انظر ترجمته في أعلام هجر للسيد هاشم الشخص.

هذا بالإضافة إلى أخلاقه وانفتاحه على الجميع، وإشادته الدائمة بالطاقات المحليّة، فلم يذهب له مؤلّف أو باحث يطلب منه التقديم لكتابه إلا واستجاب لطلبه مهما كانت قيمة الكتاب.

وشخصية كهذه لها واجب علينا، فلا أقل من أن نرفع أيدينا بالدعاء له بالشفاء والعافية، حيث أصيب مؤخراً بجلطة دماغية، تجاوز معظم آثارها، وهو يخضع حالياً للعلاج في مدينة الأمير سلطان الطبية في الرياض.

المحور الثالث: نماذج من سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته

نحن نجد في سيرة الرسول ﷺ بعض المواقف التي كان ﷺ يتّخذ فيها موقفاً يتعارض مع رأي الصحابة، وذلك حينما تكون هناك مصلحة واضحة قد لا يلتفت عموم الصحابة إليها. ومن أبرز تلك المواقف ما حصل عند توقيع صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش في السنة السادسة للهجرة، حيث اعترض عدد كبير من الصحابة، وكان من أبرزهم الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، حيث جاء وهو غاضب، وقال: «يا رسول الله، أولسنا مسلمين؟!».

فأجابه: «بلى».

فقال: «أوليسوا مشركين؟!».

قال: «بلى».

فقال عمر: «فعلام نعطي الدنية في ديننا؟!».

فقال النبي: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيّعني»^(١).

وقد كان من شروط الصلح التي أثارت بعض الصحابة ما كان فيها من إلزام للرسول بأن يرجع إلى قريش كل من يهاجر مسلماً دون رضا أهله.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٣١٧.

وبينما كان رسول الله ﷺ يكتب بنود الصلح هو «وسهيل بن عمرو [عن قريش]، إذ جاء أبو الجندل بن سهيل بن عمر يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمّل رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون؛ فلما رأى سهيل [ابنه] أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتليبيه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية^(١) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، فجعل ينتره^(٢) بتليبيه ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو الجندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرذُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك، وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم»^(٣).

ونجد مثلاً آخر في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ حينما آلت إليه الخلافة، حيث واجه ضغوطاً من قبل من حوله وأصحابه حول قضايا كثيرة، من أبرزها تثبيت معاوية على ولاية الشام، فقد قال المغيرة بن شعبة لعلي: اقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت، فأجابه علي ؑ وقال: «والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي في الدنيا أمري». وقال المغيرة لعلي: فإن كنت أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإنه في معاوية جراءة، وهو في أهل الشام يستمع منه، ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام. فقال ؑ له: «لا والله، لا استعمل معاوية يومين»^(٤).

(١) لجت القضية: تمت.

(٢) ينتره: يجذبه جذباً شديداً.

(٣) المصدر السابق. ص ٣١٨.

(٤) الكامل في التاريخ. ج ٣، ص ٨٦-٨٧.

وكذلك في مسألة المفاضلة في العطاء، فكان المسلمون معتادين قبل خلافة الإمام علي عليه السلام على المفاضلة في العطاء حسب الدرجات والمستويات، وفي هذا السياق يروى أنه جاءت امرأتان فأعطاهما على حدّ سواء، فلما ولتا سفرت إحداهما وقالت: يا أمير المؤمنين فضلني الله بما فضلك الله به وشرفك! قال: «وبما فضلني الله وشرفني؟» قالت: برسول الله ﷺ قال: «صدقت. وما أنت؟» قالت: أنا امرأة من العرب، وهذه من الموالي. قال: فتناول شيئاً من الأرض، ثم قال: «قد قرأت ما بين اللوحين، فما رأيت لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلاً ولا جناح بعوضة»^(١).

وقد واجه الإمام علي ضغوطاً كبيرة ليسير بنفس السيرة السابقة في مسألة المفاضلة في العطاء، فقال لهم: «تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير أو أمّ نجم في السماء نجماً»^(٢).

ونجد ذلك في حياة الإمام الحسن في صلحه مع معاوية.

وفي موقف الإمام الصادق عليه السلام أواخر الدولة الأموية، حينما بدأ العباسيون يتحرّكون تحت شعار «الرضا من آل محمد»، حيث كانت ثورتهم باسم أهل البيت، ما جعل الكثيرين يطلبون من الإمام الصادق عليه السلام التصدي وتبني الثورة، وكان من أبرزهم أبو مسلم الخراساني، ولكن الإمام الصادق عليه السلام كان يرفض ويقول: «ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانني»^(٣)، فكان تشخيصه للوضع أنه ليس الوضع والوقت المناسب.

وقد سبب له موقفه هذا بعض ردّات الفعل، خصوصاً من أتباع الزيدية، إذ جاءه أحد أصحابه وقال له: يا ابن رسول الله، إن الزيدية يقولون ليس بيننا وبين جعفر [ابن محمد] خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد، فأجابه الإمام: «أنا لا أراه؟!، بلى - والله - لأراه،

(١) محمد الريشهري. موسوعة الإمام علي، ج ٤، ص ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة. من كلام له في التسوية في العطاء رقم ١٢٦.

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى، الباب الخامس والستون في إيراد في كتاب فصل الخطاب، ج ٣،

ولكنّي أكره أن أدع علمي إلى جهلهم»^(١).

ولذلك على القيادة الدينية أن تكون بهذا الوعي وقراءة المواقف، فإذا كان الموقف يتطلب الإقدام تقدم، وإذا كان يتطلب المهادنة والمداراة تهادن دون عناية كبيرة بآراء ومعارضة الجمهور التي قد تكون في كثير من الأحيان نتيجة العاطفة والتعجل في اتخاذ الموقف.

وهذا ما نراه في سيرة ونهج الإمام الحسين عليه السلام عندما أتته الرسائل بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام للثورة على معاوية، ولكنّه رفض الاستجابة لهذه الرسائل. كما أنّه عندما أعلن معارضته لخلافة يزيد جاءه من الصحابة ومن كبار المسلمين من ينهاه عن المسير في هذا الاتجاه، ولكنّه كان يجيبهم بقوله: «شاء الله أن يراني قتيلاً».

(١) الكافي. ج ٥، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب، ص ١٣.

الإمام الحسين عليه السلام مدرسة العطاء ^(١)

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣٩].

المحور الأول: من هدي الإمام الحسين عليه السلام

حينما نجتمع لاستعيد ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام لا يكفي أن نتفجع لمصيبته، أو نعجب ببطولته وصموده، إنما بالدرجة الأولى علينا أن نسعى للاقتداء به، والأخذ بهديه، وهذا يلزمنا أن نتعرف جوانب سيرته المشرقة، وأن نأخذ ونقتبس منها ما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا.

ومن الجوانب المهمة في حياة الإمام الحسين عليه السلام وشخصيته، أنه مدرسة في العطاء، فحياته كانت مكرسة للعطاء، وأبرز مثال على ذلك شهادته عليه السلام، إذ كانت القمة والذروة في مسيرة عطائه عليه السلام، فقد جاد بنفسه، «والجود بالنفس أقصى غاية الجود».

(١) أُلقيت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ٨ محرم ١٤٢٨هـ.

سخاء الإمام عليه السلام ينطلق من مفهومه ورؤيته، فإننا لو اطلعنا على كلمات الإمام الحسين عليه السلام لرأيناه يضع منظومة متكاملة حول فلسفة المال والتعامل مع الثروة والإمكانات المتاحة في الحياة، يقول عليه السلام في كلمة له: «مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تُبقي عليه، فإنه لا يبقي عليك، وكُلُّهُ قبل أن يأكلك»^(١).

ويقصد الإمام بذلك أن مالك هو لك ما كنت له منفقاً، وأما المتبقي فهو ذخيرة لغيرك، وتكون أنت المحاسب عليه، والمطالب به، وأنت لا تبقى لمالك، فَكُلُّهُ قبل أن يأكلك.

١. الإمام يُعَدُّ المال الحقيقي هو الذي ينفقه الإنسان ويتصرف فيه في الحياة، وما زاد عليه يسميه الإنسان مَالَهُ، وهو في الحقيقة ليس له؛ لأن هذا المال سيبقى وسيأخذه آخرون، بينما الإنسان سيحاسب عليه يوم القيامة. كما ورد في حديث قدسي عن الله تعالى: «يقول ابن آدم ملكي وملكي، ومالي مالي، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك ولم تكن، وهل لك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت»^(٢).

٢. من ناحية ثانية فإن الإمام عليه السلام يعدّ وجود حاجات متبادلة بين الناس، بحيث كل مستطيع منهم يقدم الخدمة لأخيه الإنسان، يعدّ هذه نعمة من الله تعالى على ذلك المستطيع، وتوفيقاً إلهياً وفق إليه في خدمته للآخرين، قال عليه السلام: «اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا التعم فتحور نقماً»^(٣) - تحور بمعنى: ترجع -.

حينما تكون في موقع من الثروة والجاه ويأتيك الآخرون ويطلبون منك، فيجب

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٥٧ ح ٢١.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٥٦ ح ١٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٢١ ح ٤.

أن تعلم أن هذه نعمةٌ من الله سبحانه عليك.

٣. في مورد ثالث يتحدث الإمام الحسين عليه السلام عن العطاء والسخاء بأنه هو الذي يجعل للإنسان موقعاً متقدماً في الحياة والمجتمع قال عليه السلام: «أيها الناس من جاد، ساد»^(١)، بمعنى: من يجود بهاله - أي يعطي - يستحق السيادة والتقدم والاحترام في المجتمع، نتيجة طبيعية لعطائه وجوده.

٤. الإمام الحسين عليه السلام حينما سمع رجلاً يقول: «إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع»، بمعنى: إذا صنع الإنسان معروفاً في غير أهله يضيع هذا المعروف، وكأننا ذلك الإنسان ضيع جهده وماله في غير محلّه، وكأنه ضيع ماله وفقده.

أجابه الإمام عليه السلام: «ليس كذلك، ولكن تكون الصنعة مثل وابل المطر تصيب البرّ والفاجر»^(٢).

الإنسان ينبغي أن يصنع المعروف الشامل لكل الناس، كما جاء في الحديث الشريف: «اصطنع الخير إلى من هو أهله، فإن لم تصب أهله فأنت أهله»^(٣).

وفي رواية: «اصطنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله، فإن لم يكن أهله فأنت أهله»^(٤).

٥. ويقول عليه السلام في كلمة أخرى: «إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أيها الناس، من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا أهل المعروف»^(٥).

وهو القائل كما يروى ^(٦) عنه عليه السلام:

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ج ٧٥ ص ١١٧ ح ٣.

(٣) مستدرک وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٣٤٨ ح ١٤٢٥٤.

(٤) المصدر السابق ح ١٤٢٥٥.

(٥) حياة الإمام الحسين (ع) ج ١ ص ١٨٣.

(٦) بحار الأنوار ج ٤٤ - ص ١٩١ ح ٣.

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل أن تتفلت
فلا الجود يفتنيها إذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها إذا ما تولت
هذه نماذج من كلمات الإمام الحسين عليه السلام وفلسفته للعطاء والإنفاق
نماذج من عطاء الإمام الحسين عليه السلام في سيرته

يتحدث المؤرخون عن كرم الإمام عليه السلام وجوده، وينقلون في ذلك وقائع وحوادث
عدّة، نشير إلى بعض منها:

١. مرّ الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كِسراً، فقالوا:
«هلم يا ابن رسول الله»، فثنى وركه فأكل معهم، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْتَكْرِبِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٢٣]، ثم قال: «قد أحببتكم فأجيبوني»، قالوا:
«نعم، يا ابن رسول الله»، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: «أخرجي
ما كنت تدخرين»^(١)، وفي هذه الحادثة هناك روايتان: رواية تقول: «فأكل معهم»،
وأخرى تقول: «لولا أنه صدقة لأكلت معكم»، ثم قال: «قوموا إلى منزلي»،
فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم»^(٢).

ولعلهما حادثان لجماعتين، الجماعة الأولى كانوا فقراء يأكلون من ما لهم، لكنهم
كانوا ضعفاء وفقراء، بينما الجماعة الأخرى كانوا من المساكين وعندهم من أموال الصدقة
يأكلون منها.

٢. وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدلوه على الحسين عليه السلام، فدخل
المسجد فوجده مصلياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٨٩ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ - ص ١٩١ ح ٣.

لم يخب الآن من رجاك ومن حرّك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

قال: فسلم الحسين وقال: «يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟» قال: «نعم، أربعة آلاف دينار»، فقال: «هاتها، قد جاء من هو أحق بها منا»، ثم نزع برديه ولفّ الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمسست سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقه

قال: فأخذها الأعرابي، وبكى، فقال له: «لعلك استقللت ما أعطيناك»، قال: «لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك»^(١).

٣. دخل الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: «واغماه!»، فقال له الحسين عليه السلام: «وما أغمك يا أخي؟» قال: «دَينِي، وهو ستون ألف درهم»، فقال الحسين عليه السلام: «هو علي»، قال: «إني أخشى أن أموت»، فقال الحسين: «لن تموت حتى أقضيها عنك»، قال: فقضاها قبل موته^(٢).

٤. وروى أحمد بن سليمان بن علي البحراني في (عقد اللال في مناقب الآل) أن الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها في باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي: «إني قتلت ابن عم

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

لي وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟» فرفع رأسه إلى غلامه، وقال: «ادفع إليه مئة درهم»، فقال الأعرابي: «ما أريد إلا الدية تماماً ثم تركه»، وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه: «ادفع إليه مئتي درهم»، فقال الأعرابي: «ما أريد إلا الدية تماماً»، ثم تركه، وأتى الحسين عليه السلام فسلم عليه، وقال: «يا ابن رسول الله، إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟»، فقال له: «يا أعرابي، نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة»، فقال: «سل ما تريد»، فقال له الحسين: «يا أعرابي، ما النجاة من الهلكة؟» قال: «التوكل على الله عز وجل»، فقال: «وما الهمة؟» قال: «الثقة بالله»، ثم سأله الحسين غير ذلك، وأجاب الأعرابي، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم، وقال له: «هذه لقضاء ديونك»، وعشرة آلاف درهم أخرى، وقال: «هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك»، فأنشأ الأعرابي يقول:

طربت وما هاج لي معبق	ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسو	ل فلذ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون	نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات	فقصر عن سبقك السبق
بكم فتح الله باب الرشاد	وباب الفساد بكم مغلق (١)

هذا غيظ من فيض، وإلا فالشواهد التي تدل على جوده وسخائه كثيرة. إن الإمام الحسين عليه السلام كان في كلامه وسيرته مدرسة للعطاء والسخاء.

المحور الثاني: السعي للثروة والقدرة

بعض الناس حين يسمعون قصصًا وأخبارًا عن الأسيخاء، والمفقين، يتشجعون للعتاء، حيث يتمنى لو أن عنده ثروة لينفق منها، وفي الواقع على الإنسان أن يسعى لكي تكون له ثروة وقدرة، ولا ينبغي له أن يقبل لنفسه مستوى محدودًا من الجاه أو من المال، بل عليه أن لا يكون لطموح وتطلعه حدود.

في كثير من المجتمعات أغلب الناس لديهم تطلع لتحسين وضعهم الاقتصادي، ويفكرون كيف يصبحون أثرياء، وكيف يمتلكون الثروة أما في مجتمعنا - وللأسف - فإن أغلب الناس شعارهم «أقل ما فيها يكفيها»، فالمهم لدى الفرد منا أن يحصل على لقمة العيش وعلى الوظيفة التي يُسير بها شؤون حياته العامة.

الآية الكريمة التي افتتحنا بها الحديث قبل أن نتحدث عن الإنفاق تتحدث عن بسط الرزق والتقدير في الرزق، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣٩].

الله سبحانه يبسط الرزق لبعض من الناس، ويقدر على البعض الآخر، وفي الوقت نفسه لا يوزع الله الأرزاق بين الناس بشكل عبثي، وإنما ضمن سنن ووسائل وحكمة إلهية، ولذلك ورد عن علي بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ما فعل عمر بن مسلم؟» قلت: «جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة»، فقال عليه السلام: «ويجه، أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له؟ إن قومًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣] أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: «قد كفيينا»، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليهم، فقال: «ما حملكم على ما صنعتم؟» قالوا: «يا رسول الله، تكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة»، فقال: «إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب»^(١).

ومثله قوله عليه السلام: «إني لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه يقول: «اللهم ارزقني»، ويترك الطلب»^(١).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رجلاً سأله أن يدعو الله له أن يرزقه في دعة، فقال عليه السلام: لا أدعو لك، اطلب كما أمرت، وقال: «ينبغي للمسلم أن يلتمس الرزق حتى يصيبه حرّ الشمس»^(٢).

هذا الرجل يريد من الإمام أن يدعو له على أساس أن دعاء الإمام عليه السلام مستجاب، إنه يريد أن يأتيه الرزق وهو جالس في بيته من غير عناء، ولم يقبل الإمام ذلك، يقول تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٥].

فأساس فلسفة وجود الإنسان في هذه الحياة لكي يعمر الكون، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية: ٦١].

الناس في بعض المجتمعات يتحفزون للعمل والسعي والإنتاج، بينما تجد المهمة للسعي في بعض المجتمعات قليلة، والأثرياء يُعدُّون فيها على الأصابع، ومنها مجتمعاتنا، فإذا أراد الإنسان أن يحصي الأثرياء في المجتمع لا يجد عددًا كبيرًا، بينما في مجتمعات أخرى تجد أعدادًا كبيرة من الأثرياء.

ومن ذلك ما نشره تقرير يخبر عن الحالة المادية بسويسرا، حيث يفيد التقرير أنه من بين كل ٢٥ سويسري يوجد بينهم مليونير واحد^(٣).

ومجتمعات أخرى غير المجتمع السويسري إذا وُضعت قائمة لعدد الأثرياء المتمكنين فيها، تجد أمامك قائمة كبيرة.

بينما في بعض المجتمعات - ومجتمعنا واحد منها - عندما يحصى عدد الأثرياء في

(١) مستدرك الوسائل ج ١٣ ص ١٥ ح ١٤٥٩٧.

(٢) دعائم الإسلام ج ٢ ص ٥.

(٣) جريدة الوطن بتاريخ ١٠/١١/١٤٢٥هـ.

المدينة الواحدة بالكاد تخرج بعدد يصل إلى عدد الأصابع في اليد الواحدة.

أسباب عدم السعي للثروة والقدرة

هذه المسألة ليست عفوية بل تدل على حالة معينة.

يوجد هناك عاملان أساسيان، هما:

١. التربية

المجتمعات التي تربي أبنائها على الاتكالية والاعتماد على الغير، بحيث يترى الولد من صغره إلى أن يصبح شاباً على أن أباه وأهله ينفقون عليه ويوفرون له كل شيء من دون عناء، هذا الإنسان يستمر على هذه الحالة بحيث يريد أن تتوفر له احتياجاته دون عناء وتعب طوال حياته.

وفي هذه النقطة يُنقل أن العرب في الجاهلية كانوا يربون أبنائهم على الخشونة، ولذلك يدفعون بالطفل الصغير حتى يترى في البادية، وهي عادة حسنة، ذلك أن التدليل وتوفير كل شيء للأبناء في كثير من الأحيان ليس لصالح بناء شخصيتهم. ولذلك لا أظن أنه من الصالح أن يشعر الأب بفخر واعتزاز بأنه اشترى لولده سيارة من أفضل الموديلات وأرقى الماركات، وربما دُلَّه بطرق وأساليب أخرى.

وربما تكون هذه الممارسات الطائشة بالسيارات والدراجات النارية ناتجة عن مثل هذا النوع من التدليل، حيث لا يكون الابن هو من وقر لنفسه هذا النوع من المركبات. وأتمنى أن توجه كثير من هذه المصروفات فيما هو في خدمة أبنائنا فعلاً، فبدل أن يشتري الأب المتمكن لابنه سيارة غالية الثمن، بإمكانه أن يصرف هذا المبلغ في أن يرسله للدراسة بالخارج، ليأتي بشهادة عالية ودراسة جادة.

إننا نرى بقية المجتمعات التي تعيش مستوى اقتصادي أقل مما نعيشه ينفقون كل ما يجمعونه في حياتهم من أجل أن يدرس أبنائهم بالخارج.

إننا لا نتوقع بفعل هذا النوع من التربية والعناية من هؤلاء الأبناء أن يكونوا منتجين كادحين.

٢. الثقافة السائدة في المجتمع

بعض المجتمعات تسودهم ثقافة تدفع للعمل وللثراء، وبعض المجتمعات على العكس من ذلك، تسودها ثقافة الاتكال والرضا بالحال.

قصة عالم الاجتماع الألماني

وفي هذا المجال ينقل عن عالم الاجتماع الألماني المعروف ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠م) - وهو من كبار علماء الاجتماع ومن مؤسسي علم الاجتماع الحديث، إذ كان أمين مكتبة، تم توجهه إلى علم الاجتماع وأصبح من عباقرة علم الاجتماع في هذا العصر. ينقل عنه أنه كان قد لفت نظره وضع منطقتين متجاورتين في ألمانيا متساويتين في ظروفهما الطبيعية، لكن الوضع الاجتماعي والاقتصادي في إحدى المنطقتين يختلف عن الأخرى، إحدى المنطقتين بها تقدم اقتصادي، والناس فيها أثرياء، لديهم مصانع وتجارة رائجة، بينما الأخرى غالبية أهلها فقراء ويعيشون في حالة ريفية، ليس لديهم تلك الثروات والإمكانات الكبيرة.

فالتفت العالم فيبر لهذا التفاوت، وحاول أن يبحث هل هناك سبب لهذا التفاوت؟ ووضع لذلك احتمالات عدة، منها:

- هل هذه المنطقة فيها ثروات والأخرى لا يوجد بها مثل تلك الثروات؟
 - هل الوضع في المنطقة من حيث الطقس يختلف عن الأخرى؟
- وضع كل الاحتمالات فلم يجد سببًا، إلى أن التفت إلى أن السبب في ذلك هو الفارق في الثقافة، إذ كانت المدينة المتقدمة صناعيًا تنتمي إلى المذهب البروتستانتية، وكانوا ضمن المدرسة الكالفينية، وهي تعدّ مدرسة متطورة في هذا المجال، إذ كان يتربى الناس فيها على أن مكانة الناس في الآخرة هي بحجم مكانتهم في الدنيا.

بينما المنطقة الأخرى كانت ملتزمة بالمذهب الكاثوليكي في المسيحية، وهذا المذهب التقليدي يُزهد أتباعه في الحياة، ولا يعطي أهمية للحياة ولا يبعث الهمة على النشاط والعمل الاقتصادي.

(كانفي الجورن) - صاحب المدرسة الكالفنية المسيحية - ربّى الناس في مجتمعه على أنه ينبغي لهم أن يكونوا متقدمين في الدنيا، لكي يكونوا متقدمين في الآخرة، فكان يربط في أذهانهم بين التقدم في الدنيا والتقدم في الآخرة.

كما أن لديه مفهوماً لا تتفق معه فيه .. فهو يقول: إن الله يحب التّخب، ولا يحب الفقراء المساكين، ويقصد بالتّخب - هنا - أصحاب الثروات، وأصحاب المكانة الاجتماعية والعلمية، فيقول بأن هؤلاء هم جماعة الله وليس الناس الفقراء التّعساء. ولذلك العالم الألماني اكتشف أن الفارق بين المنطقتين هو هذا الفارق الثقافي، منطقة ثقافة أبنائهم تدفعهم إلى النشاط والفاعلية، والمنطقة الأخرى ثقافة أبنائها لا تدفعهم إلى ذلك. ولهذا تقدمت هذه وتأخرت تلك.

أثر الثقافة الاجتماعية في تقدّم الأمم

وفي هذه النقطة أتذكّر أنني في أولى سفراتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٠م، أثناء وجود طلاب في مؤتمر إسلامي التقيت طالبين وصلا للتوّ إلى هناك، أحدهما من لبنان، والآخر من إحدى المناطق الخليجية، وكان الفارق بينهما أن الطالب الخليجي أتى ولديه بعثة رسمية من الدولة، ومالٌ من أهله، وكان في حالة جيدة، بينما الطالب اللبناني استطاع بصعوبة أن يحصل على مالٍ للتذكرة ليتسنى له الدراسة في أمريكا.

وبعد خمس سنوات اتفق أن التقيت هذين الطالبين مرة أخرى، ولكن مع فارق كبير، فالطالب الخليجي لم يتمكن من إتمام دراسته، لينقطع عنه تمويل البعثة، لدرجة أنه أتى إلى المؤتمر باحثاً عن من يقدم له المساعدة المالية ليتمكّن من مواصلة المعيشة في الولايات

المتحدة الأمريكية، بينما الطالب اللبناني إلى جانب دراسته التي أتمّها حصل على بطاقة أـل «غرين كارد» (البطاقة الخضراء)، وحصل على الجنسية الأمريكية، وعَمِل بالتجارة، وأصبح لديه إمكانيات جيدة وثروة ومكانة اجتماعية.

هذان الطالبان جاءا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في وقتٍ واحد، ولكن مع اختلاف في النظرة إلى الحياة وفي الثقافة وفي أسلوب التربية، وسبب هذا الاختلاف هو التفاوت بين الشخصيتين، وكذلك طبيعة المجتمع الذي أتى منه كل منهما.

ففي مجتمع لبنان نُلاحظ: أن طبيعة المجتمع فيها دفع وتحفيز وتطلع، ولذلك أبناء المجتمع اللبناني أينما ذهبوا - مغتربين وهارين عن بلدهم بسبب الفقر أو الحرب - يصبحون في مختلف المناطق أثرياء، وبعضهم وصل إلى مواقع سياسية في تلك البلاد. والسبب في ذلك هو وجود ثقافة اجتماعية دافعة في هذا الاتجاه في ذلك المجتمع. ولذا أرى أن مجتمعنا بحاجة إلى ثقافة تدفع أبناءه إلى الشراء وإلى التقدم الاقتصادي، وبخاصة أن منطقتنا تتوفر بها ثروات هائلة، ولها تاريخ اقتصادي.

ولا أظن أنه من المجدي أن نبحث عن التبريرات، التي هي جزء من هذه الثقافة التقاعسية، مُقنعين أنفسنا أننا غير مقصرين، وأنا نسعى، ونضع أمامنا العوائق غير الواقعية.

هذه التبريرات جزء من الثقافة الخاطئة التقاعسية التي تُثبِّط الهمم، فمهما كانت العوائق، فالإنسان الناشط وصاحب الإرادة، يتجاوز العوائق، وذلك بدليل ما نراه من أن أفراداً مئاً استطاعوا أن يُصبحوا أصحاب ثروة وإمكانيات عالية.

الدين الإسلامي يدعو إلى العلو

يبدو لبعضنا أن الدنيا ليست ذات أهمية، إنما الأهم كسب رضا الله تعالى.

إن وجود مثل هذه الثقافة تقلل أهمية الحركة والنشاط، وهي في الواقع تخالف

نصوص الدين وتعاليمه.

تعاليم الدين تشجع الإنسان المؤمن أن يكون أفضل من غيره، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

المؤمنون لا ينبغي لهم أن يكونوا في حالة يرثى لها من التخلف العلمي والحضاري، إنما ينبغي لهم أن يكافحوا حتى يكونوا في موقع أفضل حياتياً واقتصادياً، كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٩].

مراعاة المظهر والسلوك العام للمجتمع الإسلامي

لماذا الإنسان يقبل لنفسه أن يكون منظره وهيأته ليست في المستوى اللائق والمتقدم؟

إن مما يؤسف له أن تصلنا الأخبار عن بعض أبنائنا من المنطقة عندما يتواجدون في مناطق أخرى في المملكة - لعمل أو لدراسة - فغالبا ما يظهرون وهم حاسرو الرؤوس، على العكس من أبناء المجتمعات الأخرى عندما يذهبون إلى الجامعات أو الأسواق، حيث يلتزمون بالزي الوطني، ويظهرون بمظهر جيد.

ينبغي لنا أن نهتم بمنظرنا، فهذه مسألة مهمة، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣١]، وقال نبينا الأعظم ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».

وكان هذا الحديث إجابة عن سؤال تقدم به أحد أصحابه ﷺ عن اللباس الجميل النظيف، فتقول الرواية كما يذكرها عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر»، قال رجل: «يا رسول الله، إنه ليعجبني أن يكون ثوبي جديداً ورأسى دهنياً، وشراك نعلي جديداً»، قال ﷺ: «ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال»^(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «إن الله يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتبؤس،

(١) المستدرك على الصحيحين ج ١ ص ٧٨ حديث ٦٩.

فإن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها»، قيل: «كيف ذلك؟» قال: «ينظف ثوبه، ويطيب ريحه»^(١).

وعنه عليه السلام أنه نظر إلى رجل من أصحابه، عليه جبة خز - إلى أن قال - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام للرجل: «الْبَسْ وَتَجَمَّلْ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَحِبُّ الْجَمَالَ مَا كَانَ مِنْ حَلَالٍ»^(٢). البعض لا يرى القضية بهذه الأهمية، ولكنها مهمة، حيث يبرر البعض ذلك بأنها عادات وتقاليد اجتماعية، فأبناء هذا المجتمع من طبيعتهم هذا اللباس، وليس ذلك اللباس في تلك المناطق.

والبعض يعد هذه النقطة من باب تقييد الحرّيات أو إطلاقها، لدرجة أن البعض يتساهل ولا يقيّد حرّيته، حتى إنه يذهب إلى المسجد ببجامة النوم ويصلي بها، أو يذهب إلى المجالس العامة ولا يهتم بمنظره وشكله.

الإنسان المؤمن ينبغي أن يعيش حياة أفضل، غير المسلمين ليسوا أولى منا بزينة الدنيا والطيبات من الرزق فيها، فينبغي لنا أن نسعى، وأن يكون لدينا طموح، وأن نتعاون كمجتمع وأفراد وجماعات، فهذا إعزاز للدين والعقيدة التي ننتمي إليها. وقد جاء توجيه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بهذا الاتجاه، كما ورد في حديث عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: «نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغَنَى»^(٣).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «نعم العون الدنيا على الآخرة»^(٤)، ويروي عنه عليه السلام كما في الكافي: «نعم العون على الآخرة الدنيا»^(٥)، وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠١]،

(١) وسائل الشيعة ج ٥، ص ٧ ح ٥٧٤٦.

(٢) مستدرک الوسائل ج ٣، ص ٢٣٥ ح ٣٤٦٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٥٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكافي ج ٥ ص ٧٢ ح ٩.

قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا»^(١).

وقال ﷺ: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»^(٢).
وروي عنه ﷺ أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٣).

وفي حديث آخر ينسب للإمام علي ﷺ أنه قال: «خير الدنيا والآخرة في خصلتين: الغنى والتقى، وشر الدنيا والآخرة في خصلتين: الفقر والفجور»^(٤).
وورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «أصلحوا دنياكم، واعملوا لآخرتكم»^(٥).

فك الارتباط بين الغنى والتعلق المذموم بالدنيا

وهنا نقف مع ما قد يحسبه البعض تناقضاً، فنحن ذكرنا سابقاً أحاديث تحث على حب الدنيا وطلب الغنى، وهناك بعض الروايات جاءت في ذم الدنيا والغنى كقوله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله»^(٦)، أو كقوله ﷺ: «شر أمتي الأغنياء»^(٧)، وهذا ليس تناقضاً، فليس معنى هذه الأحاديث ترك الدنيا، إنما معناها عدم التكالب عليها والتعلق بها على حساب أداء الواجبات الشرعية.

والطلب عندما يكون من الحلال ويصرف في الحلال والطاعة، فهذا مقتضى الجمع بين الدنيا والآخرة، وهذا ما نفهمه من قول الإمام الصادق ﷺ: «لا خير في

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٣٠١ كلمة رقم ٤٤٦.

(٥) التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة للريشهري ص ٥٠ ح ١.

(٦) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٥ باب استحباب الزهد في الدنيا.

(٧) جامع السعادات ج ٢ ص ٣٦، فصل (ذم المال).

من لا يجب جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه»^(١)، وقوله عليه السلام: «من طلب الدنيا استغناءً عن الناس وتعطفًا على الجار، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»^(٢).

وهذه كلها أحاديث تدل على أن الثروة من المنظور الإسلامي خير معين على التقوى وبناء النفس، كما أنها ساترة للنقائص والعيوب.

حاجة المجتمع إلى العلاقات والمعارف وأصحاب الجاه

هناك تجارب كثيرة تُبين كيف أن أشخاصًا من مجتمعنا بجدهم وبمثابرتهم أصبحوا أثرياء ولديهم قدرات هائلة، سواء كانت قدرات مالية أو وجاهية، وللأسف فإن البعض من الناس لا يعرف قيمة وجود ذوي الجاه، والمقصود بالجاه - هنا -: العلاقات الاجتماعية الواسعة والنافذة، والقادرة على التدخل في حلّ كثير من المشاكل والأزمات.

الحياة تحتاج إلى مثل هذه الأمور، وبخاصة في مجتمعاتنا وفي بلداننا، حيث لا تسير أمورهم إلا بالمحسوبيات والعلاقات، فكلما كان للمجتمع علاقات ومعارف وجاه تُصبح أمور الناس أفضل في مختلف المجالات.

ومن الخطأ ما يعتقدده البعض من أنه ليصبح ذا علاقات وجاه ينبغي أن يكون ثريًا، فهذا مفهوم غير صحيح، لأن المجال مفتوح للعلاقات من خلال المعاشرة الطيبة وخلق علاقات طيبة مع كثير من الأطراف، وهناك أشخاص كثيرون لم ينطلقوا من موقع ثروة ولا من موقع إمكانات، لكنهم تعرفوا إلى الناس وكونوا صداقات معهم، فخدموا غيرهم واندمجوا، وأصبحت لهم شخصية ومكانة في المجتمع.

لكن غالب مجتمعنا مُنغلق على نفسه في مدينته ومنطقته، لذلك ليس لديه القدرة على أن يكون صاحب جاه ومكانة في محيطه.

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠، ص ٧ ح ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠٠، ص ٨ ح ٣١.

المحور الثالث: مجالات الإنفاق ونماذجه المشرقة

الإنسان في هذه الحياة يكون تحت تصرفه مال، قلَّ ذلك المال أو كَثُر، وهناك من يعطيه الله سبحانه و تعالى سعة في المال والرزق، لكن الموفقين من هؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم على خارج دائرهم واهتماماتهم الشخصية، في المصلحة العامة، وفي مصلحة المجتمع وخدمة الناس، بينما البعض الآخر من الأثرياء المتمكنين لا تكون لديهم هذه الحالة من روح البذل والعطاء، لأن من طبيعة الإنسان أن تكون نفسه شحيحةً، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩ وسورة التغابن، الآية: ١٦]، وفي آية أخرى يقول الله: ﴿وَأَخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٨].

مواقف الشح في نفس الإنسان

يُنقل عن الميرزا مهدي الشيرازي رحمته الله أنه «أتى إليه شخص من التجار صاحب مال وأجرى معه حساب الخمس، وكان مبلغًا كبيرًا.

فقال التاجر للميرزا الشيرازي أنه سيأتي بالمبلغ لاحقًا، وعندما ذهب إلى المنزل أخذ يُفكر كيف يدفع مبلغًا كهذا؟! حيث صعبَ عليه أن يقرر، إلى أن أفرد المبلغ المطلوب، ووضعه جانبًا في مكان معين.

وكان التاجر يأتي يوميًا للصلاة خلف هذا المرجع، وكان في كل مرة يراه يقول له: «إن المبلغ جاهز لآتي به، ولكن حصل لي كذا وكذا..» ويبحث له عن أعذار.

وفي نهاية المطاف صارح السيد، وقال له - بما معناه -: «مولانا، أنا لا أستطيع أن آتي لك بالمال، فليست لدي القدرة على ذلك، فأطلب منك أن تبعث لي بأشخاص ممن تعرفهم وتثق بهم ليأخذوا المال، حتى ولو رفضت وقاومتهم».

اتفق بعدها الميرزا الشيرازي مع جماعة ليأتوه بالمال، فذهبوا إلى بيت التاجر ودخلوا المجلس ليأخذوا المال لأنه أخبرهم بمكانه، وقد مانع في البدء، ولكنهم استطاعوا

استنقاذه منه.

أتى التاجر بعدها إلى المرجع الشيرازي وشكره على تخليصه من عدم دفع حق الخمس. وهذه المواقف تتكرّر، ويتعرّض لها كثيرًا وكلاء المراجع في قبض حق الخمس، فعندما يأتي بعض الأشخاص لإجراء حق الخمس، فإذا رأى المبلغ كبيرًا قد لا يأتي مرة أخرى.

على الإنسان أن يتنبه للحقيقة التي تؤكدها الآية الكريمة التي افتتحنا بها الحديث، وهي أن المال وهذه الأرزاق إنما هي لله سبحانه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى عليه أن يتنبه للحقيقة الثانية، وهي أن الإنفاق في سبيل الله، إنما يرجع في الخاتمة على الإنسان نفسه، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣٩].

بمعنى أن الله تعالى يعطيك بدلاً عن المال الذي أنفقته، فهو خير الرازقين. ويقول في آية أخرى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧]، وفي آية الثالثة: ﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٠]، وسورة الزمل، الآية: ٢٠، وكذلك: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

وفي الأحاديث تبين لهذه النقطة أيضًا، فقد ورد عنه عليه السلام: «إن لله في كل ليلة ملكًا ينادي: اللهم أعط كل منفق خلفًا وكل ممسك تلفًا»^(١).

والإنسان ينبغي أن يكون لديه ثقة بالله سبحانه، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صدّق بالخلف جاد بالعطية»^(٢)، ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «من أيقن بالخلف

(١) وسائل الشيعة ج ٧ ص ٣٩١ ح ٩٦٦٣.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢ ح ٤.

جاد بالعطية»^(١).

الإنفاق ومجالاته في مجتمعنا والمجتمعات الأخرى

نحنُ نعد أنفسنا مجتمعات متدينة، مؤمنون بالإسلام ولدينا هذا القرآن وهذه النصوص الشرعية التي تدعوننا وتحفزنا إلى الإنفاق، لكننا نرى أن المجتمعات الأخرى سبقتنا في هذا المجال.

التبرعات في المجتمعات الأخرى

١. تقرير ٢٠٠٣ للتبرعات في الولايات المتحدة الأمريكية يشير إلى أن الأمريكيين تبرعوا للجمعيات الخيرية بـ ٢٤٥ بليون دولار، ٣٥٪ منها للجمعيات الدينية، والباقي للمؤسسات الصحية، والتربوية، والثقافية^(٢).

٢. كما أن بعض الشخصيات الثرية في الولايات المتحدة الأمريكية تتبرع كل عام بمبالغ كبيرة، ومنهم على سبيل المثال: بل جيتس، صاحب شركة مايكروسوفت، أكبر شركة في العالم للصناعة المعلوماتية، الذي يتبرع سنويًا بالمليارات.

وورن بوفت تبرع بمعظم ثروته، حيث تبرع بـ ٣٧ مليار دولار، وأبقى لنفسه منها ٦ مليارات فقط.

لماذا تسبقنا هذه المجتمعات في الإنفاق وفي العطاء؟! ولا نجد إلا نماذج قليلة جدًا في مجتمعنا من مثل هؤلاء؟!!

إننا، والحال هذه، ندعو الجميع إلى الدفع بمجتمعاتنا إلى الأمام، وإلى التحلي بروح العطاء والبذل من أجل الآخرين.

وهنا نجد أنفسنا ملزمين بالإشادة بأولئك النماذج المشرقة في مجتمعاتنا وفي أوطاننا

(١) نهج البلاغة.

(٢) مجلة الوسط عدد ٦٤٩ في ٥ يوليو ٢٠٠٤.

الذين ما بخلوا بأموالهم وثوراتهم من أجل خدمة مجتمعهم.

نماذج مشرقة في العطاء والبذل

وهنا أذكر بعض الأمثلة من مجتمعنا:

١. تناولت الصحف خبراً عن رجل أعمال من عائلة الجبر في الأحساء (عبداللطيف الجبر): هو ومن معه من أسرته تبرعوا بإسكان شعبي يتكوّن من ٢٣٦ وحدة سكنية لمحدودي الدخل، للفقراء في الأحساء كلفتها ٦٠ مليون ريال.
٢. مركز كانوا بالدمام لأمراض الكلى: كلف ٢٠ مليون ريال.
٣. وكذلك مركز الباطين بالدمام لجراحة أمراض القلب: كلف ٧٥ مليون ريال.

هذه هي الأعمال الطيبة التي تعني مشاركة الإنسان وإسهامه في خدمة وطنه ومجتمعه.

ومن الأسماء اللامعة في مجتمعنا في البرّ والإحسان إلى مجتمعها: الفقيد الحاج عبدالله المطرود عليه السلام الذي: قدم مساهمات في بناء المساجد، وكذلك دعم الجمعيات الخيرية، بالإضافة إلى مساعدته للفقراء.

إن الحاج عبد الله المطرود ساهم ودعم بناء أكثر من ١٠٠ مسجد في مختلف المناطق، في: أمريكا والهند وباكستان ولبنان، وفي المنطقة هنا للسنة والشيعه، حيث شارك في بناء الكثير من مساجدها.

نحن نعيش في بلد تبرز فيه مثل هذه الأسماء اللامعة، ونريد أيضاً أن يكون من مجتمعنا أسماء لامعة أخرى، على صعيد الخدمة الوطنية والعطاء العام في البلاد.

وإلا فما قيمة هذه الأموال، والثروات؟!

مجتمعنا ما زال بحاجة إلى العطاء والبذل

قدّم فرع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المنطقة الشرقية تقريراً عن عدد المساجد التي بُنيت خلال السنتين الماضيتين في الدمام، فيشير التقرير إلى أنه بني خلال هاتين السنتين ٢٦ مسجداً جديداً، وفي الخبر ٣٧ مسجداً، وفي بقيق ١٧ مسجداً، وهكذا في بقية المناطق.

وعندما نوازن بين ما يبذل في بناء المساجد وبقية المشاريع الخيرية في منطقتنا وبين بقية المناطق نجد الفارق كبيراً.

وهذا لا يعني انعدام هذه المشاريع في المنطقة، ففي محافظتنا الآن يوجد بعض المساجد التي تُبنى، لكننا بحاجة إلى تعاون أكثر وإلى عطاءٍ أكثر؛ لأن الجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية والفقراء والمحتاجين يشكون من نقص العطاء، فكلما أعطينا فإن الله تعالى يبارك لنا في أموالنا.

والأحاديث التي تحثنا على العطاء كثيرة، يقول رسول الله ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»^(١)، وعن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «استزولوا الرزق بالصدقة»^(٢)، وفي بعض الروايات: «يا معشر التجار، صونوا أموالكم بالصدقة»^(٣).

ولدينا روايات ونصوص صادرة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم كثيرة في هذا الخصوص، ينبغي أن نهتم بها. وأخيراً، علينا أن نُقبل على العطاء والإنفاق في خدمة مجتمعنا ووطننا، وبخاصة أننا نعيش هذه النعمة الكبيرة، وننتهي إلى هذه المدرسة، مدرسة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ونريد أن تكون آثار هذه المدرسة مُنعكسة على حياتنا.

(١) بحار الأنوار ج ٥٩ ص ٢٦٤ ح ٢٧.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٠ ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٨٤ ح ٣٢٨٠٣.

الانفتاح على الشباب^(١)

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾.

المحور الأول: قابلية الشباب للفكر والسلوك الجديد

الشباب والاستقلالية الذاتية

الإنسان حينما ينشأ في فكر وسلوك لفترة طويلة من عمره فإن هذا الفكر والسلوك يتجذر في نفسه وحياته، وبالتالي من الصعب عليه أن يتخلى عنه ويتجاوزه إلى غيره، ولهذا يصير أكثر الناس على ما ألفوه من سلوك، وعلى ما تربوا عليه من أفكار ورثوها وعاشوا من خلالها، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٣]، ويقول في آية ثانية: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٣]، فالإنسان الذي يعيش عقوداً من عمره على فكرة

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ٩ محرم ١٤٢٨ هـ.

وسلوك معين من الصعوبة أن يترك ذلك الفكر والسلوك - بغض النظر عن صوابه أو خطئه -، ولكن الشباب الحداث في السن والناشئ الذي لم تمضِ عليه في حياته مدة طويلة يألف فيها الأفكار والسلوكيات التي تلقاها عن أهله وبيئته، قابليته للتخلي عما ورثه عن عائلته وبيئته من الأفكار والسلوكيات متوفرة، وتكون بنسبة متقدمة؛ لأنها لم تتجدر في نفسه بالمستوى المطلوب.

هذا من جهة، ومن ناحية أخرى يذكر علماء النفس والاجتماع أن الشباب عادة ما تحصل لديه نفسية متمردة أو ميول إلى التمرد في مرحلة اكتشافه لذاته وشعوره بشخصيته، فالإنسان في مرحلة الشباب يشعر بذاته وبشخصيته للتو، وفي هذه المرحلة يتجاوز مرحلة الطاعة والخضوع (مرحلة الطفولة).

فكيف يعبر عن ذاته؟ وكيف يعبر عن هذا التجاوز؟

إنه في هذه المرحلة يصبح عنده نوع من الرغبة والميل إلى التمرد حتى يُشعرَ محيطه وبيئته بوجوده واستقلالته.

الشباب جمهور أنبياء الله

فالشباب بسبب هذين العاملين:

١. عدم تجذر الفكر والسلوك الموروث في شخصيته ونفسه.

٢. ووجود ميل من التمرد لإثبات الذات.

تكون قابليته لأي فكر أو سلوك جديد في مرحلة متقدمة؛ ولهذا في تاريخ المجتمعات - غالباً - ما يبدأ التغيير الفكري والسلوكي في فئات الشباب لا من فئة الكبار، سواء كان التغيير في الأفكار أو كان في السلوكيات والأخلاقيات. والمقصود بالتغيير - هنا - في بعده الصحيح والمنحرف، ولهذا فإن القرآن الكريم حينما يتحدث عن حركة الأنبياء ﷺ يشير إلى أنهم حينما جاؤوا برسالات الله إلى أقوامهم استجابات لهم فئة الشباب، وذلك للسببين اللذين أشرنا إليهما، وهو أن نفوسهم طرية، وعندهم قابلية لأن يتقبلوا

الرسالة.

وحيثما نتناول الآية الكريمة التي افتتحنا بها حديثنا: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ نجد أن الذرية هم الأبناء لا الآباء الكبار الذين لم يؤمنوا به في البداية، حيث إن معنى الذرية - لغة - : الأبناء، ومعنى هذا أن فئة الأبناء (أي الشباب) هم من آمن بالنبي موسى ﷺ.

والمقطع التالي من الآية يوضح لنا الصورة التي آمن عليها هؤلاء الشباب، حيث آمنوا: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾، وفرعون كان طاغيةً مستبدًا حارب دعوة نبي الله موسى ﷺ، فهؤلاء الشباب (الذرية) تحملوا المواجهة، وكانت عندهم روح المغامرة وروح التضحية، بخلاف شريحة الكبار الذين لم يتقبلوا فكرًا يجعلهم في موقع صدام، ويجعل مصلحتهم على المحك، بينما الشباب تحملوا الخوف من فرعون الذي كان يمثل السلطة الحاكمة والمستبدة.

والنقطة المهمة التي تشير إليها الآية أنهم تحمّلوا أذى فرعون وأذى ﴿مَلَئِهِمْ﴾، والضمير في (ملئهم) يعود على الذرية، أي إنهم واجهوا نكال فرعون وقمعه، وواجهوا ضغوط آبائهم وأمهاتهم ومحيطهم الاجتماعي؛ لأن هذا المحيط كان مخالفاً لدعوة النبي موسى ﷺ، ولكنهم - شباب - تفاعلوا مع الدعوة الجديدة، وكانوا هم طليعة المؤمنين بها.

وينقل القرآن - أيضًا - عن نبي الله نوح ﷺ أن قومه كانوا يخاطبونه بقولهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِكَ السُّبْحَانَ﴾ [سورة هود، الآية: ٢٧]، والمقصود (أرادلنا): عموم الناس، الذين ليسوا أصحاب مكانة أو نفوذ، وليسوا من كبار الشخصيات، و(بادي الرأي): مَنْ لم ينضجوا بعد، أي إنهم ما زالوا شبابًا وصغارًا في السن، وهؤلاء هم الذين اتبعوا نبي الله نوح ﷺ.

وحتى النبي محمد ﷺ حينما بعثه الله سبحانه وتعالى برسالته إلى قومه، فالذين

استجابوا له من قومه هم الشباب، كما ورد في الحديث عنه ﷺ: «إنهم أرق أفئدة»، أي إن الشاب - في العادة - رقيق القلب يتقبل ويتكيف مع الفكر الجديد، وعنده استعداد لقبول الرأي والفكر والدعوة الجديدة. يقول ﷺ: «أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة، فقد بعثني الله بالحق نبياً فحالفتني الشبان ولم يحالفني الشيوخ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحديد، الآية: ١٦]»^(١)، أي إنهم كبار في السن فتكرست قلوبهم على ما هم عليه، لكن الشباب تجاوبوا.

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ - أيضاً - في وصيته لولده الإمام الحسن ﷺ قوله: «فإننا قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته»^(٢). وعن الإمام الصادق ﷺ يسأل أحد أصحابه، يقول له: «كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟» قال: «والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا وإن ذلك لقليل»، فقال ﷺ: «عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير»^(٣).

ويروى - أيضاً - عنه ﷺ أنه قال: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»^(٤)، أي تحدثوا مع أبنائكم في العقيدة الصحيحة قبل أن تأتي الفرق المنحرفة وتحدث معهم؛ لأن هناك جهات سيئة تحاول أن تتجه إلى الشباب لتأخذهم في الاتجاه المنحرف الفاسد، وهذا أمر طبيعي، فبما أن القابلية موجودة، فالفتنة التي تبادر هي التي سوف تستثمرها.

المحور الثاني: الشباب مجرمون أم ضحايا؟

نحن نجد أن هناك بعض الظواهر السيئة والمزعجة في بعض الفئات بين شبانا

(١) مرتضى فريد. روايات من مدرسة أهل البيت ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) نهج البلاغة الرسالة رقم ٣١ ص ٣٣٥، (إيران: مؤسسة نهج البلاغة).

(٣) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ١٨٧ باب ١٩ ح ٤.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٣١ باب ١٠٥ ح ١٤.

من أبناء مجتمعتنا، نتألم منها ونعلم أنها تضر بمصلحة الشباب أنفسهم وبمصلحة المجتمع والوطن، وهذه الظواهر بدأت في الانتشار والتصاعد، لكن الانزعاج وحده لا يكفي ولا الإدانة والردع والعقوبة، فهذه المشكلة تحتاج إلى دراسة أعمق، وإلى معالجات أوسع، وتعاون من كل أطراف المجتمع من مؤسسات الدولة وعلماء الدين ورجال الأعمال والعائلات والأسر، وهذا تحدُّ نفق جميعًا أمامه، فهؤلاء الشباب حينما نجد عندهم مثل هذه الظواهر يجب أن ندرك أن هناك من سبقنا إليهم ومن اختطفهم منا، فنحن كمجتمع لديه قيم وأخلاق وأعراف وتقاليد نريد أن يتربى أبنائنا على أخلاقنا وقيمنا وتقاليدنا، لكننا - وللأسف - توانينا عن استيعاب هؤلاء الشباب وكسبهم إلى جانب هذه القيم والأخلاق، وكان الآخرون أقدر منا، وقدراتهم أكثر من قدراتنا، ولذلك أثروا على هذا القطاع من شبابنا.

الدور السلبي لوسائل الإعلام في توجيه الشباب

وسائل الإعلام والاتصالات المعلوماتية تضخ إلى نفوس وعقول شبابنا من الأفكار والسلوكيات الشيء الكثير وهي مؤثرة جدًا، فهناك الآن أكثر من خمس مئة قناة فضائية يستطيع كل شاب وشابة من مجتمعتنا أن يفتح عليها ويرى ما فيها، وأغلبها تبشر بثقافة تخالف ثقافة مجتمعتنا، وتدعو إلى قيم وسلوكيات مخالفة للقيم والسلوكيات التي نريد أن يتربى عليها أبنائنا. فإنها تحرّض على الشهوات والغرائز عند هؤلاء الشباب. وهناك مواقع إباحية كثيرة على صفحات الإنترنت حينما يدخل عليها الإنسان يجد فيها تحريضًا للشهوة، وتعليمًا لكيفية إشباع الشهوة وصورًا عارية ومبتذلة، والشاب لا يمتلك إزاءها ما يحصنه من هذه المغريات.

تذكر بعض التقارير أن عدد مواقع الإنترنت زادت الآن على مئة مليون موقع، وفي هذه المواقع ما هو مفيد ونافع، وفيها ما هو سيئ ومضرّ. فهذه الوسائل يمكن الاستفادة منها في اتجاه الخير والشر معًا، لكن أصحاب الشر أسرع وأقوى منا في الاستفادة من هذه

المواقع والوسائل.

وشبابنا يرون هذا الإعلام وهذه الأساليب التي تثير الرغبات في نفوسهم، ومن جانب آخر طرق إشباع الشهوة والغريزة مغلقة أو ضيقة، فماذا نتوقع من هذا الشاب أو هذه الشابة؟!

ولهذا يجب أن ندرك أن شبابنا يعيشون مشكلة كبيرة، وما نعيشه اليوم يذكرنا بحديث مروى عن رسول ﷺ حينما قال لأصحابه: «سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم». قالوا: «يا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن». فقال: «إنكم لو تحملون لما حملوا لم تصبروا صبرهم»^(١).

وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر»^(٢)، فنحن لا بد أن نتفهم الظروف التي يعيشها أبنائنا في هذا العصر، وما يساعد على إشاعة مثل هذا النوع من الثقافة الآن أن بعض الجهات الدولية تتاجر بتشجيع هذه التوجهات الشهوانية عند الشباب.

الظواهر السلبية بين فئة الشباب

١- المخدرات

تعدُّ تجارة المخدرات والإباحيات الآن ثاني تجارة في العالم بعد تجارة السلاح من حيث الأرباح، ولذلك نرى انتشار تعاطي المخدرات بين شباب العالم، وقد تسللت إلى مجتمعاتنا مثل هذه التجارة (المخدرات)، وأصبحت مشكلة نعيشها الآن في مجتمعنا، فقبل أيام - في تاريخ ٥ محرم ١٤٢٨هـ - نشرت جريدة اليوم هذا الخبر: «أن حرس الحدود (خفر الحدود) في المنطقة الشرقية استطاع خلال السنة الماضية مصادرة ستة أطنان من الحشيش»، وهذا فقط ما ضبط في المنطقة الشرقية.

(١) الغيبة. الشيخ الطوسي، ص ٤٥٦ - ٤٥٧

(٢) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٧ ح ٩.

وفي تقرير دولي يذكر: أن «الأمم المتحدة - بالتعاون مع مختلف الدول - ترصد سنويًا مئة وعشرين مليار دولار لمكافحة المخدرات»، لكن التقرير يقول: «أن ما يكتشف ويمنع من المخدرات في العالم لا يزيد في النسبة من عشرة إلى ثلاثين في المئة فقط». وقد قرأت مؤخرًا في تقرير ثانٍ أنه قد ارتفعت في المملكة العربية السعودية نسبة المدمنين على المخدرات إلى خمسة أضعاف، وطبعًا هذا الشاب الذي يتورط في هذا البلاء، إذا لم تتداركه رحمة من الله، ولم يسعفه المجتمع تنتهي حياته، وتتغير شخصيته ووضعته الصحي والنفسي والاجتماعي، ويكون مستعدًا لأن يعمل أي شيء من أجل أن يحصل على هذه الجرعات والحقن، ولذلك هي تعدُّ من أخطر الطرق للإصابة بالأيدز، هذا المرض الذي بدأت تظهر بعض الإحصائيات الرسمية المخيفة حوله، حيث يوجد في المملكة الآن ٢٣٦٠ إصابة بالأيدز، وتنقل بعض التقارير أن الإصابات بالأيدز في المملكة قد تزيد على عشرة آلاف إصابة، ومن أخطر وسائلها هو المخدرات.

٢- الممارسات الطائشة

يخبرني أحد الإخوة أنه قبل أيام شارك في تغسيل أحد الذين توفوا بسبب التفحيط، وكان يروي لي كيف أن جسمه كان مقطوعًا بسبب هذه الممارسات الطائشة (التفحيط)، وكم عندنا من حالات الإعاقة الجسمية ومن المشاكل بسبب هذه الممارسات السيئة، هذا بالإضافة إلى الإزعاج الذي يحدث من جراء هذه الممارسات، وهي ممارسات وظواهر سلبية بدأت تنتشر في مجتمعنا.

ضعف الاهتمام الأسري

هذه الممارسات الطائشة في كثير من أسبابها ترجع إلى هذا الانفتاح الثقافي من جهة، ومن جهة ثانية ترجع إلى ضعف الاهتمام العائلي، فالعائلة لم تعد تهتم بأبنائها بالمستوى المطلوب، حيث الأب - كما الأم - مشغولان، وبخاصة إذا كانت الأم موظفة وتحاول أن تجمع بين مهمات الوظيفة ومهمات المنزل والتربية.

وفي بعض الحالات تضطر الأم أن تكون مخيرة بين مستقبل أبنائها وبين الوظيفة، وفي هذا المجال أتذكر مكالمة مع إحدى الأمهات الموظفات التي كانت تقص لي عن المشاكل التي تعانيها مع أولادها وبناتها وهي تقول أنها منشغلة عنهم، فكنت أقول لها: «ماذا يفيدك أن تحسلي على أموال إذا انحرف أبنائك - لا سمح الله -؟ فإذا خيرت بين الأمرين ماذا تختارين؟»، وهذه مسألة لا نحمل الأم المسؤولية فيها فقط، فالأب كذلك مسؤول؛ لأن التربية في الأساس مسؤولية الأب.

الضغوط والمشاكل الحياتية

وإضافة إلى الغزو الثقافي وضعف الاهتمام العائلي تكون المشاكل الحياتية التي يواجهها شبابنا في هذا العصر عاملاً في ظهور مثل هذه الممارسات السلبية، فالبعض من شبابنا يواجه مشاكل في التعليم، وبعضهم في الحصول على الوظيفة، وبعضهم في بناء حياته ومستقبله، وهذه المشاكل الحياتية تُحدث حالة من الإحباط في نفوس البعض منهم وتوجههم إلى الرغبة في الانتقام من المجتمع الذي لا يتيح لهم الوصول إلى تحقيق غاياتهم وبناء شخصياتهم ومستقبلهم بسهولة ويسر، هذه الحالة هي التي تشكل أرضية للوصول إلى هذا المستوى من الانحرافات.

وعلى ضوء هذا ينبغي أن ندرك حينما نرى بعض شبابنا يقومون بأعمال سيئة وإجرامية علينا أن لا ننظر إليهم سريعاً كمجرمين، فقسم كبير منهم ضحايا للخلل الموجود في مجتمعنا، وضحايا المشاكل الاجتماعية الموجودة، وانشغال عوائلهم عنهم، وتأثير هذا الإعلام عليهم، فعلياً أن ننظر إليهم على هذا الأساس، لا أن ننظر لهم نظرة الحقد والعداء والعداوة، بل نظرة الشفقة عليهم، فهؤلاء مرضى، وعلينا أن نتحمل مسؤوليتنا في علاجهم وإنقاذهم وشفائهم، فقد ورد أنه على عهد رسول الله نبينا محمد ﷺ جاء رجل ثبت عليه أنه شرب الخمر، فأقيم عليه الحد في المرة الأولى، ولكنه كررها مرة ثانية فأقيم عليه الحد، ولم يردعه ذلك، فكررهما مرة ثالثة، وفي هذه المرة أقيم

عليه الحد، ولكن الأصحاب الموجودين انزعجوا من حاله، فصاروا يلعنونه أمام رسول الله ﷺ، «قال بعض من حضر: «لعنه الله ما أكثر ما يشربه»، فقال النبي ﷺ: لا تكونوا عوناً للشيطان على أحيكم»^(١).

وفي قصة طريفة تنقل عن مالك بن دينار - العارف الزاهد الذي تنقل عنه الكثير من القصص - أنه كان يعيش في بيت متواضع، وفي ليلة من الليالي قُربَ الفجر وهو مشغول في عبادته تسلق سارق ودخل البيت، وحاول هذا السارق أن يجد شيئاً ثميناً يسرقه فلم يجد، فَهَمَّ بالخروج، فناداه مالك: «سلام عليكم»، فقال: «وعليك السلام»، قال: «ما حصل لكم شيء من الدنيا، فترغب في شيء من الآخرة؟» قال: «نعم»، قال: «توضاً من هذا المرنك وصل ركعتين»، ففعل، ثم قال: «يا سيدي، أجلس إلى الصبح»، قال: فلما خرج مالك إلى المسجد قال أصحابه: «من هذا معك؟» قال: «جاء يسرقنا فسرقتنا»^(٢). من هذه القصة وأمثالها ندرك أنه ينبغي النظر في مسألة التعامل مع الشاب والحدث، فهناك فئة متمرسه في الإجرام، ولكن الغالبية منهم ضحايا المؤثرات الخارجية والإهمال الأسري.

المحور الثالث: المسؤولية تجاه الشباب

المسؤولية تجاه الشباب هي مسؤوليتنا جميعاً، وأتصور أن هناك عدة أمور يمكن أن تساعد في الحد من المشاكل والهموم الشبابية وبعض المظاهر السلبية التي نراها من بعض الفئات منهم، وهي كالتالي:

١. اهتمام الأسر بأبنائها

ينبغي أن تهتم الأسر أكثر ببناتها وأبنائها، فالآباء عليهم أن يصرفوا وقتاً في الجلوس مع أبنائهم، وعليهم أن يفتحوا أكثر على مشاكلهم وفي التخاطب معهم، ففي كثير من

(١) فتح القدير ج ١، ص ١٦٢

(٢) تاريخ الإسلام ج ٨، ص ٢١٦.

الأحيان هناك جوع عاطفي عند الأولاد والبنات ولا يوجد مَنْ يتفهم أوضاعهم، وهذه مشكلة كبيرة، لذلك نحتاج إلى الانفتاح الأسري بشكل أكبر، وفي هذه النقطة هناك رواية تنقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»^(١)، والسبب في ذلك واضح، فالأب أو الأم إذا تعبدا يرجع ثواب عبادتهما إليهما، لكنهما إذا جلسا مع عيالهما سيكون لهذا أثره في تربية الأبناء والعيال، وهذا ثوابه وفضله أكبر.

لذلك لا بد أن تتفهم بعض الأسر وضع أبنائها، بحيث لا يفرضون على أبنائهم الجزئيات الصغيرة في الأخلاق والسلوك، فعلينا أن نكتفي بالأشياء المهمة والأساسية، وفي ذلك يُروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «لا تقسروا أولادكم على أدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»^(٢).

توفر فرص التعليم والعمل من أبرز مشاكل الشباب

وهناك قضايا كثيرة في هذا الإطار، وكمثال على ذلك: قضايا الزواج، فلا يزال بعض الآباء يتحكمون في زواج أبنائهم وبناتهم، وهذا يسبب مشاكل وعقداً وقضايا كثيرة يحتاج فيها أن تكون العائلة أكثر مرونة في التعامل مع الأبناء والبنات، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر علينا أن نهتم بمعالجة مشاكل الشباب فنسهل عليهم طريق التعليم، فمثلاً، هذا المتخرج في الثانوية ولماً يُقبل في الجامعة بعد، لا بد أن تتأثر نفسيته، لتكون بعد ذلك مهياًة للانجرار وراء بعض الأعمال والشلل الطائشة، كما أنه لو كان معدله منخفضاً سيسعر بأن المجتمع لم يعطه الفرصة التي يبحث عنها وبالتالي تمتلئ نفسه حقداً وحباً للانتقام، فإذا لم تكن عنده خيارات أخرى فسوف يعيش الفراغ، فلذلك كثير ممن يقعون في الجرائم والفساد - ونسبة كبيرة منهم كما قرأت في بعض التقارير - هم من

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، (بيروت: دار الجيل)، ص ٢٦٧، كلمة ١٠٢.

هؤلاء الذين لا يجدون فرصتهم في مواصلة التعليم.

إذًا ينبغي أن نتفهم هذه المشكلة ونسعى لمعالجتها، وقد تهيأت الآن - والحمد لله - فرص أكثر من السابق، حيث توسع القبول في الجامعات، كما فُتِحَ المجال لإنشاء الكليات الأهلية، وفتحت أبواب البعثات الخارجية، وهذه أبواب علينا أن نشارك في تحمل المسؤولية تجاهها ونغتنمها كفرص متاحة لأبنائنا يبرزون من خلالها مواهبهم وكفاءاتهم وميولهم. هذا فيما يرتبط بالموضوع فرص التعليم.

أما مسألة الوظيفة والعمل فهذه مشكلة تعاني منها معظم دول العالم، فلم يعد أمرًا سهلاً أن يحصل المواطن على الوظيفة، وقد قرأت تقريراً عن فرص العمل في بريطانيا، مفاده أن على المتقدم للوظيفة أن يقدم ستين طلباً لكي يحصل على فرصة وظيفية مناسبة له، لذلك لا يمكن عدّ هذه المشكلة موجودة في مجتمعنا فقط.

وفي هذه النقطة يجب أن أنبه أن على المواطن ألا يسعى دائماً للحصول على الوظيفة الحكومية فقط، فتضخّم الجهاز الوظيفي الحكومي ليس أمراً معقولاً، وفي المقابل فإن سعودة القطاع الخاص أمر مطلوب، ويمكن أن يساعد بشكل كبير في حل مسألة البطالة، وبخاصة ونحن نرى أن هناك عمالة وافدة يصل تعدادها إلى ستة أو ثمانية ملايين وافد يعملون في بلادنا من الخارج. لأنه عندما تتوفر وتتاح لشبابنا فرص العمل فإن كثيراً من الشباب يتجاوزون ويتغير سلوكهم.

وقد كنت أتحدث مع أحد مسؤولي التدريب والتأهيل في إحدى جمعيات المنطقة - جمعية تاروت الخيرية - فأخبرني بأنه مع بقية المسؤولين في الجمعية استطاعوا أن يوفروا أكثر من ثلاثة آلاف ومئة فرصة عمل للشباب في أنحاء المنطقة، وهذا أمر جيد، ونرى أن جمعية القطيف لها دور في مسألة توفير الفرص الوظيفية، وتشاركها مختلف الجمعيات . وفي هذا المجال ينبغي الإشادة ببعض الشركات والمؤسسات الأهلية التي تتوجّه نحو توفير الفرص الوظيفية للسعوديين، وقد قرأت تقريراً عن شركة عبد اللطيف جميل

أنه في السنة الماضية وقّر خمسة آلاف وخمسة مئة فرصة عمل قدمها من خلال شركته وبرامج التدريب عنده للشباب والشابات السعوديات، وهذه من الجهود التي تساعد على تجاوز المشكلة.

٢. استيعاب هؤلاء الشباب

بأن نفتح عليهم ونستقطبهم، وأخص بالذكر هنا الجهات الدينية، حيث يجب أن تستوعب هؤلاء الشباب، فعندما نذهب إلى بعض علماء الدين غالبًا ما يكون عندهم نشاط في محيط محدود ومركّز على فئة محدودة، ومما يدل على هذه النقطة الحضور الذين تراهم في مجلسه، حيث ترى عنده مجموعة من المحيطين به، وبعد سنة أو سنتين أو ثلاث ترى نفس المجموعة، وهذا دليل على أنه لا يوجد استيعاب لطاقت شبابية جديدة، وهذا خلل يجب إعادة النظر حوله.

ومما يؤسف له أنه في بعض الأحيان نقوم - نحن المتدينين - بالتنافس على مجاميع معيّنة من الشباب، ونتصارع على نسبة محدودة جدًا منهم، بينما خمسة وتسعون بالمئة من الشباب بعيدون عنا، ولذلك لا بد أن نُثقل على هؤلاء الشباب والألّا نُنْفَر من بعض مظاهرهم وسلوكياتهم، فأكثر شبابنا نفوسهم طيبة، لكن لم يجدوا فرصًا لاستيعابهم.

نماذج من استيعاب الشباب من الماضي والحاضر

من الماضي

هناك رواية تنقل عن مجموعة من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكان منهم الفضل بن عمر، الذي كان يسكن الكوفة، وكان يستقطب الشباب الذين كانت بعض مظاهرهم وسلوكياتهم غير سليمة، تقول الرواية: «كان يجالس قومًا من الشطار وأصحاب الحمام وبعضهم ممن يارس الشراب»، فاستنكر بعض رجالات المجتمع هذا الأمر من الفضل، وشكوه إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث جاؤوا إليه بكتبهم يقولون فيها: «إن الفضل يجالس الشطار، وأصحاب الحمام، وقومًا يشربون الشراب، ينبغي أن تكتب

إليه وتأمره ألا يجالسهم. فكتب إلى المفضل كتابًا وختمه ودفعه إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل، فجاءوا بالكتاب إلى المفضل منهم زرارة، وعبد الله بن بكير، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير، وحجر بن زائدة، ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه، فإذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، اشتر كذا وكذا، واشتر كذا»، ولم يذكر فيه قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه، فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة، ودفع زرارة إلى محمد بن مسلم، حتى دار الكتاب إلى الكل. فقال المفضل: ما تقولون؟ قالوا: هذا مال عظيم، حتى نل نظر ونجمع ونحمل إليك ثم لم ندرك ألا نزال بعد نظر في ذلك، وأرادوا الانصراف. فقال المفضل: تغدوا عندي، فأجلسهم لغدائه، ووجه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم، فجاءوا وقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام فرجعوا من عنده وجلس هؤلاء ليتغدوا، فرجع الفتيان، وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين وأقل وأكثر، فحضروا وأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء، فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرده هؤلاء من عندي، تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلاتكم وصومكم»^(١).

من الحاضر

يخبرني مسؤول مهرجان الزواج الجماعي في صفوى أنه في الستين الأولى والثانية للمهرجان كانت هناك مجموعة من الشباب تأتي لأذيتهم أثناء تحضيرهم للمهرجان، فيطلقون الأعيرة النارية ويثيرون الشغب ويزعجون العاملين في المهرجان، فانزعجوا من تصرفاتهم، فاقترح البعض الاتصال بالشرطة، وقال آخر نؤدّبهم، ولكن رجلاً ثالثاً كان حكيماً في موقفه تجاههم، حيث طلب منهم أن يعطوه الفرصة للتعامل معهم، فسأل عنهم وتعرف إلى زعمائهم، واتصل بهم ودعاهم على وجبة غداء لديه في منزله، وأخذ يتحدث معهم ويقول لهم: «أنتم من هذا المجتمع، فإذا كنتم منزعجين من مهرجان

(١) محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي. رجال الكشي، (كربلاء: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٧٦.

الزواج الجماعي نحن مستعدون لأن نلغيه»، فقالوا: «لسنا منزعجين منه»، فقال: «إِذَا لماذا تفعلون هذه الأعمال؟» وأخذ يجاذبهم الحديث إلى أن اقترح عليهم أن يساعدهم في تجهيز المهرجان والانضمام إلى لجانها، فوافقوا فرحين بهذه الفرصة، وفعلاً انضموا إلى لجان المهرجان مع بقية مجموعات الشباب، وعندما اختلطوا بالجماعة الصالحة المستقيمة بدؤوا بالتأثر، فأصبحوا هم الآن من رواد الحالة الدينية في صفوى.

ويقول - مسترسلاً -: في البداية كان المتدينون يستنكرون ذلك، فلم تكن لديهم تلك الروحية في استيعاب هذه العناصر الجديدة، ولكن مع مرور فترة من الزمن وبفعل الاحتكاك الدائم فيما بينهم تجاوزوا هذه المرحلة.

ومهرجان الزواج الجماعي في مدينة صفوى يضم أكثر من ثمان مئة وخمسين شاباً، كان بعضهم من الشباب الذين يمارسون بعض الممارسات الطائشة، بينما هم الآن من الفعاليات الاجتماعية الناجحة في بلدهم.

وهذا المهرجان يعدُّ من أنجح مهرجانات الزواج الجماعي في المنطقة، ويعدُّ رائداً في كثير من برامجها، ففي العام الماضي أقام مهرجاناً للزواج الجماعي للنساء، ولديهم أربع مئة وخمسين شابة تعمل معهم في المهرجان.

هذه تجربة ناجحة في مسألة جذب الشباب نحو الجهات الخيرة، وهناك تجربة أخرى في تاروت، حيث يخبرني مسؤول التدريب والتأهيل في جمعية تاروت الخيرية بأنه بين فترة وأخرى - من خلال متابعتهم لاحتياجات سوق العمل - يتمكّن من الحصول على فرص وظيفية جيّدة، وقبل فترة كانت هناك أمامه فرص في شركة صينية تحتاج إلى خمس مئة موظف، فيقول: أنا أذهب إلى الشوارع وإلى التجمعات من أصحاب الدراجات النارية وأتحدّث معهم بالفرص الوظيفية التي نوّقرها للعاطلين عن العمل، ويحاول إقناعهم، حتّى إنّهم يقنعهم بما يشجعهم على القبول بمثل هذه الوظائف، فيقول لهم: «إن هذه (الدراجة النارية) التي تستعملها غير مناسبة، اعمل واكسب مالاً أكثر واملِك (دراجة)

أفضل»، وقد يقتنع هذا الشاب أو ذاك بقبول هذه الأعمال، وقد استطاع هذا المسؤول أن يقنع عددًا كبيرًا منهم.

فالشباب الذي يعيش بطالة عندما توفّر له فرصةً وظيفية فإنه سوف يستجيب، لذلك علينا أن نفكر كيف نحل مشاكل هؤلاء الشباب وكيف نستوعبهم.

دور الأندية في استيعاب المجموعات الشبابية

نحن نحتاج إلى مؤسسات ولجان تستوعب هؤلاء الشباب، وهنا أريد أن أذكر بموضوع الأندية الرياضية، فالنادي الرياضي يؤدي دورًا إيجابيًا في المجتمع، وعلينا ألا ننظر إلى النادي الرياضي على أنه مجرد مكان للعب فقط، فالرياضة غير مستنكرة في الإسلام، فرسول الله ﷺ كان يدعو ويقول: «علموا أولادكم السباحة والرماية»^(١)، وفي رواية أخرى أنه ﷺ مرّ على جماعة من المسلمين في يثرب من قبيلة أسلم ووجدهم يتبارون بالسهام فوقف يشجع فريقًا منهم، ويقول: «ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»، وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟» فقالوا: «كيف نرمي وأنت معهم؟» فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم»^(٢)، أما الآن لو أن أحد علماء الدين يؤيد فريقًا رياضيًا يخرجونه من الدين والملة.

ويروى أن رسول الله ﷺ: «كان يُجري على السباق والمصارعة سبع أواقٍ من الفضة»، والفقهاء - منهم ابن قدامة في (المغني) من فقهاء المذهب الحنبلي، ومنهم - أيضًا - من مراجعنا السيد السيستاني في (كتاب المسابقة) - يذكرون أنه إذا جرت مسابقة وعيّن مبلغ لمن يسبق فإما أن يدفع أحد الطرفين هذا المبلغ أو يتبرع به طرف ثالث أو أن يُدفع من بيت المال^(٣)، وهذا معناه جواز أن تمول عملية المسابقة أو المصارعة من بيت

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧ باب تأديب الولد ح ٤.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٨، باب التحريض على الرمي ح ٢٨٩٩،

(٣) راجع منهاج الصالحين ج ٢ ص ١٦٠ مسألة ٥٧٠، والمغني لابن قدامة ج ١٣ ص ٤٠٨ باب السبق والرمي.

مال المسلمين.

فإذا كانت المسألة الرياضية ليست مسألة مستنكرة، وليست خارج الدين، فلماذا لا ندعم هذه المؤسسة الرياضية؟!، هذا بالإضافة إلى أن النادي يمكن أن يكون مؤسسة متكاملة، يحتوي على الأنشطة الاجتماعية والثقافية والبرامج المفيدة فيحتاج من الصالحين والواعين أن يدخلوا في هذه الأندية والإدارات، وكذلك ينبغي لرجال الأعمال وعلماء الدين أن يدعموا هذه الأندية، فمن مصارف الحقوق الشرعية دعم الأندية ضمن البرامج التي تساعد على احتواء الشباب وهدايتهم، ومما يؤسف له أن مدينة القطيف لا يوجد بها نادٍ أو مؤسسة تستوعب الشباب، ففي مدينة صفوى يوجد نادٍ جيد من حيث الإنشاء، وكذلك في سيهات، وفي مناطق أخرى متفاوتة، لكن في المركز لا يوجد مبنى للنادي، وهذه مسؤولياتنا، فعلينا أن نتحرك من أجل ذلك، لأننا سنرى أثر ذلك، فمعدن شبابنا أكثرها طيبة.

أهمية توفير الجمعيات والبرامج النسائية

وأؤكد هنا على وضع البنات والشابات، فالشابات وضعهنَّ أصعب من الشباب، فالشباب لديهم أندية ولجان يذهبون إليها، وقد يذهبون إلى بعض مراكز الترفيه، كالكورنيش، لكن الفتيات ليس أمامهن مجال لتفجير طاقتهن ولقضاء أوقات فراغهن بالمستوى السليم والصحيح، فقد توجد الآن بعض المحاولات، لكن البنات بحاجة إلى مؤسسات نسائية تجمعهن ويقضين فيها أوقاتهن، نحن بحاجة - مثلاً - إلى جمعية نسائية، كما هو موجود في الرياض وجدة والدمام، وفي حاجة إلى مؤسسات لبناتنا وإلى أماكن ترفيهية لهنَّ، فماذا نتوقع من هذه الفتاة التي تعاني من الفراغ والضغط والجوع العاطفي؟

بناتنا أمانة، وهنَّ منطقة خطر إن لم نتوجه إليهن بالشكل السليم.

خطاب للشباب خاصّة

وأخيراً إني أتوجه للشباب:

أيها الشباب، أيتها الشبابات، بلادكم بها خير كثير، ومجتمعكم يستحق منكم الاهتمام، أعماركم وحياتكم ومستقبلكم أغلى من أن تصرفوه في الاستجابة إلى دواعي الهوى والشهوة، فحتى لو كان هناك تقصير في مجتمعكم لا بد أن تفكروا في مصيركم ومستقبلكم، نحن نريد منك، أيها الشاب، أن تكون ذلك الولد الغيور على مصالح وطنه ومستقبله، نريد أن نرفع رؤوسنا بشبابنا، بالفعل عندنا طاقات نفتخر بها الآن لكفاءتها العلمية ولتقدمها، ونحن نريد من كل شاب من شبابنا أن يأخذ دوره في خدمة وطنه ومجتمعه، فحينما نجتمع في ليالي عاشوراء ونتحدث عن سيرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فعلينا أن نعلم بأن النسبة الكبرى من شهداء الطف من أنصار الحسين عليه السلام كانوا من الشباب، فالشباب - وهم يعيشون هذه الذكرى - عليهم أن يجعلوا كربلاء نصب أعينهم ليكونوا قدوة لهم.

رسالة عاشوراء (١)

أخرج الترمذي (٢) وابن أبي شيبة الكوفي (٣) والنسائي (٤) وابن حبان في صحيحه (٥)، عن أسامة بن زيد قال: «طرت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: «ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟» فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه. فقال: «هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما».

وأخرج الترمذي (٦) وأحمد بن حنبل (٧) وابن أبي شيبة (٨) والحاكم في المستدرک (٩)

(١) أُلقيت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطف بتاريخ ١٠ محرم ١٤٢٨ هـ.

(٢) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ج ٥، ص ٣٢٢ ح ٣٨٥٨.

(٣) المصنف ج ٧ ص ٥١٢.

(٤) خصائص أمير المؤمنين ﷺ ص ١٢٣.

(٥) ج ١٥ ص ٤٢٣.

(٦) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٣.

(٧) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٧٢.

(٨) المصنف ج ٧ ص ٥١٥.

(٩) ج ٣ ص ١٧٧.

والبخاري في الأدب المفرد^(١) عن يعلى بن مرة قال: «قال رسول الله ﷺ: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيئا».

هذان الحديثان ومثلهما أحاديث كثيرة تناقلها الصحابة وأمهات المؤمنين عن رسول الله ﷺ في حق ولديه الحسين، وهناك أحاديث كثيرة توضح كيف أن رسول الله ﷺ كان يحدث الأمة عن مقتل حبيبه الحسين، وكان يبكي وتسيل الدموع من عينيه وهو يتحدث عن هذه المصيبة، مما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يريد اهتمام الأمة بهذه الحادثة، لذلك نحن نحتفي بذكرى عاشوراء التي مزقت قلب رسول الله ﷺ قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن.

الإمام الحسين ﷺ يسيطر على القلوب

الإمام الحسين ﷺ سيطر وهيمن على القلوب حتى إنه ليتمكن القول أنه ليست هناك شخصية تجيش لها المشاعر والعواطف كشخصية أبي عبد الله الحسين ﷺ، وهذا أمر طبيعي، وذلك لأسباب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

أولاً: لما سمعه الأصحاب والمسلمون من جدّه رسول الله ﷺ وهو يتحدث عنه ويشيد بفضله. ويكفي أنه ﷺ يقول في حقّه: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيئا»^(٢). إذ يعدّه ﷺ جزءاً منه، ويعدّ محبته علامةً وشرطاً لمحبهته ﷺ، وكذلك يطلب من الله أن يحب من يحب الإمام الحسين، ولذلك نجد في أحداث تاريخية كثيرة يظهر فيها الصحابة المحبّة للحسين والتقدير له ﷺ.

من ذلك ما جاء في البداية والنهاية لابن كثير^(٣) أن الحسين ﷺ كانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونها مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما. وكان الحسنان يذهبان إلى الحج

(١) باب معانقة الصبي، ص ٨٥ ح ٣٦٩.

(٢) سنن الترمذي ج ٤، ص ٤٩٩ ح ٣٧٧٥.

(٣) ج ٨، ص ٣٩.

مشياً، فكل من يمرّ من المسلمين ويرى الحسينين ماشيين ينزل ويمشي لمشي الحسينين، حتى شق المشي على كثير من الحجاج فتحدثوا مع أحد أعلام الصحابة، وطلبوا منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكب عن الطريق، فعرض عليهما ذلك، فقالا: «لا نركب ولكن نتنكب عن الطريق»، وسلكا طريقاً آخر^(١).

وتقول كتب السير كما ورد في الإصابة^(٢) عن الإمام الحسين عليه السلام أنه دخل مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير يقول: «أتيت عمر وهو يخطب على المنبر، فصعدت إليه، فقلت: «انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك». فقال عمر: «لم يكن لأبي منبر»، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصي بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: «من علمك؟» قلت: «والله ما علمني أحد».

وفي الإصابة أيضاً أن عمر قال للإمام الحسين: «إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله، ثم أنتم»^(٣).

وينقل عن عبد الله بن عباس الصحابي الجليل أنه كان إذا خرج الحسن والحسين عليهما السلام هياً لهما الراحلة، وساعدهما في الركوب وأعانها على لباسهما. فقيل له في ذلك: «أنت أكبر منهما، تمسك لهما، وتسوي عليهما» فزجر السائل قائلاً: «يا لكع، أوتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أو ليس مما أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما الركاب وأسوي عليهما الثياب»^(٤).

وهذا أبو هريرة يحتفي بالإمام الحسين، كما جاء عن أبي المهزم، قال: «كنا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجيء بجنازة رجل، فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، فلما أقبلنا

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين، ج ١، ص ١٠٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢، ص ٦٩.

(٣) المصدر السابق، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٤ ص ١٧٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣٠٠.

(٤) حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٠٦.

أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: «يا أبا هريرة، وأنت تفعل هذا؟ قال أبو هريرة: «دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحموك على رقابهم»^(١).

وفي حادثة ثالثة تروىها لنا المصادر التاريخية، عن رجاء بن ربيعة قال: «كنت في مسجد رسول الله ﷺ إذ مرَّ الحسين بن علي فسلم فرد عليه القوم السلام، وسكت عبد الله بن عمرو، ثم رفع ابن عمرو صوته بعدما سكت القوم، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، ثم أقبل على القوم فقال: «ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟» قالوا: «بلى»، قال: «هو هذا الماشي» - وأشار إلى الحسين -^(٢).

هذه الحفاوة من الأصحاب ومن المسلمين بالإمام الحسين ﷺ إنما كانت من الأحاديث التي سمعوها من جدّه رسول الله ﷺ في حقّ الحسين، وفي حقّ الحسين خاصّة.

ثانيًا: شخصية الإمام الحسين في فضله وعلمه وعبادته وأخلاقه، هذه الشخصية التي أسرت النفوس والقلوب.

فلقد سجل التاريخ كلمات المدح والثناء على شخصية الإمام ﷺ من قبل كثير من الصحابة والتابعين عبر العصور، وهنا نذكر مقتطفات من ذلك:

- قال عنه عبد الله بن الزبير يرثيه: «أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيرًا في النهار صيامه»^(٣).
- وقال مصعب بن الزبير: «واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة»^(٤).
- قال ابن أبي الحديد: «سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية، والموت تحت

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، ج ١٤، ص ١٨٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٢.

(٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٥، كنز العمال ج ١١ ص ٣٤٣ ح ٣١٦٩٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٦.

(٣) ابن كثير. البداية والنهاية ج ٨، ص ٢١٩.

(٤) تاريخ الطبري ج ٤، ص ٣٦٤.

ظلال السيوف اختيارًا»^(١).

- وقال بعضهم: «شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر»^(٢).
- وقال السيد حيدر الحلي:

طمعت أن تسومه القوم ضيما وأبى الله والحسام الصنيع
ثالثًا: لشهادته ﷺ في حادثة كربلاء بما تضمنته من بسالة وشجاعة وبما اكتنفته من
مأساة مفرجة.

وفي ذلك يقول سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن في تفسير سورة غافر:
«والحسين - رضوان الله عليه - وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب،
المفجعة من جانب، أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير
كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصرًا. فما من شهيد
في الأرض تهتز له الجوانح بالحب والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء
كالحسين رضوان الله عليه، يستوي في هذا المتشيعون وغير المتشيعين من المسلمين وكثير
من غير المسلمين»^(٣).

حادثة كربلاء من الأحداث الإنسانية العامة

قضية كربلاء ليست قضية عادية، ففي التاريخ الإسلامي والإنساني كثير من
الأحداث، لكنّه يمكن القول - بضرر س قاطع - أنه ليست هناك حادثة وقضية في التاريخ
الإسلامي توازي حادثة كربلاء، وهذه شهادة ليست من أشخاص عاديين، وإنما هو ما
أخبر به رسول الله ﷺ، فليس هناك حادثة مستقبلية تحدّث عنها رسول الله ﷺ بالاهتمام

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٤٩.

(٢) حياة الإمام الحسين ﷺ ج ١ ص ١٢٣.

(٣) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٠٨٦، تفسير آية ٥١ من سورة غافر.

الذي تحدّث به عن واقعة كربلاء، فهناك روايات كثيرة تنقلها أمّهات المؤمنين كأم المؤمنين أم سلمة وأم المؤمنين عائشة، وكذلك يرويها جمع من الصحابة كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأمّثالهم، كلهم ينقلون أنهم رأوا رسول الله بال، فيسألونه: «ما الذي يبكيك يا رسول الله؟» فيجيبهم ﷺ: «لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها»^(١) - وفي بعض الروايات أتاني جبريل^(٢)، وفي بعضها هبط عليّ ملك المطر^(٣) - فقال لي: إن ابنك هذا - حسين - مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء، ويروى في بعض الروايات أن الرسول ﷺ أرى أصحابه وأمّهات المؤمنين (زوجاته) هذه التربة^(٤)، وهذه الروايات موجودة في كتب الفريقين الشيعة والسنة.

وتروي المصادر الحديثية - كما ينقل ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة - عن أم سلمة أنها احتفظت بتلك التربة التي قال لها رسول الله ﷺ عنها: «أرأيت هذه التربة وقد فاضت دمًا عبيطًا فاعلمي أن حسينًا قد قتل» أنها كانت في ظهر اليوم العاشر من المحرم نائمة فانتبهت من النوم فرعة مرعوبة، فسئلت: «ما أربك يا أم المؤمنين؟» قالت: «رأيت رسول الله ﷺ تعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفًا»^(٥)، فبادرت أم سلمة إلى تلك القارورة التي تحتفظ فيها بتربة كربلاء فرأتها وقد فاضت دمًا عبيطًا.

(١) مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٩٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح، ج ٩ ص ١٨٧، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٤٧ ح ٤٦٦.

(٢) المستدرک للحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٧٧، وعلق عليه: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتاريخ دمشق لابن عساکر ج ١٤ ص ١٩٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٢٥٨.

(٣) مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٩٤.

(٤) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٢٤٢، مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٨٧، ذخائر العقبى للطبري ص ١٤٧.

(٥) سنن الترمذي ج ٥، ص ٣٢٣، المستدرک ج ٤ ص ١٩، أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٧.

ويروى عن عبد الله بن عباس أنه كان نائمًا ظهر اليوم العاشر من المحرم، فانتبه وهو فرح، فسئل عن ذلك، فقال: «رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟» قال: «هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم»^(١).

بل وحتى بعض الأبعاد كان قد بلغه الخبر، فقد أخرج ابن سعد بإسناده عن العريان بن الهيثم قوله: «كان أبي يتبدى فينزل قريبًا من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لا نبدو إلا وجدنا من بني أسد هناك، فقال له أبي: «أراك ملازمًا هذا المكان؟» قال: «بلغني أن حسينًا يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلي أصادفه فأقتل معه». فلما قتل الحسين قال أبي: «انطلقوا ننظر هل الأسدي في من قتل؟» فأتينا المعركة فطوفنا، فإذا الأسدي مقتول»^(٢).

هذه الأحاديث والروايات تدلُّ دلالة واضحة على أن حادثة كربلاء ليست حادثة عادية، كما أن أي إنسان - مهما كان رأيه أو موقفه أو مذهبه ودينه - إذا تأمل أحداثها لا يملك إلا أن يتفاعل مع هذه الحادثة المأساوية والمفجعة. يقول الشاعر^(٣):

أي المحاجر لا تبكي عليك دمًا أبكيت - والله - حتى محجر الحجر

لأن حادثة كربلاء تتضمن البطولة والصمود، فتلك الفئة المحدودة والمعدودة صمدت وقاومت وسجلت في التاريخ أروع صفحات الصمود والتضحية، ومن جانب آخر كانت فيها أيضًا مأساة عظيمة مؤلمة مفجعة، ولم تحلَّ هذه المأساة بشخص عادي، بل

(١) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٨٣، الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٦، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢، الإصابة ج ٢ ص ٧١.

(٢) السيد المرعشي. شرح إحقاق الحق ج ٢٧ ص ٣٠٥، عن ترجمة الإمام الحسين ﷺ من طبقات ابن سعد.

(٣) ديوان الأزري ص ٣٠١.

هو ابن رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة، فقد جاء في الحديث: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»^(١)، ولم يقتصر الأمر عليه وإنما تعدّاه إلى أطفاله ونسائه وعائلته، وتناولت أيدي الإجرام إلى جسده الشريف بعد مقتله.

لقد سحقوا جثته ﷺ بحوافر الخيول، وسلبوا كل ما على جسده، فنهبوا قميصه وسراويله وقلنسوته ونهبوا حتّى عمّامته^(٢)، لدرجة أن بجدل الكلبي جاء لبحث عمّا يسلبه فلم يجد سوى خاتمًا في خنصر يده ﷺ، فعالج حتّى ينتزعه فوجد الدماء وقد بنت على الخاتم، فخشي أن يقضي وقتًا في إخراجه، فأخذ خنجرًا وقطع خنصر الإمام^{(٣)؟!} إن أمرًا بهذه الوحشية والإجرام والتعدّي على الحرمات لم يسبق أن حدث في التاريخ الإنساني لشخص بمكانة وشخصية الإمام الحسين ﷺ.

جاء في مستدرك سفينة البحار^(٤): «أما جراحات الإمام الحسين ﷺ فبحسب رواية الكافي عن الباقر ﷺ ثلاثة وستون جرحًا».

قال الصادق ﷺ: «وجد بالحسين ﷺ ثلاث وثلاثون طعنة، وأربعة وثلاثون ضربة»^(٥).

وعنه ﷺ قال: «قتل الحسين بن علي ﷺ وعليه جبة خز دكناء، فوجدوا فيها ثلاثة وستين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح أو رمية بالسهم»^(٦).

إن استشهاده ﷺ بهذه الطريقة المأساوية والمؤثّرة من الأسباب التي خلّدت ذكره ومعه هذه الحادثة.

(١) ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢ ص ٧٩٦٤٣٨.

(٢) راجع بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥٧، واللّهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس ٧٦، وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٦، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥٧.

(٤) ج ٢ ص ٤٩.

(٥) وذكر مثل ذلك الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٦ أحداث سنة ٦١ هـ.

(٦) الكافي ج ٦ ص ٤٥٢ ح ٦.

مدرستان في التعامل مع حادثة كربلاء

نحن نجد في تاريخ الأمة وفي ثقافتها مدرستين في التعامل مع هذه الحادثة، وقبل ذلك أؤكد ألا أحد من المسلمين يجهل قدر الحسين أو لا يحزنه قتل الحسين أو يرضى عمّا حصل للحسين ﷺ، فهذا أمر نقطع به، ولكن درجة الاهتمام تتفاوت، وهذا التفاوت في التعامل مع هذه الحادثة ولّد وجود مدرستين:

المدرسة الأولى تقوم على أساس التغاضي عن هذه الحادثة، فنجدها عند البحث التاريخي تدين قتل الحسين وتبدي التأسف والتفجع لمقتله ﷺ ولا تقبل بذلك، ولكن أتباع هذه المدرسة يرون أنه لا داعي للوقوف عند هذه الحادثة طويلاً، وفي بعض الأحيان يحاولون تعويم المسؤول عنها، فيبرئون يزيد بن معاوية من تحمّل المسؤولية، كقول ابن تيمية: «يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل»^(١)، أو يشيعون أنه ما كان يريد أن يقتل الحسين ﷺ، وأنه تصرّف فردي من ابن زياد^(٢)، والبعض من أتباع هذه المدرسة يبرئ ساحة عبيد الله بن زياد، ويلقي باللائمة على عمر بن سعد، وأخيراً نجد من يبرئ عمر بن سعد، كالعجلي في معرفة الرجال، حيث يقول: «كان أمير الجيش ولم يباشر قتله»^(٣)، أو يتّهم أهل الكوفة وأهل العراق، الذين هم من الشيعة، فيروّجون بأن الشيعة يكون على الحسين تكفيراً عن ذنبهم بقتله وخذلانه، وهذا كله تعويم للمسؤولية وكأن القاتل مجهول، بينما القضية واضحة كما هو في جميع المصادر التاريخية.

وهذه المدرسة يمكن عدّها امتداداً لما كانت تشيعه السلطات الأموية وبعد ذلك العباسية.

حيث كانت هذه السلطات تريد التغطية على هذه الجريمة النكراء والتعقيم عليها،

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) أنيس زكريا في كتابه الدولة الأموية في الشام ص ٥٨، والدكتور محمد النجار في كتابه الدولة الأموية في الشرق ص ١٠٤، ومحمد عزة دروزه في كتابه تاريخ الجنس العربي ج ٨ ص ٣٨٣.

(٣) ج ٢ ص ١٦٦ رقم ١٣٤٣، عن توثيق رواية الصحاح ص ٢٣٣.

لأنه ليس في مصلحة الأمويين إثارة حادثة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإشهارها، بل إن التاريخ ينقل كيف كان الأمويون يحاولون تحويل يوم عاشوراء إلى يوم عيد وفرح، وخاصة في زمن عبد الملك بن مروان^(١)، حيث ظهرت هذه الحالة بشكّل واضح.

ونجد في الزيارة الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام ما يشير إلى هذا المعنى، يقول عليه السلام:
«اللهم إن هذا يوم تبرّكت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد»^(٢).

ومن أجل ذلك وضعت السلطة الأموية أحاديث مجعولة وموضوعة حول استحباب التوسعة على العيال يوم عاشوراء، جاء في كتاب مجمع الزوائد للهيتمي^(٣):
«باب التوسعة على العيال يوم عاشوراء» عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من وسع على أهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سنته كلها».

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من وسع على عياله يوم عاشوراء لم يزل في سعة سائر سنته».

وقال عن الأول: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن إسماعيل الجعفري قال أبو حاتم: منكر الحديث، وعن الثاني: رواه الطبراني في الكبير وفيه الهيصم بن الشداخ وهو ضعيف جداً.

ويقول الشيخ القرضاوي: «رأينا أكثر بلاد المسلمين يحتفلون بيوم عاشوراء يذبحون الذبائح ويعتبرونه عيداً أو موسماً يوسعون فيه على الأهل والعيال اعتماداً على حديث ضعيف، بل موضوع في رأي ابن تيمية وغيره، وهو الحديث المشهور على الألسنة: «من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته». قال المنذري: «رواه البيهقي وغيره من طرق عن جماعة من الصحابة»، وقال البيهقي: «هذه الأسانيد وإن

(١) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي عن المقرئ في خطه ج ٢ ص ٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٢٩٥.

(٣) ج ٣ ص ١٨٩.

كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة».

وقال القرضاوي: «وفي هذا القول نظر، وقد جزم ابن الجوزي وابن تيمية في منهاج السنة وغيرهما أن الحديث موضوع. وحاول الطبراني وغيره الدفاع عنه وإثبات حسنه لغيره! وكثير من المتأخرين يعزُّ عليهم أن يحكموا بالوضع على حديث، والذي يترجح لي أن الحديث مما وضعه بعض الجهال من أهل السنة في الرد على مبالغات الشيعة في جعل يوم عاشوراء يوم حزن وحداد فجعله هؤلاء يوم اكتحال و اغتسال وتوسعة على العيال»^(١).

واستحباب الكحل في هذا اليوم هو حديث مروى عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً». قال الحاكم: «أنا أبرأ إلى الله من عهدة جوير». قال: «والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر وهو بدعة ابتداعها قتلة الحسين (عليه السلام)»^(٢).

وأشاعوا استحباب لبس الجديد يوم عاشوراء، وهكذا أشاعوا ثقافة الاحتفاء بهذا اليوم كيوم عيد بهيج وسعيد، وقد رفض ابن تيمية هذه الأحاديث وقال عنها في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)^(٣) بما نصه: «لا يجوز لأحد أن يغير شيئاً من الشريعة لأجل أحد وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه هو من البدع المحدثه، المقابلة للرافضة، وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه، من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك... إلخ».

يقول السقاف^(٤): «كتب ماكيافيلي كتاباً أسماه «الأمير»، اقتبس منه واقع الحياة

(١) يوسف القرضاوي. كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط ص ٧٩.

(٢) قال أحمد: لا يشتغل بحديث جوير. وقال يحيى: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: متروك. راجع كتاب الموضوعات لابن الجوزي ج ٢ ص ٢٠٣.

(٣) ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٤) حسن السقاف. تحقيق في صوم يوم عاشوراء، مجلة الهادي السنة السابعة العدد الثاني، ص ٣٨.

السياسية وجاء فيه مما اقتبسه من واقع حياتهم السياسية منطلق: «الغاية تبرر الوسطة» وعلى هذا الأساس حل للحاكم السياسي الذي حاول أن يدفن حادثة عاشوراء أن يتخذ كل وسيلة لذلك، ولو كانت منافية للدين والأخلاق، ففي سبيل إطفاء شعلة عاشوراء ودفن قضية كربلاء لجئوا إلى اختلاق أخبار جعلوها أحاديث، ونسبوا إلى جد الحسين عليه السلام، إلا أن عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكام جعلها متخالفة متضاربة. أتوا بهذه الأخبار العظيمة والكثيرة العدد بغية دفن قضية كربلاء، ولكن فشلوا وبقيت قضية كربلاء على ما هي عليه، القضية العظيمة جدًّا، استحلال دم الحسين عليه السلام. وقد أصاب الشريف الرضي رحمته الله في وصف هذا الأمر، إذ قال:

كانت ماتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيادها
 جعلت رسول الله من خصمائها فلبئس ما ادخرت ليوم معادها
 نسل النبي على صعاب مطيها ودم النبي على رؤوس صعادها

وهذه الحالة الاحتفالية بيوم عاشوراء كعيد انتهت ولكن آثارها بقيت، فالآن هناك بعض المسلمين في بلدان مختلفة لديهم عادات يوم عاشوراء، واهتمامات معيّنة، فيولون في هذا اليوم ويصنعون بعض الحلويات الخاصّة به ولا يعلمون الخلفية التاريخية لذلك، فهذه رواسب الثقافة الأموية، ومن آثار النهج السلطوي الذي كان يريد التعظيم على قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ونجد هذا حتّى في المجتمعات الإسلامية التي تكفّر المحبة والمودة للإمام الحسين وتظهر الحب له، كالمجتمع المصري الذي يظهر الكثير من مظاهر الحب لأبي عبد الله الحسين، كما يظهر ذلك في صعيد مصر والقاهرة حيث يقيمون الاحتفالات الكبيرة والواسعة يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّ هذا الشعب لا يهتم كثيرًا بإقامة ذكرى استشهاد، وهذا كله من تأثير تلك الثقافة التي كانت تريد التعظيم على قضية كربلاء.

في مقابل هذه المدرسة هناك مدرسة أخرى تعطي هذه الحادثة حقّها من الاهتمام

وتصرّ على إحيائها والاهتمام والاحتفاء بها، وترفض هذه المدرسة أن يكون هناك تناسٍ لقضية الإمام الحسين، وهذه هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فأئمة أهل البيت عليهم السلام بشكّل عام - بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام - بدءاً من الإمام زين العابدين علي بن الحسين كانوا يحرصون ويؤكدون على إحياء هذه المناسبة وهذه الذكرى.

فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ثم ليندب الحسين ويبيكيه - إلى أن يقول - وليعزّ بعضهم بعضاً بمصائبهم بالحسين» (١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من كان يوم عاشوراء يوم مصيبتيه وحزنه جعل الله يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرّت بنا في الجنة عينه» (٢).

كذلك ورد الحث من أئمة أهل البيت عليهم السلام على إقامة المآتم لهذه المصيبة العظيمة، ومن ذلك ما جاء في استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام وبخاصّة يوم عاشوراء واتخاذ يوم مصيب، وتحريم التبرك به (٣).

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل: «تجلسون وتتحدثون؟» فقال: «نعم»، فقال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيأ أمرنا».

وعن الرضا عليه السلام: «من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحبى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم يموت القلوب».

وعنه عليه السلام - في حديث - أنه قال: «يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي عليهم السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون».

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٠٩ ح ١٩٧٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٣٤٤.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٠٠ وما بعدها.

وعنه عليه السلام - في حديث -: «فعلی مثل الحسين فليكن الباكون»، ثم قال عليه السلام: «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكًا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه»، ويقول: «هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام».

وهذا ما تشهد به المجتمعات الموالية لأهل البيت عليهم السلام، حيث يهتمون بهذه الذكرى ويعظمونها، وذلك التزامًا منهم بتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فبالنسبة لنا هذه سنة حسنة وليست بدعة، لأننا نعدّها تجسيدًا لعناوين إسلامية، وتجسيدًا للعنوان الإسلامي ليس بدعة، فنحن نعد ذلك تجسيدًا لأمر الله تعالى في مسألة تعظيم الشعائر، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٢]، كما أننا نجد ذلك تجسيدًا للتذكير بأيام الله، يقول سبحانه: ﴿وَذَكَّرْهُمْ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٥]، ونجده أيضًا مصداقًا من مصاديق إظهار المودة لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣]، وهذه جميعها عناوين إسلامية، وتطبيق القاعدة على المصاديق الخارجية ليس بدعة، بل هو تطبيق لتعليم من التعاليم الإسلامية.

كما أننا نعد كلام أئمتنا أئمة أهل البيت عليهم السلام لنا شرعًا متبعًا، لأنهم ينقلون عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(١).

وإذا كان هناك من له رأي آخر في هذه المراسم فهو حرّ في رأيه، ومن المفترض أن يظل هذا في حدود اختلاف الرأي، وإذا اختلفنا في الرأي فهذا لا يعني أن يصادر طرف رأي وحرّية الطرف الآخر، فنحن بحاجة إلى الاعتراف بحرّية الرأي الآخر، وقبول نتائج الاجتهاد ما دام باب الاجتهاد مفتوحًا، و«للمجتهد - إن أصاب - أجران، وإن

(١) الكافي، ج ١، باب التقليد، الحديث ١٤، ص ٥٣.

أخطأ أجر».

فهذا اجتهاد وكل يعمل باجتهاده، ولا داعي للإنكار عند اختلاف الاجتهاد، وهنا لا بدّ أولاً أن نتقدّم بالشكر لكم جميعاً على احتفائكم بهذه المناسبة وأجركم وثوابكم على الله، وبخاصّة أصحاب هذا المجلس، على ما بذلوه من جهد ومن نشاط من أجل عقد هذا المجلس ورعايته، نسأل الله لهم الأجر والثواب وأن يتقبّل عملهم وأن يوفّقهم لإحياء هذا المكان بما ينفع المجتمع ويخدم الدين.

كما لا بدّ أن أشكركم أيها الإخوة والأخوات الذين حضرتم في هذه الليلة والليالي السابقة فيما تحمّلتموه من عناء وفيما صرفتموه من وقت، وإن شاء الله يكون لكم بذلك أجرٌ وثواب.

وأعذر إلى الله ثم إليكم إن كان في خطابتي أو قراءتي - خلال هذه الليالي - أي تقصير في حقكم أو جرح لبعض المشاعر أو تعدّد لما لا ينبغي التعدّي عليه. وفي هذا المجال نشكر القوى الأمنية التي تحافظ على الأمن في المنطقة، وعلى أمن الحسينيات والمواكب والمجالس من حيث المرور وترتيب السير، نشكر لهم جهودهم ونرجو أن يكون الأجر والثواب على الله لجميع المؤمنين والمسلمين.

أجواء الفتنة الطائفية والمذهبية

وهنا لا بدّ أن نقف عند موضوع إحياء هذه الذكرى وعند الأجواء التي تريد بعض الأطراف أن تملأها بالشحن الطائفي وبالتعبئة المذهبية، وبخاصّة في هذه المرحلة الحساسة والخطيرة من تاريخ الأمة.

لقد كان التفاؤل يعمر قلوبنا وقلوب كل الواعين والمخلصين بأن الأمة قد قطعت شوطاً جيّداً على طريق الوحدة، وأنها تجاوزت العصبية والخلافات المذهبية والتعبئة والتعبئة المضادة، هذا التفاؤل والأمل أثارته مبادرات كثيرة في الداخل والخارج، من

ذلك ما أثير حول موضوع التقريب والتقارب بين المذاهب الإسلامية، من خلال ما عُقِدَ من مؤتمرات في مختلف بلدان المسلمين^(١) حول هذا الموضوع وما أقيم من مؤسسات وما وضع من كتب ودراسات وأبحاث وطرح من محاضرات بهذا الخصوص.

وفي المملكة كانت مبادرة طيبة باتجاه الحوار الوطني^(٢) من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، ثم كانت قمّة مَكَّة الاستثنائية المسماة بـ (بلاغ مكة المكرمة)^(٣) التي شاركت فيها كل الدول الإسلامية وتم الإعداد الجيد لها بحضور أكثر من مئة عالم ومفكّر وشخصية من بلدان المسلمين، فقدّموا توصيات إلى القادة وتم إقرار هذه التوصيات، وكانت تنص هذه التوصيات على الاعتراف بالمذاهب الإسلامية وعلى ضرورة أن يتفاعل المسلمون وأن يتعاونوا فيما بينهم، وعلى رفض التكفير ووقف المهادنات بين الأطراف وعلى الدعوة إلى الوحدة والتقارب.

هذا كلّه أشاع الأمل والتفاؤل في النفوس، ولكننا - مع الأسف - قد نلاحظ أن المسيرة تمرّ هذه الأيام بشيء من الانتكاسة، فبدأت أصوات متطرّفة ومتشجّجة - وهنا لا أدين طرفاً بعينه، فمن أي جهة جاء التطرّف هو أمر مرفوض -، حيث بدأنا نجد أن هناك أصواتاً متطرّفة بدأت تملأ الأجواء، وتعكّر صفو الودّ بين المسلمين، وكأننا نعود للمربّع الأول ونقطة الصفر، فنسمع فتاوى التكفير والتهيج، وبيانات وخطابات في هذا الاتجاه.

ما هذا الوضع؟! ومتى حصل؟!

قد لا نحتاج إلى مزيد من التأمل، فالقضية واضحة، حيث حدث كل هذا بعد

(١) أسست دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة وأصدرت مجلة رسالة الإسلام العدد الأول في ربيع الأول ١٣٦٨هـ، وقد عقد المؤتمر الخامس عام ١٤١٣هـ بعد أن انتقلت أمانته إلى طهران - إيران، لمزيد من المعلومات زيارة موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. www.taghrib.org

(٢) حصل اللقاء الأول في الرياض أيام ١٥-١٨/٤/١٤٢٤هـ الموافق ١٥-١٨/٦/٢٠٠٣م.

(٣) انعقد المؤتمر في ٥-٦/١١/١٤٢٦هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٠٥م.

أن اهتزّ كيان إسرائيل على يد المقاومة الإسلامية اللبنانية التي هزّت الكيان الصهيوني، ونحن نرى تداعيات هذا الاهتزاز ونلاحظها كل يوم في داخل إسرائيل، فهناك اهتزازات سياسية وعسكرية واجتماعية وتصريحات وأبحاث في هذا الموضوع.

وقد أصبحت الدولة العبرية بفعل هذه الاهتزازات ومشروعها الصهيوني في خطر وأصبحت الأمة الإسلامية في المقابل - بفعل انتصارات المقاومة - قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر على المشروع الصهيوني الأمريكي على هذه الأمة.

وقد هال الشياطين وأعداء الأمة المستكبرين هذا الأمر، فأصبحوا يخططون ويتآمرون ويعملون من أجل إعادة الأمة إلى حالة الفتنة الداخلية وتأجيج الصراع والفتن، وكأن الأمة الآن تعيش هذه المشكلة، وكأن مشكلتنا ليست إسرائيل ولا الهيمنة الأمريكية ولا الإساءات التي تحصل اتجاه نبينا محمد ﷺ فأصبحت المشكلة خطر السنة على الشيعة، وخطر الشيعة على السنة.

وبطبيعة الحال لا يمكننا أن نحمل الأعداء كل المسؤولية، فأرضيتنا كانت مهياًة ومستعدّة لمثل هذه الأمور، فمما يؤسف له أن مجتمعاتنا العربية هي من بين أكثر المجتمعات التي تعيش حال التمزق في العالم، فكلّ المجتمعات في العالم - بشكّل مجمل - وصلت إلى حلّ لخلافاتها، فاتفقت مختلف الأمم على دستور وقانون يرجعون إليه، وإلى تداول سلمي للسلطة، وعلى أنظمة عادلة تدير شؤونهم وأمورهم، لكنّ مجتمعاتنا العربية لا تزال تعيش هذه الحالات المؤلمة من التمزق والتشتت.

بدءاً بالعراق التي تعيش أوضاعاً مؤلمة، وأودّ أن أؤكد في مسألة الموضوع العراقي أن ما يحصل هناك لا يمت بصلة إلى الحالة المذهبية والصراع المذهبي أو الطائفي، فلا يوجد طرف في العراق يقاتل من أجل عقيدته، وإنما كل طرف يقاتل من أجل وجوده كجماعة وكطائفة، لتنال هذه الطائفة حقوقها السياسية في المناصب والمواقع، فهو صراع سياسي على الأدوار والحصص والمواقع، كما أننا لا نسمع أن هناك في العراق اختلافاً على

هذه الفكرة أو على هذه العقيدة أو هذا الرأي، وإنما الصراع يتركز على المواقع السياسية، وهذه مشكلة تعيشها مجتمعاتنا العربية في كل مكان، وإنما يستعمل المذهب والطائفة في العراق كعنوان فقط.

ومما يدل على ذلك أن هناك بلداناً عربية لا يوجد فيها هذا التنوع المذهبي الذي في العراق ومع ذلك نجد فيها حروباً وصراعات لا تنتهي، ومن أبرز هذه المناطق: منطقة دار فور في السودان.

وقبل الحديث عن مشكلة دار فور أحب أن أعطي نبذة موجزة عنها: فدارفور كانت سلطنة مستقلة عند قيام الحرب العالمية الأولى، ولكنها وقفت مع الدولة العثمانية، فانتقم منها البريطانيون فيما بعد وأضافوها إلى السودان، وأهملوا تنميتها.

مساحتها: ٥٠٠ ألف كلم ٢، وسكانها يزيدون على ستة (٦) ملايين نسمة. وهذه المقاطعة السودانية تعيش حرباً منذ خمس سنوات، وتحاول الأمم المتحدة أن تتدخل وكذلك قوات الاتحاد الإفريقي، والإحصائيات تذكر أن ضحايا هذه الحرب بلغ أكثر من ٢٠٠ ألف قتيل، خلال أحداث السنوات الخمس الماضية، وأكثر من مليوني مشرد. والملايين الأربعة الباقية يعيشون على الإغاثة الدولية كلياً أو جزئياً. كما تشير التقارير إلى أن قرىً بكاملها قد أحرقت بسبب الأوضاع المتأزمة هناك، بالإضافة إلى انتشار حالات الجريمة والاعتصاب والخطف.

إن أهل دار فور جميعهم ينتمون إلى قبائل عربية، بعضها ترجع في جذورها إلى أصول عربية وأخرى إلى أصول إفريقية، ولكنهم - جميعاً - مسلمون ينتمون إلى المذهب المالكي، أي إنهم من أهل السنة، ومع ذلك نرى رحي هذه الحرب التي لم تتوقف منذ أكثر من خمس سنوات، فهناك لا يوجد أي وجود شيعي أو ما يسمى الآن بـ «التبشير الشيعي»، ولا نجد نفوذاً لدولة أو عدّة دول تتنافس فيما بينها، ومع ذلك نرى هذا

التمزق والتشتت.

هناك مشكلة في عدم القدرة على التوافق في المجتمعات العربية، حيث يحكمها خلل في العلاقات بين الأطراف.

وهذا أمر نجده كذلك في الصومال، فهذه الدولة تعدُّ من الدول القلائل المتجانسة سكانيًا، فكل دول العالم فيها تنوع عرقي وقومي، وخمسة بالمئة منها فقط متجانسة، والصومال تعدُّ إحدى هذه الدول القليلة المتجانسة؛ لأن الشعب الصومالي ينتمي إلى عرق واحد، وإلى قومية واحدة، وإلى دين واحد، ومذهب واحد، فالصوماليون كلهم عرب ينتمون إلى قبيلة عربية واحدة، وكلهم مسلمون من أتباع المذهب الشافعي.

ولكن الشعب الصومالي منذ أكثر من ٢٠ سنة يعيش حالة التمزق والحروب الداخلية التي أسقطت الدولة، ولم تقم لها قائمة منذ سنة ١٩٩١ م، وهذا يجري في بلد لا يعيش تنوعًا مذهبيًا ولا عرقيًا.

وفي أفغانستان لم يكن الصراع فيها بين سنة وشيعة، فبعد انتهاء الاحتلال الروسي - هناك - حكم المجاهدون، وهم في الأساس من أهل السنة، ثم قامت عليهم حركة طالبان - وهم من أهل السنة، وحكمت أفغانستان، وبعد ذلك تحالفت أحزاب المجاهدين: حلف الشمال مع الأمريكيين والقوى الغربية وأسقطوا حركة طالبان، والآن تقوم طالبان من جديد تتحرك وتفجر مراكز ومناطق لأهل السنة، ففي أفغانستان الصراع ليس دائرًا بين السنة والشيعة.

وما نراه اليوم في فلسطين، وهو أمر تتمرّق له قلوبنا، فهذا الشعب الفلسطيني المظلوم والمضطهد الذي نُحْتل أراضيه، تدور عليها صراعات بين فصائله المختلفة، من خطف وقتل واستعمال للسلاح وأجواء متشنّجة، وهي صراعات ليست بين السنة والشيعة.

هذا كله يعني أن الصراعات الموجودة في مجتمعاتنا العربية لها جذور غير مسألة

التنوع المذهبي، فنحن في هذه المجتمعات نعيش خللاً في العلاقات، وهناك افتقاد للنظام العادل الذي يتمتع الجميع فيه بحقوق مواطنة متساوية.

ففي الكثير من البلدان التي تحصل فيها اختلاف في المصالح والتوجهات لا تتعامل الشعوب بهذه الطريقة من التشنج والعصبية المذهبية والعرقية. ففي تلك المجتمعات هناك توجهات وآراء سياسية متعدّدة، ويبقى لكل مواطن أو مجموعة من المواطنين الحريّة في انتخاب الرأي والموقف السياسي الذي يراه صواباً، ويعبرون علناً باتخاذ وتبني هذه الآراء والمواقف السياسية، وهذا أمر حضاري ولا مشكلة فيه، فلجميع أن يعبر عن قناعاته ومواقفه السياسية، ومن المفترض أن تعيش مجتمعاتنا هذه الحالة من قبول الرأي الآخر، وعلينا أن نبذ هذه التعبئة الطائفية والمذهبية، فهذا خطر يهدد أمن واستقرار مجتمعاتنا الإسلامية، ويعطي الفرصة للأعداء حتى يشغلونا بأنفسنا، لذلك نحن نطالب - ومن خلال هذه المناسبة - بالعودة إلى الرشد والعقل والصواب، كما نطالب قياداتنا الإسلامية والدينية بأن تبادر إلى إنقاذ الموقف، فإن هذه التعبئة ليست في مصلحة أحد.

وأدعو إخواني وأبنائي إلى ألاّ يستفزوا وألاّ يتفاعلوا مع هذه التعبئة، فلا يدخلوا في أي جدل أو سجال مع ما يسمعونه في هذا الاتجاه، إننا نأمل ونرجو أن يكون ما يحصل حالة مؤقتة و:

«سحابة صيف عن قريب تقشع»

ماذا نستفيد من عاشوراء؟

نحن نعدّ إقامة ذكرى عاشوراء ليس مجرد إثارة للعواطف والمشاعر أو اجترار للكآبة والحزن، وإنما نحيي هذه الذكرى لنستلهم منها القيم، ولذلك أحببت أن أنبّه في هذه الليلة على ثلاثة دروس يمكن استفادتها من عاشوراء وإقامة ذكرى استشهاد الإمام

الحسين (عليه السلام)، هي كالتالي:

الدرس الأول: الالتزام بالدين

فالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم إنما جاهدوا وصمدوا وتحركوا من أجل بقاء الدين، وقيم وأحكام الإسلام، وليس من أجل أطماع وأغراض شخصية أو دنيوية أو مصلحية، يقول الإمام الحسين عليه السلام في سبب خروجه وحركته: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر»^(١). وفي يوم عاشوراء يقول البطل الهاشمي العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

والله إن قطعتمو يميني إني أحامي أبداً عن ديني^(٢)

ولذلك علينا أن نخرج من أجواء عاشوراء هذه الروحية، ومن هذه المجالس العاشورائية أكثر عزمًا وتصميمًا بالالتزام بتعاليم وأحكام الدين وبالاجتناب عن المعاصي، وبالتوبة إلى الله تعالى وبالمواظبة على أداء الصلوات وجميع الواجبات الأخرى. وهذا خطاب موجه أيضًا لأخواتنا المؤمنات، حيث يجب عليهن الاهتمام بالالتزام بالعفة والحشمة والستر والحجاب.

الدرس الثاني: تحمّل المسؤولية الاجتماعية

كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يبقى في داره وفي مسجد جدّه عليه السلام - كما أشار عليه كثيرون، وكما فعل آخرون -، ولكنه أبى إلا أن يتحمّل مسؤوليته الشرعية والاجتماعية، يقول عليه السلام في قيامه وحركته: «وأنا أحق من غير»^(٣).

وهنا يجب أن نأخذ الدروس في أن نتحمّل المسؤولية تجاه وطننا ومجتمعنا، فكل واحد منّا مطالب بدور، وهذا أمر يمارسه الأفراد في جميع دول العالم تجاه مجتمعاتهم،

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٠٤.

فينخرطون في المؤسسات التطوعية لتقديم الخدمات للمستفيدين من هذه المؤسسات. وفي هذا المجال قرأت تقريراً عن الأعمال التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يشير التقرير إلى أن خمسين بالمئة من الراشدين الأمريكيين يشاركون في الأعمال التطوعية، وفي فرنسا يشارك ثلث الشعب الفرنسي في الجمعيات التطوعية، ولكن مجتمعاتنا لا يزال الاهتمام بالعمل التطوعي فيها محدوداً.

إن الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية والأندية الرياضية واللجان الخدمائية المختلفة تشكو من نقص في الكوادر والدعم، وهذه المؤسسات تقدم خدماتها للجميع، وهي بحاجة ماسة للدعم والتنمية والتطوير في مختلف المجالات.

وللتمثيل أذكر إنشاء فرع لصندوق المتوية، حيث تقوم فكرة هذا الصندوق على توفير مبلغ من المال يوفّره أهالي المنطقة، ويقوم الصندوق بتوفير مبلغ مقابله يماثله في القيمة، بحيث إذا وصل المبلغ الذي وفّره الأهالي إلى خمسة ملايين يقوم الصندوق بدفع خمسة ملايين أخرى، بينما لو استطاع الأهالي جمع عشرة ملايين سيتكفل الصندوق بتوفير عشرة ملايين أخرى، وهكذا ...

وتقوم الفكرة الأساس لهذا الصندوق على الدعم للشباب الذين يريدون عمل مشاريع اقتصادية صغيرة، حيث يدعمهم بالدراسات وبتقديم مبلغ من المال كرأس مال أولي، ومن ثمّ يدعمهم بالتسهيلات في الدوائر والمؤسسات الحكومية، وأخيراً يدعمهم بالرعاية المستمرة في خطوات المشروع اللاحقة بعد التأسيس، بحيث يساهم الصندوق في التغلب على أي مشكلة فنية أو اقتصادية تواجه المستفيد.

وهذا المشروع يعود نفعه وفائدته على شبابنا بالدرجة الأولى، ويساهم في حلّ جزء من مشاكل البطالة، وهو أشبه بالأسهم الوقفية، فالمبلغ الذي يدفع لا يقدم لفقر - مع أهمية مساعدة الفقراء وما في ذلك من الثواب -، إنما هو مبلغ يقدم للتنمية ومن أجل مساعدة أبنائنا وشبابنا في أن تكون لهم مشاريعهم الخاصّة وأن يشقّوا طريقهم في هذه

الحياة، وقد بدأت فكرة هذا المشروع منذ أكثر من ثمانية أشهر، ولا يزال التفاعل بطيئاً لذا نأمل أن تكون مبادراتنا ومشاركاتنا في هذه المشاريع ومثيلاتها أفضل وأكثر.

وما دمنا في أيام عاشوراء لا بدّ أن نشير إلى أهمية التفاعل مع مشروع التبرّع بالدم، فهذه حالة إنسانية وفيها الأجر والثواب، وبخاصّة حينما ينوي الإنسان أن يهدي ثواب التبرّع بالدم إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

الدرس الثالث: مراعاة حقوق الناس

في هذه الليلة - العاشر من المحرم - أمر الإمام الحسين منادياً ينادي بين أصحابه: «لا يقتل معنا رجل وعليه دين، فقام إليه رجل من أصحابه فقال له: «إن عليّ ديناً وقد ضمنتته زوجتي»، فقال عليه السلام: «وما ضمان امرأة؟»^(١).

وروي عن موسى بن عمير عن أبيه قال: أمرني الحسين بن علي عليه السلام قال: «نادِ أن لا يقتل معي رجل عليه دين، ونادِ بها في الموالي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من مات وعليه دين أخذ من حسناته يوم القيامة»^(٢).

لقد أراد الإمام عليه السلام أن يكون المستشهد بين يديه متحرّجاً في دينه خالي الذمة من حقوق الناس وأموالهم، ولا يريد أن يكون سبباً في ضياع أي حق من حقوق الآخرين.

إن الإمام الحسين يقدّم أداء الدين على شرف الجهاد والنصرة له عليه السلام، مع حاجته إلى النصر، وهذا غاية سمو الأخلاق والرفعة والنبيل، وأنموذج مثالي من الدروس الأخلاقية العظيمة لكل الأجيال في كل زمان، ويجب أن نأخذ من ذلك درساً، وبخاصّة مع ما نراه من تساهل عند كثيرين في أداء حقوق الناس، فنرى البعض لا يؤدّي الدين الذي عليه، ويسوّف في الأمر، ونرى بعض أصحاب المؤسسات لا يعطون عمالهم أجورهم، وبخاصّة الأجانب منهم، وهذا لا يجوز شرعاً، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أعط -

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٣ ص ١٧١.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ (قم المقدسة: دار المعروف)، ص ٥٠٥.

أو أعطوا^(١) - الأجير حقّه - أو أجره - قبل أن يجفّ عرقه^(٢).

إننا يجب أن نكون حسّاسين تجاه حقوق الناس، فإنه لا يفيد الإنسان أعمال العبادة والخير إذا كان في ذمّته شيء من حقوق الناس. وفي يوم القيامة أول ما يحاسب عنه الإنسان - قبل ترك الصلاة والصوم والحج وقبل أي محرّم من المحرّمات - حقوق الناس، ولذلك علينا أن نكون مهتمّين ومراعين لهذه الحقوق.

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ج ٢ ص ١٨٧ ح ١٩٩٥ .

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١٤ ص ٢٩ ح ١٦٠١٧ .

الصراعات والتزام الأخلاق^(١)

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَغْدِلُوا ۖ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ ۗ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

المحور الأول: تجنّب الصراعات

الحالة الطبيعية للإنسان أن يعيش في سِلم وتعاون مع أفراد جنسه ونوعه، ويتجنّب مواطن الصراع والنزاع، وهذه هي الحالة التي من المفترض أن يلتزم بها كل إنسان عاقل، يسترشد عقله وضميره في علاقاته مع الآخرين.

إن حالة العداوة والصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان حالة شاذة وفي غير مصلحته الشخصية، وغير الصالح العام، ذلك أن المجتمع ينمو ويتطوّر ضمن علاقات بينية جيدة.

أما حالة الصراعات والنزاعات الفردية بين أفراد المجتمع فإنها:

١. تخلق حالة من التشاحن بين الأفراد، وتستهلك جهودهم في النواحي السلبية،

(١) ألقىت المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ١١ محرم ١٤٢٨ هـ.

- بدل أن تُصرف في تحقيق البناء والتطوير والتقدّم وخدمة الصالح العام.
٢. وكذلك تجعل الخصم يعيش حالة من الاضطراب والتوتر النفسي تجاه عدوّه وخصمه، يقول الإمام علي عليه السلام: «إياكم والمراء والخصومة فإنها يمرضان القلوب»^(١).
٣. بالإضافة إلى ما تخلقه من أجواء الرعب والخوف وعدم الاطمئنان، ذلك أن حالة العداوة والخصومة تجعل كل طرف في مرمى سهام الطرف الآخر، من حيث الاعتداءات المتوقعة، وهذه حالة تربك الأمن الاجتماعي، وتسلبه مقوّمًا من أهم مقوّمات استمراره وبقائه.
- فالإنسان لا يستطيع أن يعيش ضمن مجتمع يفقد فيه الإحساس بالأمن والاستقرار النفسي.
- وفي هذه النقطة يؤكّد الحكماء على أن الكراهية والخصومة حتى مع الصغير الذي قد لا تكون له مكانة اجتماعية بارزة قد تؤثر في مسألة الأمن والاستقرار الاجتماعي، لأنها حالة تدفع الإنسان - مهما كان موقعه وحجمه - إلى حب الانتقام بأي طريقة ووسيلة من الوسائل الممكنة.
٤. وأخيرًا، فإن العداوة مع الآخرين والصراع معهم قد تقحم الإنسان في المحرّمات، من خلال القيام بعمل ما هو حرام وغير مشروع حبًا في الانتقام، وما تولّده حالة الكراهية والصراع من اندفاع عند الإنسان نحو كثير من الوسائل، المحرّم منها والمحلل، ولهذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ بَالَعِ فِي الْخُصُومَةِ أَثْمَ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظُلْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مِنْ خَاصَمٍ»^(٢).
- لذا فمن التوجيهات الدينية للإنسان المسلم أن يتعدّد قدر الإمكان عن العداوة

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، من قصار حكمه عليه السلام.

والخصام، وهذا ما يؤكّد عليه رسول الله نبينا محمد ﷺ حينما يقول: «ما يزال جبرئيل في شيء ما عهد إليّ في معادة الرجال»^(١)، وفي رواية أخرى: «ما نزل علي جبرئيل ينهاني عن ملاحاة الرجال»^(٢)، والمقصود بـ (الرجال) - هنا - مطلق الإنسان، ذكرًا كان أو أنثى .
وينقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «رأس الجهل معادة الناس»^(٣)، وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: «معادة الرجال من شيم الجهّال»^(٤).

من هنا على الإنسان الفرد والمجموع تجنّب الدخول في صراعات وعداوات مع هذا الطرف أو ذاك، وفي حال سعى البعض لاتخاذ موقف عداوة ضدّ أحد الأطراف، فعلى الإنسان أن يفرّ من تلك العداوة.

ومما نعيشه في مجتمعتنا - وللأسف - أن نجد البعض وكأنه يسعى لمعاداة الناس والصراع معهم، ونجد هناك من يستجيب لهذه الاستفزات من مثل هذه الأطراف.
والعاقل من يتجنّب الوقوع في مثل هذه المزالق ويتعد عنها، وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام عن الحلم يقول: «من قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرًا، فقل له: إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة»^(٥).

وهذا هو منهج العقلاء الذين لا يستجيبون لمثل هذه الإثارات والاستفزات والأفخاخ، ومن يقع في مثل هذه المواقف يكشف عن ضعف رجوعه إلى عقله وسيطرة الانفعالات عليه.

والمقصود بتجنّب الصراعات على أي نحو كانت، سواء كانت على الصعيد الديني

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٢

(٢) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٢٤ .

(٣) عبد الواحد الأمدي التميمي. غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٣٧١، حكمة ٢٦ .

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٢، حكمة ٧٣ .

(٥) مستدرک الوسائل. ج ١١ ص ٢٩٠ حديث ١٣٠٥٤ .

أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو على المستوى الشخصي .
ومثل هذه المواقف تحتاج إلى شدة في التحمل وإلى ضبط الأعصاب والانفعالات، يقول تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٥].
إن مثل هذه المواقف تحتاج من الإنسان أن يملك القدرة على التحمل وضبط الأعصاب، وإلى استعمال عقله بحكمة.

المحور الثاني: التزام الأخلاق في الصراع

في بعض الأحيان يضطر الإنسان لدخول الصراعات مع الآخرين دون إرادة منه، وأبرز مثال على ذلك ما يحدث في بعض حوادث السير، عندما لا يكون أحد الطرفين هو المخطئ، إذ يجد نفسه في نزاع وصراع مع الطرف الآخر.
وكذلك في بعض المواقف الشخصية، وفي هذه الحالة على الإنسان المسلم أن يتحلّى في مواقف الصراع بأخلاقياته وضوابطه، فالصراع له حدود وضوابط، وهذا ما نجده بارزاً في مواطن الحروب والمعارك العسكرية، حيث كان لها في الماضي ضوابط يراعيها المتحاربون فيما بينهم، وقد وضعت لها المنظمات الدولية في هذا العصر أنظمة وقوانين دولية يجب على كل طرفين متنازعين مراعاتها والالتزام بها.
والمتتبع لسيرة نبينا الأعظم محمد ﷺ يراه قد وضع كثيراً من الضوابط والقوانين لطريقة سير المعركة كان يلزم المسلمين بها، فكان إذا بعث سرية (فرقة من الجيش) يجمعهم قبل انطلاقتهم ويقول لهم: «بسم الله، وبالله وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة، إلا أن تضطروا إليها»^(١)، ويوصيهم بالتخلّق بهذه الأمور في حروبهم مع الأعداء.
ومن يقرأ غزوات الرسول ﷺ يجد روعة في الالتزام بالقيم والأخلاق في تلك

(١) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٥٨.

المعارك والحروب، وكان ﷺ يغضب غضبًا شديدًا حينما يخالف أحد من أصحابه وجنوده شيئًا من تلك الأخلاق والآداب.

١. في إحدى المعارك وجد امرأة مقتولة، فغضب، وسأل: «من قتل هذه المرأة؟ ولماذا تقتل امرأة في الحرب؟».

٢. وفي إحدى المعارك مرَّ بلال بامرأتين مسبيتين على المعركة، ونظرنا إلى جثث القتلى من اليهود، فغضب رسول الله ﷺ ونادى بلالاً، وقال له: «أنزعت الرحمة من قلبك، حين تمر بالمرأتين على قتلاهما؟!»^(١).

٣. وفي بعض المواقف كان المسلمون يفرقون في الأسر بين الأمهات وأولادهنَّ، فكان رسول الله ﷺ يغضب من مثل هذه الحالات والمعاملة غير الإنسانية.

لقد كان ﷺ حريصًا على الالتزام بالمبادئ والقيم الإنسانية حتى في المعارك والحروب. وهو أمر نجده في التعاليم والأحكام الإسلامية، حتى في حال القصاص، فالآية الكريمة التي تجيز الاقتصاص من القاتل، لولي الدم تأمره بالأيسر في القتل، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٣].

فولي المقتول في الإسلام مخير بين الاقتصاص من القاتل، وبين أخذ الدية، وفي حال أراد الاقتصاص فله ذلك ضمن ضوابط، وليس كما كان شائعًا في الجاهلية من الثارات المتبادلة بين العشائر والقبائل.

وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يجسد أروع مثال على الانضباط والتزام مبادئ وقيم الإسلام الحنيف، ففي وصيته الأخيرة قبل رحيله ﷺ يقول: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَلْفَيْتُكُمْ تَخَوْضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧ ص ٧٣٩.

انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاصْرُبُوهُ ضَرْبَهُ بِضَرْبَةٍ وَلَا تَمْتَثِلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَ لَوْ بِالْكَذِبِ الْعُقُورِ»^(١).

وهناك أمثلة كثيرة على احترام الأخلاقيات والضوابط في مسائل الصراع والاختلاف، ففي باب الغيبة يذكر الفقهاء أن من موارد جواز الغيبة: غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه، ولكن فيما هو متجاهر بالفسق فيه، فإن كان يتجاهر بشرب الخمر، فيجوز غيبته في هذه المعصية، ولا يجوز غيبته فيما هو متخفٌ بالفسق فيه.

مراعاة الحدود الشرعية في أدبيات الخلاف

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود تيارات وتوجهات متباينة، والمجتمع الإسلامي الذي تعدد فيه التيارات الفكرية، فإن الإسلام ألزم معتنقيه بضوابط شرعية لا بد من مراعاتها في تعاملهم مع بعضهم بعضاً، وفي أخلاقيات الخلاف بينهم. ولذلك لا يجوز لأي جماعة تختلف مع غيرها من الجماعات أن تلجأ لأساليب التسقيط والكذب والادعاءات الباطلة، فهذه ممارسات محرمة في الإسلام.

وهو أمر يجب على المسلم مراعاته حتى مع من يعتدي عليه ويظلمه، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٤].

إن الله في هذه الآية يؤكّد على أنه في حال حدوث اعتداء على جماعة أو فرد من المسلمين، فعليهم ألاّ يبالغوا في الردّ على الاعتداء، بل في حال الردّ فليعتدوا بالمثل تماماً. إن مجموع هذه الأحكام تؤكّد على نقطة مهمّة في مسألة العلاقات الإنسانية، وهي أنه في حال عدم وجود وفاق فعلى الجميع التحلّي بأداب وضوابط معينة، حتى لا تتطور حالة الخلاف إلى نوع من التصادم والاحتراب، ما قد يؤدّي إلى انتهاك الحرمات لخدمة هذا الصراع.

(١) نهج البلاغة. من وصية له ﷺ للحسن والحسين ﷺ لما ضربه ابن ملجم.

التوسل بأساليب التضليل في حل مسائل الصراع

تناقلت وسائل الإعلام في الأيام القليلة الماضية عن وجود فتوى صادرة عن المرجع الأعلى في النجف الأشرف السيد علي السيستاني - حفظه الله - مفادها بأن الإنسان إذا توسلاً، وبعد الموضوع لمس إنساناً سُنِّيًّا فعليه إعادة الموضوع، لبطلانه.

وقد تداولت وسائل الإعلام هذه الأكذوبة وأخذت طريقها في الانتشار، مع أنه لا مصدر لها، وهي لا تنسجم ومسائل الفقه الإمامي فيما يخصّ الموضوع، ذلك أن النجاسة العينية في حال لمسها المتوضّئ - حسب فقه الإمامية - لا يبطل وضوؤه، بل يكفيه تطهير موضع التنجّس، فكيف بالمسلم المحكوم بالطهارة.

ولكن لأن هناك من يريد إيقاع الفتنة وتحقيق بعض المطامح والانتصار لفئة على حساب بقية الفئات من خلال هذه الإثارات، يروج مثل هذه الأكاذيب بين الفينة والأخرى، وهي أساليب يجب ألا تنتشر داخل البيئة الإسلامية.

إن أساليب الكذب والغيبة والافتراءات وتسقيط بعض الشخصيات من خلال ترويح بعض الإشاعات حولها وسائل غير مبرّرة في الإسلام حتى لو مورست بعناوين شرعية، كعناوين الدفاع عن العقيدة ونشر الفضيلة، فالحق لا يطلب بالباطل، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا غَدِلُوا غَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وذلك بمعنى: ألاّ يدفعنكم عداوة وبغض قوم لكم أو عداوتكم لهم على ألا تعدلوا في تعاملكم معهم، فالإنسان - أثناء الصراع - بحاجة إلى التقوى والتزام الحدود.

وقد ورد عن أحد العلماء قوله إن من أهم الموارد التي تُعرف فيها التقوى موارد الخلاف والصراع، والكيفية التي يتعامل بها الإنسان مع الذين يختلف معهم.

ولذلك نرى أن أغلب المتدينين يحافظون على الالتزام بالضوابط الشرعية في الحالات العادية، ولكن الاختبار والمحكّ الحقيقي يتبيّن في حالات الخلاف وكيف يتعاملون معها ويتعاطون مع مشاكلها.

إن بعضهم يفقدون تديّنهم وتقواهم وأخلاقهم؛ لأنهم اختلفوا مع بعض الأطراف أو الجهات الأخرى.

المحور الثالث: عاشوراء أنموذجاً

الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام قام - في نهضته - دفاعاً عن الدين، وهو في الأساس لم تكن نهضته حركة مواجهة، فعندما أخبره والي المدينة بهلاك معاوية وطالبه بمبايعة يزيد، رفض هذا العرض، ومارس حقّه الطبيعي في إبداء رأيه في رفض يزيد حاكماً للمسلمين، ومبيناً في الوقت نفسه سبب هذا الرفض، وذلك في تعديده لصفات يزيد، التي لا تؤهله ليكون مسلماً عادياً مقبولاً في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن أن يكون حاكماً عاماً للمسلمين، فقال في ذلك: «ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر قاتل للنفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»^(١).

وإعلان الإمام الحسين عليه السلام رفضه حكم يزيد كان واجباً شرعياً قام الإمام عليه السلام بتأديته، وانطلق بعدها يبشّر بهذا الموقف وهذا الرأي، وقد اعترضه الجيش والسلطة الأموية، فلم تتحمّل هذه السلطة ذلك الموقف المعارض من قبل الإمام عليه السلام، فحصلت واقعة كربلاء المؤلمة، ونحن هنا نريد أن نتحدّث عن أخلاقيات هذه الواقعة في أحداثها ومواقف الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام، نموذجاً لتمثّل أخلاقيات الصراع وفق المبادئ والقيم الإسلامية.

أ) تعامل الإمام الحسين مع أنصاره وصحبه

١. الشفافية والوضوح وعدم الخديعة

عندما أرسل الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة، أرسل بعده رسولاً آخر، يدعى عبد الله بن يقطر، وقبل أن يصل ابن يقطر إلى الكوفة - التي وُيِّ عليها عبيد

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٥.

الله بن زياد الذي شدّد الرقابة على مداخلها وأحيائها منعًا من أن يتسلّل إليها من ينصر مسلم بن عقيل أو ينضمّ إليه - أمسك به رجال ابن زياد، وأحضره إليه، وسأله ابن زياد عن سبب مقدمه إلى الكوفة، فقال له عبد الله: «إني رسول من الحسين (عليه السلام)»، فطلب منه ابن زياد الرسالة التي يحملها، فرفض عبد الله تسليمه إياها، وحاول التخلص منها، فمزقها. عندها غضب ابن زياد، فخيّره إما أن يعلن براءته من الحسين وعلي بن أبي طالب، وأن يكون ذلك أمام الملاء على المنبر أو يقتله، فاختر أن يصعد المنبر.

فصعد المنبر، وقال: «أيها الناس، أنا سفير لكم، أنا رسول لكم من ابن بنت نبيكم، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، أدعوكم إلى رفض سلطة هذا الجائر والفاسد»، وبدأ يتحدث ويشتم يزيد وواليه ابن زياد، ويوضح مساوئهم أمام الملاء. فغضب ابن زياد وأمر به أن يُلقى من أعلى القصر حيًّا، ففعل به ذلك.

فتكسرت عظامه، ولكنه بقي فيه رمق من الحياة، فجاء شخص يقال له عبد الملك بن عمير البجلي وأجهز عليه واحتزّ رأسه، فعوتب في ذلك، فقال: «إنما أردت إراحته من الألم»^(١).

فوصل الخبر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو في طريقه إلى كربلاء، في منطقة يقال لها «زُبالة»، فجمع أصحابه وأوضح لهم الصورة، فقال لهم: «قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، ليس عليه مئذنة ذمام»^(٢)، وبالفعل، تفرّق عنه جمع من الناس - كما تذكر الأخبار -.

والموقف نفسه يتكرّر في كربلاء، في ليلة العاشر من المحرمّ جمع أصحابه وقال لهم: «انطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي... فإن القوم يطلبوني ولو أصابوني لهما عن

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٤٩.

طلب غيري»^(١).

٢. الحرية في المشاركة والنصرة

عندما طلب منه بعض الأشخاص أن ينصرفوا أذن لهم، وكان من أولئك الطرمّاح الذي قال للإمام: «إن لدي (ميرة) [تموين] لأهلي بالغذاء والطعام، فأذن لي حتى أوصل لهم ميرتهم وأعود إليك»، فأذن له الإمام عليه السلام، فذهب الطرمّاح ولم يعد إلا وقد استشهد الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام ^(٢).

وفي موقف ثالث تذكر السير أنه في ليلة العاشر بلغ أحد أصحابه أن ابنه وقع في أسر في الريّ، فأخبر الإمام الحسين عليه السلام فأذن له الإمام، وقال له: «رحمك الله أنت في حل من بيعتي، فاذهب واعمل في فكاك ابنك»، وأعطاه ثوباً، وقال له: «فأعط ابنك محمداً - وكان معه - هذه الأتواب البرود يستعين بها في فكاك أخيه»^(٣).

ومن موافقه عليه السلام مع أصحابه أن جاءه فراس بن جعدة المخزومي - وهو من أقربائه عليه السلام - وقد انهار واضطرب من هول المعركة، فلما رآه الإمام الحسين عليه السلام وهو بهذه الحالة، سأله: «أراك مضطرباً؟، فإن أحببت الانصراف، فانصرف ليس عليك مني ذمام»، فانصرف وترك الإمام.

ب) تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه

الإمام الحسين عليه السلام مثل مدرسة في التعامل الأخلاقي مع أصحابه، وكان كذلك في تعامله مع أعدائه، ونشير هنا إلى بعض المواقف التي تمثل قمة التعامل السامي مع العدو والمخالف:

١. عندما استقبل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الجيش الأموي الذي كان يقوده الحر

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٩.

(٣) محمد بن طاهر السماوي. إِبصار العين في أنصار الإمام الحسين ص ١٧٤.

بن يزيد الرياحي في وسط الصحراء، وكان قوامه أكثر من ألف مقاتل، وكانوا يعانون من الظمأ والعطش الشديد، قال له بعض أصحابه - وهو زهير بن القين -: «يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم»، ولو ناجزهم الإمام ساعتها لكسب أسلحتهم ولأرعب من يأتي خلفهم، ولكن الإمام الحسين رفض، وقال: «ما كنت لأبدأهم بقتال»^(١).

٢. عندما استضاف الأعرور بن شريك مسلم بن عقيل في الكوفة، ودخل عليه ابن زياد يعود في مرضه، كان بإمكان مسلم بن عقيل أن يجهز على ابن زياد، ولكنه ما فعل ذلك، فسأله ابن شريك وكان قد دفعه إلى ذلك، فقال مسلم: «ذكرتُ حديثًا عن رسول الله ﷺ يقول فيه: «الإيمان قيّد الفتك»^(٢).

٣. في يوم التاسع من المحرم أقبل شمر بن ذي الجوشن على معسكر الإمام الحسين ﷺ، وكان في خوؤلة مع إخوة الحسين أبناء أم البنين، ونادى: «أين بنو أختنا؟»، فاستنكروا الردّ عليه.

فالتفت إليهم الإمام الحسين، وقال: «أجيبوه، وإن كان فاسقاً فإنه من أخوالكم». فأقبلوا يسألونه حاجته، فقال: «أنتم يا بني أختي آمنون»، ولكنهم رفضوا أمانه^(٣).

ولننظر إلى اهتمام الإمام الحسين ﷺ بإجابة عدوه والاستماع إليه، مهما كانت درجة العداوة.

٤. ومن المواقف التي تكررت في هذه المعركة أن الإمام الحسين كان في كل مرة يكره أن يبدأهم فيها بقتال، ويكون من بدأ الحرب والمعركة.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٩.

(٢) حياة الإمام الحسين ج ٢ ص ٣٦٥.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٥.

جميع هذه المواقف وغيرها تؤكد مدى الحرص الذي كان يوليه أهل البيت عليهم السلام في المحافظة والالتزام القيمي بمبادئ وقيم وتعاليم هذا الدين، فكانوا بحق الترجمان لما نزل به رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا بحق كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن نفسه بأنه «القرآن الناطق».

الإمام الحسين مدرسة الأخلاق^(١)

قال الله العظيم في كتابة الحكيم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

المحور الأول: الأخلاق قيمة عليا

تعريف الأخلاق

تُعرّف الأخلاق بأنها الصورة النفسية للإنسان، أو الانعكاس للجانب المعنوي والنفسي عنده، فكما أن للإنسان جسماً يمثل شكله وصورته المادية من طول وقصر وملامح وما أشبه، فينظر الناس إلى شخصيته المادية من خلال ملامحه الجسمية، فإن هناك بُعداً آخر للإنسان، هي نفسه التي تعني الميول والتوجهات، وهذه تتجلى وتتجسد من خلال الأخلاق.

فالأخلاق هي صورة النفس الإنسانية.

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف بتاريخ ١٢ محرم ١٤٢٨ هـ.

ويشرح الأخلاقيون ذلك أكثر، فيقولون: إن الناس تتعرف شكل الإنسان من خلال جسمه، فيرون التفاوت في الأشكال من حيث الطول والقصر، والنحافة والامتلاء، وكذلك من حيث الجمال وعدمه، وعندما يريد الإنسان الاطلاع على الصورة النفسية لأخيه الإنسان يتعرّف ذلك من خلال الأخلاق، التي تكشف صورة النفس، إذ النفس هي الجانب الآخر من الشخصية الإنسانية، ولا يتبين جمالها وقبحها إلا من خلال الأخلاق، فالناس يتعرفون حقيقة النفس من خلال التعامل الأخلاقي.

وكما أن الأجسام فيها جمال، وقبح، وملامح جيدة، وغير جيدة، كذلك نفس الإنسان فيها الحسن، وفيها القبيح. فيها نقص، وفيها ضعف، وهذا أمر يتبينه ويراه الناس من خلال التعامل الأخلاقي مع بعضهم بعضًا.

ومما يؤسف له أن يحرص الفرد متًا على جمال شكله ومظهره أكثر من عنايته بجمال النفس وطبيعتها، لأنه يعرف أن جمال الشكل والمظهر، يجذب الأنظار والنفوس، لذلك يحرص أن يكون مظهره وشكله جميلًا، فنرى الكثير يتهافتون على جراحة وعمليات التجميل، وبخاصة فيما بين النساء، لتحرص الفتاة على شكلها وجمالها على حساب الجوانب الأخرى.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنه ليس مستنكرًا في الدين أن يحرص الإنسان على حسن مظهره، فهو أمر مطلوب ومرغّب فيه، لأن «الله جميل يحب الجمال».

والسعي للجمال وحسن المظهر هدي قرآني، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢]، وحينما رأى رسول الله نبينا محمد ﷺ أعرابيًا يدخل عليه وشكله وشعره غير منسّق، قال ﷺ - فيما روي عنه -: «أَمَا كَانَ يَجِدُ مَا يَسْكُنُ بِهِ شَعْرُهُ؟»^(١).

ولكن من المفترض أن تبقى العناية بالمظهر في حدودها الطبيعية والمتعارفة.

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٤٩ حديث ٤٠٦٢.

وفي المقابل ينبغي للإنسان أن يحرص على جمال صورته النفسية، فهي الأهم، وهي التي تؤثر أكثر في نفوس الآخرين وقلوبهم.

وللوصول للجمال النفسي على الإنسان الاهتمام بالتهذيب الأخلاقي، فالأخلاق هي شكل النفس وهيئتها، ومن هنا جاء التأكيد والتركيز على الأخلاق.

حُسْنُ الْخُلُقِ يَعَزِّزُ حُضُورَ الْإِنْسَانِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ

قد تكون للإنسان نقاط قوة مختلفة، كل نقطة من نقاط القوة تجعل له موقعية ما، ومستوى من الاهتمام والتقدير في أوساط الناس، فعندما يكون له نسب شريف - مثلاً -، فإن هذا يجعل للإنسان موقعية، وقد يكون للإنسان موقع سلطة وقوة، فهذا يجعل له أهمية وتقديرًا من نوع خاص، وفي مثال ثالث قد يكون صاحب كفاءة علمية، في مجال العلوم الدينية أو مجال العلوم الطبيعية، ما يجعل له أهمية ومكانة عند الناس. وعندما يكون صاحب ثروة وأموال ستكون له مكانة وأهمية. وأخيرًا من يكون له توجه عبادي، بحيث يعرفه الناس بالإقبال على العبادة وعلى التهجد، هذا تكون له قيمة في نفوس الناس، وهناك أمثلة كثيرة لمواقع ومناصب تكسب الإنسان منزلة بين الناس.

ولكننا إذا استقرنا الروايات والأحاديث والنصوص التي تتحدث عن الأخلاق، فإننا سنجدها تعطي للأخلاق مكانة عُليا فوق هذه الكفاءات والملكات، وهذا ما نشعره بوجداننا وفي واقعنا الخارجي، فمهما كانت نقاط القوة عند الإنسان كثيرة، من: علم أو مال أو سلطة أو شرف ونسب أو ما أشبه ذلك، فإنه تبقى لأخلاقه الأثر الحاسم على مكانته عند الناس، فتتعزيز إذا كان صاحب خلق جميل، وتكبر هذه المكانة مع كفاءته. أما إذا كانت أخلاقه سيئة فإن سوء الخلق عنده يضعف تأثير كفاءاته ونقاط قوته الأخرى، وفي هذه النقطة تروى رواية جميلة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، يقول ﷺ: «رب عزيز أذله خلقه، وذليل أعزه خلقه»^(١)، حيث نفهم من

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤٢٠.

كلمة (العزیز) و(الدلیل) الواردتين في الرواية امتلاك القدرات وعدم امتلاكها، فيكون معنى الرواية: رب عزيز يمتلك نقاط قوة - من شرف ونسب، أو مال، أو مكانة علمية - أذله سوء خلقه.

والآية الكريمة التي افتتحنا بها حديثنا توضّح هذه النقطة بأجلى صورة، فهي تتحدث عن النبي ﷺ، وهو في أعلى مكانة أو منصب قد يناله إنسان في الدنيا، ومع ذلك تتحدّث بأن الإنسان حتى لو بلغ أعلى المراتب، وهي النبوة والاتصال بالوحي الإلهي، لن يكون عزيزًا ويترك تأثيره في النفوس ما لم يكن على درجة عالية من سموّ ورفعة الأخلاق.

والآية هنا تتحدّث عن نبينا محمد ﷺ، وهو النبي الأعلى مرتبة بين مجموع الأنبياء ﷺ؛ لأن الأنبياء يتفاوتون في المراتب والدرجات، كما هو صريح الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣]، إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن أفضل نبي وأفضل رسول، ومع ذلك تجعل الخلق حاكمًا على جميع الملكات والمراتب التي يحصل عليها الإنسان، إن الله تعالى - في هذه الآية - يعدّ الأخلاق حاكمة على هذه الكفاءة من حيث تأثيرها في الناس ومن حيث الموقعية التي تحفرها في وسط المجتمع.

إن الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّفَنَفِضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، بمعنى: إنك - يا محمد - لو لم تكن لك أخلاق حسنة وكانت أخلاقك سيئة، لما نفعتك نبوتك في تعزيز موقعيتك بين الناس، ولما أفادتك في أن يقبلك الناس، ولا ينفضوا عنك.

إن أهم ما تريد الآية إيصاله أن الأخلاق لها حاكمية من حيث تكوين وتشكيل مكانة الإنسان في المجتمع ومقبوليته بين الناس، حتى على درجة النبوة، فكيف ببقية الكفاءات والقدرات. فلو أن إنساناً عنده ثروة ومال، ولكن أخلاقه سيئة، ترى هل

يجبه الناس؟!، وكذلك لو كان يملك مستوى علميًا متقدمًا، ولكنه لا يتعامل مع الناس بالأخلاق الحسنة، فإن الأثر الطبيعي الذي سيحصل أن الناس لا يحبونه، ولن ينجذبوا أو ينشدوا إليه، لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو يخاطب العلماء: «لا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم»^(١)، ويبدو أن الخطاب - في الرواية - موجه إلى علماء الدين بالأخص يتعاملوا مع الناس بفظاظة، حتى لا ينفروا منهم، فيذهب باطلهم (سوء التعامل الأخلاقي) بحقهم (التوجهات الدينية التي يبشرون بها)، وهذا أمر طبيعي، فإذا كانت النبوة مع سوء الخلق لا تؤثر في الناس كما هو مفاد الآية، (وهو مسألة افتراضية، وإلا فجميع الأنبياء معصومون لا يقومون بالأعمال المنافية للعصمة) فكيف بالعالم.

ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العبد ليلبغ عظيم درجات الآخرة بحسن خلقه وإنه لضعيف العبادة»^(٢)، فكثرة العبادة والتقرب إلى الله من خلالها، بتلاوة القرآن وأداء النوافل وقراءة الأدعية والزيارات لا تقرب الإنسان إلى الله إذا لم يصاحبها حُسن الخلق، وهذا مفاد حديث آخر مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سوء الخلق ذنب لا يغفر»^(٣).

وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - عند حديثه عن الظلم -: «إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطَلَّبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْمَنَاتِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»^(٤).

بعض الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في عباداته وعلاقته مع الله يمكن أن يتجاوز

(١) الكافي ج ١ ص ٣٦.

(٢) كنز العمال ج ٣ ص ٥.

(٣) كنز العمال ج ٣ ص ٤٤٣.

(٤) نهج البلاغة. من خطبة له صلى الله عليه وسلم وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

عنها ويغفرها الله له، لكن ظلم الآخرين والإساءة لهم - وهو المظهر الأخلاقي - هذا ظلم لا يترك، ويحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، وقد ورد أنه قيل لرسول الله ﷺ عن امرأة تصوم نهارها وتقوم ليلها ولكنها تؤذي بلسانها جيرانها، فقال ﷺ: «لا خير فيها وهي من أهل النار»^(١).

من هنا جاء التأكيد على الأخلاق، حتى إن رسول الله ﷺ حينما يتحدث عن الأخلاق، يعدّها الهدف الأعلى من بعثته، فيقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢)، فيكون هذا الهدف الأعلى من بعثته، وفي مناسبة أخرى ورد في حديث عنه ﷺ: «الإسلام: حُسْنُ الخلق»^(٣).

وروي عن النبي ﷺ: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»^(٤).

المحور الثاني: صور ومشاهد من الأخلاق الحسينية

نحن عادة ما نتحدث عن الحسين الثائر، والشهيد، والمظلوم، كما نتحدث عن جانب البطولة أو المأساة في شخصيته ﷺ، ولكن ما يجدر بنا أيضاً أن نتحدث حوله هو عن المدرسة الأخلاقية للإمام الحسين ﷺ، كيف كانت أخلاق الإمام الحسين، وكيف كان تعامله مع من حوله، وذلك حتى نطالب أنفسنا ونمتحنها في ولائها للإمام الحسين ﷺ، إذ لا يكفي أن نبكي على مصيبته وننشد لذكراه، بل إن ذلك مجرد وسيلة، والهدف هو الاقتداء به، والتأسي بشخصيته ﷺ، وأن نسير باتجاه شخصيته المحلقة في أفق الكمال، حتى يصل كل واحد منا إلى المقدار الذي يدركه ويتمكنه.

ونحن نحاول في هذا البحث أن نلتقط ونقتبس بعض الأشعة وبعض المواقف من

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٩٤.

(٢) المصدر نفسه ج ١٦ ص ٢١٠.

(٣) كنز العمال ج ٣ ص ١٧.

(٤) مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٤١٥ حديث ٢١٧٠٩.

أخلاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

احترام الآخرين في منظور الإمام الحسين عليه السلام

وهذا من أهم تجليات الأخلاق الحسنة والفاضلة عند الإنسان، فالإنسان الذي له خلق حسن، هو الذي يحترم الآخرين، مهما كانت وضعيتهم الخارجية المادية، والإمام الحسين عليه السلام في هذا المجال يروي عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان بالله، التودد إلى الناس»^(١)، وفي بعض النصوص: «التحجب إلى الناس»^(٢).

مفاد الرواية أن الإنسان إذا أراد أن يتعرف مستوى عقل أخيه الإنسان فإنه ينظر إلى اهتمامه بالتودد إلى الناس والتحجب إليهم، كما يهتم بموقف الناس منه بانشدادهم إليه أو انشداده إليهم، هذا هو رأس العقل، ومنطق العقلاء، وما يكسب به محبة الناس. وقد نقلنا في مناسبات سابقة روايات عن أئمتنا أهل البيت عليهم السلام تأمرنا كشيعة وموالين لهم أن نحبيهم إلى الناس، إذ ورد عنهم: «حبيونا إلى الناس»، و«رحم الله من حبب الناس إلى نفسه وإلينا» - كما يقول الإمام الصادق عليه السلام -.

وفي عصرنا هذا نرى أثر هذه النقطة بارزاً بشكل واضح، وذلك حينما رأى الناس مقاومة المؤمنين للصهاينة، تجلت أمام العالم وأمام الناس مكانة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو النشر الصحيح لمبادئ وقيم أهل البيت عليهم السلام، وهذه هي الدعوة الصحيحة، يروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»^(٣).

بينما يقوم بعض الشيعة - مع الأسف - ببعض الأعمال التي تشوّه سمعة المذهب والطائفة، وحينما يكون هناك توجيه للابتعاد عن مثل هذه الممارسات يخاطبونك بأنه لا يهمهم الطرف الآخر.

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١ ص ١٣١.

(٣) وسائل الشيعة ج ١ ص ٧٦ حديث ١٧١.

وهو منهج وأسلوب خطأ في التعامل مع الآخرين، فهاهم أئمتنا يأمرونا بتحبیب الناس إليهم، وهم بذلك يقصدون بقية المسلمين، ولا يقصدون الشيعة بطبيعة الحال إن هذه الطريقة في التعامل بعصبية، وعنتریات تضر أكثر مما تنفع.

من تعاليمه عليه السلام : عدم التعالي على الآخرين

سئل الإمام الحسين عليه السلام مرّة عن معنى الأدب، فقال عليه السلام : «ألا تلقى أحدًا إلا وترى له الفضل عليك»، وهو المعنى نفسه الذي يرشد إليه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق، حيث يقول فيه: «ولا ترفعي في الناس درجة، إلا حططني عند نفسي مثلها»، بمعنى أن الإنسان في داخل نفسه عليه أن يهذبها، فلا يشعر بالغرور ولا بالتعالي على الآخرين، بل لا يلتقي أحدًا إلا ويرى له الفضل عليه، كما هو مفاد كلام الإمام الحسين عليه السلام.

ومن تعاليمه عليه السلام : عدم الإساءة إلى الآخرين

الأخلاق الحسنة تعني ألا نسيء لأحد، بل من الأخلاق الحسنة أن يتحمل الإنسان إساءات الآخرين، فقد جاء رجل إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال له: «إن فيك كبرًا»، - وفي العادة لا يتحمّل الناس أن يأتي شخص ويواجههم بهذه العبارة، وبخاصة إذا كان في موقع وجاهة، أو زعامة، وفي مثل هذه الحالة غالبًا ما يفقد الإنسان السيطرة على انفعالاته ويضبط أعصابه، ولكن الإمام الحسين عليه السلام يستقبل هذا المسيء بابتسامة هادئة، ويقول له: «الكبر لله وحده ولا يكون في غيره»^(١)، يشير عليه السلام إلى الحديث القدسي المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منها فذفته في النار»^(٢). إن الإمام الحسين عليه السلام لم تُثره استفزازات هذا الرجل، فلم يغضب أو ينفعل، وكذلك لم يرد على إساءته.

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٨.

(٢) سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٥٦ حديث ٤٠٩٠.

إن التعامل الحَسَن مع المحسن لا فخر للإنسان فيه، فعندما تُلقَى قصيدة في مدح أحد الأشخاص فيدي له احترامه، هذا ليس من موارد الفخر والاعتزاز، ولكن ما يشعر بالفخر والاعتزاز أن يتحمّل الإنسان مواقف الإساءة، بحيث يضبط أعصابه وردّات فعله الانفعالية.

الإمام الحسين عليه السلام كان يحترم البعيدين والقريبين، ولذلك كان يُنقل في سيرته، أنه على عهد جده رسول الله صلى الله عليه وآله هو وأخوه الإمام الحسن عليه السلام كانا يخاطبان جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله بالأبوة، فيقولان - مثلاً -: «أبتاه يا رسول الله»، أو: «يا أبتاه»، ويخاطبان أباهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بكنيته بالآخر، فالإمام الحسين يخاطب أباه الإمام عليًا عليه السلام: «يا أبا الحسن»، والحسن يقول: «يا أبا الحسين»، تمييزاً وتعظيماً لجدهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك إلى وفاة جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فصارا يخاطبان أباهما عليًا بالأبوة.

وهذه نقطة مهمّة، وهي مراعاة حُسن التعامل مع الآخرين، وليبدأ هذا الأدب الإسلامي من المنزل وأقرب الناس، وهم أفراد الأسرة.

ومن حُسنِ تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أفراد أسرته أنه ورد في سيرته عليه السلام عن الإمام الباقر عليه السلام أنه ما تكلم بين يدي أخيه الحسن إعظاماً له، فإذا كان أخوه الإمام الحسن عليه السلام في مجلس لا يتكلم في محضره تعظيماً وإجلالاً له عليه السلام.

وهذا أمر رأيت في بعض المجتمعات عند بعض القبائل، فمن العادات عندهم أنه كما يقبل الفرد منهم يد أبيه أو رأسه، يقبل رأس أخيه الأكبر منه، وفي بعض الحالات كنت أراه يقبل يد أخيه الأكبر، وهذا نوع من الاحترام والتعظيم.

إن أهل البيت عليهم السلام بهذه السيرة الأخلاقية التي تميزوا بها يمثلون القدوة لنا في التعامل فيما بيننا، وبخاصّة التعامل الأسري، وهي نقطة لا بدّ أن نلتفت إليها جيّداً، فالأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع، وربما كثير من الظواهر السلبية يكون لها بيئة احتضنتها داخل الأسرة، ولذلك ينبغي التأمل في سيرة أهل البيت عليهم السلام وتعاملهم فيما بينهم كأسرة

متحابة متألّفة.

احترام المعلم في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

من مشاهد أخلاق الإمام الحسين مما ينقله لنا التاريخ من سيرته: موقفه مع معلمٍ لولده علمه سورة الحمد، هو عبد الرحمن السلمي فلما قرأها الغلام أمام أبيه الحسين عليه السلام، أمر عليه السلام بألف دينار لذلك المعلم، وفي رواية حشى فاه درّاً، فقيل له في ذلك، قال: «وأين يقع هذا من عطائه - يعني تعليمه -»^(١).

وهو تصرّف من الإمام يدل على تقدير العلم، وتقدير المعلم.

أهمية التواصل الفاعل بين البيت والمدرسة

وهنا لا بدّ لي من همسة تربوية مهمّة، وهي أننا بحاجة في مجتمعنا للتفاعل بين الآباء والأسر وبين السلك التعليمي، بين البيت والمدرسة، لأن هناك بعض الآباء الذين لا يهتمون بالعلاقة مع المدرسة التي يتعلم فيها أبنائهم أو بناتهم، فلا يهتمه التواصل، ولا يبدي أيّ اهتمام بذلك، فغالبًا ما يكون الحضور لمجالس الآباء ضعيفًا.

بل يصل الأمر في ضعف التعاون بين البيت والمدرسة إلى حد أن البعض لا يرد على الهاتف إذا اتصلت به المدرسة، بمجرد أن يرى رقم هاتف المدرسة لا يرد ولا يتجاوب، ولعل ابنه يقضي مرحلة دراسية كاملة دون أن يكلف نفسه عناء ومهمة الوصول إلى المدرسة لتفقد وضعه.

التواصل مع المدرسة مهم، لتفقد وضع الأولاد في المدرسة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لإشعار الطالب باهتمام أسرته بدراسته، وثالثًا لإشعار المعلمين بأن هناك متابعة.

إن من أهم الأمور التي تشجع وتدفع باتجاه إزالة الثغرات وموارد النقص والخلل هو مسألة المتابعة بين البيت والمدرسة، والإمام الحسين عليه السلام سيرته يريد أن يلفت أنظارنا

(١) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٤٧ حديث ٤٦١٣.

إلى أن ننظر إلى المعلم نظرة احترام، وأن نقدر الدور الذي يقوم به المعلم تجاه أبنائنا.

تعامله ﷺ مع أعدائه

وهنا لنا وقفة أخيرة مع مواقفه ﷺ من أعدائه، فقد كان يقدر للآخرين حريتهم في الاختيار، حتى في المواقف الحساسة، ففي واقعة عاشوراء نجد أن الحسين ﷺ في مسيره إلى كربلاء كان يعطي للآخرين الحرية في اختيار الموقف الذي يريدونه ويرونه، فَحَيَّر أصحابه أكثر من مرة في اللجوء به أو التخلي عنه، وفي أكثر من مرة ردّد هذه العبارات: «ليس عليكم مني ذمام»^(١)، «فانطلقوا»، في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي»^(٢).

وكان بعض الأشخاص يستأذنونهم فيأذن لهم، والتاريخ ينقل لنا قصة هزيمة بن أبي مسلم، فهو يتحدث عن نفسه، أنه شهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وفي الطريق في منصرفه من صفين أو ذهابه إلى صفين، حينما حاذى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أرض كربلاء، حدثهم عما يجري في كربلاء وقال: «واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب»، وتذكر هذا المشهد عندما كان مع قوم عمر بن سعد في كربلاء، فعزم على أن يترك عمر بن سعد، وجاء إلى أبي عبد الله الحسين ﷺ، وروى ما سمعه من أبيه علي بن أبي طالب ﷺ، فكان يعرف قيمة المكان وقيمة القضية، حينها سأله الإمام الحسين ﷺ: «معنا أنت أم علينا؟»، ولكن هزيمة خائنته الإرادة، فقال: «لا معك ولا عليك، خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد»، وفي هذا الموقف لم يغضب الإمام الحسين ﷺ ولم ينفعل، بل نصحه بما ينفعه، قال له: «فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً ولا تسمع لنا صوتاً فالذي نفس حسين بيده لا

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٧.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٥٩.

يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا كتبه الله لوجهه في نار جهنم»^(١).
 فلننظر كيف كان أن الإمام يقدر للآخرين اختيارهم وحريرتهم، وهذا هو سلوك
 الأنبياء ﷺ، فالأنبياء يشرحون ويبيّنون ويبلغون، والناس - بعد ذلك - أحرار، فَمَا
 عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ [سورة المائدة، الآية: ٩٩]، وهذا بخلاف ما نراه من البعض الذي
 يأخذه الانفعال والحماس حينما يعتقد بأن رأيه هو الحق، ولا يرى الطرف الآخر على حق
 أبدًا، مع أن الدعوة تحتاج إلى عنصر الحوار الهادئ في إقناع وتفهم وجهة نظر الطرف
 الآخر، لأن أيًا كان لا سلطان له على تفكير ومعتقدات الآخرين، فها هو القرآن الكريم
 يصوّر لنا طبيعة الدعوة التي يمارسها الأنبياء، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ
 عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ٢١ - ٢٢].

ولقد كان أبو عبد الله الحسين ﷺ يتعامل مع الناس من هذا المنطلق.

تعامله ﷺ مع مَنْ هُوَ مُوَلَّى عَلَيْهِم

ولننظر إلى تعامله مع مَنْ هُوَ مُوَلَّى عَلَيْهِم، لننظر إلى تعامله مع أصغر جندي معه
 في المعركة، هو عمر بن جنادة، الذي كان غلامًا في الحادية عشرة من عمره، عندما أقبل
 يطلب الرخصة من أبي عبد الله الحسين ﷺ لينزل إلى المعركة، التفت إليه الإمام الحسين،
 وقال: «هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك»، وإذا بالغلام يتقدم إلى
 الحسين ﷺ ودموعه تسيل على خديه، والسيف الذي يحمل لعله أطول من قامته، يقول:
 «إن أمي أمرتني»^(٢).

وغلام آخر تركي ما كان عنده أحد أيضًا معه في المعسكر، لما نظر إليه الإمام
 الحسين ﷺ خَيْرَهُ، وقال له: «أنت في حل اذهب، وانج بنفسك»، فقال: «سيدي يا أبا عبد
 الله، هذه لحظة السعادة ساعة الفوز كيف أفوتها على نفسي»، فخرج إلى المعركة، وقاتل إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٥٦.

(٢) عبد الرزاق المقرّم. مقتل الحسين الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، (قم: مكتبة آل علي ﷺ) ص ٢٦٤.

أن استشهد، ولم يكن له أقارب ومعارف، فقد كان غريباً، فأقبل الإمام الحسين عليه السلام نحو ذلك الغلام، وميزه، وانحنى عليه ووضع خده على خده، وكان الغلام لا يزال به رمق من الحياة، فتح عينه ورأى الحسين واضعاً خده على خده، فابتسم وطارت نفسه فرحاً وسروراً، وقال: «من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي»^(١)، وفاضت روحه الشريفة.

وهكذا كان الإمام الحسين في تعامله مع جميع من حوله، يعامل الجميع بالرفق والعطف والرحمة.

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٣٠٣

العلاقات الزوجية وظاهرة العنف^(١)

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٩].

المحور الأول: خصوصية العلاقات الزوجية

لا توجد علاقة في عالم الإنسان أخصّ ولا أعمق من العلاقة الزوجية، لأنّها علاقة منفتحة على مختلف الأبعاد في شخصية الإنسان، فعلاقة الزوج مع زوجته وعلاقة الزوجة مع زوجها لا تدانيتها أي علاقة أخرى، فليست للإنسان علاقة في رحابها تداني علاقته مع زوجته في عمقها وفي سعة انفتاحها على مختلف الأبعاد، وهذا أمر واضح، وبالتالي فإن التعبير عن الزوجة بأنّها شريكة حياة الزوج هو تعبير دقيق وحقيقي، لأنّ هذه العلاقة فيها من الاندماج والشراكة في مختلف أبعاد حياة الإنسان.

ولا يمكن مقارنة هذه العلاقة بعلاقة الإنسان مع أبويه - على ما فيها من قداسة

(١) ألقى المحاضرة بمجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطف بتاريخ ١٣ محرم ١٤٢٨ هـ.

ومكانة، وذلك باعتبار أن سعة علاقة الإنسان بوالديه تبقى محدودة في مقابل علاقة الرجل بزوجته أو علاقة المرأة بزوجها.

ومن هنا نجد أنه على مستوى النفقة هناك خصوصية لموضوع نفقة الزوجة في بعض التفاصيل الفقهية، فنفتها مقدّمة على نفقة الوالدين، مع جلاله مكانة الوالدين في التشريع والتعاليم الإسلامية.

العلاقات الزوجية في القرآن الكريم

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الخصوصية في موارد مختلفة وبتعبيرات متميّزة وفريدة:

١. يقول تعالى في إحدى الآيات التي تتحدّث عن هذه العلاقة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١].

فيعبّر في هذه الآية عن العلاقة الزوجية بأنها سكن، والخطاب فيها موجّه للطرفين: الرجل والمرأة.

ونحن نعلم أن دور السكن للإنسان هو دور الإيواء والمكان الذي يمارس فيه خصوصياته، ولذلك فإن الآية الكريمة تصف العلاقة الزوجية بأنها كذلك، فهي العلاقة التي يأوي إليها الإنسان حينما تضطرب علاقاته مع أي طرف أو جهة. وكذلك هي المأوى العاطفي للإنسان، فالإنسان في هذه الحياة يواجه مشاكل وتحديات، والأقرب إليه لمساعدته وتفهم مشاكله هو الزوج، لذلك تعبّر الآية بـ ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

كما أن الإنسان في علاقته الزوجية يشعر بحريته وخصوصيته التي لا يشعر بها ضمن أي علاقة أخرى.

وفي الفقرة التالية من الآية يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وهذا أمر يعيشه الإنسان أكثر في بدء علاقته الزوجية، فربما يكون الطرفان قبل الزواج ليست

هناك بينها سابق معرفة، ولكن بمجرد أن تحصل هذه العلاقة الزوجية تصبح حالة من المودّة والتراحم بينهما.

ويقصد بالمودّة حالة الحبّ المتبادل، وبالرحمة حالة الشفقة في منطقة الضعف والحاجة.

٢. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧]، حيث يصف سبحانه العلاقة هنا بأنها لباس، وتشبيه العلاقة الزوجية باللباس فيه إبهامات كثيرة وعناوين عميقة، فاللباس من مظاهره أنه ملتصق بجسم الإنسان، والعلاقة الزوجية في عمقها وطبيعتها علاقة التصاق وشراكة حقيقية أقرب ما تكون باللباس، فإن الزوج في علاقته ملتصق بزوجه والزوجة ملتصقة بزوجه.

ومن جهة أخرى، اللباس يؤدّي وظيفة ستر عورة وبدن الإنسان، وكذلك هو أناقَة لمظهره الخارجي، ومن جهة ثالثة يحميه من الظروف والتقلّبات الخارجية، وهذه الوظائف تتوفر بشكل عميق في العلاقة الزوجية.

فالزوج يستر عورة زوجته والزوجة تستر عورة زوجها من خلال إشباع الحالة الجنسية لكل من الطرفين بصورة سليمة ومقبولة اجتماعيًا وإنسانيًا.

كما أن الزوجة جمال وأناقَة للرجل في حياته الاجتماعية، وكذلك الزوج بالنسبة لزوجته، فالإنسان الذي يفتقد هذه العلاقة يشعر بنقص وضعف في وضعه الاجتماعي.

وأخيرًا، العلاقة الزوجية هي صيانة وحماية للإنسان في مجال العواطف والمشاعر والحالة النفسية والحياة الخاصة.

٣. في مورد ثالث يعبر القرآن الكريم عن العلاقة الزوجية بتعبير لم يستعمله في أي علاقة أخرى، يقول سبحانه: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا

غَلِيظًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٢١].

الإفضاء من الفضاء والانفتاح، وهذا يعني أن العلاقة بين الزوجين علاقة انفتاح لا تشبهها أية علاقة أخرى.
ولكن هذه العلاقة يقيدتها عقد الزوجية، حيث عبرت عنه الآية بـ: ﴿مِيثَاقًا عَلِيًّا﴾.

ولذلك يعبر الفقهاء عن عقد الزوجية بأنه عقدٌ فيه شائبة العبادة، أي إن في هذا العقد مسحة عبادية، وإنه ليس كأى عقد مادّي بين الإنسان والآخرين، فعقد الزوجية فيه إيجاب وقبول كبقية العقود، ولكنّ العلاقة التي تترتب عليه لا يمكن مقارنتها بالعلاقة التي تترتب على أي عقد آخر.

هذه العلاقة الوثيقة في الحياة الزوجية التي يدركها الإنسان بوجدانه وفطرته ونراها ماثلة أمامنا في حياتنا البشرية والاجتماعية ينبغي أن تحفظ بالتعامل الصحيح والسليم وتنمى مفاعيلها وآثارها في الحياة.

المحور الثاني: ظاهرة العنف الأسري

هذه العلاقة الوثيقة بين الإنسان وزوجته تستلزم علاقة خاصّة ومميزة في التعاطي والتعامل، إذ لا يوجد إنسان أولى وأحقّ بحسن التعامل من الزوج من قبل زوجته أو من الزوجة من قبل زوجها.

وهنا لا نغفل أهمية تعامل الأبناء مع الوالدين، ولكنّ العلاقة بين الزوجين لا تماثلها علاقة، فالمرأة تعيش مع زوجها انفتاحاً كاملاً في مختلف الجوانب والأبعاد: الجسدية والعاطفية والأبعاد المختلفة الأخرى، لذلك ينبغي أن تكون هذه العلاقة هي أفضل علاقة يقيمها الإنسان ويراعي فيها منتهى الإحسان والفضل، وهذا أمر موجه للطرفين تجاه بعضهما بعضاً.

لكن مع الأسف في بعض الأحيان يحصل العكس، حيث تصبح العلاقة بين

الزوجين سيئة وغير ملتزمة بالحدود الشرعية.

التعدي على الحقوق الزوجية محرّم

إن القرآن الكريم يشير في أكثر من موضع إلى أن تعدي الحدود الشرعية في العلاقة الزوجية هو تعدّد حدود الله، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩]، ويقول في الآية التي تليها: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٠]، وفي آية ثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرَجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرَجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ١]، وغيرها من الآيات التي عبّر القرآن فيها عن أحكام العلاقات الزوجية بـ (حدود الله)، وحرّم التعدي عليها وتجاوزها.

ومما يؤسف له أنه في بعض الأحيان تتصاعد الخلافات بين الزوجين لتصل إلى مستوى العنف، لدرجة أن هذه المشكلة (العنف الأسري) أصبحت قضية عالمية، وتقام من أجل التغلّب عليها الدراسات والأبحاث وتعدّد من أجلها مؤتمرات، وتشرّع قوانين من أجل حماية الأسرة من آثار هذه الظاهرة ومحاولة الحدّ منها.

وقد قامت وزارة الشؤون الاجتماعية في المملكة - مؤخرًا - بتشكيل إدارة خاصّة للحماية الاجتماعية للأسرة وذلك بسبب ظهور حالات العنف الأسري في المجتمع وتزايدها.

تفشي ظاهرة العنف الأسري

في الواقع تعدّد ظاهرة العنف الأسري ظاهرة قديمة وموجودة سابقًا، ولعلّها كانت في نطاق أضيق مما هي عليه اليوم، كما أنها ربما كانت لا تسلط عليها الأضواء كما

هي الحال الآن، وذلك بسبب نموّ ثقافة حقوق الإنسان، ونموّ شخصية الإنسان رجلاً كان أو امرأة.

ففي الماضي ربما كان هناك شيء من التعتيم على مثل هذه الظواهر، ولا تبدو أمام الناس أو الرأي العام، ولكن بسبب نموّ ثقافة الحقوق والواجبات لدى كل إنسان أصبح هناك شيء من الإفصاح عن كثير من القضايا التي كان يُتستر عليها سابقاً، ولهذا قد تبدو في صورتها التي تظهر عليها الآن، مع الاعتراف بأن ما يصل إلى الرأي العام والجهات المختصة كالمحاكم ومراكز الشرطة لا يمثل النسبة الحقيقية، فهي أوسع من ذلك بكثير. وفي التستر على هذه الظاهرة ومثيلاتها جانب إيجابي، فكلما أمكن حلّ المشاكل الأسرية في داخلها ودون تدخّل الطرف الخارجي فهو الأفضل، ولكن في بعض الأحيان يكون التعتيم وكتمان المشكلة حالة من تكريس الاضطهاد والعدوان، وهذه المشكلة التي تعيشها كثير من العائلات، وبخاصة فيما يرتبط بالنساء.

ولكن حينما تتفاقم المشكلة ويكون المجال مفتوحاً للإفصاح وتصبح هناك فرصة ل طرحها فيحب إيصالها إلى الجهات المسؤولة والمعنية، حتى يكون هناك مجال للإنصاف والردع والاعتبار، وكذلك حتى يعلم الأزواج أن المرأة ليست مستباحة الحقوق أو متتهكة الحرمات، والأبّ مجال أمامها للدفاع عن نفسها.

بالطبع إن من يتعرّض للعنف الأسري لا يكون من النساء فقط، فهناك من الرجال من يتعرّض للعنف أيضاً، لكن هذه الحالات محدودة وجزئية، ولهذا ظهرت في الواجهة في بعض البلدان جمعيات تطالب بتشكيل مؤسسات لحماية الرجال من النساء، كما حصل هذا في الجزائر مؤخراً.

ولكنّ نسبة تعرّض الرجال أقل من تعرض النساء للاضطهاد في جميع المجتمعات.

وقد نشرت جريدة الحياة بتاريخ ٢٩ / ٠٣ / ٢٠٠٦ م دراسة لباحثة جامعية من

جامعة الملك سعود حول العنف الأسري في مدينة الرياض، فكان من نتائج هذه الدراسة أنه في كل ستة (٦) أشهر تصل إلى المستشفيات من (٣) إلى (٤) حالات محاولات انتحار من قبل الرجال، أما من قبل النساء فإن المعدل في كل ستة (٦) أشهر: (٩٦) محاولة انتحار، وهذا في مدينة واحدة، هي مدينة الرياض.

وحينما يجري البحث عن أسباب محاولات الانتحار عند النساء تكون في الغالب بسبب العنف الأسري الذي يصل للنساء، سواء كُنَّ زوجات أو كُنَّ بنات أو ما أشبهه، وفي هذا دلالة على أن ما تتعرَّض له المرأة يفوق أضعاف ما يتعرَّض له الرجل، وهو الأمر الطبيعي، لأن الرجل في موقع القوة والقوامة، وبالتالي غالبًا ما يصدر عنه هذا العنف.

آثار ظاهرة العنف الأسري

لقد أصبح من الضروري الوقوف عند هذه المشكلة ومعالجتها:

١. لأن اضطراب العلاقات الزوجية يلقي بظلاله على الوضع الاجتماعي بشكل عام وعلى حياة الفرد بشكل خاص، لأنَّ الإنسان إذا كان منسجمًا وسعيدًا في حياته الزوجية فإن ذلك يريحه نفسيًا ويكسبه الاطمئنان والراحة النفسية ويصبح أكثر قدرة على الفعالية والإنتاجية، بينما إذا كان في حياته الزوجية مضطربًا ويعيش مشكلة وعناء، سيؤثر هذا على حياته النفسية وعلى عطاءه، وهذا أمر واضح، نجد أثره على بعض الموظَّفين حينما تقلَّ إنتاجيته وفعاليتته في العمل وفي تعامله مع زملائه، ففي كثير من الأحيان حينما نبحث عن الأسباب يكون ذلك لأنه غير منسجم أو غير مرتاح في حياته العائلية.

٢. من ناحية أخرى يؤثر الاضطراب في الحياة العائلية الأسرية على بناء الجيل الجديد، فالأولاد إذا عاشوا في جوٍّ أسري منسجم تصبح نفوسهم أقرب إلى الاستقامة، وتربيتهم أقرب إلى التربية السليمة، أما الأطفال الذين يعيشون في جوٍّ عائلي أسري مضطرب، وعلاقات سيئة بين الأب والأم، ومشاكل متعدِّدة في المنزل،

فإن التربية التي سيتلقاها هؤلاء ستؤثر على نفوسهم، وغالبًا ما يكون الأولاد هم الضحايا في سوء العلاقات الزوجية.

ولذلك عندما يحافظ الوالدان على حسن علاقتهما الزوجية وعلى خلق جوّ الانسجام والصفاء بينهما، فإن مردّد ذلك على الأبناء بالدرجة الأولى، فمما تفيدته الدراسات الاجتماعية أن من أسباب الجنوح عند الأحداث إلى الجرائم والعدوان والسلوكيات السيئة وتدني مستواهم الدراسي هو المشاكل العائلية التي يعيشها هؤلاء الأبناء.

ووزارة التربية والتعليم تقوم بين فترة وأخرى بإجراء بعض الأبحاث حول تدني المستوى التعليمي والانحراف السلوكي للطلاب في المدرسة، وغالبًا ما يتوصل المشرفون التربويون الذين يتصدّون لمشاكل الطلاب إلى أن هناك تأثيرًا كبيرًا وواضحًا لسوء العلاقات العائلية على سلوك الطالب في المدرسة؛ لأن هذا الطالب الذي يعيش مشكلة بين أبيه وأمه - سواء كانت المشكلة معاشة أو تنتهي بالانفصال والطلاق - فهذا يؤثّر على اهتمامه الدراسي وعلى إعداده للمدرسة وعلى تربيته وتوجيهه.

٣. الاضطراب الأسري يؤثّر على الأمن الأخلاقي للمجتمع، فالرجل إذا كان مستوعبًا من قبل زوجته فغالبًا ما يكون أعفّ، ولا يمدّ بصره وتوجهاته العاطفية خارج حدود المنزل، وكذلك الزوجة إذا كانت تعيش وضعًا مستقرًا في حياتها الأسرية وهناك إشباع عاطفي لها تكون أقرب إلى حالة العفاف، بينما إذا كانت تجد جفاءً وجفافاً وقسوة في علاقاتها الزوجية فإن الشيطان يدخل عليها من هذا الباب وهذا الطريق، وكثير من المشاكل الأخلاقية التي تحدث تكون أرضيتها الخلافات العائلية الأسرية.

لأجل هذه الآثار وغيرها يجب الوقوف عند ظاهرة العنف والمشاكل الأسرية،

ومحاولة الوصول إلى علاجات وحلول لها، ولا يصح أبدًا التساهل وتجاهل الموضوع أو التعتيم عليه، فهناك مشكلة حقيقية معاشة وظاهرة متصاعدة، وتساعد هذه الظاهرة في هذا الوقت له أسباب خارجية واضحة، بعضها قديم، وبعضها الآخر مستجد، ومن الأسباب التقليدية:

أ. سوء الأخلاق

حينما يكون هناك سوء خلق عند أحد الطرفين فهذا يوّلد مشاكل وخلافات بين الزوجين، سرعان ما تنتقل إلى بقية أفراد الأسرة، وغالبًا ما يكون الأبناء هم الضحية الأبرز والأسرع من حيث التأثير.

ب. عدم الوعي والمعرفة بالحقوق والواجبات المتبادلة

وضع الإسلام نظامًا وأحكامًا تنظّم علاقة الإنسان بالآخرين، وربما تعدّ أحكام تنظيم العلاقات الأسرية هي من أكثر الأحكام التي أولاهها الإسلام عناية كبيرة، لما لها من انعكاسات على الإنسان الفرد والمجتمع، ولكن مما يؤسف له أن يقبل الشاب - وكذلك الشابة - على الزواج دون معرفة بهذه الأنظمة والأحكام التي تحكم هذه العلاقة الجديدة، فلا يعرف كلا الطرفين ما عليهما من واجبات وما لهما من حقوق، والجهل بهذه الأحكام قد يكون سببًا في بروز كثير من الخلافات الأسرية، يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨].

هذه الآية تدلّل على أن لكل من الطرفين حقوقًا وواجبات، وهذه الأحكام موضوعة بالتساوي تقريبًا.

ومن الأسباب المستجدة:

أ. نموّ الروح المصلحية والأنانية عند الإنسان

في ظل هذه الحضارة المادية المعاشة التي لها من وسائل الإعلام والمعلومات ما تصل به إلى كل بيت وكل شخص، أصبح الإنسان يهتمّ بنفسه أكثر من اهتمامه بالآخر -

حتى أسرته، وهذا أمر نلاحظه، ففي كثير من الأحيان يأتي بعض الأشخاص ويتحدث بأنه يسافر ويتنزه في هذا البلد وذاك، ولكن حينما تسأله عن زوجته وعياله، تلاحظ أنه لا يجد نفسه معنيًا إلا بأن يرقه عن نفسه هو فقط، بينما لا يهتم بأبنائه وعائلته، وهذه العائلة حينما تجد الأب يسافر ويتركها دون مراعاة لمشاعر أفرادها وحاجتهم للترفيه والعناية فإنها ستشعر بنوع من الاستئثار الذي يمارسه الأب على حساب أفراد العائلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حينما يغيب الأب عن بلده وعائلته سيكون بالتالي بعيدًا عن أوضاعها ومشاكلها وعن متابعة مجريات الأمور، ما يجعل الأبناء فريسة للوقوع في شرك (الثلل) أو الوسائل والمغريات المنحرفة.

وهذا النوع من الاستئثار واللامبالاة يمكن أن نرجعه إلى الثقافة المادية، هذه الثقافة التي تعطي الإنسان اهتمامًا كثيرًا بذاته، فإذا تضحمت ذات الإنسان فإنه سيفكر في حقوقه أكثر مما يفكر في الواجبات التي عليه تجاه الطرف الآخر، ويفكر في راحته وأموره الشخصية قبل أن يفكر في راحة وأمور وحقوق الطرف الآخر.

وهذا له أثر سلبي على واقع ومستقبل الأسرة، كما أنه خلاف ما توصي به النصوص الشرعية، فقد ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «جلوس المرء عند عياله أحبُّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»^(١).

ب. ضغوط الحياة والانفتاح الإعلامي

هذا الانفتاح المثير للشهوات والأهواء وما يسببه من استثارة وتحريض لها له دور كبير في اضطراب العلاقات الأسرية والعائلية.

وهو من سلبيات هذه الحضارة المادية - التي لها إيجابيات كبيرة -، حيث تتجاهل هذا الجانب القيمي الأخلاقي، فما تبثه الفضائيات أو تروّج له بعض الأفلام - من أجل مطامع تجارية - مما يجرّض الجانب الغرائزي والشهواني عند الإنسان، له تأثيره في نفس

(١) ميزان الحكمة، ج ٤ ص ٢٨٧.

الرجل والمرأة، ومما يؤسف له أن هذه الأمور أصبحت تجارة مشروعة ومقبولة. ومن البوادر الخطرة أن تنتشر مثل هذه الثقافة والتسويق لمثل هذه الإباحيات في أسواق مناطقنا، حيث يتواجد أولئك الذين يحترفون بيع الأقراص الممغنطة (السيدات) التي تحتوي على هذا النوع من الأفلام والمشاهد الإباحية واللاأخلاقية، وهي أمور تُنشر على حساب الأمن الأخلاقي الاجتماعي والأسري والقيم الدينية، وهو من الرزق الحرام؛ لأن بيع أو تداول مثل هذه الأمور لا يجوز شرعاً، وكذلك لا يصح من المجتمع التغاضي عنها أو أن يتقبلها، وعلى الجهات الرسمية المعنية أن تتشدد إزاء هذه الممارسات، ونحن نسمع عن أخبار طيبة في هذا الاتجاه، حيث تقوم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الشرطة في بعض الأحيان بمداخلة بعض الأماكن التي تروج فيها مثل هذه الأشرطة والأقراص، وتقوم بمصادرة ممتلكاتهم الممنوعة هذه.

ولكننا نريد دوراً أكبر، وأن تكون مثل هذه الممارسات مستنكرة في مجتمعنا، فهذه الزوجة التي تعرف عن زوجها أنه يتاجر بهذه الأمور أو ذلك الأب - أو أحد أفراد الأسرة - الذي يعلم عن ابنه أنه يقوم بذلك، عليه أن يستنكر؛ لأن هذا المال الذي يأتي به من هذه التجارة مال حرام، وكذلك على المتواجدين في السوق أن يظهروا استنكارهم لهذه الممارسات، يجب أن نوجد أجواء رادعة في مجتمعنا ضدّ تداول مثل هذه الأمور، وذلك لآثارها المدمرة على أخلاقنا وأمننا الاجتماعي وقيمنا وأحكام ديننا، فلا يصحّ لنا أبداً أن نسكت عنها، وكأنها أمر طبيعي.

ومما يؤسف له أن البعض يبيع بعض المحاضرات والبرامج الدينية بجانب هذه الأفلام الإباحية، وهذا دليل على أن الهدف أصبح مادياً فقط، دون أدنى مراعاة للجوانب الأخلاقية والقيمية.

نشر الثقافة الدينية الطائفة

وفي بعض الأحيان تداهم بعض الجهات الرسمية من يبيعون الكتب والمحاضرات

الدينية وتصادر ما لديهم، ويأتي البعض منهم يشتكي بأن هذا تصرف ضد الحرية الدينية والمذهبية.

نحن مع نشر الثقافة الدينية، ولكن على هؤلاء الذين يبيعون الكتب وبعض الأشرطة والأقراص أن يراعوا المصلحة الدينية، فبيع الكتب التي فيها سحر وشعوذة أو أمور خرافية لا واقع لها أو فيها ما يثير الفتنة الطائفية حرام شرعاً، ولا يصح للإنسان متدين أن يبيع مثل هذه الكتب، ويدّعي أنه ينشر الثقافة الدينية، فالثقافة الدينية لا تقبل الخرافة، والدين لا يقبل الأساطير ولا يقبل ما يؤجج الفتنة أو ما يشوّه سمعة المذهب، وهناك كثير من الكتب يذهب علماؤنا إلى عدم صحة ما فيها، ومن ذلك الكتاب المتداول المسمى (حلّال المشاكل)، وهو كتاب يأتي برواية لا أصل لها، وقصة أسطورية خرافية لا أصل لها كذلك، كما أن خطبة البيان لا أصل لها أيضاً.

ولكن للأسف إن هذه الأمور الخرافية والمذهبية الصارخة هي التي يُقبل الناس عليها أكثر.

وأنا هنا أناشدكم أن تتقوا الله في وحدة المجتمع والوطن، فكما أننا ننزعج حينما نرى أن الآخرين ينشرون ما يسيء إلينا، فيجب أن نشعر بالانزعاج الذي يحصل عند الآخرين حينما نجدوننا ننشر ما يسيء إليهم.

المحور الثالث: دور المجتمع في حماية الأسرة

الإنسان في بعض الأحيان يرى أن المشكلة لم تصل إليه فلا يهتم بما يدور حوله من مشاكل، فيجد أن علاقاته بين أفراد عائلته جيدة، ولكن هذا الشعور لا يعفيه - كفرد من أفراد المجتمع - من المسؤولية، لأنه جزء من المجتمع ومسؤول عما يدور حوله، ولأنه مسلم والشرع يوجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثالثاً: لأن المشكلة إذا تفشّت وانتشرت ولم تصل إليه اليوم ستصل غداً.

ولذلك لا بدّ أن نتحمّل مسؤوليتنا تجاه هذه المشكلة وهذه الظاهرة.

وهنا أتحدّث - بخصوص دور المجتمع في حماية الأسرة - في نقطتين، هما:

الأولى: نشر ثقافة العلاقات الأسرية

يجب أن ننشر الثقافة الإسلامية الصحيحة، تلك الثقافة الإنسانية والأخلاقية، فكثير من الناس لا يعرفون تعاليم الدين على هذا الصعيد، ولم تطرق أسماعهم الأحاديث والروايات والنصوص وكلام الفقهاء حول العلاقات الزوجية، بل إنّ بعض الأزواج لا يعرفون - بالتحديد - الحقوق التي لهم على زوجاتهم فيظنون أن على الزوجة أن تلبّي كل رغباته وأن تقوم بكل ما يطلبه منها، فإن قصرت وترددت وضعفت فهي مدانة، وينظر إليها على أنها قد قصّرت في حقه، وبعض الزوجات تعتقد أن على زوجها أن يكون رهن إشارتها في كل ما تريد وكل ما تطلب دون أن تأخذ ظروف زوجها الاقتصادية والاجتماعية بعين الاعتبار، وهذا خطأ، فلا بدّ من معرفة الحقوق المتقابلة بين الزوجين. وهذا أمر من المفترض أن يكون واضحًا قبل الزواج، بحيث تعرف الزوجة ما عليها من واجبات وما لها من حقوق، وكذلك الزوج يعرف حقوقه وواجباته، وأن ننشر ثقافة الحقوق الزوجية عبر مختلف الوسائل المتاحة، وهذا أمر من المفترض أن يكون حتّى في المراحل الدراسية التعليمية، وبخاصّة في المرحلة الثانوية، وما نحتاج إليه منها هو التركيز على القضايا السلوكية.

التركيز على القضايا السلوكية

في بعض الأحيان تجد أن هناك تركيزًا على بعض القضايا العقديّة في مناهج التعليم الديني عندنا في المملكة، وعلى بعض القضايا الفقهية، وهو أمر تجده أيضًا في خطابنا الديني، وأنا أعتقد أنه في هذه السنوات نحن لا نواجه في مجتمعنا الإسلامي خطرًا عقديًا، فالخطر الأكبر الذي نواجهه في هذه المرحلة هو الخطر السلوكي والأخلاقي، أما القضايا العقدية فإنها أُشيعتُ بحثًا، والناس بفطرتهم ووجدانهم ومما يتلقونه يعرفون المعتقدات الدينية، ولا يعني هذا أننا لسنا بحاجة إلى التوضيح والنشر، ولكن إذا أردنا أن نضع

سُلمًا للأولويات، فإن الأولوية في هذه المرحلة هي للمشاكل الأخلاقية والسلوكية، وإلا فبعض القضايا العقدية التي يركز عليها الخطاب الديني المحلي قضايا مستهلكة، وبعضها محلّ خلاف، فقضية مثل: «بناء القبور وإشادتها» لم تكن مهمّة في يوم من الأيام، وهي اليوم غير مهمّة أيضًا، ولقد تعبنا من تكرارها في المناهج التعليمية، فمنذ أن يدخل الطالب في المرحلة الابتدائية إلى أن يتخرّج ويدخل الجامعة وهذه القضية تتكرر على مسمعه، وهي مسألة خلافية بين المدارس المذهبية.

وكذلك مسائل «الاستجمار والاستنجاء» هذه المسائل التي لا تعدّ مورد عمل وتعدّ من المسائل الجانبية.

إننا مع تعليم الدين في المناهج الدراسية ونريد من أبنائنا أن يتربّوا على التدين، ولكنتنا نريد الاهتمام بالأولويات من مسائل هذا الدين، ونريد تقليص دائرة التركيز على الخلافات، أو أن تطرح ضمن ثقافة التسامح وقبول التنوّع وتعدد الآراء المذهبية والاجتهادات حتى لا يتعبأ الناس على بعضهم بعضًا بسببها، وحتى لا يشحن المواطنون على بعضهم بعضًا، وهذا أمر نواجهه حتى في خطابنا الديني.

إننا بحاجة إلى التركيز على القضايا السلوكية، ومن جملتها ثقافة إدارة الحياة العائلية، ونحتاج إلى خطابات وأحاديث على المنبر وفي المساجد وفي مختلف المناسبات، حتى تصبح هذه الثقافة حاضرة في العقول والقلوب والأذهان.

الثانية : وجود مؤسسات اجتماعية تهتمّ بالأسرة

نحتاج إلى مؤسسات اجتماعية تهتمّ بهذا الأمر، الآن ما عاد مجددًا أن نقول: «اتقوا الله يا مؤمنين، وافعلوا كذا وكذا...» فهذا لا يكفي لحل المشاكل، لأن ذلك يحتاج إلى حلول عملية.

البعض عندهم حماس عندما يرون بعض الظواهر السلبية فيتصلون ببعض المحاضرين والخطباء ويطلبون منهم الحديث حول هذه المظاهر.

ولكن مجرد تناول الخطيب للمشكلة لا يحلّها، فهذا التناول ينبغي أن يكون دافعاً لحلول عملية، فنحن نريد أن يصل مجتمعنا إلى مستوى حينها يستمع الخطاب الديني ويجد فيه طرقاً لبعض المقترحات وبعض الحلول يترجم هذا إلى مبادرات لتفعيل هذه المقترحات والحلول، وإلا فلا فائدة في مثل هذا الطرح. ونحن يجب أن لا نعيش أوهاماً بخصوص هذه المسألة، حيث إن البعض يشعر بالسعادة عندما يجد الخطيب الحسيني قد تحدّث عن بعض المظاهر السلوكية السلبية ويذهب لمنزله وهو يشعر بالراحة والاطمئنان، وكأن المشكلة قد حُلّت وانتهت من ساعتها.

إن مجرد الموعظة والإرشاد العام لا يعالج المشاكل الاجتماعية، فنحن بحاجة إلى حلول عملية.

المجتمع يعاني من التلكؤ في المبادرات العملية

وأظن أن من أهم نقاط الضعف التي يعاني منها مجتمعنا هو التلكؤ في المبادرات العملية، وبعض المستمعين لا يحبّ تكرار بعض المواضيع والمشاكل على المنبر، ولكن في بعض الأحيان يكون هذا التكرار مبرّراً، لأنّه عندما طرح أول الأمر لم يقابل ذلك مبادرة عملية تخفف من مظاهره السلبية.

المجتمعات الأخرى القريبة منّا تعجّ بالمؤسسات في مختلف المجالات، فهناك جمعيات لمكافحة التدخين، وأخرى لحماية الأسرة، وثالثة لتنمية الطفل، ورابعة نسائية وغيرها، وهذا في مجتمعات قريبة منا، في الدمام والخبر والرياض وغيرها من المدن حولنا.

ومما يؤسف له أننا في مجتمعنا ما زالت مصارف الخير عندنا منحصرة في بناء أو تجديد المساجد والحسينيات، وإقامة مآتم العزاء، وهي أمور مطلوبة وينبغي أن تكون محلّ اهتمام، ولكن هذه وحدها لا تكفي، فهناك مشاكل حقيقية لا بدّ من معالجتها. ومن الأمثلة على ذلك ما قرأته عن مشروع «ابن باز الخيري لتيسير الزواج»، وهو

مشروع ضخّم في الرياض، يعمل فيه المئات إن لم يكن الآلاف، وله وحدات متنوعة لمعالجة المشاكل الأسرية.

قرأت أحد إصدارات هذا المشروع، الذي كان بعنوان: «معالجة المشاكل الزوجية عبر الهاتف»، يوضح كيف استطاع القائمون على هذا المشروع حلّ كثير من المشاكل التي تحصل في العلاقات الزوجية عن طريق الهاتف، حيث يقدمون لمن يتّصل بهم بعض الحلول والنصائح ويتواصلون معهم، وإذا كان يتطلّب حلّ المشكلة أن تحوّل إلى جهة معينة يقومون بذلك، وفي هذا الكتاب نصائح ووسائل وأساليب للتعامل مع هذا الموضوع من خلال التجارب التي قام بها هذا المشروع.

وقد استطعنا في المكتب أن نتغلّب على كثير من المشاكل من خلال معالجتها في الهاتف، والإخوة من المشايخ في المكتب يقومون بدور جيّد في هذا المجال، وقد رأينا أن كثيراً منها يمكن معالجتها وحلّها عبر المكالمات الهاتفية.

وتتوجّه الجمعيات الخيرية في المنطقة - بدفع وتشجيع من وزارة الشؤون الاجتماعية - لأن يكون هناك مراكز لحماية الأسرة تحت مظلة هذه الجمعيات.

لكنّ هذه اللجان في حاجة إلى تفعيل وإلى دعم مادّي وكوادر وكفاءات، وكذلك بحاجة إلى من يبادر بتفعيلها، وعلى علماء الدين أن يقوموا بدورهم في هذا المجال، ويبادروا إلى تبني مثل هذه المؤسسات، ودعمها والتعاون مع القائمين عليها، لأن من مسؤوليات عالم الدين دعم مثل هذه الجهود.

كما أننا بحاجة إلى مؤسسات كثيرة تخفف من المشاكل الأسرية والاجتماعية، من قبيل لجان لتشجيع الزواج، ولجان التعريف بين الزوجين، فهناك فتيات عوانس كثر في المجتمع، وفي المقابل هناك من الشباب من يبحث عن زوجة، ولكن لا يوجد واسطة تعرّف الطرفين إلى بعضهما البعض، وفي مشروع ابن باز الخيري الذي أشرنا إليه قسم يخدم هذا الهدف، يقوم بدور جيّد في هذا المجال، وضمن ضوابط وقيود تكفل عدم

انحراف هدف مثل هذه اللجان، ونحن بحاجة إلى مشروع مماثل في المنطق.

«النساء شقائق الرجال» .. في الحقوق والواجبات

وقبل أن أنهي الحديث لا بأس بالإشارة إلى بعض النصوص التي تتحدث عن الحقوق المتبادلة وعن احترام حق الزوج واحترام حق الزوجة، فالروايات في هذا كثيرة، نقتصر على البعض منها:

- ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَةٌ تُوْذِيهِ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ صَلَاتَهَا وَلَا حَسَنَةً مِنْ عَمَلِهَا حَتَّى تَعِينَهُ وَتَرْضِيَهُ وَإِنْ صَامَتِ الدَّهْرَ... وَعَلَى الرَّجُلِ مِثْلُ ذَلِكَ الْوِزْرُ إِذَا كَانَ لَهَا مُؤْذِيًا ظَالِمًا»^(١).
 - وعنه ﷺ أنه عندما أُحْدِثَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فِي قَبْرِهِ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنْ سَعْدًا قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ»، فَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ عَلَى سَعْدٍ مَا لَمْ تَصْنَعْ عَلَى أَحَدٍ؟»، قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِهِ مَعَ أَهْلِهِ سُوءٌ»^(٢).
 - وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ: «لا يكن أهلك أشقى الناس بك»^(٣).
 - وعن الرسول ﷺ أنه قال: «فَأَيُّ رَجُلٍ لَطَمَ امْرَأَتَهُ لَطْمَةً، أَمَرَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ مَالِكُ خَازِنِ النَّيْرَانِ فَيَلْطِمُهُ عَلَى حَرِّ وَجْهِهِ سَبْعِينَ لَطْمَةً فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٤).
 - وعنه ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَوْقَ ثَلَاثِ أَقَامِهِ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ فَيَفْضَحُهُ فَضِيحَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ»^(٥).
- وفي هذا السياق قُدِّمَ سؤال للمرجع الراحل السيد الخوئي رحمه الله مفاده:

(١) ميزان الحكمة، ج ٤ ص ٢٨٧.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، فضل الصلاة في مسجد الكوفة، ص ٤٦٩.

(٣) نهج البلاغة كتاب ٣١ من وصية له ؑ للحسن بن علي كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٤) مستدرک الوسائل ص ٢٥٠ حديث ١٦٦١٩.

(٥) مستدرک الوسائل ص ٢٥٠ حديث ١٦٦٢١.

«هل رفع الصوت على الزوجة في مقام حدوث أمر لا يعجب الزوج يكون من باب أذية المؤمن المحرمة؟» فأجاب رضي الله عنه: «ما علم أنه يؤذيها لا يكون من المعاشرة بالمعروف»^(١).

• كما أن الآية الكريمة التي افتتحنا بها الحديث تقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ومن الجدير أن أشير إلى أن هناك في القرآن الكريم ١٢ آية قرآنية تتحدث عن معاشرة المرأة بالمعروف أو تؤكد على المعروف في العلاقات الزوجية، من ذلك الآية القرآنية الكريمة: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩].

وعندما نرجع للآية المفتتح بها الحديث نجد الفقرة الثانية منها تقول: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وهذا يعني أن الله تعالى يطلب من الإنسان في حال وجد من زوجته ما يكره أن يصبر على ذلك، ففي ذلك خير كثير، وهذا الخير الكثير هو:

١. ثواب الله تعالى

حيث ورد عن رسول الله ﷺ: «من صبر على سوء خلق امرأة واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطي أيوب على بلائه»^(٢). وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «ألا ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين في الآخرة»^(٣).

٢. حماية الأبناء

فتفرق الزوجين يؤثر على وضع الأبناء النفسي والاجتماعي والسلوكي وتحصيلهم

(١) صراط النجاة ج ٢ ص ٣٧٩ مسألة ١١٧٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٣٦٧.

(٣) المصدر نفسه ج ١٠٠ ص ٢٤٤.

الدراسي وعلى تربيتهم بشكل عام، هذا في حال الطلاق والفراق، أما في حال لم يصبر الزوج على أذى زوجته وقام بأذيتها أو أن الأم لم تصبر على أذى زوجها وقامت بأذيته مقابل سوء خلقه، فإن ذلك له تأثير كبير على عواطف الأبناء، فهذا يسقط عندهم الاحترام ويجرح المشاعر، بينما إذا صبر كل طرف على الآخر سيجعل الله في ذلك خيرًا كثيرًا على الأبناء.

موسم المحرم والخطاب الطائفي^(١)

استبعد سماحة الشيخ حسن الصفار أن يكون هناك صدام طائفي في البلاد، مؤكداً على وعي الحكومة بخطورة هذا المنحى وجديتها في منعه. وأكد سماحته على أن ليس من الطائفية أن يُمارس الإنسان شعائره التي يؤمن بها، ما لم يؤد ذلك إلى إيذاء الآخرين.

وأشار إلى أن الخطاب الحسيني ينبغي أن يُركّز على بعدين: البناء والإصلاح الداخلي، وأيضاً إرسال رسالة تسامح ورغبة تعايش والتأكيد على الحالة الوطنية. ودعا مواكب العزاء إلى استثمار موسم عاشوراء في استقطاب الشرائح الشبابية خصوصاً تلك التي تمارس بعض التصرفات السلبية، كما شجّع الأخوات على السعي لتطوير المجالس الحسينية والرقمي بها عن المستوى التقليدي.

كان ذلك في اللقاء الذي نظّمته مؤسسة أبناء الزهراء بحلة محيش مع سماحة الشيخ

(١) عقد اللقاء في منزل الحاج إبراهيم عبدالله آل عجيلان بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٧هـ، إعداد: تركي مكي علي.

الصفار، في حوارٍ كان عنوانه: «محرم الحرام والخطاب الطائفي»، الذي حضره جمعٌ كبير من الناشطين في العمل الاجتماعي من الرجال والنساء بالحلة، وأيضاً عددٌ كبير من رواديد وشعراء الطف في القطيف وسيهات.

الجدير بالذكر أن اللقاء عُقد مساء الخميس ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٧هـ، في منزل الحاج إبراهيم عبد الله آل عجيان (عمدة الحلة سابقاً). وهذا تقريرٌ شامل لهذا اللقاء:

في مفهوم الطائفية

في بداية الحوار أعطى سماحة الشيخ الصفار مفهوماً للطائفية بأنها تكمن في أمرٍ واحدٍ وهو الإساءة للآخر.

وفي إجابته عن سؤال: هل من الطائفية أن يُمارس الإنسان شعائره التي يستند فيها إلى نصٍّ شرعي، بينما لا يستحسنها أو لا يقبل بها الطرف الآخر المخالف له في العقيدة المذهب؟ قال: «ليس من الطائفية أن ينتمي الإنسان لمذهبٍ أو طائفة، فهذا أمرٌ طبيعي، يجد الإنسان نفسه فيه منذ اللحظات الأولى لحياته»، وأضاف سماحته: «ممارسة الإنسان شعائره وفق مذهبه أمرٌ مقدّس، وهي أبعد ما تكون عن الطائفية».

الصدام الطائفي في المنطقة

الصدام الطائفي يبدو أنه صار ينتشر، فهل نخشى على بلادنا منه؟ حول هذا التساؤل يقول الشيخ الصفار: «ما يحصل في العراق ولبنان إنما هو صراعٌ سياسي شأنه شأن بقية الصراعات التي حصلت وما زالت في بعض الدول الإسلامية، وسيأتي الوقت الذي تُطوّق فيه هذه الفتنة».

أما في بلادنا، رعاها الله، أستبعد أن يكون هناك صدام طائفي، فالدولة واعية لخطورة هذا الأمر، ولن تسمح به.

وإني متفائلٌ جدًّا، فالوضع في البلاد إلى خير إن شاء الله». وأضاف سماحته: «علينا في مقابل متابعتنا للأصوات الطائفية المتشعبة أن نلتفت لتلك الأصوات الإيجابية حتى تكون نظرنا للواقع نظرة شمولية وموضوعية». وعلى فرض أن هذا التحليل سليم، يقول الشيخ الصفار: «فإن العقل وتعاليم ديننا تدفعنا إلى تجنب الوقوع فيه، أو على الأقل تخفيف شدة وطئه، أما أن نستخدم اللغة الطائفية فهذا منافٍ للتعاليم الإسلامية، وهذه كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم تؤكد ذلك، حيث كان الأئمة يؤكدون هذه المقولة: إنا نكره أن نبأهم بقتال». وحول بعض الممارسات التي تأخذ طابعاً طائفيًا في الجامعات أو الملاعب الرياضية، قال الشيخ الصفار: «الساحة لا تخلو من وجود هذه الممارسات، وينبغي أن يكون الرهان على تطويقها والسيطرة عليها، وأعتقد أنه يُمكن ذلك».

وفي إجابته عن سؤال: هل هناك رغبة لخلق فوضى خلاقة في القطيف، خصوصاً مع ما نجده من المشاكل الأمنية كالسرقات والاعتداءات، وعجز الجهات الأمنية من السيطرة عليها؟ قال الشيخ الصفار: «لا أتفق مع هذا الرأي، فالمشكلة الأمنية لا تقتصر على القطيف، وإنما هي على مستوى البلد ككل، والجهات الأمنية تحتاج إلى دعم لتكون قادرة على تطويق هذه المشكلة خصوصاً مع انشغالها بمكافحة الإرهاب. ويجدر بنا أن نتخلص من (عقلية المؤامرة) وأن نقرأ الأوضاع بشمولية أكبر، فالمناطق الأخرى في المملكة تشكو مما نشكو منه وإن اختلفت حدة المشكلة من منطقة لأخرى».

وعن موقف سماحته الشخصي من (عريضة الدفاع عن السنة)، قال: «هناك مجموعة من الدعاة لديهم منحنى متشدد، وهم لا يُمثلون الموقف الرسمي للدولة، وأنا لا أتفق مع هذا المنحنى، ولا يعني ذلك أن نشرِّع لممارسات مماثلة».

وعن تساءل أحد الأخوة في كون البعض يجعل من الآية الكريمة: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿سورة الأنفال: الآية ٦٣﴾، مبرراً لعدم الالتقاء مع الطرف الآخر وأن التآلف معهم غير مجدٍ، فكيف ترد عليهم؟ قال: «ينبغي أن نفهم الآية الكريمة بشكلٍ صحيح، فالآية لا تعني أن الألفة تحصل عن طريق غيبي محض، وتدخل سماوي مباشر، فالرسول الأكرم ﷺ بأخلاقه السامية وجهاده العظيم حقق هذه الألفة».

وفي إطار هذا الموضوع، أضاف الشيخ الصفار بقوله: «ينبغي أن تكون معاملتنا مع الآخرين وفق تعاليم ديننا الحنيف: ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٤].

وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في وصاياهم الخالدة يأمرونا بذلك أيضاً. وإذا كانت لدى البعض من الشيعة هذه النظرة بأن الالتقاء مع الآخر غير ممكن، هناك أيضاً من الطرف المقابل من يرى ذات الرأي على الشيعة، وهذه النظرة خاطئة من كلا الطرفين، وينبغي تجاوزها».

الخطاب الحسيني

سماحة الشيخ الصفار أجاب عن هذا السؤال: يمر علينا موسم عاشوراء في ظل هذه الأجواء المشحونة طائفيًا، فإلى أي مدى يخدم الخطاب الحسيني هذه القضية، وما هي رسالة سماحة الشيخ الصفار في ذلك؟ بقوله: «أرى أن يتجه الخطاب في موسم عاشوراء في اتجاهين:

الأول: البناء والإصلاح الداخلي. فمظاهر العنف والممارسات غير الأخلاقية أصبحت ظاهرة مكشوفة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، وعلى الواعين من الخطباء أن ينحوا هذا المنحى بأن يوجهوا المجتمع باتجاه بناء قوتهم الدينية، والعلمية، والاقتصادية.

الثاني: نرسل رسالة تسامح ورغبة تعايش والتأكيد على الحالة الوطنية، خصوصاً

في هذا العام، حيث الأضواء مسلطة على العالم الشيعي نظراً لسطوع وهج التشيع في المنطقة، والعالم يُراقب هذا الإحياء الجماهيري الذي ليس له نظير في العالم، لذا فإن مسؤولية الخطباء أن يُبرزوا للعالم المُعَلِّم الحقيقي للتشيع، ولا نقول ذلك مجاملةً أو تصنعاً فرسالة أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم تدفعنا لذلك».

وحول السؤال: نجد أن الخطابات الحسينية في غالبها اجتهادات شخصية من الخطباء، أليس من الأجدى أن تُعقد لقاءات لتنظيم الأمر بالتركيز على مواضيع تهم المجتمع ومن شأنها إصلاح الجيل الجديد، بدلاً من أن ينفرد كل خطيب برأيه؟ أجاب سماحة الشيخ الصفار بقوله: «هذا الكلام سليم، وقد بادرت الحوزة العلمية بالقطيف إلى عقد مثل هذه اللقاءات والمشكلة تكمن في أن ليس كل الخطباء يُشاركون، إضافةً إلى أن بعض المشاركين لا يلتزم بما يُتفق عليه في اللقاء. ونأمل أن يتجاوز الخطباء هذه الحالة السلبية».

مواكب العزاء

مواكب العزاء تمثل ثقلاً كبيراً في عاشوراء، والقصائد الحسينية في الغالب تحمل الطابع الطائفي من خلال طرحها لشعار: يا لثارات الحسين، ولعن قتلة الإمام الحسين، فما هو التوجيه السليم لذلك؟ سؤال تصدّر الحديث عن مواكب العزاء، وفي إطاره وجه سماحة الشيخ الصفار خطابه للرواديد الذين كان لهم حضور بارز في اللقاء، وركّز على عدة أمور:

أولاً: القصائد العزائية تستثير الجانب العاطفي لدى المعزين، وذلك تأثيره أقوى من الخطاب الفكري في بعض الحالات، ولذا ينبغي على الراودد أن يغتنم ذلك في ترسيخ المبادئ والقيم لدى المعزين، خصوصاً وأن مختلف شرائح المجتمع تشارك في هذه المراسيم، بما فيهم ذوي التصرفات السلبية في المجتمع.

ثانياً: تجاب المستمعين لبعض مقاطع القصيدة يجعلها راسخة أكثر في نفوسهم، مما يجدر بالشعراء اختيار الكلمات ذات المعنى الإيجابي، من أجل صياغة أفكار المشاركين صياغة إيجابية.

ثالثاً: ينبغي على مواكب العزاء التأكيد على الحس الوطني، وعدم التحفظ في ذلك، وأن يعلنوا بكل جرأة حبهم للوطن، ودفاعهم عنه، فمجتمعنا جزءاً من الوطن وليس غريباً عنه.

المرأة والشعائر الحسينية

وعن دور المرأة في عاشوراء، والمسؤولية التي يُمكن أن تُسهم فيها، قال سماحة الشيخ الصفار: «إن مجمل حديثنا في هذا اللقاء يشمل الرجال والنساء على حدّ سواء، وإن كانت هناك كلمة تخص النساء على وجه التحديد، فإنني أركز على ثلاث نقاط: أولاً: على الأخوات أن يسعين لتطوير مستوى المجالس النسائية، والارتقاء بها عن المستوى التقليدي الذي ما زالت الكثير من المجالس متوقعة فيه.

وهذا لا ينفي وجود نماذج إيجابية على هذا الصعيد، إلا أنها قليلة. ثانياً: أرى أن يكون هناك برامج في عاشوراء تخص الناشئة من الفتيات حتى يطلعن على دروس عاشوراء والمبادئ التي من أجلها ثار الإمام الحسين، وسبيت العقيلة زينب.

ثالثاً: أن تكون هناك برامج عزاء نسائية خاصة ضمن الضوابط الشرعية، كما هو موجود لدى الشباب، لكي تتفاعل النساء وخصوصاً الشابات منهنّ مع الموسم ويستفدن من خيراته بشكل أكبر».

كلمة في الختام:

وفي ختام اللقاء ووجه سماحة الشيخ الصفار كلمةً للأخوة والأخوات الحضور،

بدأها بالشكر الجزيل لمؤسسة أبناء الزهراء على دعوتها لعقد هذا اللقاء، وأكد أن مسؤولية إحياء عاشوراء والتفاعل معها تقع على الجميع، فالكل مسؤول عن إنجاح هذا الموسم، وأشار إلى مجموعة من الأمور التي من المهم أن يُطالب كل فرد نفسه بها أو ببعضها، وأبرز تلك الأمور:

- الحضور والمشاركة في البرامج والشعائر الحسينية.
- المساهمة المالية.
- المشاركة البدنية بالتعاون مع أصحاب المآتم، والقائمين على مواكب العزاء.
- المشاركة بالرأي، بأن يُبدي كل شخص رأيه حول الخطابات الحسينية، وحوّل القصائد العزائية، وحل كل ما من شأنه تطوير الموسم وإبرازه بالشكل اللائق. بعد ذلك غادر ساحة الشيخ بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم.

الشيخ الصفار مشاركاً في أربعين الشيخ الجمري

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل الجماهيري الكبير الذي أقيم في مأتم «سار» في البحرين لتأبين الفقيه سماحة الشيخ عبدالأمير الجمري مساء يوم الجمعة ليلة السبت ٢٩ محرم ١٤٢٨هـ - ١٧ فبراير ٢٠٠٧م.

وكان الحضور الجماهيري حاشداً مع جمع كبير من العلماء في طليعتهم سماحة الشيخ عيسى قاسم، وسماحة السيد عبدالله الغريفي، والشخصيات السياسية، وبمشاركة وفود من مختلف مناطق الخليج. وقد ألقى سماحة الشيخ الصفار كلمة ركز فيها على نهج الفقيه الجمري في العلاقة مع المجتمع مشيراً إلى سمات أربع:

الأولى: التواضع والتواصل مع مختلف طبقات المجتمع وشرائه.

الثانية: التصدي لقضايا الناس وحمل همومهم وآمالهم، والدفاع عن حقوقهم.

الثالثة: الانفتاح على الاتجاهات والأطراف المختلفة في الساحة من سائر المذاهب

والجهات الوطنية والانتهايات الشيعية المتعددة.

الرابعة: التفاعل مع الجمهور دون الخضوع للضغوط الانفعالية، فمع استفادته

من آراء الناس وتجارب نخبهم، إلا أنه حين تقتضي المصلحة الدينية والوطنية اتخاذ موقف مناسب، فإنه لا يتردد في الإقدام عليه، وإن كان مخالفاً لبعض انفعالات الساحة وحماس الجمهور. ودعا سماحة الشيخ الصفار إلى تفعيل نهج الشيخ الجمري في الانفتاح الإسلامي والوطني، وخاصة في مواجهة محاولات إثارة النعرات الطائفية، مؤكداً حاجة الساحة إلى العمل المشترك والمؤسسات المشتركة التي تتجاوز التصنيف المذهبي الطائفي، فقد أصبحت أغلب الأنشطة الدينية والخيرية والثقافية والإعلامية مصنفة، لأتباع كل مذهب مؤسساته الخاصة بهم. وقد نشرت صحف مملكة البحرين تغطية واسعة للمهرجان الكبير.

الشيخ الصفار مؤبناً الخطيب العدناني

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل الذي أقيم في مأتم السنابس الجديد بمملكة البحرين بمناسبة أربعين العلامة الخطيب السيد محمد صالح السيد عدنان الموسوي رحمته الله (ولد ٥ / ٣ / ١٣٣٨هـ - توفي ٢٩ / ١٢ / ١٤٢٧هـ).
كان ذلك مساء يوم الخميس ليلة الجمعة ٥ صفر ١٤٢٨هـ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٧م، بحضور حشد من العلماء والخطباء والأدباء وسائر الأهالي.
وقد تحدث سماحة الشيخ الصفار عن شخصية الفقيه الراحل تحت عنوان «موسوعية المعرفة وحرية الرأي» وفيما يلي ملخص حديثه:
من بين السمات التي امتازت بها شخصية الفقيه الغالي الخطيب السيد محمد صالح الموسوي تبرز سمتان أرى أهميتهما وضرورة تسليط الأضواء عليهما:
السمة الأولى: موسوعية المعرفة، فالرجل كان مولعاً بالعلم والمعرفة عاشقاً للثقافة بمختلف ألوانها وشتى ميادينها، من حداثة سنه ونعومة أظفاره، حضر دروس العلوم الأدبية والشرعية، وتوثقت علاقته بالقراءة والكتابة، وأصبح الكتاب صديقه الدائم

الذي لا يفارقه في حضر أو سفر، وحليفه الثابت دون قيد أو شرط، حيث لا يهمل أي كتاب، ولا يتردد في قراءة أي بحث.

كما يتابع الاطلاع على المجلات والجرائد. ويهتم بأي معلومة تمر على سمعه من عالم أو خطيب أو إذاعة، أو حتى من شخص عادي، فهو كخطيب يدعى للخطابة في مختلف قرى البحرين والقطيف والأحساء، ويحلّ ضيفاً كريماً على أصحاب المجالس والمآتم، ويجالس المستمعين ويزروهم ويستجيب لدعواتهم، فيحدثهم كما يصغي إليهم ويسمع منهم، وقد حضرت معه بعض تلك الجلسات في الأحساء والقطيف، فلفت نظري إحياءه تلك المجالس بالقصص والطرائف واللطائف، وأنه حين يسمع من أحد الحاضرين مهما كان مستواه قصة أو طريفة أو معلومة، فإنه يبادر إلى كتابتها وتسجيلها، مؤرخة بزمانها ومكانها، منسوبة إلى صاحبها، وغالباً ما يستشهد بها لاحقاً في بعض مجالسه أو كتاباته، كما هو واضح لمن يقرأ كتبه وأبحاثه.

واذكر أنني قلت للحاضرين في أحد تلك المجالس، إن سماحة السيد عالم مثقف يحدثكم ولا أحد منكم يكتب شيئاً من حديثه ومعارفه التي ينثرها عليكم، بينما هو يكتب مما تذكرون وتتحدثون مع محدودية مستواكم وبعضكم أمني غير متعلم.

الخطيب العدناني وقد رأيته حين يستمع بعض الخطباء أو العلماء وتلفت نظره فكرة أو معلومة جديدة، فإنه يبادر إلى كتابتها وتوثيقها، كما اطلعت في مكتبته سنة ١٣٩٢ هـ- ١٩٧٢م تقريباً على عشرات الدفاتر التي أطلق عليها عنوان (المذكرات) والتي تحتوي على ما يسجله ويوثقه من معارف ومعلومات يقتبسها من مطالعاته أو سماعاته، وهي من مصادر مختلف مؤلفاته.

هذا الولع الثقافي، والعشق المعرفي، والانفتاح على مختلف مصادر الثقافة والمعرفة، قلّ أن تجده في شريحة العلماء والخطباء، الذين غالباً ما تنحصر اهتماماتهم المعرفية في مجال محدد ومن مصادر محدودة.

وقد انعكست هذه الموسوعية المعرفية على مؤلفاته وخطاباته، حيث كتب عشرات المؤلفات في مجالات متنوعة من العقائد والفقه والتاريخ والأدب والاجتماع والتراجم. كما يسلط الأضواء على موضوع بحثه من مختلف الجوانب والزوايا، مستدلاً بالآيات والأحاديث والروايات، مستشهداً بوقائع التاريخ وأحداثه، مشيراً إلى ما يرتبط بالموضوع من بعد كلامي أو جانب فقهي، مستدعياً لشواهد الأدب والشعر، مستطرداً في ذكر قصص غابرة أو حاضرة، وفكاهات وطرائف ومشاهدات وتجارب. وذلك يعبر عن سعة أفق واطلاع، وثراء علم ومعرفة.

السمة الثانية: حرية الرأي، حيث كان منفتحاً في شخصيته وثقافته، غير متكلف في سلوكه، يمارس حياته بعفوية، لا يتظاهر بالقداسة الزائفة، ولا يتكتم على آرائه وأفكاره.

وقد سبب له ذلك بعض المشاكل والمصاعب، حيث لا تتحمل ساحتنا الدينية والاجتماعية ظهور رأي يخالف السائد والمألوف، أو خروج عالم الدين عن نمط السلوك المتعارف في شريحته.

إن ما كتبه عن قضايا المرأة والجنس في أكثر من كتاب خصصه لهذا الموضوع يعتبر تمرداً على النمط المألوف، وإن كانت له نظائر في كتابات علماء سابقين. وله آراء جريئة في بعض التفاصيل العقدية والتاريخية لكنه لا يطرحها بجديّة وإلزام، بل كوجهة نظر قابلة للنقاش.

حقاً إنه شخصية متميزة جدية بالدراسة والبحث، وإذا كان لم يأخذ حقه من الاهتمام والتقدير في حياته، كما هي العادة في تعامل مجتمعاتنا مع كفاءتها غالباً، فليكن الشعور بالخسارة لفقده دافعاً للاهتمام بترائه وعطاءه احتراماً للتاريخ، وحفظاً لحق الأجيال، وتكريماً للثقافة والمعرفة.

والحمد لله رب العالمين.

مواجهة الفتنة المذهبية

وَجَّهت رابطة الحوار الديني، في الحوزة العلمية بقم، في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، دعوة لسماحة الشيخ حسن الصفار، للمشاركة في الندوة التي عقدتها في مركز بحوث العلوم والثقافة الإسلامية، في مدينة قم، بعنوان مواجهة الفتنة المذهبية في يوم الخميس ١١ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ١/٣/٢٠٠٧م.

وقد حضر الندوة جمع من العلماء وفضلاء الحوزة العلمية، وشارك فيها آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والسيد حسن رباني رئيس مكتب الإعلام الإسلامي بالحوزة العلمية، والشيخ أحمد مبلغى رئيس قسم بحوث الفقه والحقوق في المركز، والدكتور حسن زمانى مسؤول أمور أهل السنة في مكتب قائد الثورة.

وفيما يلي نص الكلمة التي وجهها سماحة الشيخ حسن الصفار للندوة عبر

الهاتف:

أيها السادة الفضلاء والعلماء والأعلام:

سلام من الله عليكم ورحمته وبركاته

أبارك لكم عقد هذا اللقاء، وهو مبادرة رائعة، واستجابة مطلوبة، لأحد أهم التحديات التي تواجه الأمة في هذا الطرف العصيب، وهو تحدي إثارة الفتنة الطائفية المذهبية.

من الطبيعي أن تتوجه الأنظار والقلوب عند النوازل والمشاكل إلى الأوساط العلمية الدينية، فهي التي يجب أن تتصدى لبحثها، وأن توجه ساحة الأمة إلى المواقف الصحيحة منها، وأن تقدم الوعي والإرشاد المطلوب حولها.

إن اجتماع نخبة من الفضلاء لبحث هذا الموضوع وتدارسه، ومن ثم تقديم توصياتهم ومرئياتهم للقيادات الدينية والسياسية والفكرية المهمة بهذا الشأن، هو النهج الحضاري الصحيح للتعامل مع الأحداث والمستجدات.

لذلك فإننا نعقد آمالاً على اجتماعكم وندوتكم المباركة، ومنتظر إسهامها في تنفيس هذا الاحتقان الطائفي، وتبديد غيوم التضليل الإعلامي، الذي يريد تمزيق وحدة الأمة، وبعثرة صفوفها عبر إثارة فتنة طائفية عمياء، لا تحمد إلا مصالح الأعداء.

أرجو الله تعالى لكم التوفيق والنجاح، ونتطلع للاستفادة من نتائج هذا اللقاء الكريم.

ومشاركة في هذا الجهد المشكور، واستجابة لطلب إدارة الندوة أقدم بخدمتكم هذه السطور المتواضعة.

(١)

أيها السادة الفضلاء:

إنني أعتقد أن القضية هي أعمق من الخلافات الطائفية المذهبية، وأن هذه الفتنة

ما هي إلا عرض لمرض خطير، ومظهر لخلل عميق، يتمثل في عجز مجتمعات الأمة عن إقامة علاقات سليمة بين أطرافها.

ففي غالب بلاد المسلمين هناك خلافات ونزاعات عنيفة، بمختلف العناوين والمبررات، تارة بعنوان اختلاف العرق والقومية، وأخرى بعنوان اختلاف الدين والمذهب، وثالثة بعنوان اختلاف التوجه الفكري والسياسي، وهناك حروب بعنوان اختلاف الجذور القبلية.

وكمثال على ذلك، أذكركم أيها السادة بما يدور الآن في دارفور غرب السودان، وحيث تريد أمريكا والقوى الغربية استغلال ما يجري فيها للتدخل، تحت مسمى وجود قوات دولية تابعة لمجلس الأمن، وترفض الحكومة السودانية ذلك، معتبرة إياه تدخلاً في شؤونها، وانتقاصاً من سيادتها.

دارفور - غرب السودان مساحتها ٥٠٠ ألف كيلو متر مربع، وسكانها ستة ملايين نسمة، كلهم مسلمون، وكلهم يتبعون المذهب المالكي، وفيهم آلاف من حفظة القرآن، وكلهم عرب، لكن بعضهم ينتمي لقبائل جذورها عربية، وبعضهم ينتمي لقبائل جذورها أفريقية، وهناك حرب الآن بين هذين الطرفين، تدور رحاها منذ سنوات، وقد بلغت حصيلتها كما تقول المصادر الدولية: ٢٠٠ ألف قتيل، ومليونى مشرد، وأحرقت عشرون ألف قرية، وحصلت حالات فظيعة من الاغتصاب.. قد تكون هذه الأرقام مبالغاً فيها، كما تقول حكومة السودان، لكنها لا تنكر أن هناك نزاعاً، وأن هناك انتهاكات وفضائع.

لماذا تدور هذه الحرب في دارفور؟ هل هناك صراع طائفي بين السنة والشيعة؟.. ومثل ذلك ما يحدث في الصومال، وهي من الدول القلائل المتجانسة في العالم، مواطنوها كلهم عرب مسلمون يتبعون المذهب الشافعي.. منذ خمسة عشر عاماً سقطت الدولة، ودخلت البلاد حالة احتراب وانفصال مناطق.. وكذلك الحال في الجزائر إلى ما

قبل سنوات.. وأفغانستان...

لماذا يتعايش الناس في العالم المتقدم كأوروبا، مع تنوعهم القومي والعرقي والديني والمذهبي، ويصنعون اتحاداً أوروبياً، يضم مجتمعات تختلف في ثقافتها وتاريخها، ويستخدم فيها التنافس المادي المصلحي، بينما تعجز عندنا مجتمعات يجمعها دين واحد عن الاتحاد والاتفاق؟

أعتقد أن هناك خللاً عميقاً ومرضاً خطيراً يتمثل في أمرين:
فقدان النظام العادل الصالح، الذي يساوي بين الناس في الحقوق على اختلاف أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم.. وإذا فقد العدل، تكون الأرضية مهياة للنزاع والصراع.. حيث تكون فئة غالبية، وأخرى مغلوبة، كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «استعمل العدل واحذر العسف فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف».
وجود ثقافة التحريض على الكراهية: فعلى الصعيد المذهبي مثلاً نحن نجد أن هناك تعبئة متبادلة بين السنة والشيعة، حيث تقوم بعض الجهات الدينية المتشددة من الطرفين بذلك، حتى تثبت أفضلية مذهبها، فإنها تتوسع في ذكر مثالب الطرف الآخر، وتصفه بالكفر أو الشرك أو الابتداع، وأنهم لا يستحقون الجنة، وأن مصيرهم إلى النار.. إننا بحاجة ماسة إلى نشر ثقافة التسامح في جمهورنا الشيعي والسني.. فليس كل مخالف جاحداً.

فقد يكون مخلصاً صادقاً لكنه لم تتضح له الحقيقة، بسبب القصور أو التقصير. وليس كل مخالف في النار، حيث وردت أحاديث عن طريق السنة والشيعة عن سعة رحمة الله تعالى، وأن المسلم حتى المخالف إن لم يكن جاحداً يدخل الجنة، يروي الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام: «إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منه شيعتنا ومحبونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار

ذرة من بغضنا أهل البيت»^(١).

وعن زرارة قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أصلحك الله أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب؟ فقال عليه السلام: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته»^(٢).

وجاء في رواية أن كامل بن إبراهيم المدني جاء ليسأل الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه: «هل يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فأجابه ابنه الإمام محمد المهدي عليه السلام مستنكراً قوله: إذن والله يقلّ داخلها»^(٣).

(٢)

لا شك أن مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة، تمر هذه الأيام بانتكاسة مؤلمة، يعرف كل الواعين أسبابها، والقوى المعادية التي تقف خلفها، من خارج الأمة وداخلها.

لكن المهم أن لا نسمح لهذه الانتكاسة بأن تتحول إلى حالة إحباط ويأس في نفوس الوجدانيين، وأن تؤدي إلى تراجع في عزيمة الإصلاحيين، وتطلعاتهم نحو الوحدة والتقريب. فذلك هو ما تسعى إليه قوى الاستكبار الخارجي، والتطرف والتعصب الداخلي.

بل يجب أن تدفعنا هذه الانتكاسة إلى وقفة تأمل ومراجعة، لتلافي الثغرات، ونقاط الضعف التي استفاد منها العدو، ولوضع الخطط والبرامج لتجاوز هذه المحنة، والانطلاق بهمة أعلى وأقوى، وللتقويم الموضوعي للإنجازات الكبيرة لهذه المسيرة

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج ٦٩، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي)، ص ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه. ص ١٦٣.

المباركة، التي دفعت الأعداء لتوجيه ضرباتهم لها، فلو لم تكن لمسيرة التقريب آثار ونتائج عظيمة في واقع الأمة، لما اهتم الحاقدون بالتصدي لمواجهتها.

(٣)

لا تزال دائرة الانفتاح والتواصل بين علماء ومثقفي المذاهب الإسلامية ضيقة محدودة، ولو أردنا تقدير عدد المهتمين بقضية التقريب والوحدة عملياً في الوسط الشيعي مثلاً، من الذين يحضرون المؤتمرات ويقومون بالزيارات، وينشئون العلاقات والصدقات مع أمثالهم ونظرائهم في الضفة الأخرى، لوجدناه عدداً قليلاً جداً، لا يناسب أهمية القضية وخطورة التحدي، ولا العدد الضخم من العلماء والطلبة الذين تعج بهم حوزاتنا العلمية وساحاتنا الدينية.

إن علماء الشيعة في مختلف المناطق عادة ما تُستهلك جهودهم، ويستغرقون في القضايا والشؤون الداخلية لمجتمعاتهم، أما الاهتمام بالعلاقة مع الآخر المذهبي، والسعي للتواصل معه، فلا يتجه له أحد منهم إلا نادراً.

هذه مشكلة نواجهها في مجتمعنا الشيعي، حيث نجد صعوبة بالغة في التجاوب مع هذا التوجه، من قبل غالبية العلماء والطلبة، الذين يتذرعون بمختلف الأسباب والمبررات الفكرية والنفسية والاجتماعية للعزوف عن هذا الاهتمام.

لذا ينبغي التفكير في معالجة هذه الحالة، من خلال برامج الحوزة العلمية، وتوجيه المرجعية الدينية، ورعاية الجهات المتصدية لإدارة شؤون المجتمعات الشيعية.

لقد وجدت من خلال تجربتي المحدودة، أن للانفتاح والتواصل مع الآخرين عظيم الأثر في تجاوز الحواجز النفسية، وتصحيح الانطباعات والتصورات الفكرية، والتجاوب مع دعوة الحوار والتقريب.

وأشيد هنا بالدور الكبير الذي يقوم به سماحة آية الله التسخيري لحرصه على المشاركة في مختلف اللقاءات والمؤتمرات، ولحضوره الثقافي والإعلامي في مختلف

الساحات، إننا بحاجة إلى أن يقوم عدد من علمائنا وشخصياتنا من مختلف مجتمعاتنا الشيعية بمثل هذا الدور.

(٤)

في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار نحو مدرسة أهل البيت، انجذاباً نحو محاسن كلامهم، وإعجاباً بمواقف العز والكرامة للمقاومين الشرفاء من أتباعهم، وتجاوباً مع دعوات الوحدة والتقريب.. في هذا الوقت نجد انبعاثاً لتيار سلفي شيعي، يركز على قضايا الخلاف ويضخمها، ويجدد طروحات الغلو والمبالغة، في بعض القضايا الولاية الشعائرية، مما يربك الساحة الشيعية الداخلية، ويقدم صورة منقّرة عن المذهب للآخرين، ويعطي الذرائع للمتطرفين من الجهة الأخرى، ضد أتباع أهل البيت في مختلف المواقع. إن نمو هذا التيار سيكون على حساب أصالة مدرسة أهل البيت ﷺ، ويزيد في تعقيد العلاقة بين أتباعها وبقية المسلمين، كما سينقّر الشرائح المثقفة الواعية من أبناء الشيعة. لذا لا بد من تسليط الأضواء على بواعث هذا التيار ودوافعه، والحذر من تغلغله في الحوزات والمؤسسات الدينية، ودعم توجهات العقلانية والاعتدال والانفتاح. وبسبب هذا التيار المتشدد نواجه بعض العقد الصعبة في علاقتنا مع إخواننا أهل السنة، ولعل من أبرزها مسألة التعرض لبعض الرموز المقدسة عندهم باللعن والسب. حيث لا يمكن أن يقبل الطرف الآخر بسب ولعن رموزه المقدسة، بل سيدفعه ذلك إلى رد فعل عدائي، لذلك نهى القرآن الكريم المسلمين عن سب أصنام قريش، تجنباً لرد فعلهم تجاه الذات الإلهية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨]. وكذلك نهى الإمام علي ﷺ: عن سب أهل الشام قائلاً لأصحابه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين...».

ويصعب أن يقبل الآخرون إنكار اللعن والسب ما دام موجوداً في نصوص متداولة، كالفقرات الواردة في بعض صيغ زيارات عاشوراء.

وكذلك وجود مقام في كاشان ينسب لقاتل الخليفة الثاني.

إن هذه المسألة توقعنا في حرج شديد، وتعطي الفرصة للفئات المتطرفة من أهل السنة لتعميق الهوة بين الطائفتين. فلا بد من معالجة جريئة من قبل المرجعية الدينية، والجهات القيادية في العالم الشيعي، وإلا فإن مسيرة التقريب تبقى متعثرة، وأرضية الفتنة ستبقى خصبة أمام الطامعين.

أرجو الله تعالى لكم التوفيق والسداد.

نبي الألفة والمحبة (١)

حدّر سماحة الشيخ حسن الصفار من اللعب بنار الطائفية التي إن اشتعلت فإنها ستحرق الأخضر واليابس دون أن تفرق بين حاكم ومحكوم. وأوضح أن وحدة الأمة وعودتها الى سابق عهدها من الألفة والمحبة بيد القيادات السياسية والدينية، وإن أخطر ما تمر به الأمة أن تشارك بعض القيادات في هذه اللعبة الخطيرة.

جاء ذلك خلال محاضرة بعنوان «نبي الألفة والمحبة» ألقاها في جامع جدحفص يوم الخميس ٣/٣/١٤٢٨هـ، وذلك ضمن فعاليات الملتقى الثقافي الثاني في حب المصطفى ﷺ الذي تنظمه إدارة الشؤون الدينية بوزارة العدل والشؤون الإسلامية بمملكة البحرين، التي ذكر فيها أن: الإلفة والمحبة من جملة القيم التي جاءت بمجيء الإسلام، فالأمة قبل ذلك كانت مفككة تعيش تحت وطأة الحروب والتناحرات التي عرفت فيما بعد بأيام العرب. في تلك الأيام التي فقدت الأمان واستبدلت به التناحر،

(١) ألقى المحاضرة في جامع جدحفص بالبحرين يوم الخميس ٣ ربيع الأول ١٤٢٨هـ.

جاء نبي الرحمة واستبدل بالخوف الأمن وبالْحَرْبِ السَّلامَ.

مؤكداً على أن المؤرخين والباحثين المنصفين حين يقرأون سيرة النبي ﷺ ويقارنونها مع سير عظماء التاريخ البشري فإنهم يذعنون بأنه ﷺ صاحب أهم إنجاز للتغيير البشري، وهذا ما أكده الدكتور (مايكل هارت) الباحث الأمريكي الذي وضع الرسول ﷺ على رأس قائمة أهم مائة شخصية في تاريخ البشرية، ووصفه بأنه «الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمر وأبرز في كلا المستويين الديني والديني». ثم تحدث سماحة الشيخ عن الجانب الأبرز في الإنجازات النبوية الذي تمثل في صنعه للمجتمع المتآلف والمتحاب، في بيئة اجتماعية احترفت الصراع والنزاع، وأيام العرب خير شاهد على ذلك، فقد ذكر بعض المؤرخين أن أيام العرب ١٢٠٠ يوم، وذكر آخر أنها ١٧٠٠ يوم، أي معركة، وليس يوماً زمنياً، فيوم كيوم داحس والغبراء دام ٤٠ سنة. ثم تساءل سماحته: كيف تألف ذلك المجتمع المتحارب المتمزق؟ وأجاب موضحاً: إن الله تعالى يقول: ﴿أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وهذه الألفة في القرآن تحمل دالتين:

الأولى: أن الوحدة لم تكن بالأجساد، وأن المشاعر لم تكن ظاهرية وإنما هي وحدة حقيقية إنها وحدة القلوب.

الثانية: لم تكن ألفة القلوب فقط بالتدخل الإلهي بل كان لرسول الله ﷺ دور كبير في توطین تلك القيم النبيلة. مؤكداً: أن تلك القيم النبيلة تقوم على عدد من الركائز أهمها:

١ / التهذيب الأخلاقي

فالإنسان تتقاذفه أمواج الأخلاق الفاضلة والسيئة، ولكي يستمر التحاب والألفة لا بد من القضاء على سوء الخلق والحسد والتباغض بالتقوى وتهذيب الأخلاق التي تنشر المحبة بين الناس.

٢ / المساواة بين الناس

فالإنسان الذي يحس أنه مميز يتعامل مع الآخر بتعالٍ، والآخر من جانبه يحقد على هذا المميز مما يخلق العداوة والبغضاء، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك حتى على مستوى الأطفال، فقد وجه أباً قبل طفلاً ولم يقبل الآخر وطلب منه أن يقبل الآخر، كل ذلك لكي لا ينمو التمايز بينهما فيتحول إلى حقد وضعينة.

٣ / الأهداف العالية الجامعة

الأمة التي تعمل على هدف كبير تشغل به عن التوافه، وقد زرع رسول الله ﷺ في الأمة هدف نشر الإسلام وإنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور، ويا له من هدف كبير لا ينظر بجنبه إلى أي شيء من التوافه.

٤ / ثقافة المحبة

لقد بثَّ الرسول المصطفى بين الناس أحاديث وكلمات تحث على المحبة، كما أن سيرته ﷺ كانت نموذجاً مشرقاً لهذه الثقافة.

مستشهداً على ذلك كله بذكر بعض الأحاديث النبوية والقصص من السيرة التي تدل على هذا الجهد الذي بذله لتغيير الأمة. ثم ألفت الأنظار إلى أن عودة الأمة إلى دائرة المحبة والألفة لا يكون الا بتوطين مثل هذه القيم النبيلة بين الناس، وهذا العمل لا تتحمل مسؤوليته جهة دون أخرى بل الأمة كلها مدعوة للتحاب، كما أن وحدة المجتمع مسؤولية كل طبقاته الاجتماعية من حكام وعلماء بل وحتى الشعوب تشترك في هذه المسؤولية.

وختم كلمته بالتحذير من اللعب بنار الطائفية التي إن اشتعلت فإنها ستحرق الأخضر واليابس دون أن تفرق بين حاكم ومحكوم.

الأحساء: الشيخ الصفار بين حفاوة «الشهارين» وصفاء

«القارة»^(١)

محطتان وقف عندهما سماحة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - في الأحساء يوم الخميس المنصرم الموافق ٢٩/٠٣/٢٠٠٧م، الأولى كانت في قرية «الشهارين» الواقعة شرق الأحساء المعروفة بصدق أهلها وطيب أخلاقها حيث كانت الدعوى موجهة من الرجل الاجتماعي الملا حبيب الصقر.

فكان اللقاء بسماحة الشيخ الصفار في حسينية الإمام الخوئي - قدس سره - عند تمام الساعة السابعة حيث افتتح اللقاء سماحة الشيخ بكلمة أعرب فيها عن شكره وامتنانه للحفاوة التي تلقاها من أهالي هذه البلدة الطيبة، فلم يلبث سماحته أن ذكرهم بزياراته السابقة لهذه البلدة أيام صغره وطفولته، وتلك الذكريات الجميلة التي ما زال يحتفظ بجزء منها في ذاكرته، ومن ثم افتتح هذا اللقاء بالحديث عن مناسبة تنصيب الإمام

(١) إعداد: صادق راضي العلي.

المهدي ﷺ بالإمامة، وعن مسؤوليات المؤمنين في عصر الغيبة، حيث ركّز على أهمية المعرفة بالدين والحياة، وعلى ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية، وأخيراً تمثيل أهل البيت بنشر معارفهم وتقديم نموذج مشرق عنهم من خلال السلوك القويم على الصعيد الفردي والاجتماعي، تطبيقاً لما ورد عنهم: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم» أي بعملكم وسلوككم.

المحطة الثانية: أما المحطة الثانية التي توجه لها سماحة الشيخ الصفار - حفظه الله - فكانت في قرية القارة بدعوى وجهها الناشط الاجتماعي السيد بكر العبد المحسن «أبو محمد»، حيث شرف اللقاء والاحتفاء بمقدم سماحة الشيخ الصفار العديد من رجال الدين والوجهاء المعروفين، فكان في طليعتهم سماحة العلامة السيد عبدالله العلي «أبو رسول»، والدكتور صادق الجبران، والبروفسور السيد رسول الصالح، والشيخ أحمد بوشاجع، والدكتور علي العيثان، والسيد محمد العبد المحسن، والمهندس عبد المحسن البقشي، وعضو المجلس البلدي الأستاذ حجي النجيدي، والأستاذ عبد الكريم بوخمسين، والسيد محمد باقر الهاشم، والعديد من الوجهاء والشباب والناشطين الاجتماعيين. افتتح اللقاء بكلمة ترحيبية بمقدم الشيخ الصفار قدمها العلامة السيد عبدالله العلي «أبو رسول» أعرب فيها عن شكره وامتنانه لسماحة الشيخ الصفار، حيث حث الحضور والمجتمع بالاستفادة من توجيهاته وعلومه الدينية والتربوية على وجه العموم، وشدد على استثمار أمثال هذه الحوارات وتفعيلها خصوصاً إذا كان لها الدور الفعال في بناء الوطن والخدمة الاجتماعية.

بعد ذلك قام الأستاذ جعفر بوحليقة بإدارة رحى الحوار مع سماحة الشيخ الصفار حول نقاط كثيرة نذكر منها ما يلي:

- السياسة النبوية ودولة اللاعنف في الإسلام، حيث علّق سماحة الشيخ في هذه النقطة على أهم دور قام به الرسول ﷺ في إنجاح الدعوة الإسلامية

واستقطاب الناس للإسلام، ألا وهو الدور الأخلاقي، حيث قال تعالى واصفاً نبيه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. كما أكد سماحته على ضرورة تعرّف منهج رسول الله ﷺ في التعاطي مع حالات المعارضة والخلاف، سواء كانت ناتجة عن توجه عدائي مناوئ للدعوة، أو عن طريق الخطأ، وسوء تصرف من قبل بعض المسلمين. ووضح سماحة الشيخ على أن النهج الوجدوي الذي اعتمده الرسول ﷺ في بناء كيان الأمة ووحدتها هو التركيز على الهوية المشتركة بين الجميع.

- المشاركة السياسية والتفاعل مع القضايا العامة، في هذه النقطة أشاد الشيخ الصفار بالجهود الكبيرة التي بذلتها قيادة المملكة العربية السعودية في إصلاح الوضع الفلسطيني عبر لقاء مكة. وأكد أيضاً أن الأعداء لا يريدون للأمة خيراً، لا للمواطنين، ولا للقيادات، فلا سبيل للمجتمعات لتخطي هذه الحالات إلا بالتمسك والوحدة والرأي الأصيل، كما دعا أيضاً جميع المواطنين لأن يأخذوا دورهم في تقديم آرائهم وأفكارهم حول الأمور السياسية والعالمية.
- المشاكل الاجتماعية وسبل الحلول والمعالجات، في هذا الجانب قال سماحة الشيخ: إن الشفافية والمصارحة هو السبيل وهو الطريق والعلاج لحل إشكالياتنا على بعضنا بعضاً، بدل أن يعيش كل طرف في أجواء الظنون والشكوك، وتتضرر العلاقات بسبب حالات المشاحنة والشائعات. وطرح الكثير من الحلول والمعالجات لحل أمثال هذه الأزمات.
- الحوار الوطني ومنطلقات الوحدة، حيث قال الشيخ الصفار في هذا الحقل بأن بوادر انفراج وتغير ملحوظ دبّ في أوساط المجتمع السعودي والعربي، فبعد انقطاع طويل، وعدم تواصل بين الأطراف والمذاهب المختلفة والقيادات الدينية في الوطن والمنطقة، تحولت بفضل الحوار الوطني والتحاوّر المفتوح

والتواصل المستمر إلى مساحة من التلاقي والألفة، وإن كان البعض يرى أن ذلك لا يحقق شيئاً تجاه التحديات والعوائق التي تحصل بين الفينة والأخرى من قبل بعض الأشخاص هنا وهناك، والتي لا تمثل الحالة العامة للوطن، إلا أنه شدد على ضرورة التواصل، واعتبر هذه الحلقة أنها حجر الأساس لتخطي مشاكل الخلاف والتغلب عليها، وفهم الآخر كما هو عليه.

وقال أيضاً إن ثمار هذه الحوارات بدأت تعطي نتائج طيبة وستكون أفضل في المستقبل إن شاء الله. ومن جانب آخر حثّ الشيخ الصفار القيادات الدينية والثقافية والشبابية على التواصل مع وسائل الإعلام الموجودة في البلد والوطن، وشجع على استثمار هذه الحالة في صالح أمور الناس وتخطي مشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية.

بعد ذلك توالى المداخلات والردود من الأخوة الحضور.

وفي نهاية اللقاء قام الأستاذ بكر العبد المحسن بتسليم درع تذكاري لمساحة الشيخ

الصفار.

الشيخ الصفار في جلسة حوار مع أهالي القارة^(١)

تقرير حول زيارة الشيخ الصفار لمنطقة القارة بالأحساء، والحوار المفتوح الذي دار بينه وبين إخوانه وأبنائه هناك، مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ / ٠٣ / ٢٠٠٧ م.
وهذا موجز الحوار:

الخطابة المنبرية

الشيخ الصفار: ينبغي الإشادة بالأصوات الواعية الموجودة لدينا، وبمستواهم الجيد ولو كانت الغلبة لبعضهم الآخر.

وهناك الكثير من التجارب لمثل هذه الفكرة، ولعل كتاب (تجاري مع المنبر) لعميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمته الله، هو دليل على ارتقاء المنبر الحسيني والمستوى الخطابي، ويبقى الأمل والتطلع السمة الأبرز فيها، ولعل ما تمر به هذه المرحلة من الظروف العقائدية والتشكيك في بعض المعتقدات، يساهم بشكل وآخر في

(١) منتديات عيني عالقارة www.al-qarah.com.

تفاعل الخطيب مع قضاياها ورجوعه إليها، ولكن الشيء المرجو منه هو الطرح العلمي والموضوعي، بدل من التعبئة والتحريض الطائفي ضد الآخر، وهذا يعمق الكراهية بين الطرفين مما يسبب ردود فعل متباينة بينهم.

اختلاف الرأي وتقبل الآخر

أشار الشيخ الصفار إلى أننا يجب علينا تقبل الآخر وآرائه، على الرغم من عدم اتفاقنا في نفس الرأي وهذا حديث واسع، ويحتاج الوقت في تفصيله وبيانه، ولكن علينا التأمل في: هل كل مخالف جاحد وكل مخالف يدخل النار؟ وهذه مسألة يعاني منها المتدينون في وسطنا من الجانبين، والشيء المهم بأن كل شخص لا يختار النار لنفسه ولا يختار الباطل كذلك، وإذا علموا ذلك فسينتج لدينا حوار مع الآخر، وسيجتهد كل منهم لإظهار الحق وبيان الحقائق.

الحوار الوطني

أعزائي، من أبرز التجارب الماضية هو ظهور رجالات الشيعة والاعتراف بالمذهب، والحوار بحد ذاته اعتراف بالطرف الثاني والإقرار بالتعددية المذهبية، ولعل ما كسبناه هو الجلوس مع الآخرين ومحاولة تقبلهم لك، بل ردّ السلام عليك، وهو النوع السائد في الماضي وتساهم هذه الأجواء في إظهار الشخصيات للوسط السياسي للاستفادة منهم لتقديم الكفاءات لخدمة المصلحة العامة.

تمثيل الطائفة

هل تكفي شخصية واحدة لتمثل الطائفة؟ لا تكفي شخصية واحدة، بل يجب تكوين طبقه سياسيه لتمثل الشيعة في تلك الأدوار، والتواصل مع المسؤولين على الرغم من الصعوبات التي تواجههم اليوم، وشغل المجموعات يشكل لنا كيان ووجود أسوة

بعمل القبائل والأسر العريقة، ويجب النظر إلى الأمور التي تحققت بدل من تلمس النقائص وبعض السلبيات الموجودة.

هذا جزء من الحوار المفتوح لسماحة الشيخ حسن مع الحضور وذلك عندما حل مساء الخميس الماضي ببلدة القارة، في ضيافة السيد بكر العبد المحسن وإخوته، وبحضور نخبة من أبناء البلدة الغالية، وعدد من الضيوف الكرام.

وبدأ اللقاء بكلمة ترحيبية للوالد سماحة الحجة السيد أبو رسول، أثنى فيها على الشيخ وبالأدوار التي مازال يقوم بها، وركز على مبدأ تمام مكارم الأخلاق تبعاً للحديث النبوي الشريف «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأشاد السيد بدور الشيخ حسن في إصلاح ذات البين وما يقوم به الشيخ من جهد جبار في ذلك، ولرفع مذهب أهل البيت ﷺ كداعية عالم عامل.

بعدها قدم الأستاذ جعفر عمران الشيخ حسن الصفار للجُمهور من خلال استعراض شامل لمسيرة الشيخ، ونضاله ومراحل تعليمه ومؤلفاته.

ودار الحوار مع الشيخ كالتالي:

الشيخ حسن الصفار كيف تستفيد من سيرة الرسول الأعظم ﷺ في عصرنا الحاضر لنبذ العنف والقوة ومحبة التسامح والتلاقي مع مختلف أطياف المجتمع؟

في بداية حديثه شكر الشيخ حسن الصفار السيد بكر على هذه الدعوة الكريمة. وأشاد بالسيد أبو رسول وتمنى بأن يكون عند حسن ظن السيد به.

يقول الشيخ حسن سؤال جيد وبالخصوص في هذه الظروف ونحن بالقرب من المولد النبوي الشريف، وما تمثله شخصية الرسول الأعظم ﷺ من التسامح والخلق العظيم وهو مصداق للآيات القرآنية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ و﴿فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ

لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿١﴾
 وأشار الشيخ بأن الإنسان قد يواجه الإشاعات والسباب والشتم وغيرها مما يجز
 في نفسه، ويحدث لديه رد فعل فيجد أمامه طريقين:

١. الانفعال والتفاعل مع الموضوع بشكل عكسي، وهذا ما كان يحدث للعرب
 سابقاً، ولعل داحس والغبراء أكبر دليل على ذلك الانفعال، مما يؤدي إلى التناحر
 وبث روح الفرقة والعداء.

٢. طريق امتصاص الغضب ومعرفة التعامل مع الموقف بشكل هادئ يسبب
 في تراخي الأمر، بدلاً من اشتعاله بشكل أكبر، وهذا ما حدث اليوم في إخماد
 الأفكار الطائفية المحرصة والنزاعات المذهبية التي كانت تحيط بعض المجتمعات
 الإسلامية وكيفية ردها والتصدي لها.

وهذا ما كنا نراه في شخصية الرسول من خلال مواقفه ونشر ثقافة التسامح
 والتعايش مع الآخر وتقبل آرائه.

دعوت يا فضيلة الشيخ في خطبة الجمعة الماضية، الرابع من شهر
 ربيع الأول، القيادات السياسية في مؤتمر القمة العربية للتوجه لمعالجة
 جراحات التمزق في الأمة، وأنها تنعقد في أخطر الظروف التي تواجه
 الأمة العربية. ما هو الهدف من هذا التفاعل؟ والى أي مدى يمكن أن
 يصل صوت رجل دين شيعي إلى القيادات السياسية؟

في الإجابة عن هذا التساؤل لديّ جانبان:

١. إيصال الرسالة إلى الجهات المتخصصة.
٢. ينبغي لنا التزود بالثقافة الراهنة مع محاولة فهم الظروف الحالية لمعالجة القضايا
 الاجتماعية، بدلاً من التحدث المستفيض عن الماضي وقضاياه الشائكة، ولعل

البعض يتجنب ذلك للجانب الأمني والخوف السياسي، على الرغم من حرية التعبير، وبشرط أن يكون الكلام أو التعبير مسؤولاً ولا يخدم المصلحة العامة للبلد، ولقد تعودنا على ذلك من خلال المقابلات التلفزيونية أو اللقاءات الصحفية أو الحوارات الشخصية، التي يجب أن تبني عليها مصلحة الوطن والمواطن، ولعل من خلال تجربتي ينبغي أن نقدم تجربة للخطاب الديني المعاصر ليوكب جميع التطلعات.

وأيضاً دعوت في الخطبة نفسها جميع المواطنين لأن يأخذوا دورهم في تقديم آرائهم للمؤتمر، وأن يضغطوا باتجاه اتخاذ القرارات الصائبة التي تحقق للأمة استقرارها وأمنها. ما هو البعد الذي يحمله الشيخ حسن الصفار بهذه الدعوة أو هذه الالتفاتة؟

كل شخص منا يملك عقلاً ورأياً، فينبغي لنا استثماره بشكل مناسب، من خلال التخاطب مع الآخرين، ومع الرجوع إلى المختصين في ذلك إذا لزم الأمر، وأما الأمور الأخرى فيجب على كل إنسان تكوين آرائهم وبناء شخصيتهم ومحاولة التعبير عنها، وهذا من حرية التعبير عن الآراء المسموح بها، وأدعو كل من يكون رأيه في أي جانب أن يعبر عن رأيه، خصوصاً في ظل توفر الوسائل الإعلامية المختلفة والمتعددة.

قلت في كتاب (المذهب والوطن): إن التعايش والاندماج الوطني قضية ملحة يجب تحقيقها لهذا الوطن التي يجب أن تبدأ من المناهج التعليمية، ولا بد من وجود خصوصيات تتسع للجميع من خلال التأكيد على القاسم المشترك والهوية الوطنية الواحدة التي تحترم الخصوصيات. بهذا التصور أنت تقف في منطقة حساسة جداً، ما مدى قبول هذا الطرح

لدى الطرف الآخر وأيضاً في محيطنا الشيعي؟

لو دققنا النظر في المشاكل التي نعيشها في مجتمعنا وأوطاننا نرى التوصيف والأسباب في ذكرها على حساب تلمس الحلول ومحاولة علاج المشاكل الطائفية. خصوصاً بأننا في وطننا ومجتمعنا الذي ولدنا فيه، ويجب علينا الدفاع عن وطننا ومذهبنا وكياننا الاجتماعي، ولقد رأى الكثير منا هذا الرأي، وهو الانفتاح على الدولة ومحاولة التواصل معها، وكذلك مع إخواننا من الفرق الأخرى فتحدث معهم عن مشاكلنا والمطالبة بحقوقنا، بدل من التخندق في أماكننا والابتعاد عن الآخر والتفرقة بيننا، وكذلك لإيصال الصورة بشكل صحيح.

وأنا متفائل بأن البلد فيها إرادة سياسية للتعايش مع الآخر، ولو تأخر ذلك الشيء وأبطأ، ولكن هذه المعادلة هي المنتصرة غالباً. ولعل الحوار الوطني فرصة للتحدث مع الآخر وإزالة بعض الانطباعات التي بيننا خصوصاً في ظل هذه المظلة الوطنية. وتأسيس هيئة لحقوق الإنسان أمر مفيد كون الجهة للجميع، وتسعى لرفع الظلمات التي قد تقع لنا حتى لو احتملنا قلة الأنصاف لنا.

وأما الجانب الإعلامي فهو منبر حر، بدلاً من التقييد والكبت الذي مورس علينا من عدم نشر بعض المقالات وطباعة بعض الكتب، وهي فرصة الآن يجب أن نستفيد منها بشكل مباشر والاستفادة من كل الأمور المساعدة لنا في إبراز آرائنا وتثبيت تواجدنا.

ترى أن هناك حركة إصلاحية في المملكة بدأت من خلال إطلاق مؤتمر الحوار الوطني، وتشكيل الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وإجراء الانتخابات البلدية، والمرحلة المقبلة ستشهد إن شاء الله تفعيل هذه المبادرات، وإكمالها بمبادرات جريئة على طريق الإصلاح. ما مدى تفاؤلك بهذه الإصلاحات؟

أنا متفائل جداً بأن هناك توجهاً من قبل الدولة لتقبل الآخر والتفاعل معه، ولكن يجب أن نتعامل مع الإصلاح والتغيير بشكل أسرع ومباشر، والاستفادة من الظروف الحالية، وهذا موجود بشكل أكثر مع جميع الأطياف والشرائح الاجتماعية.

وكذلك محاولة الحد من ظاهرة الفساد، ولعل المهم في ذلك هو إنشاء هيئة لمكافحة الفساد، وهذا الاعتراف بأن بعض المؤسسات قد يحيطها بعض الشوائب والفساد وحتى لو كان التحرك بطيئاً، فهو إيجابي ويجب الاستفادة من الفرصة المتاحة لنا اليوم. بعدها تم تكريم الشيخ حسن الصفار بدرع تذكاري.

ولقد تحدث السيد بكر للقارة نت قائلاً: إن الجميع يملك روح الانفتاح، واستيعاب جميع المناهج المطروحة هذه الأيام، وتحقيق معنى المواطنة والانتماء المذهبي، وهي نواة جيدة تعطي دافعاً للانطلاق في الحوار إلى نقاط للعمل، وتفعيلها بشكل محسوس، وتذلك على الانتماء للوطن من محبي أهل البيت عليهم السلام.

ولقد صرح الشيخ حسن الصفار أيضاً للموقع الإخباري لشبكة القارة نت قائلاً: أعرف مدينة القارة كإحدى واحات العلم والأدب في الإحساء، ولأهلها في نفسها مكانة كبيرة مميزة لما اتصفوا به من ولاء للدين وكرم وأخلاق، لذلك أشعر بسعادة بالغة وأنا أزور هذه المدينة العزيزة على نفسي والتقي بصفوة أهلها الكرام، وما سمعته من مداخلات وأسئلة في هذا اللقاء الكريم، أكدي نضج الوعي والاهتمام الوطني في نفوس هذه النخبة الطيبة.

أشكر الأخوة الكرام السيد بكر وإخوته على إتاحتهم لي لهذه الفرصة، وأرجو الله أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يديم لوطننا الغالي كل الخير والتقدم، وأعتذر عن كل تقصير أو هفوة.

المؤتمر الدولي العشرون للوحدة الإسلامية^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر الدولي العشرين للوحدة الإسلامية الذي انعقد في العاصمة الإيرانية طهران بتاريخ ١٧-١٩ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ الموافق ٦-٨ أبريل ٢٠٠٧ م بحضور عدد كبير من المنظمات الإسلامية ومن العلماء والمفكرين من ٤٦ دولة.

وقد خصص المؤتمر لدراسة «الظواهر العامة لسنة الرسول الأكرم وسيرته»، وافتتح المؤتمر بكلمة سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، وحظي المشاركون بلقاء قائد الثورة الإسلامية السيد علي الخامنئي. واستمرت جلسات المؤتمر ثلاثة أيام.

وقد شارك في المؤتمر، إلى جانب سماحة الشيخ الصفار، عدد من الشخصيات من المملكة العربية السعودية، منهم الدكتور الشيخ محمد بن عبدالله الخرعان، الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، والشيخ أحمد بن عابر العنزي إمام وخطيب جامع الأسواق بالنسيم في الرياض، ورجل الأعمال الأستاذ واصف كابلي راعي منتدى

(١) عقد المؤتمر بطهران في الفترة من ١٧ - ١٩ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ الموافق ٦-٨ أبريل ٢٠٠٧ م.

الروضة في جدة، والشيخ فوزي آل سيف والشيخ زكي الميلاد، والمهندس حسين البيات من القطيف، والسيد هاشم السلطان والشيخ حسين العايش، والسيد علي باقر الموسى، والشيخ جواد الخليفة، والسيد هاشم الشخص من الأحساء، ورجل الأعمال علي طاهر الجنوبي، والسيد مهدي السيد أحمد الطاهر، والأستاذ طالب المطاوعة من الدمام.

وعلى هامش المؤتمر انعقد اجتماع الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية برئاسة الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، وشارك سماحة الشيخ الصفار في الاجتماع باعتباره عضواً في الجمعية. كما اغتنم سماحة الشيخ فرصة المؤتمر للقاء بأكبر عدد من الشخصيات المشاركة وتبادل الرأي معها حول شؤون الأمة وقضايا الفكر الإسلامي.

وكانت الورقة التي قدمها سماحة الشيخ حسن الصفار للمؤتمر بعنوان «رؤية حول التعايش المذهبي» وزعت على المشاركين بين أبحاث المؤتمر ونشرتها جريدة كيهان العربي الصادرة من طهران في عددها رقم ٦٧٣٨ بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ الموافق ٧ نيسان ٢٠٠٧ م.

وفي موعد إلقاء الكلمة مساء اليوم الثاني من المؤتمر يوم السبت ١٨ ربيع الأول -٧ نيسان، ألقى سماحته كلمة ارتجالية غير الكلمة المطبوعة وفيما يلي نص كلمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

إذا أردنا أن نناقش، ونعالج مشاكلنا الداخلية، فغالباً ما نلقي باللائمة على العنصر الخارجي، وعلى مؤامرات الأعداء، وخطط الاستكبار والاستعمار، ولا شك في ذلك، وفي أن الأعداء يتربصون بنا الدوائر، ولكن المشكلة الأساس تكمن في وجود الأرضية الخصبة التي تتقبل تلك البذور السيئة، والتي تمنحهم الفرصة لتحقيق مبتغاهم، وكما

يقول تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

ما لم يكن هناك استعداد داخلي فإن المؤامرات والخطط تفشل، لذا علينا أن نركز على المشاكل الداخلية، وأن نكون على قدر كافٍ من الاستعداد لما يمكن أن نواجهه من فتن ومؤامرات تحاك ضدنا. وأشار هنا إلى مشكلتين:

المشكلة الأولى: المشكلة السياسية

إذا قام النظام السياسي في العالم الإسلامي على أساس المساواة بين الرعية، وعلى أساس تحقيق مفهوم المواطنة بينهم، لاغياً كل ما يميز بينهم على أساس قومياتهم أو مذاهبهم، فإنه بلا شك يسد الثغرات أمام المؤامرات والفتن الداخلية. أما وجود التمييز بين المواطنين فإن ذلك يعطي فرصة كبرى للأعداء ليستفيدوا من تلك الحالة ما دامت هناك فئة غالبية، وأخرى مضطهدة. والمطلوب لتحقيق مفهوم الوحدة، هو تحقيق مفهوم المواطنة في البلدان والأوطان الإسلامية حتى يعيش المواطنون على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

المشكلة الثانية: الثقافة الدينية السائدة

ثقافتنا الدينية السائدة مشبعة في طرحها المذهبي بما يدعو إلى التباعد والتنافر بين أتباع المذاهب الإسلامية. وهنا يجب أن نعترف بأننا نواجه صعوبة في النقد الذاتي لثقافتنا المذهبية. ليس هناك مشكلة في أن ينتقد أعلام وأتباع كل مذهب ثقافة المذهب الآخر، بل إن من يقوم بذلك يعتبر بطلاً، ومدافعاً عن الدين!

فالعالم أو المفكر السني حينما ينتقد شيئاً في الثقافة الشيعية، فإن أتباعه وجمهوره يمجّدونه، وكذلك بالنسبة للعالم الشيعي عند انتقاده للفكر السني فإن جمهوره يعتبرونه بطلاً، ومدافعاً عن مذهبهم. ولكن المشكلة في الاقتراب من خط النقد الذاتي، مع أنه لا يستطيع أتباع أي مذهب من المذاهب أن يبرئوا تراثهم وثقافتهم من وجود الشوائب، ومن وجود نقاط الضعف والثغرات.

إلا أن النقد الذاتي يكاد أن يكون خطأ أحمر في الغالب عند أتباع المذاهب، وفي الثقافات المذهبية! أذكر هنا مثالين، أحدهما لعالم سني، وآخر لعالم شيعي.

العالم السني: هو المرحوم الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله هو عالم كبير وجليل، من علماء باكستان، وهو مؤسس الجماعة الإسلامية فيها، والجميع يعلم فضله، ويشهد له بالعلم والمكانة، حتى إن أكبر الجماعات الإسلامية في البلاد العربية وهم الأخوان المسلمون، استفادوا من ثقافته ومن كتابته الأولى.

هذا الرجل حينما ألف كتابه (الخلافة والملك) الذي فُزق فيه بين فترة حكم الخلفاء الراشدين، وبين الحكم الأموي والعباسي، والذي تناوله بموضوعية، وعلم واستدلال، إلا أن ضجة كبيرة ثارت ضده، واتهم بالنيل من الصحابة والسلف الصالح! حتى ردّ على تلك الضجة ببحث أردفه في الكتاب في طبعته الثانية.

وهذا الكتاب على أهميته إلا أن هناك تعتياً عليه، فلا يكاد ينشر، أو أن انتشاره ضعيف في العالم الإسلامي.

العالم الشيعي: هو الإمام السيد محسن الأمين العاملي، من علماء لبنان، وهو عالم مجتهد، حين كتب نقده لبعض الممارسات الشعائرية عند الشيعة، في رسالته (التنزيه لأعمال الشبيه)، أيضاً ثارت عليه ضجة كبيرة في الوسط الشيعي، واتهم بمختلف الاتهامات.

وهكذا كثير من العلماء يواجهون هذه الضجة والتشكيك عندما يقتربون من خط النقد الذاتي. إننا بحاجة إلى هذا النقد في ثقافتنا المذهبية، وخاصة بما يرتبط بمسألة التحريض على الآخر والعلاقة معه. وأشير هنا إلى بعض النقاط:

التركيز على قضايا الخلاف

مع أن مساحات اللقاء والوفاق بين المذاهب الإسلامية، وباعتراف الجميع هي الأوسع، لكن خطابتنا وحديثنا مع الجمهور في الغالب إنما يركز على النقاط التي نختلف فيها مع الآخر، ونتناسى كل نقاط الاتفاق!

التشكيك في دين الآخر

وهذا ما نلاحظه في إصدار الفتاوى التي تتهم الآخر بالكفر، والشرك، والبدعة، والضلال، وما أشبه ذلك، حتى لو كان الاختلاف في مسألة جانبية كالاحتفاء بالمولد النبوي الشريف. نجد كثيراً من المسلمين يتجاوز التسعين بالمائة منهم يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف، غير أن هناك مدرسة في داخل الأمة ترى أن ذلك لا يجوز، ولهم رأيهم واجتهادهم، ولكن كيف يصح اتهام أكثرية المسلمين بمختلف التهم لاتفاقهم على رأي آخر؟!

التشكيك في دين الآخر لا يجوز، وعلينا أن نتجاوزه، وليكن الاختلاف بيننا اجتهاداً يسعه ما ورد عن رسول الله: «المجتهد إذا أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد».

وعلينا أن ننقل مسائل الخلاف من دائرة الإيمان والكفر، والحق والباطل، إلى دائرة الصواب والخطأ.

النظرة الخاطئة للآخر

بناء على فهم الحديث الوارد (تفترق أمتي... وأنها كلها فرق هالكة، إلا فرقة واحدة) فإن كل طرف ينظر إلى أتباع المذهب الآخر بأنهم معاندون، وأنهم مستحقون للنار! هذه النظرة الدونية، التي تعودنا أن نعبئ الجمهور على أن ينظر للآخر بها، مشكلة خطيرة في ثقافتنا المذهبية السائدة. الآخر ليس معانداً، وإنما عاش في بيئة وجو، وجد نفسه مقتنعاً بهذا المذهب، وهذا الرأي، ولو ولدت أنا مكانه لوجدت نفسي في هذا السياق. ولا ننسى بأن رحمة الله تعالى تتسع للجميع، وتتسع لمن مات على الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله). نسأل الله أن ينفعنا بتوحيده، وأن يحشرنا جميعاً تحت راية رسول الله ﷺ وأن يدخلنا الجنة بشفاعته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الشيخ الصفار في افتتاح الجلسة العلمية الثانية^(١)

لمهرجان السيدة زينب عليها السلام^(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ

بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩٥].

عنوان هذا المهرجان: الدور الثقافي والسياسي والقيادي للمرأة في منهجية السيدة زينب، ونحن نعلم أن فكر السيدة زينب مستوحى من الإسلام، فهي بنت الإسلام وربيبته وهي من حملته فكراً، وجسدته عملاً وسلوكاً، ولذلك ونحن نتحدث عن هذا

(١) الجلسة العلمية الثانية برئاسة الشيخ حسن الصفار شارك فيها: أ.د أسعد علي مرشد الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية، والشيخ جواد الخالصي (العراق)، والباحث الإسلامي المهندس مراد عبد الملك غريبي (الجزائر)، والسيد الشريف الدكتور محمد أبو خزام الحسني أمين عام مساعد للمجمع العلمي للسادة الأشراف (ليبيا).

(٢) أقيم المهرجان في المركز الثقافي العربي بالمزة بدمشق في الفترة من ٣-٤ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠-٢١ مايو ٢٠٠٧.

الموضوع أحببت الإشارة إلى الفكرة التالية:

أكثر الناس في الحياة يدورون ويدارون، وقلّة من الناس هم من يكون لهم دور، أما الأكثرية فهم يدورون في أفلاك مجتمعاتهم، وقد لا يكون ذلك وفق تخطيط واختيار مدروس من قبلهم، ولكنهم وجدوا أنفسهم في بيئة فأصبحوا يدورون في فلكها، وقسم آخر وهم القليل من الناس الذين يقومون بدور القيادة في مجتمعاتهم، فيكون لهم دور مؤثر في حياة تلك المجتمعات، أما الأكثرية فهم يُدارون ويكونون أتباعاً غير مؤثرين في حياة مجتمعاتهم، القلة المحدودة هي التي تكون صاحبة دور.

أريد أن أتحدث عن العوامل التي تجعل الإنسان رجلاً كان أو امرأة صاحب دور في مجتمعه. ويبدو لي أن هناك ثلاثة عوامل ذاتية إذا توفرت في شخصية إنسان أصبح صاحب دور في مجتمعه، وإلا فهو جزء من الأكثرية التي تدور وتدار.

العامل الأول: الشعور بالمسؤولية

فأكثر الناس يفتقدون الشعور بالمسؤولية تجاه مجتمعاتهم، وتجاه الحياة، إما بسبب اللامبالاة، أو لضعف ثقتهم بأنفسهم، ولتجميد عقولهم. الشعور بالمسؤولية هو الذي يحرك المصلحين والقادة وأصحاب الأدوار لكي يتبؤوا مواقعهم القيادية في مجتمعاتهم.

العامل الثاني: امتلاك الكفاءة

فالدور إنما تصنعه كفاءة الإنسان، من يمتلك الكفاءة يستطيع أن ينتزع دوره، أي يكون مؤهلاً لانتزاع دوره، والكفاءة موجودة في أعماق كل إنسان، لكنها بحاجة إلى اكتشاف وإلى تنمية، قلة من الناس يكتشفون طاقاتهم وكفاءاتهم ويفعلونها في حياتهم، فينتزعون أدوارهم في المجتمع.

العامل الثالث: الاستعداد للبذل والعطاء

كثير من الناس قد يتطلع ويطمح إلى أن يكون صاحب دور، لكن تحقيق ذلك يحتاج منه إلى تضحية وبذل، وكما قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

إضافة إلى أن هناك عوامل خارجية، وأبرزها البيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان، فبعض البيئات تشجع الإنسان أن يكون له دور، وبعض البيئات الثقافية والاجتماعية تقعد بالإنسان، وتثبط عزمه، وتفتعل أمامه العوائق والعقبات، حتى لا يمارس دوره السليم والرائد في الحياة، وهنا يأتي دور الثقافة، ويأتي دور البيئة الاجتماعية، بعض البيئات الاجتماعية تحفز الإنسان حتى يتطلع، المجتمعات التي تعيش أجواء الحرية والتي تقدر الكفاءة، وتتاح فيها الفرص للفاعلية والإنتاج، يظهر فيها القادة، ويظهر فيها الرواد، حيث يتنافسون على الأدوار، وعلى التضحيات، وعلى العطاء.

وهنا نرى شخصية السيدة زينب، التي نحتفي بذكرى ميلادها المبارك، هذه المرأة أخذت دورها الكبير ليس في عصرها فقط، وإنما امتد تأثيرها لمختلف العصور والأجيال.

الثقافة السائدة في ذلك المجتمع الجاهلي قبل الإسلام تقوم على التمييز بين الرجل والمرأة، فتعطي الرجل الفرصة كاملة في الإدارة والقيادة، وتجعل المرأة تابعة خاضعة مهمشة، لا دور لها في قيادة شؤون المجتمع والحياة، ولكن رسالة الإسلام جاءت ثورة على ذلك الجو الجاهلي، لتضع المرأة في مكانها الطبيعي، إلى جانب الرجل، فالخالق واحد، والمصدر واحد، والمصير واحد، والمسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٥]، من أراد أن يؤدي دوراً في واقع المجتمع فالمجال متاح أمامه، وهكذا شقت رسالة الإسلام الطريق أمام المرأة لكي تأخذ دورها الكبير، لهذا نجد أن بداية الدعوة كانت بمساعدة ومؤازرة امرأة، فحينما بعث رسول الله ﷺ وتلقى الوحي لأول مرة، فإن أول من استقبله وآزره وساعده ووقف إلى جانبه، كانت خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ﷺ، ووقفت إلى جانبه، ووضعت كل إمكانياتها تحت تصرفه،

وبالمناسبة فإن هناك رواية تشير إلى أن رسول الله ﷺ حينما أوتي له بالسيدة زينب وهي وليدة صغيرة، قال: «أوصيكم بها فإنها شبيهة خديجة»، وكأن في ذلك إشارة إلى الدور المشابه للدور الذي قامت به السيدة خديجة.

ولكن مع الأسف الشديد حصلت انتكاسة في واقع الأمة، عادت فيها تأثيرات الرواسب الجاهلية، لكي تنحي المرأة عن موقعها المشارك للرجل، وتعود المرأة إلى وضع هامشي، فلا تشارك بفاعلية كاملة في شؤون المجتمع الإسلامي، واحتفاؤنا بالسيدة زينب إنما هو دعوة لكي تستعيد المرأة دورها.

أكتفي بهذا القدر وأترك المجال لكي أستفيد ونستفيد جميعاً من مشاركات الإخوة

الفضلاء.

الشيخ الصفار مشاركاً في مهرجان النجمة المحمدية بدمشق

وسط حضور رسمي وثقافي وعلمائي انعقد مهرجان النجمة المحمدية الولائي الثقافي السادس عشر بمناسبة الذكرى العطرة لميلاد السيدة زينب ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قاعة المحاضرات بالمركز الثقافي العربي بالمزة في دمشق، يومي الأحد والاثنين ٣-٤ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠-٢١ مايو ٢٠٠٧ م. وقد حضر إلى المهرجان الذي انعقد تحت رعاية وزير الثقافة في الجمهورية العربية السورية وفود وشخصيات علمية وثقافية من المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا والعراق ولبنان وإيران، ومن مختلف المحافظات السورية.

وقد لَبَّى ساحة الشيخ حسن الصفار الدعوة الموجهة إليه من رئيس اللجنة المنظمة للمهرجان الدكتور عصام عباس، حيث ألقى سباحته كلمة في الجلسة الافتتاحية التي عقدت مساء يوم الأحد ٢٠ / ٥ / ٢٠٠٧ م.

كما تسلّم درع النجمة المحمدية في نهاية الجلسة حيث وزّع الدروع معاون وزير الثقافة الدكتور علي القيم. كما ترأس ساحة الشيخ حسن الصفار الجلسة العلمية الثانية

للمهرجان صباح يوم الاثنين ٢١ / ٥ / ٢٠٠٧م، التي حضر فيها كل من فضيلة الشيخ جواد الخالصي من العراق، والمهندس مراد عبدالملك غريبي من الجزائر، والشريف الدكتور محمد محمد أبو خزام الشحومي الإدريسي الحسيني من ليبيا. وافتتح الجلسة سماحة الشيخ الصفار بكلمة ضافية، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المتتبعين.

قال الله العظيم في كتابه الحكيم.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ صدق الله العلي العظيم.

بورك للشام وبورك للأمة والإنسانية جمعاء ميلاد هذه البطلة، المرأة العظيمة، عقيلة الهاشميين.. ميلاد سيدتنا زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

التاريخ بين العبرة والفتنة

كل أمة من الأمم تهتم بتاريخها وتحتفي برموز حضارتها، ولكن الفارق بين الأمم الواعية والأمم المتخلفة هو: إن الأمم الواعية تقرأ تاريخها للاعتبار والاستفادة ولكن الأمم المتخلفة كثيرا ما تقرأ التاريخ من أجل الانشغال عن واقعها المعاصر، تتناسى واقعها بالحديث عن أمجادها الغابرة وتتحدث عن أحداث التاريخ ورموز التاريخ بشكل يثير الفتنة بين شرائحها وفتاتها، قراءة التاريخ وإحياء سير العظماء رسم القرآن الكريم منهجه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾.

إذ يجب أن يُقرأ التاريخ وأن تُقرأ حياة السابقين من أجل أخذ العبرة.. ولكن من الذي يقوم بهذا الدور؟ من يقرأ التاريخ لأخذ العبرة؟

هم أولو الألباب، ولكن حينما نُجمد أمة لِبها (عقلها) وتسودها حالة العاطفة والانفعال فإنها ستقرأ التاريخ وقصصه بطريقة تثير الفتنة والانشغال عن الواقع المعيش..

التاريخ مصدر غني للتجربة

تاريخ كل أمة هو الذي يحدد هويتها ويحدد معالم مسيرتها، فإذا وعت تاريخها ودرسته دراسة صحيحة استطاعت أن تحافظ على سيادتها واستقلالها، لكن بعض الأمم تشغل بالتاريخ عن الواقع المعيش وخاصة حينما تعيش في مستنقع التخلف فإنها تتسلى بالتغني بأمجاد الماضي.. كانت حضارتنا.. وكان عظماءنا.. واكتشف علماءنا في الماضي..... لكن ماذا عن الحاضر؟

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لبني عبد المطلب: « ايتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم.. »

الأمم تفاخر بواقعها وليس بمجرد أمجاد تاريخها...

ومن ناحية أخرى، يجب أن نقرأ التاريخ بطريقة تنشر المحبة في صفوف أبناء الوطن وأبناء الأمة وليس بطريقة تثار بها الفتنة والخلافات.. حينما نتجه إلى سير عظماء الأمة وقادتها، فإن علينا أن نلتقي على قيم الخير في سيرهم وحياتهم وأن ننشر من خلال السير العطرة أجواء التسامح والوئام والمحبة..

من هنا ينبغي أن نقدر ما يقوم به الأخ الدكتور عصام عباس حفظه الله، من جهد كبير لإحياء ذكرى ميلاد السيدة زينب ؑ بهذه الطريقة المنبثقة من منهج القرآن – لقد كان في قصصهم عبرة –

هذا المهرجان، مهرجان لأخذ العبر والقيم وما يفيدنا في واقعنا وحياتنا من سيرة وحياء هذه المرأة العظيمة.

كما أنه بتنوع الأطياف والجهات المشاركة في هذا المهرجان يصبح إحياء هذه الذكرى العطرة ساحة لقاء، وفرصة تعارف وانفتاح، ومنطلق تأكيد على الوحدة والتعاون.

واسمحوا لي هنا أن أشير إلى نقاط سريعة حول ما يمكن أن نستفيد من العبر من سيرة السيدة زينب ؑ وهي كثيرة.. لكنني أشير إلى ثلاث نقاط:

النقطة الأولى

نحن حينما نقرأ شخصية السيدة زينب عليها السلام وسيرتها تتجلى لنا عظمتها، ولكن هل يكفي أن نتغنى بأمجاد امرأة عظيمة كانت تعيش في تاريخنا أم أن علينا أن نتساءل: هل المرأة الآن في مجتمعنا هي امرأة عظيمة أم لا؟

هل المرأة المعاصرة الآن تسير في طريق العظمة؟ تسير على نهج السيدة زينب في تحمل مسؤوليتها تجاه المبادئ والقيم والمجتمع؟

إننا حين نقرأ سيرة زينب وشخصيتها علينا أن نستهدف هذا الأمر، كيف نرتقي بالمرأة المعاصرة لكي تكون في ذرى المجد والعظمة؟

في المجتمعات الأخرى شقّت المرأة طريقها، ومع كل ملاحظتنا على بعض الجوانب مما تعيشه تلك المجتمعات الغربية لكننا لا نستطيع إلا أن نكبر هذا الاتجاه في إتاحة الفرصة للمرأة حتى تشارك شقيقها الرجل في صناعة الحياة وبناء الوطن وقيادة التنمية، هذه الفرصة المتاحة للمرأة في المجتمعات الغربية، صحيح إنه تكتنفها بعض الشوائب مما نتحفظ عليه في المستوى الأخلاقي لكننا نكبر ونقدر هذا الإنجاز الذي جعل المرأة تأخذ موقعها إلى جانب الرجل في قيادة الحياة وصناعة التنمية..

وسيرة السيدة زينب عليها السلام تذكرنا بهذه الحقيقة، فتورة كربلاء الحسينية، هذا الحدث المهم في تاريخ الأمة الإسلامية لم يصنعه الرجل وحده بل كانت المرأة إلى جنبه فكانت زينب إلى جانب الإمام الحسين في صناعة هذه الثورة وكانت شريكته في ثورته..

إن دور السيدة زينب عليها السلام قد يزيد على دور الإمام الحسين كما قال أحد علمائنا الأعلام وخاصة في مساحة الزمن، فإن زينب قد رافقت الحسين، ولكن بعد ظهر العاشر من المحرم انتهت مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام بشهادته ومصرعه واستمرت السيدة زينب في تحمل المسؤولية ومواصلة المشوار...

وهذا يعني أنه يجب أن تكون المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل بشكل دائم في صناعة

التاريخ وفي قيادة تنمية المجتمع.

النقطة الثانية

ترتبط بالتكوين النفسي والتربوي للسيدة زينب عليها السلام الذي يجب أن يكون مصدر عبرة وتجربة لنا..

نحن نعيش في عصر أصبح الإنسان فيه شيئاً من الأشياء يُعامل معه تعاملًا ماديًا، وحتى في أحضان الأسرة التي هي مكان تكوين مشاعر الإنسان وتنمية وجدانه، هذه الأسرة أصبحت تعاني من الجفاف والجفاء، فالإنسان المعاصر الآن ينشأ في أسرة لا تهتم به اهتمامًا كافيًا، فالأب مشغول والأم منشغلة والكل مهتم بذاته ونفسه، الحياة أصبحت خاضعة للنوازع المادية والأنانية والشهوانية عند الأب وعند الأم في الغالب وتُترك الأبناء حتى تقومهم أفلام الكارتون والمسلسلات، وحتى تكوّن وجدانهم وسائل الإعلام المختلفة.. هذا جفاء وهذا هو الذي أنشأ إنسانًا تكاد تنعدم الرحمة في قلبه.

ما تعاني منه البشرية الآن من عنف وعنف مضاد، وخاصة ما نعانيه في بعض بلداننا من الإرهاب الداخلي، والإرهاب الدولي الذي يريد أن يُخضعنا لهيئته وهو الأكثر عُنفًا وقسوة..

ماذا يصنع المحتل الأجنبي في بلداننا كفلسطين والعراق وأفغانستان؟

المسألة ليست مسألة قرارات سياسية فقط وإنما هي تنشئة نعيشها مع جيل من البشر ينشأ نشأة جافة لا يُنمى فيها الوجدان والمشاعر الإنسانية.. وهنا ما أحوجنا إلى حياة السيدة زينب عليها السلام، هذه المرأة التي صنعت شخصيتها من خلال تربية إنسانية دافئة في أعلى مستوى، ذلك لأنها ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترتبت في أحضان فاطمة وعلي، وعاشت مع الحسينين سيدي شباب أهل الجنة، فتكونت شخصيتها بشكل متكامل، تربت بدفء وحنان جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عاشت خمس سنوات في ظل جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتحت قلبها على آفاق الرحمة والمحبة، ثم توالى هذه الأجواء في ظل أمها

الزهراء عليها السلام وتحت رعاية أبيها علي عليه السلام الذي اهتم بعزتها وإجلالها، فعندما تريد أن تخرج لزيارة قبر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج معها أبوها وإخوتها لأجل احترام ومهابة هذه المرأة.. ما أحوج نساتنا وأولادنا إلى أن يشعروا منا بالعطف والحنان والإكرام والاحترام.

النقطة الثالثة

الحديث عن السيدة زينب عليها السلام أفق واسع رحيب لما تعنيه سيرة السيدة زينب من ممانعة وصمود، فإن كون العدو يمتلك القوة وكونه مدججاً بالسلاح وقاسياً في عدوانه، كل ذلك لا يبرر لك أن ترفع رايات الاستسلام والهزيمة، وإنما عليك أن تُشهر أمام العدو أمضى وأقوى سلاح وهو سلاح الإرادة والصمود، وأن تكون متمنعا في وجه بطش العدو مهما تهادى في البطش والعدوان، فعليك إن كنت زينباً إن كنت إنساناً تعرف دورك في هذه الحياة عليك أن تتمسك بحقوقك وإرادتك.

الجيش الأموي آنذاك كان مدججاً بالقوة والسلاح، وزينب بعد ظهر عاشوراء أصبحت أسيرة وقد قتل كل حماتها ورجالها وأسرتها وبقيت مع جمع من الصبية والأيتام والنساء الثكالي، لكن عزيمتها لم تضعف ولم تشعر بأي وهن.. بالعكس من تلك اللحظة تفجرت إرادة السيدة زينب عليها السلام وتجلت صمودها وتجلت بسالتها.. لو رمقناها بعيون قلوبنا وهي تسير سير الواثق المطمئن بين صفيين من الجند يشهرون سيوفهم ورماحهم مسيرة واثقة حتى تصل إلى جسد أخيها الحسين عليه السلام، وأمام الجسد الممزق وفي ذلك الجو المؤلم والحزين وقفت السيدة زينب على الجسد العزيز على قلبها ورفيقها، ورمقت الجيش فقالت دون أن تبكي أو تشق الجيب أو تتأوه بل رفعت رأسها للسما قائلة: «اللهم تقبل منا هذا القربان».

لم تعتبر ما حصل نكبة أو مصيبة أو فادحة وإنما اعتبرته كرامة، واعتبرت الحسين قرباناً في سبيل الله، وقالت أيضاً: «اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»، هذا يعني أن هذه ليست آخر تضحية تقدمها السيدة زينب بل هي مستعدة لتقديم المزيد من

التضحيات في سبيل الله عز وجل، في سبيل الأمة، في سبيل القيم.
 وحينما أخذت إلى الكوفة والشام وأحضرت في مجلس الحاكم الذي أعلن العيد
 والشهامة، يلتفت إليها ابن زياد قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين؟
 فأجابته بلغة الواثق المطمئن الذي لا يمكن أن تسلك الهزيمة والرعب إلى قلبه:
 «والله ما رأيت إلا جميلاً»!

هذه زينب التي علمت المقاومين أن ينظروا إلى آثار العدوان في لبنان والخراب
 الدمار الذي فعله الصهاينة نظرة الجمال فمنطقهم كان منطقاً زينبيّاً - والله ما حصل في
 الضاحية والجنوب إلا جميلاً بمعنى أنه أظهر جمال التضحية وفضح وحشية العدو -
 ولاغرو فهم أبناء زينب وهم استمرار لمسيرة الحسين وزينب.

ونرى مثل هذا الصمود في فلسطين والعراق وبلاد الشام وما حولها.. الشام
 التي باركها الله تعالى بهذه المقدسات العظيمة وباركها الله بمقام عظيم هو مقام السيدة
 زينب ﷺ الذي يستلهم الناس منه صمودهم وبسالتهم.

بارك الله الشام وأهل الشام ولمن حول الشام، نسأل الله أن يبارك لهم وأن يبارك
 لجميع العرب والمسلمين هذه المناسبة العطرة.

ومع تجديد الشكر للدكتور عصام عباس وللمتجاوبين معه والمؤازرين له في هذا
 المهرجان الولائي..

وشكرًا لإصغائكم... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في الجلسة العلمية الأولى: التي ترأسها المفكر الإسلامي الدكتور محمد حبش رئيس
 مركز الدراسات الإسلامية - عضو مجلس الشعب، فقد شارك: الشاعر الدكتور محمد
 عباس، والشيخ محمد جعفر الطبسي ممثل المرجع الديني آية الله الشيخ فاضل النكراني
 بسورية، وغبطة القس معن بيطار رئيس السنودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان،
 والمهندس علي قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الإسماعيلي الأعلى بسورية،

والدكتور المحامي حمود البكفاني ممثل طائفة المسلمين الموحدين المؤمنين (الدروز) في سورية، بالإضافة إلى الشيخ الصفار.

وفي الجلسة العلمية الثانية: التي ترأسها سماحة الشيخ حسن الصفار فقد شارك: أ.د أسعد علي مرشد الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية، شارك بقصيدة ألقاها نيابة عنه الشيخ فرحات الكسم، والشيخ جواد الخالصي (العراق)، والباحث الإسلامي المهندس مراد عبدالملك غريبي (الجزائر)، والسيد الشريف الدكتور محمد محمد أبو خزام الشحومي الحسني أمين عام مساعد للمجمع العلمي للسادة الأشراف (الجماهيرية العظمى).

أما الجلسة العلمية الثالثة: التي ترأسها غبطة القس معن بيطار، فقد شارك فيها: الأستاذ مظهر جركش مدير ثقافي مركز الدراسات الإسلامية بدمشق، والأستاذ هشام الحرك مدير مدونة مصياف الثقافية عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب، والأستاذ نجيب فضل الله الشريطي (طائفة الموحدين الدروز في لبنان)، والباحث الإسلامي الأستاذ مكي البغدادى (العراق)، والشاعر الأستاذ عبداللطيف الخطيب.

الشيخ الصفار في مهني القطيف: ثقافة حب العمل

تصنع الحضارة (١)

«الحضارة وليدة العمل الدؤوب، وأمتنا الإسلامية كانت تحمل مشعل الحضارة يوم كانت مدننا مراكز الإشعاع في العالم»، عبارات رنانة افتتح بها سماحة الشيخ حسن الصفار كلمته في حفل تكريم المتقاعدين والتميزين في معهد المهني بالقطيف، يوم الأربعاء ١٩ / ٥ / ١٤٢٨ هـ.

وقال الشيخ الصفار: نحن نشاهد اليوم البلدان المتقدمة وما تقدمه من تطور علمي وتكنولوجي وصناعي، وفي المقابل نرى أنفسنا بمثابة ضيوف على حضارة تلك المجتمعات، هم يخترعون وينتجون، ودورنا استهلاك ما ينتجون! كلنا يطمح أن نعيش اكتفاء ذاتياً كأمة مسلمة، بل نطمح أن نعود إلى سابق مجدنا حيننا كنا رواداً على وجه الكرة الأرضية، كانت أمتنا الإسلامية هي الأمة الرائدة، وكانت بقية الأمم والشعوب ترسل

أبناءها للدراسة في مراكزنا العلمية، وكانت تستفيد من آراء علمائنا ومفكرينا في جميع العلوم، ولكن دورة الزمن وأحداث التاريخ فعلت فعلها، فأصبحت أمتنا الإسلامية في آخر الركب، وهكذا هي الحضارات، فكل حضارة لها دورة وزمن، إذا لم تحافظ على مقومات قوتها ورثتها أمة أخرى، وكما يقول تعالى: ﴿وَأَوْزُرْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

وأضاف: «إننا اليوم نشعر بألم هذه الحقيقة، وهي لا تحتاج إلى شرح وتفكير، كما أن بلاد المسلمين تتفاوت من بلاد إلى أخرى في نسبة اكتفائها، واستقلالها العلمي، ونحن بحمد الله نعيش في بلد من خير البلاد، لأن الله كرمه باحتضان الحرمين الشريفين، كما أن الله أنعم علينا بثروة هائلة عظيمة، هي الثروة النفطية التي تدفقت من أراضينا، وبحمد الله فإن أوضاعنا السياسية إذا ما قسناها ببلدان أخرى فإننا نعيش استقراراً وأمناً سياسياً، وإن كان الأعداء يسعون لتخريب هذه المسيرة عبر تسلل بعض الفئات الإرهابية الضالة، التي نرجو أن يعين الله قادة البلاد بتعاون المواطنين على وضع حد لخطر هذه الفئات الإرهابية، ولكن مع ما لدينا من نعم وثروات إلا أننا نستعين كثيراً بالآخرين لتسيير أمور حياتنا، وخاصة في الجانب المهني».

وبيّن الشيخ الصفار أن الحياة في الماضي كانت متواضعة، وكان أبناء البلد يسيرون أمور معيشتهم وحياتهم الاقتصادية بأنفسهم، كان منهم البحار، والنجار، والحداد، والبناء، وغير ذلك من الحرف، ولكن تطورات الحياة، وهي تطورات طبيعية، كانت سبباً في تغير أنماط الحياة.

وقال مؤكداً: «إن هذا التغير والتطور، لم يواكبه تخطيط مدروس، بحيث يقلل من خسائر مرحلة التغير والتحول، لذا أصبحنا نعيش حالة لا أعتقد أننا نرتاح لها، حيث الاعتماد على العمالة الأجنبية في مختلف مجالات حياتنا».

وقد ألفت سماحة الشيخ إلى أنه لا يدعو إلى وضع الحواجز والسدود أمام العمالة الأجنبية، قائلاً: «هذا غير ممكن، بل بالعكس قد نحتاج في صناعتنا ونهضتنا إلى الاستفادة

من الشعوب الأخرى، فأمرىكا والدول الغربية تتنافس على جذب الكفاءات، مع فارق أنهم يجذبون الكفاءات والعقول، ونحن لا نزال في مرحلة جذب الأيدي العاملة! نحن بحاجة إلى الأيدي العاملة حتى لو اشتغل جميع أبناء الشعب، فإن هناك حاجة للأيدي العاملة، ولكن المؤسف هو المبالغة في الاعتماد على العمالة الأجنبية، في الوقت الذي نعاني فيه من مشكلة بطالة، والبحث عن لقمة العيش!.

وأضاف: «لعل البعض في ذهنه أن على الحكومة أن توفر راتباً لكل مواطن، منذ ساعة الميلاد، وبالتالي فهو لا يحتاج إلى العمل، لكننا حينئذ سنكون شعباً كسولاً، سنكون شعباً هامشياً في حياته، ونحن لا نتمنى لأنفسنا». ثم أشار سماحته إلى المعالجة الصحيحة لمشكلات البطالة التي يحددها في: «تنمية الكفاءات والقدرات، وسد الحاجات التي يعانها سوق العمل في بلادنا».

وحذر الشيخ الصفار من أن مجيء العمالة الوافدة من الخارج بهذه الأعداد الضخمة مع وجود حالة من البطالة في البلد، يؤدي إلى نتائج مدمرة، وأولها الاقتصاد، وقال: «إن المملكة هي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم في مجال التحويلات المالية من العمالة الوافدة، فالتقارير تقول أنه يتم تحويل ١٤٩ مليار دولار من المملكة سنوياً بينما في أمريكا ٣٤١ مليار دولار، وهذا مبلغ ضخم لو استثمر نصفه داخل البلاد لكان عائده كبيراً على الوطن وأبناء الوطن».

وأضاف: «في بلادنا ٧ مليون عامل أجنبي، هذه العمالة تمارس مختلف المهن والحرف، وبعضها ليست صعبة المنال وممكن أن يتعلمها المواطن بسرعة، فلو أننا اجتهدنا في تنمية كفاءاتنا المهنية والحرفية، لو قرنا الكثير من اقتصادنا الوطني، إضافة إلى إشكالات العمالة الوافدة الأخلاقية والقانونية». وأوضح سماحته أن حجم العمالة الوافدة في المجال المهني يفوق العمالة السعودية بأضعاف، وأشار إلى إحصائية تقول: «العمالة الوافدة تمثل ٨٨٪ من العاملين في القطاع الخاص في المملكة و١٢٪ من المواطنين، حجم العمالة

الوافدة يفوق بأضعاف العمالة السعودية، عدا المديرين، وعدا المهن الكتابية ٤١٪ من العمالة الوافدة في مهن الخدمات، و ٣١٪ تتركز في المهن الهندسية الأساسية المساعدة». وأضاف مشيداً بدور المعهد ومطالباً إياه: «نحن بحاجة إلى صرف المزيد من الجهود في تنمية الكفاءات المهنية ومثل هذا المعهد يتوقع منه دور كبير. هذا المعهد هو جزء من مؤسسة لها فروعها الممتدة في أرجاء الوطن، ونحن نتوقع من هذه المؤسسة أن تساعد الوطن على تجاوز هذه المشكلة، بتنمية الكفاءات والأيدي العاملة المهنية المتمرسه، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نحن بحاجة إلى ثقافة وتربية تشجع على العمل، وتشجع على بذل الجهد، ومشكلتنا أنه مع تطور نمط الحياة ضعفت هذه الثقافة.

في الماضي كان الأولاد يعيشون في ظل عائلة كادحة، فالولد منذ صغره يرى كدح أبيه، وال بنت ترى كدح أمها وأبيها، والآن ينشأ الولد وأبوه يعمل بعيداً عنه، فلا يرى كدح أبيه، وأغلب الآباء يعملون أعمال مريجة، فلا يشعر الولد أن أباه يتعب، والكثيرون منا خاصة ممن تقدم بهم العمر يتذكرون كيف كان الأهل يعملون، وكان الأولاد يشاهدون ويلاحظون العمل الزراعي المتعب والمجهد، والعمل في البناء، وكانوا يرون كدح وعناء العائلة، فيترى الولد منذ صغره على العمل وبذل الجهد، ومع تطور الحياة أصبح الولد يعيش ما يقرب من ٢٠ سنة وهو ضيف شرف في البيت! وال بنت ترى أمها تعتمد على وسائل حديثة، ولا تحتاج إلى جهد كبير، فما عاد أبناؤنا يتربون في أجواء كدح وعمل، وسادت ثقافة الرفاهية، وثقافة الراحة، وهي سبب لكثير من الأمراض، فليس هناك صرف للطاقة الغذائية».

وأكد: «العمل سبيل إلى الراحة النفسية، ويخطئ من يتصور أن عدم العمل راحة، ورد عن أمير المؤمنين علي: «من يعمل يزدد قوة»، وقال أيضاً: «من قصر في العمل ابتلي بالهم». وفي حديث المقارنة بين العمالة الوافدة، والعمالة المحلية، قال: «أصحاب الشركات كثيراً ما يشكون من العمال والموظفين المحليين بسبب توانيهم وتراخيهم في العمل،

ولعلكم تابعتم السجال الذي دار بين وزارة العمل، وأصحاب المؤسسات الصناعية والاقتصادية. وزارة العمل في المملكة تريد أن تحد من إعطاء التأشيرات، ففي السنة الماضية صدرت ١٧٠ ألف تأشيرة في سنة واحدة، لكن أصحاب المؤسسات والمصانع يشكون من أن العامل المحلي لا يسد الحاجة التي تشعر بها هذه الشركات والمؤسسات بحجة عدم كفاءة ونشاط العامل المحلي، ولا شك أن للموضوع صلة بالرواتب وفارق الأجر».

ثم قرأ سماحته إحصائية نقلها عن جريدة المدينة بتاريخ ١-٥-١٤٢٨ هـ تتحدث عن ارتفاع عدد الوفيات في اليابان بسبب الإفراط في العمل، تقول الإحصائية: (ازداد عدد الوفيات الناجمة عن الإفراط في العمل في اليابان خلال السنة الحالية بالرغم من الحملة الحكومية للحد من نظام الساعات الإضافية المنتشر إلى حد كبير في المؤسسات). وأعلنت وزارة الصحة اليابانية: أن ٣٥٥ موظفًا أصيبوا بأمراض خطيرة أو توفوا لهذا السبب بين مارس ٢٠٠٦ ومارس ٢٠٠٧ توفي ١٤٧ مواطن إثر جلطة دماغية أو إثر أزمات قلبية وكانت وفاتهم مرتبطة بالعمل المفرط، وهي ظاهرات تشكل آفة اجتماعية حقيقية خلال مرحلة النمو الاقتصادي بعد الحرب.

لفت أحد المحامين إلى أن الشبان ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠-٣٠ عاماً ما زالوا يتمتعون بالحياة ويميلون إلى تجاوز حدود قدراتهم وهم يصابون باضطرابات قلبية مما قد يؤدي إلى الوفاة والإفراط في العمل هو السبب الوحيد الذي يفسر ذلك. وفي تقرير صادر عن الحكومة اليابانية يقول: إن ١٠٪ من الذكور الذين يموتون في اليابان بسبب كثرة العمل، والإجازة في اليابان في السنة أسبوع واحد، واقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من ٤٤ ساعة في الأسبوع إلى ٤٢ ساعة فخرجت المظاهرات من الناس يرفضون تخفيض ساعات العمل.

ثم قال سماحته: «بمثل هذه الروح بنيت اليابان، وبمثل هذه الروح أصبحت

اليابان دولة صناعية تكنولوجية كبرى بعد أقل من ثلاثة عقود من أصابتهما في الحرب العالمية الثانية، حيث ضربت بالقنابل الذرية.

إننا بحاجة إلى ضخ ثقافة العمل في نفوسنا، وفي نفوس أبنائنا، حتى يعلم الواحد منا أنه بالعمل ينال الراحة ويستمتع بحياته، وليس بالتراخي والدعة التي لا تنتج إلا الأمراض والهموم النفسية والمشاكل الاجتماعية، ولذلك حينما نأتي ونكرم هؤلاء المديرين إنما نكرم هذه الروح التي تريد أن تنمي كفاءات أبنائنا وأن تسد هذه الحاجة الكبيرة في وطننا».

ثم شكر ساحته لإدارة المركز مبادرتها الكريمة بتكريم المديرين المتميزين، كما قام بتوزيع الجوائز والهدايا التذكارية عليهم، بدوره قدم مدير المركز هدية تذكارية لساحة الشيخ الصفار.

وكان حفل التكريم قد افتتح بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم ألقى مدير المركز الأستاذ عباس الصايغ كلمة ترحيبية بساحة الشيخ الصفار شاكرًا له رعايته للحفل واستجابته للدعوة.

الشيخ الصفار يشيد بمآثر الشيخ التويجري ويقدم لأبنائه العزاء

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بمآثر فقيد الوطن معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد ﷺ الذي وافاه الأجل يوم الأحد ٢٤ / ٥ / ١٤٢٨ هـ. وقال سماحة الشيخ الصفار: «كان الشيخ عبدالعزيز التويجري رجل دولة واسع الأفق، استثمر معرفته العميقة بالتاريخ، ومواكبته لتطورات الفكر والثقافة، في خدمة مشروع الدولة، بإنضاج الرأي وتسديد الموقف لمؤازرة القيادة السياسية».

وأضاف الشيخ الصفار: «كان يمتلك قدرة هائلة على صنع علاقة الثقة والمودة والانفتاح مع كل من يلتقيه، حتى وإن كان مختلفاً معه.

وكانت وسيلته في ذلك الاجتهاد في فهم الآخر، والصدق معه، والاحترام له. إنه يكره التعصب، ويمقت الطائفية، ويؤكد على التسامح، ويحتمل الجميع مسؤولية الحفاظ على الإنجاز الوطني الكبير الذي حققه الراحل المؤسس الملك عبدالعزيز طاب ثراه».

وأشار الشيخ الصفار إلى علاقته الوثيقة بالفقيد قائلاً: «فتح لنا قلبه عند عودتنا

إلى الوطن، وكان قد بدأ التواصل معنا قبل ذلك، وأعانا كثيراً في توثيق الصلة بولاية الأمر والمسؤولين.

وكنا نستضيء برأيه، ونطلب عونه عند أي مشكلة تواجهنا فيما يرتبط بمصالح الوطن والمواطنين. وكان يغمرنا بلطفه وثنائه وأخلاقه كلما حظينا بلقائه». مؤكداً سماحته: «لذا نشعر بالحزن والخسارة الكبيرة لوفاته، لكننا نأمل خيراً في أولاده الكرام، الذين تربوا في مدرسته الوطنية الرائدة على مكارم الأخلاق والإخلاص للوطن وحب الناس واحترامهم».

وفي مساء يوم الثلاثاء ٢٦ / ٥ / ١٤٢٨ هـ الموافق ١٢ / ٦ / ٢٠٠٧ م، زار سماحة الشيخ الصفار دار الفقيد الراحل في الرياض، وقدم التعازي لأبنائه الأفاضل وأسرته الكريمة على رأس وفد من رجالات القطيف والأحساء والمدينة المنورة.

وقد أكد معالي الشيخ عبدالمحسن التويجري نجل الفقيد الراحل والمستشار في الديوان الملكي، عند استقباله للشيخ الصفار ومرافقيه على التزام نهج والدهم الراحل، واستعدادهم لخدمة كل المواطنين، شاكرًا لسماحة الشيخ ومن معه وفاءهم لفقيد الوطن، وتعاطفهم مع أبنائه وأسرته في مصابهم الأليم.

الشيخ الصّفار في أسبوع زين الدين الثقافي: تكريم العلماء من المظاهر الحضارية للأمم^(١)

تتقدّم الأمم والشعوب بتقدّم العلماء والمبدعين فيها، ولا تشاد هذه الأمم والحضارات والمدنيات الحديثة إلا بسواعد عظمائها وقادتها، وقد أدركت الأمم المتقدّمة ذلك، ولذلك عادةً ما تهتم بتكريم قادتها وعلمائها في حياتهم وبعد مماتهم. انطلاقاً من هذه السُنّة الحسنة أقام أهالي بلدة كرزگان البحرينية مهرجاناً تكريمياً للمرجع الديني الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين رحمته الله (توفي ١٤١٩ هـ) بعنوان: «أسبوع زين الدين الثقافي»، وذلك بدءاً من يوم الجمعة الموافق لـ ٧ / ٠٦ / ١٤٢٨ هـ. والمهرجان يحتوي على العديد من البرامج والندوات الثقافية والأدبية احتفاءً بالمناسبة، وقد بدأت فعالياته بكلمة افتتاحية في ليلته الأولى لساحة العلامة السيد عبد الله الغريفي - أحد أبرز علماء البحرين. بينما شارك في الليلة الثانية - في ندوة فكرية مشتركة - كل من

(١) إعداد: حسين الشيخ.

سماحة الشيخ حسن الصقّار وسماحة الشيخ شاکر الفردان، في محورين رئيسين: تناول الشيخ الصقّار - في المحور الأول - الجانب الرسالي في شخصية الشيخ زين الدين، بينما تناول الشيخ الفردان: الجانب الأخلاقي في شخصية المحتفى به.

وقد بدأ الشيخ الصقّار حديثه عن أهمية تكريم العلماء والإشادة بمناقبهم في حياتهم وبعد مماتهم، ليتقل بعد ذلك للحديث عن سمات ومعالم الشخصية الرسالية للشيخ زين الدين، فعده من بين أهم الشخصيات الإصلاحية في النجف الأشرف في عصره.

وقد زَوَجَ الشيخ الصقّار بين معنى الرسالية والإصلاح، فالمصلح هو إنسان رسالي، وفي المقابل الرسالي هو إنسان مصلح كذلك. وباعتبار أن الحركة الإصلاحية التي يقودها المصلحون في جميع المجتمعات عادةً ما تواجه بردّات فعل قد تكون قاسية، وبخاصّة في وسط المجتمعات التقليدية والدينية منها بالذات، لا بدّ أن يتمتّع المصلح بذكاء وفطنة اجتماعية تمكنه من تجاوز ردّات الفعل هذه والعقبات الكثيرة التي قد تواجهه، فألفت الشيخ الصقّار إلى أن الشيخ زين الدين كان يمتلك هذه الفطنة والذكاء في عملية الإصلاح الذي كان يمارسه، فلم يحاول أن يدخل في المسائل الخلافية التي قد تثير الأطراف الأخرى عليه، وكذلك كان يعمل بهدوء ودون بروز واضح، وضمن مجموعة من علماء الدين الذين تولّى تربيتهم وإرشادهم وتنمية مواهبهم، ليكونوا - بعد ذلك - قاعدة فكرية لحُطاه الإصلاحية.

بعدها عدّد سماحة الشيخ حسن الصقّار أربعاً من معالم شخصية الشيخ زين الدين الرسالية، بدأها بالحديث عن الكفاءة العلمية، فالمحتفى به وصل إلى أعلى رتبة علمية، وهي مرتبة الفقاهاة والاجتهاد في الرأي الفقهي، وذلك مسلم به له في الأوساط العلمية، ورسالته العملية «كلمة التقوى» شاهد عملي واضح على مستوى الكفاءة العلمية التي امتلكها، فهي نص فقهي شامل لجميع أبواب الفقه بلغة عربية رزينة محكمة.

ليشيد بعد ذلك بالمعلم الثاني، وهو تحليه بالجانب الخلقى الرفيع، الذي تحدّث عنه مفصّلاً الشيخ شاكر الفردان في المحور الثاني من محاور الندوة. «الإخلاص» هو المعلم الثالث من معالم شخصية زين الدين الرسالية، وقد أشار الشيخ الصقّار إلى أن هذه الميزة من أبرز سمات المحتفى به، وهي النقطة التي سلط حولها الضوء في بحثه عن الشيخ زين الدين في ذكرى أربعينه، حيث كتب بحثاً بعنوان: «الشيخ زين الدين تجربة في الإصلاح دون حضور الذات».

وفي المعلم الرابع تحدث الشيخ الصقّار عن «الانفتاح» عند الشيخ زين الدين، وقصد به الانفتاح الاجتماعي على جميع التيارات والطبقات والتوجهات، وكذلك الانفتاح الفكري والثقافي، حيث يعد الشيخ زين الدين من أوائل علماء الدين في النجف الأشرف الذين اطلعوا على الثقافة الأدبية والسياسية والفكرية في العالم العربي في ذلك الوقت، في حين كان يعد مثل هذا الانفتاح - في ذلك الوقت - نوعاً من المخالفة الشرعية. وقد حضر الحفل عدد من علماء الدين البحرينيين، في مقدّمهم العلامة الشيخ عيسى قاسم والعلامة السيد عبد الله الغريفي ومجموعة من المثقفين والجمهور البحرينيين.

الشيخ الصفّار: أدعو للاهتمام بالداخل الاجتماعي^(١)

شارك الشيخ حسن الصّفّار مساء يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ١٠/٦/١٤٢٨هـ - مع مجموعة من العلماء والفضلاء ومثقفي ووجهاء القطيف والأحساء - بالحضور على مأدبة عشاء أقامها الوجيه الأستاذ عبد الجبار بومرة وأخوه الأستاذ فؤاد بومرة، في مجلسهم العامر بسيهات.

وكان في مقدّم الحضور قاضي محكمة الأوقاف والمواريث بالقطيف الشيخ محمد العبيدان، وقاضي هيئة التدقيق الشيخ علي آل محسن، والشيخ حسن بو خمسين القاضي في محكمة المواريث والأوقاف بالأحساء، والشيخ عبدالله الياسين، والشيخ فوزي السيف، والشيخ يوسف المهدي، والشيخ حسن الخويلدي، والشيخ عبد الله اليوسف، والشيخ محمّد الصّفّار، وجمع من العلماء والوجهاء والمثقفين.

وقد ألقى الأستاذ بومرة كلمة رحّب فيها بالحضور، وشدّد على أهمية اللقاء والتلاقي بين نخب ومثقفي المنطقة، حيث تأتي هذه الدعوة في هذا السياق، شاكرًا لهم

(١) إعداد: حسين الشيخ.

تليبتهم لها وتجشمهم عناء القدوم.

بعده ألقى سماحة الشيخ حسن الصقّار نيابة عن الفضلاء والعلماء الحضور، شكر فيها الأستاذ بومرة على دعوته الكريمة، ليتحدّث بعد ذلك عمّا يواجهه كل إنسان وكل مجتمع من تحديات خارجية، وداخلية.

فشدّد على أن الإسلام يولي الأهمية الأكبر لمواجهة التحدي الداخلي، حيث تكون المعركة أصعب وأطول، كما أن الإنسان قد يغفل عنه، ويعلق كل مشاكله على مشجب التحديات الخارجية.

وفيما يخص مجتمعاتنا تحدّث سماحته عمّا تعيشه مجتمعاتنا من خلل وأمراض داخلية قد تؤدّي بأبنائنا الذين يعيشون في أجواء هذه المجتمعات إلى منزلقات خطيرة.

فأشار إلى أننا بحاجة إلى تصحيح أوضاعنا، منبّهاً إلى أن ذلك يتأتى من خلال ثلاثة أمور:

- استنفار الجهود والطاقات لرفع المستوى الديني والاجتماعي والثقافي في المنطقة، وذلك من خلال تكثيف البرامج والأنشطة المختلفة والموجّهة لكافة المستويات والطبقات الاجتماعية، والمشاركة في دعم هذه الأنشطة مادّيًا ومعنويًا، مثمّنًا الدور الإيجابي الذي يقوم به الأستاذ عبد الجبار في هذا الاتجاه، وذلك من خلال ما يقوم من دعم متواصل للأنشطة الدينية والثقافية في المنطقة.
- تنسيق الجهود والعلاقات بين كافة التيارات والتوجّهات والأنشطة في المنطقة، وذلك سعياً لتلافي الخلافات الشخصية والفئوية، وصولاً إلى التعاون المشترك بيننا جميعاً. وأدان سماحته حالات القطيعة أو التشنج بين المختلفين في آرائهم وتوجهاتهم، مؤكداً على ضرورة الالتزام بأخلاق الإسلام في قبول التعددية، واحترام الرأي الآخر، والتعاون في خدمة المصالح المشتركة.

• الانفتاح على الآخرين، وبخاصة مع من نختلف معه ضمن الإطار الوطني، وهو النهج الذي توارثناه من قادتنا من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين كانت سيرتهم الانفتاح على كافة المذاهب والتيارات الموجودة في وقتهم.

داعياً في الوقت نفسه إلى تذليل جميع الصعوبات والمعوقات التي قد تقف حاجزاً أمام انفتاحنا على بعضنا بعضاً.

وقال: إن البعض قد يتساءل، ماذا استفدنا من الحوار الوطني، والانفتاح على الآخر، بينما لا تزال هناك إساءات ومواقف طائفية متشنجة؟

وأجاب سماحته: إن هناك آثاراً إيجابية بينة لا يمكن إنكارها، ولا ينبغي أن نتوقع زوال تراكمات قرون وعقود من الزمن بين عشية وضحاها، ووجود بعض الأصوات المتشنجة في أوساط الطرفين قد لا ينتهي بشكل كامل، كما أن وجود هذه المشاكل يجب أن تكون دافعاً للاستمرار في الحوار والانفتاح لا مبرراً لتركه، وإلا فإنها ستزيد.

ونهج الإسلام وأخلاق الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تؤكد على موضوعية وإستراتيجية الاهتمام بالوحدة والحوار والانفتاح، فهي ليست طريقة وتكتيكاً.

الأحساء: الصفار والخباز في أحلى ليالي الرميلة^(١)

بمناسبة الذكرى السنوية لولادة الدرة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وبمناسبة زواج ثلة من شباب قرية الرميلة، تنورت القلوب، وازدهرت الأكوان فرحاً وتغريداً، في ليلة جمعت الأصالة والعمق، تنوعت وتعددت فيها حقول المعرفة، شرفها وزانها قطبان من أقطاب منطقة القطيف، وهما: سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار.

سماحة العلامة السيد منير الخباز. كلمة السيد منير الخباز: أفتتح اللقاء في حسينية الإمام الخوئي رحمته الله عند الساعة التاسعة مساءً، بآيات مباركات تلاها المقرئ طه الراشد، وبعدها كانت أبيات نثرية صاغها الشاعر عقيل العبد الكريم، ثم تقدم معرف الاحتفال واللقاء، الشاب يوسف الراشد بنبذة موجزة لكل من السيد الخباز، والشيخ الصفار.

كلمة الشيخ حسن الصفار

بعد ذلك اعتلى منصة الاحتفال سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار بكلمة فاقت

(١) إعداد: صادق العلي.

الوصف، وزينت القلوب، افتتحها بالآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. حيث قال سماحته: «أن يكون الإنسان مع الصادقين هذا ما يؤمن له السعادة في الدنيا والآخرة، ولكن من هم الصادقون؟».

وأضاف: «من أهم تجليات الصدق حينها يكون الفكر متطابقاً مع السلوك، وهذا ما امتازت به الفئة الرائدة وهم محمد وأهل بيته الكرام، فأهل البيت ﷺ يمثلون أفضل تجسيد للصدق، ولهذا حينها نبحت في حياة أهل البيت يجب أن نبحثها في البعدين والاتجاهين التاليين:

أولاً: البعد الفكري

لنرى كلامهم في عمقه وأصالته وتوجيهاته العظيمة كما وضحتها وأشار إليها سماحة السيد الخباز قبل قليل في حديثه المبارك.

البعد الثاني: أن نقرأهم في سيرتهم

وهذا ما نريد التركيز عليه، لأن سيرتهم كانت الوجه الآخر لفكرهم ولتوجيهاتهم وكلامهم، فهذا ما يدل على صدق الكلام الذي قالوه وقدموه، ولذلك كانت السيدة الزهراء ﷺ أروع أمثلة للاقتداء والتأسي، ونحن نعيش هذه الأيام ذكرى ولادتها الطاهرة، لذلك لا بد أن نشير إلى بعض الشذرات من حياتها. «ولكون كل حياة السيدة الزهراء وفي مختلف جوانبها نوراً وقدوة، كان تركيز الشيخ الصفار على موضوع التأسي بالسيدة الزهراء ﷺ في حياتها الزوجية.

فقال سماحته: «الزواج نعمة كبيرة يجب أن نشكر الله تعالى عليها، إننا الآن نعيش في عصر أصبحت المؤثرات فيه كثيرة على سلوك الإنسان وعلى حياته، فهناك ضغوط مختلفة، وملابسات مختلفة، أنتجت الكثير من الاضطرابات في علاقة الناس مع بعضهم بعضاً.

لذلك على الإنسان أن يمتلك الوعي الكافي للنجاح في حياته الزوجية الجديدة،

فأهم شيء في الحياة الزوجية الاحترام المتبادل بين الزوجين، وهو أن ينظر كلٌّ منهما للآخر باحترام وتقدير، وأن يعرف كلٌّ منهما أن هذا الاحترام تكليف عليهما من قبل الله، وواجب شرعي عليهما، لذلك على كل منهما أن يدرك أن أي خدش للاحترام وأي جرح لمشاعر الطرف الآخر هذا يسبب غضب الله سبحانه وتعالى».

وأضاف: «على الزوج أن يعرف أنه معني بأحاسيس ومعنويات زوجته، وأن لا يسبب أي خدش لمشاعرها وأحاسيسها، وكما سُئِلَ الفقيه المرجع الراحل السيد الخوئي رحمته في أحد الاستفتاءات، عن مشروعية رفع الصوت من قبل الزوج على زوجته، وكان مضمون جواب السيد أنه إذا كان مصداقاً لعدم المعاشرة بالمعروف فإنه لا يجوز. لذلك يجب أن يتعامل الزوج مع زوجته بالمعروف انطلاقاً من الآية المباركة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾».

ثم أشار سماحة الشيخ الصفار إلى دور الزوجة في احترام وتقدير زوجها: «لا بد أن يكون محور الاحترام متبادلاً بينهما، فقد كانت السيدة الزهراء والإمام علي خير مثال للتاريخ، وخير مدرسة للتأسي والافتداء، حيث كانت علاقتهما الزوجية مبنية على الاحترام المتبادل».

بعد ذلك انتقل سماحة الشيخ إلى القسم الثاني الذي يجمع الزوجين مع بعضهما، وهو قسم الشراكة الزوجية، والمشاركة على هموم المعيشة، وبناء الحياة، وإدارة العلاقة الزوجية نحو الأمان.

أما الأمر الثالث الذي تحدث عنه سماحة الشيخ الصفار فهو النجاح في تربية الذرية الصالحة، وهذا هو النموذج الأكمل الذي قدمه علي وفاطمة عليهما السلام حينما أنجبا الحسن والحسين، وزينب وأم كلثوم.

وفي النقطة الأخيرة أشار الشيخ الصفار إلى المشاركة سويّاً في الهموم العامة والدينية، قائلاً: «على الزوجين أن يعرفا أن حياتهم الزوجية لا تنحصر في حدود البيت،

فالبيت جزء من المجتمع، وبالتالي يجب عليهما أن يعملوا من أجل مصلحة المجتمع وخدمة المجتمع، فعلي وفاطمة لم تتلخص حياتهما الزوجية في حدود البيت وشؤون البيت العائلي، وإنما كانا يحملان هم الأمة وهم المجتمع، لذلك حينما تطلبت مصلحة الأمة، ومصلحة الرسالة، غادرت الزهراء بيتها وخرجت إلى المسجد وألقت خطبتها العظيمة في الدفاع عن مصلحة الإسلام وعن مستقبل الأمة».

وأضاف: «لذلك نجد بعض الشباب يكون له نشاط اجتماعي قبل الزواج، فإذا تزوج ذاب نشاطه، وضعفت همته في خدمة المجتمع، ومن هذا لا بد أن يكون الزواج مفتاحاً لنشاط مضاعف، لخدمة الدين والمجتمع لكل من الطرفين».

الشيخ الصفار مؤبناً السيد علي الشخص: كان حرّ التفكير قوي الشخصية

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في ذكرى أربعين الخطيب الحسيني السيد علي الشخص (١٣٤٤ - ١٤٢٨ هـ) الذي أقيم بمجلس سماحة السيد علي السيد ناصر السلطان بالدمام مساء يوم الجمعة ليلة السبت الموافق ٢١/٦/١٤٢٨ هـ. فأشاد بمآثره وبدوره في إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام كخطيب حسيني، مبيناً ما لهذا الجانب من دور في تعزيز القيم والمبادئ التي من أجلها حورب أهل البيت عليهم السلام ومورست أنواع التضيق والتعقيم من أجل إخفاء ذكرهم، وتمجيد آخرين للتغطية على فضلهم وإعلاء اسمهم.

مشيراً في الوقت نفسه لصفات شخصية للفقيد الشخص كانت يمتاز بها، مركزاً على اثنتين، وهما: قدرته على تحليل الأحداث والشخصيات وإعطاء رأي حولها دون أن يكون «إمعة» ومتأثراً بما يثار ويشاع حوله، ففي الوقت الذي تكثر فيه الشائعات حول

بعض الشخصيات تراه يستفيد من قراءته للتاريخ في هذه النقطة، فيعدد تلك الأحداث التاريخية التي نتجت عن مثل هذه الشائعات، فلا ينجرف معها، بل يبحث ويتحقق إلى أن يصل إلى ما يقنعه.

وكذلك من صفاته ثقته بشخصيته وبنفسه، وهي الصفة التي نفتقدها في مجتمعاتنا، فلا نمتلك الجرأة والثقة الجيدة بالنفس وتقديم الذات.

وفيما يلي تلخيص لما ورد في الكلمة: قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِنِّي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [سورة الشعراء: الآيات: ٨٣ - ٨٥].

هذا دعاء ينقله القرآن الكريم عن لسان أبي الأنبياء إبراهيم، يطلب فيه من الله تعالى طلبات مهمة، لعل من أبرزها قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. الدعاء في واقعه يمثل تطلعات الإنسان، فهو حينما يدعو الله إنما يحدد بما يطلبه في دعائه تطلعاته في هذه الحياة، وماذا يريد أن يحقق فيها.

ونبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو ربه، فيطلب منه أن يجعل له لسان صدق في الآخرين (في المستقبل)، والمقصود بـ (لسان صدق) هو تعبير عن الذكر الحسن الجميل للإنسان في الأجيال المقبلة، أي بعد وفاته، لأن هناك من الناس مَنْ إذا مات نُسي ذكره، وهناك من يذكر الذكر السيئ، كذكر الطغاة والظلمة والأشقياء، بينما هناك من يوفقه الله تعالى لنيل الذكر الحسن، الجميل في الأجيال اللاحقة.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه: «أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَمَالٍ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ»^(١)، لأن المال قد يرثه الوارثون، فلا يحمده لاعتبارات معينة، ولكن العمل والقول الصالح يبقى حمده مستمرًا لصاحبه طوال التاريخ.

(١) نهج البلاغة. من كلام له يذكر فضله ويعظ الناس.

وفي مناسبة أخرى يتحدث إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام عن فضل العلم فيقول: «بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأَخْدُوْتَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ»^(١).
من هنا ينبغي أن يحرص الإنسان المؤمن على أن تكون له سمعة حسنة في حياته، وذكر جميل بعد وفاته.

بين الذكر الحسن وحب إظهار الذات ويجب أن نفرّق هنا بين الشهرة المذمومة وصفة الرياء وبين التحلّي بالصفات الحسنة في التعامل مع الآخرين، فحينما يتطلّع الإنسان إلى السمعة الطيبة الحسنة والذكر الجميل فهذا يعني أن يأخذ بالعوامل والأسباب التي تحقّق ذلك، ومن أبرزها العمل الصالح والتعامل الحسن مع الناس، لا أن يتصنّع ذلك فيسعى إلى مجرّد المدح والإطراء حتى بما لم يفعل وبها لا يتّصف، إن ذلك من صفات المنحرفين الذي يقول الله تعالى عنهم ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٨].

حينما يتطلّع حملة الرسائل للذكر الحسن بعد رحيلهم عن الدنيا إنما يوظفون هذا الذكر لخدمة رسالتهم والمبادئ التي يبشّرون بها ويدعون إليها، لأن السمعة الحسنة لأي إنسان تنعكس على الفكر الذي ينتمي إليه، وعلى المبدأ الذي يعتنقه، فصاحب الرسالة والمبدأ إذا كان له ذكر وسمعة حسنة فإن مبدأه يستفيد من تلك السمعة.

ومن هذا المنطلق تفتخر الأمم بعظماؤها، لأن هؤلاء العظماء هم الذين يصنعون السمعة الحسنة والصيت الذائع الجميل لتلك الأمة.

ونحن في هذه الليلة نحتفي بأربعين فقيدا الغالي الخطيب الحسيني السيد علي الشخص، وتذكّر هذا السيد الجليل الذي نذر عمره وحياته في خدمة العقيدة وذكر أهل بيت النبوة.

(١) نهج البلاغة. مِنْ كَلَامٍ لَهُ لِكَمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ.

وهنا أحب أن أركّز على ثلاث نقاط وجدته يتوقّر عليها، فهي من ذكره الجميل الذي يجب أن يذكر ويعرف به:

الأولى: إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام من خلال خطابته الحسينية طغت على شخصيته حبه لخدمة أهل البيت عليهم السلام وتغنيه بسيرتهم وإحياؤه لذكراهم ومصائبهم وفضائلهم، وذلك في عمر مبكر جداً، وظل على هذه المسيرة إلى السنوات والشهور الأخيرة في حياته، فإنه بعد أن أدركه الضعف والوهن الجسمي، ظل حريصاً على أن يرتقي المنبر ويواصل ذكر أهل البيت.

ومن المناسب أن أشير إلى الدور الذي قام به المنبر الحسيني، الذي أدى وظائف كبيرة ومهمّة في تاريخ الإسلام وحياة الأمة، وذلك في مقابل ما كانت تعمل عليه الحكومات التي تسلطت على رقاب المسلمين من السعي لحجب ذكر أهل البيت عليهم السلام وإلى التعتيم على سيرتهم وإلى العمل على فصل الأمة عن تعاليمهم.

حيث كان يعلم أولئك الحكام أن انشداد الأمة إلى أهل البيت عليهم السلام يعني يقظة الضمائر ووجود الكرامة وإحياءها في نفوس الناس، وهذا ما يجعل الناس يأبون الخضوع للظلم والتضليل والفساد، ومن أجل أن يخلقوا عند الناس القابلية للاستحمار وللضلال والخنوع لا بدّ - حينها - أن يبعدوا الناس عن المدرسة التي تحيي نفوسهم وتوقظ الكرامة والعزّة في شخصياتهم، ولذلك كانت هناك معركة طويلة بين إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام وبين هذه السياسات الظالمة.

وفي هذه النقطة كانت سيدتنا الحوراء زينب عليها السلام تستشرف المستقبل، لما تمتلكه من ذهن ثاقب، فقالت للطاغية يزيد بعد واقعة كربلاء: «فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَنَاصِبْ جُهْدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَمِيتْ وَحِينَا»^(١).

وكان هؤلاء الظلمة لهم أساليبهم المختلفة للتغطية على فضائل ومكانة أهل

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ١٣٥.

البيت، وكان من جملتها إحياء ذكر الآخرين وتضخيم شخصياتهم في مقابل شخصيات أهل البيت، من اختلاق ووضع لأحاديث كثيرة تمجد الصحابة، وذلك للتغطية على مقام أهل البيت.

الرؤية المتوازنة للصحابة: ومن الجيد هنا أن أزيل بعض الضباب حول النظرة التي يحملها بعض إخواننا السنة عن الشيعة في مسألة النظر إلى الصحابة، فنحن لسنا ضد ذكر صحابة رسول الله ﷺ وتمجيدهم والإشادة بفضلهم، فإمامنا زين العابدين عليه السلام له دعاء خاص في الصحيفة السجادية في الصلاة على أصحاب الأنبياء والإشادة بهم، وللإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة كلام كثير في الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ، كما أن أئمتنا عليه السلام يشيدون بالصحابة المخلصين ويتحدثون عن مآثرهم، ونحن لا نعيش عقدة أو مشكلة مع مثل هذا الطرح، ومن يتحدث عن أن الشيعة يرفضون الاعتراف بفضل الصحابة وتمجيدهم، هؤلاء إما أنهم يهرجون أو وهمون فيما يدعون.

إننا - فيما يخص الصحابة - ننظر إلى سيرتهم بعقول واعية وعيون مبصرة، ونقرأ سيرتهم بموضوعية، نأخذ بموضوع الاقتداء ونتجنب موارد الأخطاء. وهذا بخلاف المدرسة التي تتبنى غض الطرف عن تاريخ السلف ولا تريد الخوض فيه، بدعوى «عفا الله عما سلف».

ونحن لا نضع موقف سلاطين بني أمية والعباسيين وكأنه موقف إخواننا أهل السنة، لأن هؤلاء الحكام كان موقفهم ينطلق من موقف سياسي ضد أهل البيت، فكانوا يستثمرون تضخيم صورة الصحابة للتغطية على إبراز دور ومكانة أهل البيت، وليس حباً أو دفاعاً عن الصحابة ومواقفهم وصحبتهم لرسول الله ﷺ.

الطابع الجماهيري للمنبر الحسيني: وفي مقابل هذه الأساليب التي كان يارسها هؤلاء الحكام للحد من تعظيم وإحياء مناسبات أهل البيت، حافظت المجتمعات الشيعية على إحياء هذه المناسبات، وكان المنبر الحسيني الدعامة الأساس للاحتفاء

بذكراهم، يخلدون من خلاله ذكرى أئمتهم عليهم السلام ويكرسون بذلك قيمهم ومبادئهم السامية الصحيحة التي حملوها وجسدوها. وقد كرس فقيدنا الغالي حياته ضمن هذا السياق، فهو ينتمي إلى المدرسة التاريخية في الخطابة، التي يركّز فيها الخطباء مواضيعهم على ذكر أحداث التاريخ وسيرة أهل البيت، فيتناولون حياتهم بالتحليل والتفصيل.

الثانية: حرية التفكير تعرفت إلى الفقيد الراحل قبل ما يقرب من عشرين عامًا، في جوار السيدة زينب، حيث كان مقيمًا في دمشق، وحصل بيننا تواصل، فبدأت أكتشف فيه نقاط القوّة في شخصيته الطيبة، فهذا الرجل رأيت فيه ثقته الجيدة بنفسه ورأيه، فكان يسعى لتكوين رأيه الخاص حول الأحداث والشخصيات، على العكس من الآخرين الذين لا يثقون كثيرًا بقدرتهم على تكوين آرائهم الخاصة، ويقنعون من أنفسهم أن يكونوا تابعين ومقلّدين لمن يرونهم أصحاب رأي، أو لما يجدونه رأيًا سائدًا في مجتمعهم وبيئتهم. وهو خلاف ما توصينا به الأحاديث والنصوص الشريفة، حيث يروى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: لا تكونوا إمعة^(١) تقولون: إن أحسن الناس أحسنًا، وإن أسوأ أسوأ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أسأوا أن لا تظلموا^(٢).

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لتلميذه الفضل بن يونس: «أبلغ خيرًا وقل خيرًا ولا تكن إمعة. قلت: وما الإمعة؟ قال: لا تقل: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»^(٣).

وما يجعل الناس أتباعًا لبعضهم بعضًا ويجعل رأيًا واحدًا سائدًا بينهم أن ترى شريحة من الناس نفسها غير معنية أو ليس لها القدرة على إبداء الرأي وتقييم المواقف، مع أننا نؤمن في ثقافتنا الإسلامية أن الله يحاسبنا على آرائنا ومواقفنا، وبخاصة موقفنا من

(١) إمعة: الإمعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأى له، فهو يتابع كل أحد على رأيه.

(٢) كنز العمال. ج ١٥ ص ٧٧٣ ح ٤٣٠٤٥.

(٣) تحف العقول. ص ٣٠٤.

الآخرين، فليس من الجائز أن نتهم إنساناً في شخصيته وسلوكه بمجرد شائعة تردّد حوله هنا أو هناك، بل من الواجب الفحص والتحري عن مثل هذه الأحكام والاتهامات. لا يصحّ لأي إنسان أن يسترسل مع البيئة والأجواء التي يتربّى ويعيش ضمنها، وأن يعفي نفسه من المسؤولية، فيجمّد عقله من التفكير والتحليل.

وهذا ما رأيت الفقيه الراحل يمتاز به، فمع أنه كان يعيش في أوساط الحوزة العلمية، ويرتبط مع العلماء والخطباء، ولكنك حينها تتحدث معه حول بعض الشخصيات الذين قد يثار حولهم بعض الإشاعات، فتجده صاحب رأي حول كل شخصية من هذه الشخصيات.

كنت أستغرب من آرائه المخالفة، فكان يحدثني بأن الرأي السائد قد يكون سببه بعض المصالح والصراعات والإشكالات، ويعقب - بعد ذلك - بأنه عادةً ما يسأل ويبحث للوقوف على حقائق وخلفيات هذه الصراعات، ليقيم بعدها ذلك الموقف أو تلك الشخصية، دون تأثر بكثرة ما يقال أو يثار.

قليل من الناس يمتلك هذه النفسية، بحيث يتحقّق من الأمور، فيكون - بعد البحث - رأياً حول القضايا المثارة أو حول بعض الشخصيات المعروفة.

وكان كثيراً ما يستشهد بالوقائع التاريخية التي كانت بعض شخصياتها ضحية افتراءات وصراعات شخصية وفتوية، فتسقط شخصيات وترفع من شأن أخرى، وهي استفادة واعية من التاريخ وأحداثه.

الثالثة: الثقة بالذات والتعبير عن الرأي: كان الفقيه الراحل يقدم نفسه ورأيه للآخرين بشكل جريء وواثق، وهي صفة يفتقدها الكثيرون في مجتمعنا، فتجد الحالة العامة هي صفة الحياء والخجل والتواضع المفرط والشعور بالدونية والتأثر بالحصار وبما يثار حولنا من إشكالات، لذلك تجد البعض يتعامل بشخصية ضعيفة مهزومة.

إن مجتمعنا يحتوي على كفاءات وطاقات وقدرات عالية ومتميّزة، ولكننا بسبب

من هذا الخجل والتواضع السلبي لا نقدّم أنفسنا للآخرين بالمستوى الذي نمتلكه من هذه الكفاءات والطاقات.

الكثير ممّا لا يملكون هذه الروحية والإقدام الذي كان يملكه فقيدنا، فيدخل البعض إلى الأوساط الأخرى بنفسية مهزومة خائفة متردّدة، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، نحن بحاجة إلى أن ننزع هذا الخوف غير المبرّر من أنفسنا، لأننا بحاجة إلى هذه الجرأة والشجاعة في المواقف، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ »^(١).

ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله لتلميذه أبان بن تغلب: «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك»^(٢).

إننا حينما نظهر ونبرز ما في مجتمعنا من كفاءات وشخصيات فاعلة تزول كثير من المشاكل التي نعانيها اليوم، فهذه الحالة من الانطوائية والانزامية والخجل لدى الشريحة الأكبر في المجتمع هي المسؤولة عن قسم من هذه المشاكل.

إننا اليوم نعيش فرصاً كبيرة في وسائل الإعلام وفي وسائل النشر، ولكننا لا نستثمر هذه الفرص. بل نجد أنفسنا نعيش حالة من المرض النفسي، فإذا برز أحد كفاءات المجتمع وطرح نفسه يُتهم بحب الظهور، ويفسر بروزه بتفسيرات سلبية، بينما ينبغي ممّا تشجيع مثل هذه الظاهرة، وبخاصة في هذه المرحلة.

وقد كنت أرى في فقيدنا السيد الشخص هذه الصفة، فتراه في مجالس العلماء والأدباء والشخصيات المرموقة يبادر للحديث وللطرح والنقاش، فيعترض ويطرح رأيه ويدافع عن وجهة نظره، ويلفت الأنظار إليه.

وهذه صفة كانت متوفرة في أخيه الراحل الخطيب المشهور السيد محمد حسن

(١) نهج البلاغة. من قصار كلمه.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ١٧، ص ٣١٥.

الشخص، فكان هو الآخر جريئاً مقداماً، فكان في أي منطقة يذهب إليها يرمي ببصره أقصى القوم، ويذهب لزعاماتها ورؤسائها، ولمجالسها الكبيرة ويتصدّر المجالس ويثبت وجوده، ونحن بحاجة إلى هذا النوع من الشخصيات.

هذه الجرأة هي التي مكنت الفقيه أن يقدم خدمات كبيرة وجليّة لمبدئه ومجتمعه. وما يذكر في جرائده أنه من أوائل من تحدّثوا في الإذاعة العراقية، ففي عامي ١٩٦٠ - ١٩٦١م أثّرت فكرة أن تلقى في الإذاعة العراقية محاضرات دينية، وتحرك العراقيون لأجل ذلك، وعندما أصبح بالإمكان تطبيق هذه الفكرة، واجهوا مشكلة مع الخطباء الذين تعودوا على لغة خاصّة في المجالس الداخلية، في الوقت الذي تحتاج المحاضرة التي تلقى في الإذاعة إلى لغة أكثر عمومية، بالإضافة إلى بعض من تحسين الأداء والمستوى المناسب، فكان السيد علي الشخص من أوائل من بادروا بذلك.

فألقي سلسلة أحاديث في شهر رمضان وفي المناسبات الدينية، وهذا فرغ عن الثقة بالنفس والجرأة والوعي، وينبثق من القدرة على تقديم الذات. ومن أمثلة ذلك أنه كان يسعى لحل مشاكل الآخرين لدى بعض أجهزة الدولة، فكان يعيش في العراق في الكاظمية، وتحصل بعض المشاكل للزائرين السعوديين أو لبعض الجهات الدينية، فيتصدّى لحلها، ويتحرك من أجل ذلك من دائرة لأخرى ومن مؤسسة إلى مؤسسة ثانية، ومن مسؤول لآخر، ومن جهة إلى جهة.

جدير بالذكر أن الحفل الذي قدم له الأستاذ/ مفيد العلي، ضم بالإضافة إلى كلمة سماحة الشيخ الصفار عدداً من الفقرات، منها: كلمة لعائلة الفقيه ألقاها نيابة عنهم السيد ضياء الشخص، وقصيدتين للشاعرين محمد حسين الرضوان والسيد موسى الشخص. كما أن الحفل الحاشد ضم عدداً من العلماء والمثقفين، منهم سماحة السيد علي السلطان، والسيد هاشم السلطان، والشيخ يوسف المهدي، وآخرون.

أخلاقيات الصراع في نهج البلاغة^(١)

المؤسسات التخصصية في المجتمع

في البدء أجد من واجبي الإشادة وإبداء التقدير لهذا النهج الذي سلكه الإخوة الأعضاء في بيت الحكمة حينما اختاروا نهج البلاغة موضوعاً للندوات والمحاضرات الشهرية التي تقيمها هذه المؤسسة الثقافية، فنحن بحاجة ماسة إلى وجود تخصصات في العمل الثقافي في مجتمعاتنا، فمن الضروري أن تكون هناك مؤسسات تهتمّ بالقرآن الكريم تفسيراً وحفظاً وتجويداً وكل ما يرتبط بعلوم القرآن ومعارفه، وكذلك لا بدّ أن تكون هناك مؤسسات تهتمّ بنهج البلاغة، وأخرى بالصحيفة السجّادية ورابعة بالأدب العربي وخامسة بالتاريخ وغيرها بالعقيدة والفقه، حتى تأخذ المعرفة والثقافة مداها في شتى المجالات، وحتى تكون الجهود جهوداً تخصصية مركّزة تتراكم فيها التجربة والخبرة.

(١) محاضرة لسماحة الشيخ حسن الصفار في بيت الحكمة بالقديح مساء يوم الخميس الموافق ٢٧ جمادى

الآخرة ١٤٢٨ هـ الموافق ١٢/٧/٢٠٠٧ م

لماذا الحديث عن أخلاقيات الصراع؟

العنوان المختار لهذه الندوة هو «أخلاقيات الصراع في نهج البلاغة»، واختياره يأتي

لسببين، هما:

الأول: أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابتلي في حياته - وبخاصة في عهد خلافته - بالصراعات والخلافات مع خصومه، فبرغم المدة القصيرة التي قضها في الحكم (خمس سنوات تقريباً) إلا أن الفتن والصراعات في تلك المدة الزمنية المحدودة كانت كثيرة وعديدة، وقد واجهها أمير المؤمنين عليه السلام بصبر وثبات وحكمة وأخلاق.

لذلك تأتي دراسة أخلاقيات الصراع في نهج البلاغة من باب تسليط الضوء على جانب مهم من فكر وسيرة الإمام علي عليه السلام ومواقفه.

الثاني: أن ظاهرة الصراعات لا يخلو منها مجتمع، وقلماً يستطيع تجنبها فرد من الأفراد أو فئة من الفئات. ولكنها قد تكون في بعض الأوقات أكثر، وفي بعض المجتمعات بصورة أكثر.

ويبدو أن المرحلة الحاضرة التي نعيشها هي مرحلة انبعاث وتحول في مجتمعاتنا، وعادة ما يصاحب ذلك حالة من الصراع والاختلاف، فينبغي أن يكون هناك هدي وبصيرة للتعاطي مع مثل هذه المشكلة.

أسباب الصراعات والاختلافات

الصراعات والخلافات تنبعث من أحد أسباب أربعة، هي كالتالي:

١. الاختلاف في الرأي والتوجه الفكري

لا يتفق جميع الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، وكذلك لا يتفق توجه جميع المجتمعات والشعوب في اتجاه ورأي واحد، فالاختلاف سنة إلهية.

وربما تكون حالة الاختلاف في الرأي أو الموقف سبباً في وقوع عدد من الصراعات

الفردية أو بين بعض المجتمعات، بحيث تدفع هذه الاختلافات نحو الصراع، وبخاصة حينما يريد البعض الانتصار لرأيه بأسلوب صدامي، فيتحول الاختلاف أداة من أدوات التصارع والنزاع.

٢. تضارب المصالح والمكاسب

غالبًا ما يكون تضارب المصالح والتنازع على المكاسب هو الدافع الأبرز لنشوء حالة الصراع، فأغلب الصراعات في المجتمعات البشرية هي صراعات على المصالح والمكاسب، سواء كانت هذه المصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، كما أنها في هذا الصراع قد تأخذ لها عناوين أخرى وتحت شعارات رنانة، لكنها في جوهرها هي صراعات على المصالح أو المكاسب.

٣. الحالة المزاجية وأسلوب التعامل

في بعض الأحيان لا يكون هناك اختلاف في الرأي أو صراع من أجل المصلحة، لكن سوء أخلاق التعامل يحدث صراعات وخلافات وحساسيات شخصية، وهذا ما نجده في الخلافات الزوجية، وبين الجيران، وبين الناس عمومًا في تعاملهم مع بعضهم بعضًا، فقد تخرج بعض الكلمات أو التعبيرات النابية، أو يصدر تصرف غير مناسب، وسرعان ما يولّد حالة من الانفعال والغضب، تصل في بعض حالاتها إلى نوع من الخلاف المحتدم والمتصاعد، وذلك بسبب هذه الحالة المزاجية أو سوء الأخلاق.

٤. التدخل السلبي للأطراف الأخرى

قد تنشأ بعض الصراعات بسبب وجود طرف ثالث يدفع باتجاه الاختلاف والصراع بين شخصين أو فئتين، ففي بعض الحالات قد لا يكون هناك مبرر كافٍ لبروز حالة الصراع، ولكن بسبب تدخل طرف خارجي أو داخلي يدفع باتجاه هذا النوع من الخلاف، تحدث هناك بعض حالات التصارع والنزاع.

أخلاقيات الصراع في نهج البلاغة

حينما نقرأ نهج البلاغة نجد أن الإمام علياً عليه السلام تحدث كثيراً حول هذا الموضوع، بل قد نرى أن الجزء الأكبر من نهج البلاغة هو لمعالجة مشكلة الصراع وأساليب التعامل معها.

وقد سجلتُ عناوين كثيرة حول هذا الموضوع وجدت أنها ذات علاقة مباشرة بمسألة أخلاقيات وآداب الصراع مع الآخر، وقد قضيتُ وقتاً ممتعاً في قراءة نهج البلاغة للبحث حول هذا الموضوع، فوجدتُ عناوين كثيرة فيه يمكن استنباطها واستنتاجها للحديث حول هذه المشكلة، وسأتحدث هنا بما يسمح به المجال حول بعضها، وهي كالتالي:

التوجيه إلى تجنّب الصراع والخلاف

في نهج البلاغة توجيهات كثيرة من أمير المؤمنين عليه السلام حول تجنّب الدخول في أي صراع أو خلاف ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً، لأن الصراع والخلاف ليس أمراً ممتعاً ومريئاً، إنما هو عبء على نفس الإنسان، ويستهلك جهده وطاقاته ويجعله يعيش في حالة من الألم والضييق النفسي، كما أنه يبذد طاقات المجتمع ويسبب حالة من الفرقة والشقاق بين مجموعاته وأفراده، من هذا المنطلق ينبغي للإنسان العاقل أن يتحلّى بالحرص على تجنّب أي صراع ما أمكنه ذلك، فلا يبادر بالخصومة مع الآخرين، ولا يكون سبباً في وقوع خصومة أو عداوة بينه وبين أي طرف، بل يحاول إيجاد المخارج والحلول، لا أن يقع فريسة الاستفزاز والاستدراج التي يارسها البعض لإحداث الفتن والنزاعات داخل المجتمع، لكي يكون هو المستفيد منها.

لذلك على الواعين من أبناء المجتمع أن يمتلكوا الوعي لمثل هذه المؤامرات والاستفزازات، الخارجية والداخلية، لأن الصراع والخصومة نفق إذا دخلت فيه فئة من الفئات لا تعلم متى وبأي كيفية ونتائج ستخرج.

ومن أبرز التوجيهات الداعية إلى هذا الأدب في مسألة الصراع ما ورد بشأن اتصاف الإنسان بصفة الحلم في مواجهة حالة الانفعال والاعتداء من قبل الطرف الآخر، فهناك تأكيد من الإمام (عليه السلام) على صفة الحلم، وذلك في مقابل ما يتعرض له الإنسان من استفزازات، التي إذا استجاب لها برزت عوامل الصراع والخصومة، بينما إذا اعتصم الإنسان بالحلم سَلِمَ من الوقوع في ذلك الفخ.

ولذلك يؤكّد الإمام (عليه السلام) على موضوع الحلم، فيقول: «كُظِمَ الْعَيْظُ، وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْعُصْبِ، وَاصْفُخْ مَعَ الدَّوْلَةِ، تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ»^(١)، في هذا النص يبيّن الإمام علي (عليه السلام) بأن الحلّيم هو المستفيد في عاقبة الأمور.

وفي كلمة بليغة له (عليه السلام) حول الخصومة، يقول فيها: «الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ»^(٢).
والفدام لغة: رباط الفم.

وهذه كلمة جميلة، يعبر فيها الإمام علي (عليه السلام) عن الحالة التي تصيب السفيه عندما يحاول استفزاز شخص، فلا يستجيب لاستفزازه، وكأنه أخرسه، لأن الحلّيم عندما لا يستجيب لاستفزاز السفيه كأنه ربط لسانه.

وفي مسألة عدم الدخول في الصراعات ترد عن الإمام (عليه السلام) كلمة أخرى في ذلك، يقول: «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»^(٣).

لأن البعض قد يعتذر عن مسألة الغضب وسرعة الانفعال التي يقوم بها بحجة أنه لا يتمالك نفسه، وبأن هذه صفة نفسية لا يستطيع التحكّم فيها، لذلك يوجّه الإمام علي (عليه السلام) الإنسان إلى أن يبذل جهده بأن يتحلّى ببعض الصفات، حتى لو لم تكن من طبعه وسجيته، فينصحه بأن يروض نفسه على ذلك، حتى لو لم تكن هذه الحالة موجودة في

(١) نهج البلاغة. من كتاب له إلى الحارث الهمداني.

(٢) المصدر السابق. من قصار كلمه.

(٣) المصدر السابق.

نفسه إلى أن يوجدها.

ومن كلامه ووصاياه في مسألة تجنّب الصراع وصيته لمعقل بن قيس الرياحي، يقول فيها: «ولا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ»^(١).

وفي عهده لمالك الأشتر حين أنفذه إلى مصر يقول فيه: «ولا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَرَضًا، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً لِحُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ»، وهي كلمة يطبق فيها الإمام التوجيه القرآني الكريم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦١].

فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا العهد التفصيلي الذي بعث به واليه على مصر مالكا الأشتر يوصيه بأنه من آداب المعركة العسكرية - حينما تظهر لدى العدو بوادر لوقف القتال وفرص المصالحة - فعلى قائد المعركة أن يستجيب لهذه المبادرة.

ومن كلماته في نهج البلاغة بهذا الشأن مقولته الشهيرة: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرَكَّبَ وَلَا صَرْعٌ فَيُخَلَبَ»^(٢).

حيث إن الإمام في هذه الكلمة يحذر الإنسان من الانجرار إلى الخلافات التي تكون بين أطراف بينهم مصالح وخلافات شخصية لا علاقة له بها، ويحذر الإنسان ألا ينساق للدخول في صراعات لا مصلحة له فيها.

ومن كلماته المؤثرة في هذه النقطة كلمة يحذر فيها من أي خصومة، فيقول: «إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا»^(٣). يريد بالقحمة: المهالك، لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف.

وكلمة أخيرة نوردها في خصوص الابتعاد عن الخصومة، يقول: «مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلِمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ»^(٤).

(١) من وصية له وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام.

(٢) نهج البلاغة، من قصار كلمه في نهج البلاغة.

(٣) المصدر السابق. من غريب كلامه المحتاج إلى التفسير.

(٤) المصدر السابق. من قصار كلمه.

لأن الإنسان إذا بالغ في الخصومة واستعمل في ذلك قوته لمواجهة خصمه أثم، في حين اعتدى على الخصم، وفي المقابل عندما يستعمل خصمه كامل قوته ولا يقابله بما يدفعه عنه يُظلم. ثمَّ يحذّر ﷺ من مسألة الخصومة، لأن من يدخل في خصومة حادة يصعب عليه - عادة - أن يراعي التقوى والالتزام بالحدود الشرعية، لأن الإنسان يجد نفسه في حال من الصراع والتنافس مع الطرف الخصم، فيريد أن ينتصر لذاته حتى لو خالف ذلك حدود التقوى.

حين يفرض الصراع دفاعاً عن المصلحة العامة

في بعض الأحيان يُفرض الصراع على الإنسان، ويُضطرّ إلى الدخول فيه، مراعاة للمصلحة العامة، والدفاع عن الدين والمبدأ.

وقد واجه الإمام عليّ ﷺ هذا النوع من الصراع، فقد خاض في فترة حكمه التي استمرّت لأقل من خمس سنوات ثلاثة حروب كبيرة (الجمل وصفين والنهروان). فالإمام ﷺ وجد نفسه في موقع المسؤولية ومضطراً لخوض مثل هذه الصراعات، وقد تحدّث في أكثر من مورد بأنه كان مضطراً لمثل هذه المواجهة، ومن أمثلة ذلك عندما أشير عليه بالألّا يتبع طلحة والزبير والألّا يرصد لهما القتال، فقال: «وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَائِبُهَا وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ»^(١).

الإمام ﷺ في هذه الكلمة يريد أن يبيّن نقطة مهمّة، وهي بأن هناك من هو مقبل على الحق، وهناك من هو مدبر عنه معادٍ له، والمسؤولية التي يتحملها الإمام بما يتقلده من منصب الخلافة والإمامة أن يجارب هؤلاء المحاربين والمعادين للحق بأولئك المؤمنين المقبلين على الحق.

وفي كلمة أوضح في هذا السياق يتحدّث الإمام حول معركة صفين وكيف أنه

(١) المصدر السابق. من كلام له في أنه لا يخذع.

خاض الحرب والصراع هناك وقاتل جيش معاوية، حيث يقول: «وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَكَانَتْ مُعَاجِلَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَاجِلَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ»^(١).

الإمام في هذا النص يريد أن يوضح نقطة مهمّة، وهي أنه يتحمّل مسؤولية وواجباً شرعياً، فهو في موقع الإمامة وقيادة الأمة، ولا يستطيع أن يتخلّى عن تحمّل هذه المسؤولية، فما وجد حلاً يسعه إلا قتالهم أو يخالف ما جاءت به تعاليم الرسالة الإسلامية، فكان قتالهم أهون من مخالفة هذه التعاليم والمبادئ الإلهية.

وقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التَّمَاسِ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ^(٢).

وكلمة أخيرة أنقلها هنا عنه، يقول: «وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ»^(٣). وهي كلمة بليغة تبيّن أن مسألة الدخول والصراع تكون آخر الحلول التي يلجأ إليها، وذلك بعد استنفاد جميع الحلول الأخرى.

تجاوز طرح موضوع الخلافة

تعد مسألة الخلافة وما دار حولها من خلاف من أكثر الموضوعات حساسية في تاريخ الإسلام، فتشعبت بسببها المذاهب والمدارس، حيث كان أساس الخلاف مسألة خلافة رسول الله، وحصلت صراعات دامية بسبب الموقف من هذه المسألة الحساسة. ونحن حينما نقرأ نهج البلاغة لنتتبّع موقف الإمام من إثارة هذه المسألة لا نجد

(١) المصدر السابق. من خطبة له وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام.

(٢) من كلام له في حال نفسه وأوصاف الإمام مطلقاً وفي الوعظ.

(٣) من كلام له بعد ما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: «لو عاقبت قومًا ممن أجلب على عثمان».

حاضرة بقوة، مع أن الإمام علياً عليه السلام هو المعني بالموضوع بالدرجة الأولى، لأنه - كما نعتقد وكما يشير هو عليه السلام - هو صاحب الحق الشرعي في هذا المقام، ولكنه مع ذلك كان يتجاوز إثارته، فما كان يتحدث حوله، ولا كان يثيره، وحينما كان البعض يثيره فإن الإمام كان يمرّ عليه مروراً سريعاً ولا يقف عنده طويلاً.

وهنا علينا أن نتساءل عن حالة الحماس التي نجدها عند الكثيرين في طرح هذا الموضوع بطريقة قد تكون مثيرة للأطراف الأخرى، بينما نجد أن صاحب القضية، وهو الإمام علي عليه السلام ما كان يطرح هذا الموضوع أو يقف عنده بهذه الصورة المبالغ فيها في بعض الأحيان.

إننا عندما نراجع خطب وكتب نهج البلاغة لا نرى الإمام يتطرق كثيراً إلى هذه المسألة إلا بشكل عام وبإعطاء الإشارات واللمحات، بل إن الخطبة الوحيدة التي تطرق فيها بشيء من التفصيل لهذه المسألة - وهي الخطبة الشقشقية - لم تكن تلك العبارات التي تحدّث بها الإمام حول هذا الموضوع إلا في لحظة من لحظات التنفيس وزفرات الألم العابرة، ولم تكن موضوعاً يشغل بال الإمام.

وهي من نواذر الخطب التي تحدّث فيها الإمام عليه السلام عن الخلافة بهذا التفصيل، وهي الخطبة الثالثة في نهج البلاغة، يقول فيها: «أما والله لقد تقمّصها فلان وإنه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السّيل، ولا يزقى إليّ الطّير، فسدلت دونهما ثوباً، وطويت عنها كسحاً، وطففت أرتبي بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصّغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقي ربّه. فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قدى، وفي الحلق شجاً، أرى ثرائي نهياً».

وفي هذه الخطبة يبين عليه السلام موقفه من استلام الخلافة في هذا الوقت وصراعه لمعاوية ليزجه عن ولاية الشام، وهو الذي لم يصارع من أجل الخلافة أيام أبي بكر وعمر وعثمان، فيقول: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النّسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود

النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارَظُوا عَلَى كِبَاطَةِ ظَالِمٍ وَلَا سَعْبِ مَظْلُومٍ لِأَلْفَيْتِ حَبْلِهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتِ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَاهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ».

حيث يشير إلى أنه لو لا ما حصل من تدافع الناس عليه وإبدائهم النصره له، وما أخذ الله على العلماء من واجب لرفع الظلم عن الناس، لألقى حبل الخلافة على غاربها، فهي لا تساوي عنده عطفة عنز.

وبعد هذا المقطع قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ حُطْبَتِهِ فَنَآوَلَهُ كِتَابًا قِيلَ إِنَّ فِيهِ مَسَائِلَ كَانَ يُرِيدُ الْإِجَابَةَ عَنْهَا، فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَطْرَدْتَ حُطْبَتِكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ؟»، فَقَالَ: «هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شَيْشَقَةٌ هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَوَاللَّهِ مَا أَسْفُتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ».

فالإمام في هذه الخطبة كان من الواضح أن حديثه عن موضوع الخلافة كان موضوعاً جانبيّاً، وما تحدّث به كان زفرة من زفرات الألم، وإلا فهو ليس من منهجه الإغراق في الحديث عن هذا الموضوع، لأنه موضوع قد انتهى وتجاوزه إلى واقع جديد. وفي كلمة أخرى له يتحدّث فيها عن موضوع الخلافة، وذلك لما عزم المسلمون على بيعة عثمان، حيث قال: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَاللَّهِ لِأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، التَّمَسَّاسُ لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَرُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزُبُرِجِهِ».

حيث يبين في هذه الكلمة حقّه في الخلافة، ولكنه يعلن عدم إثارته هذا الموضوع ما كان ذلك في سلامة ووحدة الأمة من الفتن والصراعات، بحيث لا يقع الحيف إلا عليه خاصة.

وفي مناسبة ثالثة يسأله أحد أصحابه: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟»، فقال: «يا أبا بني أسدٍ، إِنَّكَ لَقَلْبُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصُّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمَ: أَمَّا الْاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا وَالْأَشْدُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ نَوْطًا، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةً شَخَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ، وَدَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صِيحٌ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ».

إن الإمام في هذه الكلمة حصر موضوع الخلافة في أنه لا يتجاوز كونه استئثاراً من فئة وتسلطاً واستبداداً منها، بسبب ما اعتقدت من أنه مكسب لها، والإمام عندما لم يتنافس في السعي للخلافة، كان تسامياً منه على حطام هذا المنصب، وأن الحساب والمحكمة بيد الله سبحانه الذي نعود إليه جميعنا يوم القيامة.

ثم يلفت السائل إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي ما كان المفترض أن يسأل ويهتم به، وهو الخطر الحاضر والمائل، وهو الصراع مع معاوية، لا أن يشغل باله بحدث تاريخي قد انقضى قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

وهي إلفاته من الإمام علينا أن نأخذ منها الدرس والعبرة، فنحن مطالبون أن نعيش اللحظة الراهنة وما نواجهه من أخطار وتحديات، لا أن نعيش الماضي بهيمومه وصراعاته قبل أكثر من ألف وأربع مئة سنة.

وهذا لا ينافي أن تكون لنا نظرتنا للوقائع التاريخية الماضية، ففي هذه الوقائع تأسست عقائدنا ورويتنا لكثير من القضايا والمواقف، ولكن ليس معنى هذا أن نستغرق في ذلك ونوجه إليه جميع طاقاتنا وتوجهاتنا غافلين عما تعيشه الأمة اليوم من تحديات ومخاطر تحدق بها من كل حذب وصبوب.

وهنا يحضرنى الاستشهاد برأي للمرجع المعاصر، وهو السيد البروجردي أحد أبرز مراجعنا الشيعة في هذا العصر، حيث ينقل عنه تلامذته بأنه كان يرى بأن يركّز

الشيعة في كتاباتهم وخطابهم على توجيه الناس إلى مرجعية أهل البيت العلمية وتوضيح مكانتهم وقدرهم، لا أن يثار موضوع الخلافة، وأحقيتهم في ذلك، لما قد يثيره هذا الطرح من حساسية لا تخدم الواقع المعاصر كما أنها لا تغير شيئاً من واقع قد مضى، والمهم هو أن تستفيد الأمة الآن من توجهات أهل البيت ﷺ ومدربتهم الأصيلة.

مراعاة المصلحة العامة

حينما يكون هناك صراع بين فئتين فمن المفترض أن يكون هناك مراعاة للمصلحة العامة للأمة والدين، وهذه مسألة مهمة جداً، وهذا ما نجده في أمير المؤمنين ﷺ كمثال بارز في سيرته، ومن أمثلة ذلك ما دار بينه وبين عمه العباس ومع أبي سفيان حينما جاء إليه بعد وفاة الرسول ﷺ يعرضان عليه البيعة، حيث رفض ذلك، لأنه رأى أن ذلك يصطدم مع المصلحة العامة للإسلام، مع أنه كان يرى نفسه صاحب الحق، ولكنه رفض الانصياع للرغبة الشخصية حفاظاً على هذه المصلحة.

والأحداث التاريخية تثبت كيف كانت علاقة الإمام علي ﷺ مع الخلفاء جيدة وإيجابية، وما ذلك إلا حفاظاً على الدين والأمة، فالإمام لم يجعل الخلاف على موضوع الخلافة حاجزاً يمنعه من أداء واجبه الشرعي في كل ما من شأنه حفظ ورعاية هذا الدين، ولذلك أشار على الخليفة عمر ألا يخرج لغزو الروم، وألا يخرج شخصياً لقتال الفرس، وهناك أكثر من ثمانين مورداً تذكرها كتب التاريخ والسير أشار فيها الإمام علي ﷺ على الخليفة عمر في شتى الأمور.

وهذا يدل على أن الإمام يأخذ المصلحة العامة بعين الاعتبار، ولا يصح أبداً أن يكون الخلاف - في نظره - على حساب مصلحة الدين والأمة.

وهناك كلمات كثيرة في نهج البلاغة تتناول هذه النقطة أعرضت عنها خوفاً من الإطالة.

ولكّتي أدعو إلى دراسة هذا الجانب في نهج البلاغة، وبخاصة في مثل هذه الظروف

التي تعانيها الأمة، وما نعيشه داخل كل توجه من مزايدات مذهبية، وكأنا أحرص من الدين والمذهب من أئمة المذهب، بينما لو قرأنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام لعرفنا الحدود التي ينبغي أن نتحرك فيها.

وأنقل هنا نصاً للإمام، يوضح فيه رؤيته لمسألة الخلاف، يقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَحْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْخَوِّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِبَاهُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يَبَايَعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلْمًا أَوْ هَدْمًا، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتٍ وَلَا يَتَّكُمُ اللَّيْلُ إِلَّا هِيَ مَتَاعٌ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَّقَشُّ السَّحَابُ، فَهَضَبْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّه»^(١).

الإمام في هذا النص يبيّن استغرابه لتنحيته عن موقعه الشرعي، ولكنه يبيّن أنه أمسك عن البيعة في البداية لكنه لما رأى خطر الردّة عن الإسلام وضياع هيبة الأمة، بايع الخلفاء وساعدهم في مواجهة التحديات.

تصنيف المخالفين وفرزهم

من الممارسات الخطأ أن نصنف جميع المخالفين ونضعهم في سلّة واحدة، وهذا منطوق خطأ، فالإنسان في تعامله مع الآخرين عليه أن يكون دقيقاً في تصنيف الناس من حوله، حتى المخالف والخصم منهم، وهذا ما ينتهجه الإمام علي عليه السلام في تعامله مع خصومه.

لأن هذه حالة نمطية تعميمية في الحكم على الآخرين، فعندما نتحدّث عن الغرب

(١) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها.

- مثلاً - علينا ألا نتحدث عنهم وكأنهم فكر واحد وطبيعة واحدة، بل علينا أن نفرّق بين الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين والألمان وغيرهم من القوميات والثقافات، كما يجب علينا أن نبحث عن المعتدلين منهم في النظرة إلينا، فهناك في الغرب عقلاء ومعتدلون يناصروننا في كثير من قضاياها.

بل نجد هذا الأمر لدى اليهود، ليس كل اليهود مع الصهيونية و ضد قضايا وحقوق الفلسطينيين، فهناك جماعات منهم يناهضون الدعوة إلى قيام إسرائيل ومع عودة الحق الفلسطيني إلى أهله، حتى داخل الأراضي المحتلة.

وفيما يخص الحالة المذهبية، فليس من المقبول أن ينظر إخواننا من أهل السنة إلى الشيعة نظرة واحدة، لأن الشيعة تجمع كبير، وليس من المنطقي أن ينظر إليهم وكأنهم نسيج ورأي وفكر واحد.

كما أنه ليس من المقبول أن ينظر الشيعة إلى إخوانهم من أهل السنة نظرة واحدة. وتعدى ذلك إلى المدارس، فالمدرسة السلفية داخل المذهب السني لا يمكن النظر إليها بنظرة واحدة، واتخاذ موقف واحد من جميع أفرادها، ففي هذه المدرسة المعتدلون، كما أن فيها المتطرفين المتشددين، لذلك من المفترض بالباحث أن يفرز بين هذه التوجهات والخطوط المتعددة داخل كل تيار ومذهب وطائفة.

وهذا ما نراه جلياً في نهج البلاغة في أكثر من مورد، ومن ذلك ما يروى عنه في واقعة الجمل، ففي الوقت الذي يعد كل من طلحة والزبير جبهة واحدة ضده، كان يميز في أسلوب التعامل معها، وذلك عندما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل، إذ قال له: « لا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَحْدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنَّ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةٌ ».

وهذا درس وعبرة لنا عندما نواجه أي جبهة، حيث من المفترض أن نحاول أن ندرس هذه الجبهة المخالفة دراسة فحص وعناية، حتى نقع على ما يمكننا النفاذ بواسطته

إلى هذه الجبهة، وذلك من خلال المعتدلين فيها، ومن يمكن الالتقاء معهم في بعض المواقف والآراء.

وهذا أمر نلاحظه في تعامل الإمام مع خصومه، وذلك في كلمة له حول الخوارج، حيث فرّق الإمام بينهم وبين معاوية، حيث أوصى بأن لا يقتل الخوارج من بعده، يقول: «لا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَهُ»، ويعلّق الشريف الرضي على ذلك بقوله: «يعني معاوية وأصحابه».

الحوار مع الآخر

عندما نطالع نهج البلاغة نجد أن عدد الرسائل التي بعثها الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية في نهج البلاغة فقط أربع عشرة رسالة.

كما أننا نجد في مواضع عدّة من النهج حوارات له مع الخوارج، وحوار له مع طلحة والزبير، وكذلك مراسلات لعمر وبن العاص وغيره من المخالفين.

وهذا يدل على أن الإمام يحاور من يخالفه أيّاً كان، بينما نجد بعض مظاهر الخلاف في مجتمعنا ذي المذهب الواحد والثقافة الواحدة، بحيث إذا تحالف بعض أفراد الذين قد ينتمون إلى توجه يختلف في بعض الجزئيات عن التوجه الآخر لا يقابلان بعضهما إلا بوجه مكفهر، ولا يسلمان على بعضهما بعضاً، ولا يتزاوران أو يجلسان في مجلس واحد.

هذا الأسلوب ينم عن تخلف في الرؤية، لأن الاختلاف في الموقف لا يفسد للوّد قضية، ولا يؤدي إلى هذا النوع من القطيعة، وهو خلاف التعاليم والآداب والمبادئ التي ورثناها عن أئمتنا، فها هو الإمام علي (عليه السلام) يحاور معاوية والخوارج، وجميع خصومه وأعدائه، لأن هذا الموقف منه يدل على قوة في الرأي والحجة يمتلكها من يتمسك بمبدأ الحوار، وفي المقابل يدل موقف القطيعة وعدم المواجهة على ضعف في الحجة والرأي.

آداب وأخلاقيات الصراع

نكتفي في هذه النقطة بذكر موقفين للإمام، أولهما كلمة للإمام علي (عليه السلام) لما سمع

بعض أصحابه يسبون أهل الشام، حيث قال لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنتكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتهم حالهم كان أضوب في القول وأبلغ في العذر، وقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْتِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَزْعَوِي عَنِ الْعِيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ».

فما قبل من أفراد جيشه أن يواجهوا جيش معاوية بأسلوب الشتم والسب، حتى لو كان ذلك في حال معركة وصراع مسلح.

وفي موقفه من أم المؤمنين السيدة عائشة عندما سئل عنها، حيث تحدّث حديثاً مختصراً، فقال: «وَأَمَّا فَلَانَةُ [أي السيدة عائشة]، فَأَذْرَكَهَا رَأْيِي النَّسَاءِ [الحالة العاطفية الغالبة على النساء]، وَضِعْتُ عَلَا فِي صَدْرِهَا كِمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى».

فالإمام بعد أن يتحدّث عن موقف السيدة عائشة وما قامت به من دور سلبي في محاربتة، فإنه بعد ذلك يقول: «وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى»، فلها مكانتها من أنها زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين، وأن ما قامت به يحاسبها الله عليه يوم القيامة، أما في الدنيا فلها احترامها ومكانتها.

كما أن الإمام علياً عليه السلام زارها في منزلها بالبصرة بعد انتهاء معركة الجمل زيارة احترام، وأعادها بعد ذلك إلى المدينة المنورة المنورة معرّزة مكرّمة.

ولذلك أوكد هنا على أن يكون تعاملنا منسجماً مع تعامل الإمام أمير المؤمنين مع السيدة عائشة، مع انسجامنا مع الإمام علي عليه السلام في موقفه منها، فنخطئ موقفها في حربها للإمام علي عليه السلام وندينه، ولكن علينا أن نراعي - في تعاملنا مع السيدة عائشة - حرمة رسول الله ﷺ.

كلمة أخيرة

موضوع آداب وأخلاقيات الصراع في نهج البلاغة موضوع كبير وواسع، والنهج

مليء بالأخلاقيات والآداب حول هذا الموضوع، ولا يمكن لهذه العجالة أن تفي بالموضوع حقّه، لذا أدعو من هذا المنبر إلى دراسة النهج انطلاقاً من هذه النقطة والتوسّع فيها، فهي نقطة غنية بماداتها ودلالاتها ونتائجها، وحرّيّ بنا أن نسترشد الهدي العلوي في نظرتنا وتعاملنا مع الآخر من خلال ما لدينا في هذا السفر العظيم، الذي يضم في طياته علماً جماً لما يكشف عنه بعدد، يتجدّد مع مرور الأيام وتعاقب الأزمان.

الحوار القرآني مع سماحة الشيخ حسن موسى الصفار

ندوة قرآنية ضمن فعاليات الاحتفال بمناسبة افتتاح
برنامج دبلوم علوم القرآن الكريم في مؤسسة
علوم القرآن بأمر الحمام بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة
١٤٢٨هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٧م.

الأستاذ محمد الشيب: سماحة الشيخ حسن الصفار، أهلاً وسهلاً بك في مؤسسة لقيت منكم الاهتمام والدعم والرعاية منذ بدء نشأتها... ونحن في مؤسسة علوم القرآن الكريم سعيدون بتشريفكم لهذا الحفل، والمؤسسة في مرحلة جديدة من مراحل نموها وتكاملها، وهي مرحلة منح شهادة دبلوم علوم القرآن الكريم، ونتمنى أن يكون هذا اللقاء إن شاء الله نواة للقاءات موسعة حسبما تتيح الفرصة، وحسبما يتيح وقتكم الثمين لكي نستفيد من توجيهاتكم ورعايتكم.

■ في البدء سماحة الشيخ ضمن زيارتكم العديدة لكثير من الدول الإسلامية، واهتمامكم بالنشاط الإسلامي العام، والنشاط الاجتماعي،

كيف ترون اهتمام العالم الإسلامي بالقرآن الكريم، وهل يرقى هذا الاهتمام إلى المستوى المطلوب؟ وما هي النسبة في هجر القرآن الكريم؟ هل هي في تراجع أم في ازدياد سلباً أو إيجاباً؟

الشيخ الصفار: أود في البدء أن أعبر عن بالغ سروري وعميق سعادي بمشاركتكم في هذا البرنامج القرآني الرائع، كما أسجل تقديري للإخوة الأعزاء في مؤسسة علوم القرآن الكريم على ما يبذلونه من جهد، وما يقدمون من خدمات كبيرة لكتاب الله المجيد، وللمجتمع من خلال خدمتهم للقرآن، إنهم يستحقون كل شكر وتقدير، أسأل الله سبحانه وتعالى لهم عظيم الأجر والثواب، وأن يحقق على أيديهم الآمال والتطلعات.

بالنسبة للسؤال المطروح حول اهتمام العالم الإسلامي بالقرآن الكريم: نرى أن هناك اهتماماً في ساحات كثيرة، وضمن مشاريع عديدة، بالقرآن الكريم، في مختلف بقاع العالم الإسلامي، ولكننا لو أردنا أن نرسم الصورة العامة لواقع العالم الإسلامي، لرأينا أنه في هذا العصر، وجَّهت إساءة كبرى للقرآن الكريم، لم يحدث أن وجَّهت مثلها في عصر من عصور الإسلام السابقة، في هذا العصر، عصر العولمة، وعصر تفتح العقول والأذهان، وعصر تعطش البشرية للينايع الروحية الموجودة في القرآن الكريم، في هذا العصر بالذات، ابتليت الأمة بتيارات وتوجهات خلقت صورة مشوهة للقرآن والإسلام أمام الرأي العام العالمي، ولم تحصل في التاريخ الماضي جراءة على القرآن والإسلام على المستوى الثقافي والإعلامي، بهذا المستوى الذي حصل في هذا العصر، تجدون السياسيين والمثقفين في المجتمعات الغربية يتبارون في إظهار الإساءة إلى الإسلام، وقبل أيام لعلمكم تابعتم خبر تكريم ذلك الكاتب الذي حاول تشويه القرآن والإسلام وسيرة رسول الله ﷺ المرتد سلمان رشدي، تكريمه من قبل أعلى المستويات في بريطانيا، حيث سلمته الوسام ملكة بريطانيا، وواضح أن هذا التكريم تكريم لدور الإساءة الذي قام به تجاه الإسلام،

وقبل ذلك ما حصل في الدانمارك، بنشر الرسوم المسيئة إلى رسول الله، والكتابات التي تحصل في أمريكا، والتشويه الإعلامي عبر مختلف الوسائل، وكذلك كلما سمع العالم عن الأعمال الإرهابية التي تجري في مختلف أنحاء العالم، وأنه يكون خلفها أناس متمون إلى الإسلام، ويتظاهرون بتقديس القرآن، هذا تشويه كبير، وأعتقد أن المعركة الكبرى اليوم، التي يجب أن يخوضها العالم الإسلامي، وأن يخوضها المسلمون في هذا العصر، يجب أن تكون لإنقاذ القرآن وإنقاذ الإسلام من مختطفيه، الإسلام مختطف في هذا العصر من قبل تيارات التشدد والإرهاب، اختطفت الإسلام ورسمت له صورة مشوهة أمام الرأي العام العالمي، قد يقول البعض إنها أيادي استعمارية، ومؤامرات استكبارية، هذا قد يكون صحيحاً، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل أن هناك أرضية خصبة ساعدت على نمو هذه التيارات في أوساط المسلمين، ولهذا نعتقد أن العالم الإسلامي بحاجة إلى جهد كبير في هذا العصر، حتى يرمم، وحتى يتلافى التشويه الذي حصل لصورة الإسلام، ولقداسة القرآن أمام الرأي العام العالمي، ولا يصح لنا أبداً أن نرضى عن أنفسنا لمجرد وجود بعض الأنشطة القرآنية داخل مجتمعاتنا الإسلامية، إننا لا نستطيع أن نرمم هذا الضعف الذي حصل في سمعة الإسلام والقرآن أمام العالم، إلا إذا أطلقنا حملة واسعة، يجهر فيها العدد الأكبر من علماء الإسلام بأرائهم ضد الإرهاب، وضد التخلف والاستبداد، بحيث يرى العالم الغربي الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين، صورتنا أصبحت مخجلة أمام العالم، بسبب هذه التوجهات الإرهابية المتشددة المتطرفة، إذ مع التقدير للأنشطة القرآنية الموجودة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من اهتمام بطبع القرآن إلى اهتمام بحفظ القرآن وتلاوة القرآن وترتيل القرآن، لكن ذلك كله ليس في مستوى التحدي، ولا يستطيع أن يغيّر الصورة المشوهة التي ارتسمت للإسلام والقرآن.

■ الأستاذ محمد الشيب: سماحة الشيخ كيف تقومون مدى الاهتمام

بالقرآن في أوساط أتباع أهل البيت؟

الشيخ الصفار: لا بد أن نعترف أن هناك قصوراً وتقصيراً كبيرين، على مستوى حوزاتنا العلمية، ومجتمعاتنا، وهذا ليس اتهاماً من أحد يوجه للحوزات العلمية، وإنما هو اعتراف وإقرار من علماء كبار في حوزاتنا العلمية، لاحظوا هذا التقصير ودعوا إلى تجاوزه ومعالجته، في حوزاتنا العلمية لم يأخذ القرآن الكريم المكانة التي يجب أن يأخذها في مجتمع ينتمي إلى الثقيلين كتاب الله وعترة رسول الله ﷺ، كما قال رسول الله ﷺ فإن التمسك ينبغي أن يكون بهما «فإنكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي»، وأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يأمرونا أن نعرض أحاديثهم، وما ورد عنهم على القرآن الكريم، وأعتقد أن بعض ما تسرّب إلى تراثنا الشيعي من أخطاء ومن غلو، من أسبابه الرئيسية ضعف الثقافة القرآنية، وعدم محورية القرآن، ليس على نحو العموم، وإنما على نحو الأغلب، لو أننا في الأحاديث والروايات والعادات والتقاليد عرضنا كل ما في تراثنا على القرآن الكريم، لاستطعنا أن نميّز بين كثير من الغث والسمين، بين الصحيح والخطأ، بينما ينبغي أن يقبل وما لا يقبل، أئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام حذرنا من أن هناك كذباً كثيراً عليهم، من أن هناك دساً في كتبهم، كما روى هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله ﷺ يقول: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد) ^(١)، وبالفعل على الصعيد النظري العلمي، ليس عندنا كتب صحاح نعتمدها بالكامل، لعل من الفوارق الأساس بيننا وبين مدرسة إخواننا أهل السنة، أن عندهم بعض الكتب، اعتبروها صحاحاً كصحاح البخاري، وصحيح مسلم، ولكن

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٥٠، الطبعة الثالثة ١٩٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

علمائنا لم يعتبروا أياً من الكتب والمجاميع الحديثية مقدسة، بحيث أن كل ما فيها صحيح، هناك بعض الآراء عند بعض علمائنا السابقين ترى صحة ما ورد في الكتب الأربعة: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، لكن رأي المحققين من علمائنا، وهو الرأي السائد عند فقهاءنا، أن هذه المجاميع الحديثية يجب أن يخضع كل حديث فيها لقواعد علم الرواية والدراية، بناءً على ذلك كان ينبغي أن نعرض هذه الروايات والأحاديث على كتاب الله، وفق الضوابط العلمية، وبالتالي نميّز ما بين هذه الروايات والأحاديث، وهذا في المجال الفقهي معمول به، في البحوث الفقهية نجد أن هناك دقة الفقهاء يبذلون جهوداً كبيرة، كل حكم شرعي يبحثون عن آيات الأحكام فيه، ويبحثون عن الروايات، ويبحثون عن آراء الفقهاء، وبالتالي كل مسألة فقهية عندنا حولها تراكم علمي معرفي على ما هنالك من ملاحظات في المسار الفقهي، ولكننا نعاني من مشكلة كبيرة في المجال العقدي والتاريخي، حيث لم تبذل جهود كافية لتمحيص تفاصيل المسائل العقائدية والأحداث التاريخية، وتركت لهذا التراث المتراكم، وللآراء الدخيلة، وكذلك في المجال السلوكي والأخلاقي، كثير من القضايا الأخلاقية التي يعبر عنها بالمستحبات والسنن بناءً على قاعدة التسامح في أدلة السنن لم يجر البحث في كثير منها، ولم تحصل محورية لآيات القرآن الكريم على هذا الصعيد، لذلك تجد في بعض الأحيان تُقدم بعض الروايات والأحاديث الضعيفة على آيات قرآنية محورية، وهذا ما رفضه أئمتنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، حيث قدموا قيمة الوحدة مثلاً، وقيمة العدالة، وقيمة الحرية، هذه القيم الأساس التي ينادي بها القرآن على كثير من القضايا الجانبية.

■ الأستاذ محمد الشبيب: بالتحديد في منطقة القطيف الكثير من المؤسسات القرآنية التي وجهتم قبل سنوات إلى ضرورة توحيدها، وتوحيد المسمى، وطباعة المناهج، وإقامة المسابقات الموحدة، ما هي

توصياتكم في هذا المحفل في هذه المؤسسة؟

الشيخ الصفار: لأنكم أشرتُم إلى هذا الاقتراح أود التوضيح، إننا في محافظة القطيف لدينا أنشطة في مختلف المجالات في مدننا وقرانا، وهذا أمر جيد وممتاز، نحن بحاجة إلى مرحلة جديدة، أن تصبح عندنا مؤسسات كبيرة في كل مجال على مستوى المحافظة، وتكون لها فروع في مختلف المناطق، مثلاً النشاط القرآني جميل أن تكون عندنا في كل مدينة وقرية مؤسسة قرآنية، ولكن ينبغي أن تكون مؤسسة مركزية على مستوى المحافظة، بحيث تصبح هذه المؤسسات القرآنية أشبه بالفروع لها وضمن هذه المؤسسة القرآنية على مستوى محافظة القطيف، يكون هناك تعاظم على المستوى الوطني والعالمي، وتعاون في المناهج، لا أعتقد أنه من المناسب أن يكون لكل قرية منهج خاص يختلف عن القرية الأخرى، أو برامج خاصة، يحتاج أن نفكر في هذه المحافظة كمنطقة، وكوحدة اجتماعية، وتكون عندنا مؤسسات مركزية لمثل هذه المجالات، فعلى مستوى المملكة يوجد مؤسسات قرآنية ضخمة، الدولة تتعاظم معها، والعالم يتعاظم معها، نحن لا نستطيع أن نتعامل على مستوى مؤسسات جزئية في كل قرية، هذا مقترح قابل للنقاش، نحتاج إلى مؤسسة مركزية، يتم فيها تراكم الخبرة والتجربة، ويتم التعامل على المستوى الوطني والعالمي، مثلاً نحن بحاجة إلى موقع الكتروني قرآني، تشارك فيه مختلف الطاقات والقدرات، بحيث يكون موقع على المستوى العالمي، كما نرى موقع إسلام أون لاين، وموقع الإسلام اليوم، مواقع ضخمة، يعمل فيها عشرات الأفراد إن لم يكن مئات الأفراد، ولها ملايين الزائرين، ولا يصح أن نكتفي بمواقع صغيرة على مستوى قرانا ومناطقنا، بحيث يشتغل بها شخصان أو ثلاثة، ويدخل عليهم مائة أو مائتي زائر، هذا مستوى ينبغي أن نتجاوزه، نحتاج إلى موقع الكتروني قرآني يعبر عن كل المنطقة، وتشارك فيه كل الجهود، كذلك بالنسبة إلى المجالات، نحن بحاجة إلى مجلة قرآنية مركزية، تعبر عن

المستوى الرفيع في دراساتنا القرآنية، وهذا يحتاج أن نقتنع بهذه الفكرة إن وجد أنها فكرة صالحة، وإلى أن نتحلى بالمرونة النفسية، بحيث نتجه إلى الهدف، وإلى المقصد الأساس، وليس مسألة الانتصار لقريتي ولجماعتي، بمقدار ما نسعى لإظهار هذه المنطقة بالمظهر اللائق، وتكريس الخبرات والتجارب فيها.

■ الأستاذ محمد الشيبب: قبل ختام الحوار، سماحة الشيخ هنالك العديد من التفاسير عند الشيعة والسنة، على الصعيد الشخصي إلى أي هذه التفاسير ترجعون عادة عند البحث حول آيات الكتاب المجيد؟

الشيخ الصفار: أنا شخصيًا في أي آية، ارجع إلى مجموعة من التفاسير، وفي بعض الأحيان حينما أحتاج إلى تعمق أكثر في الآية الكريمة، فإنني ارجع إلى مجموعة أكبر من التفاسير.

على المستوى الشيعي، أرجع إلى تفسير الميزان للسيد الطباطبائي، وتفسير الأمل للشيخ مكارم الشيرازي، وتفسير من هدى القرآن للسيد المدرسي، وتفسير من وحي القرآن للسيد فضل الله، أما إذا كانت آيات أحتاج فيها إلى بحث أكثر، فإنني أرجع إلى عدد أكبر من التفاسير، كتفسير السيد السبزواري، وتفسير الدكتور الصادقي، وتفسير مجمع البيان، وتفسير الشيخ محمد جواد مغنية، أما في تفاسير إخواننا أهل السنة، فإنني عادة ما أرجع إلى تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وإلى تفسير الشيخ السعدي باعتباره يعبر عن وجهة النظر السلفية في المملكة، لذلك أحرص على الرجوع إليه، وإلى تفسير في ظلال القرآن للسيد قطب، وحينما تكون الآية تحتاج إلى بحث أكثر أرجع إلى الفخر الرازي، والطبري، والآلوسي، وسائر التفاسير.

مؤسسة علوم القرآن الكريم تتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ حسن الصفار ولجميع من ساهم في خدمة القرآن الكريم.

وفي ختام الحفل قام سماحة الشيخ الصفار بتقديم الجوائز للمعلمين والإداريين المتميزين في المؤسسة، والطلاب المتفوقين، والمتحقيقين بدورة التجويد التمهيديّة للكبار، وشارك في تقديم الجوائز رئيس جمعية أمّ الحمام الخيرية الأستاذ ماجد عبد العال، وأدار الحفل فضيلة الشيخ إبراهيم الحجاب، وحضره حشد كبير من المواطنين.

تحويل التجربة العملية للمؤسسات الدينية في المنطقة إلى تجربة مكتوبة^(١)

استضافت جماعة الهدى للتعليم بالقديح سماحة الشيخ حسن الصفار في زيارة تفقدية لمواقع التعليم للجماعة، في مسجدي السدرة والإمام علي، وذلك مساء يوم الأحد ٣٠ / ٠٦ / ١٤٢٨ هـ - ١٥ / ٠٧ / ٢٠٠٧ م، حيث ألقى سماحته كلمة تشجيعية على أعضاء الجماعة من هيئة تدريس وكادر إداري وتنفيذي بالجماعة.

وقد ركّز سماحة الشيخ الصفار في كلمته على ثلاث نقاط، تحدث في أولها عن «أهمية التعليم الديني كعمل عبادي» له من الأجر والثواب الشأن العظيم. وفي النقطة الثانية أشار سماحته إلى «المردود الشخصي من هذه الأعمال»، التي تتمثل في الخبرة في مجال العمل والإدارة وتطوير الذات، التي يكتسبها العامل في الشأن الاجتماعي والثقافي من خلال تراكم هذه التجربة والخبرة.

(١) إعداد: حسين الشيخ.

وفي النقطة الأخيرة تحدث سماحته عن أهمية تطوير العمل والذات مع الاستمرار في هذه الأنشطة. فَيَبِينُ ما ينقص مجتمعنا من وجود قيادات فاعلة في المجتمع، وذلك بسبب عدم تطوير الذات في العمل الوظيفي والاجتماعي، داعياً في هذه النقطة إلى كتابة هذه التجربة الميدانية لجماعة الهدى وتوثيقها وتنميتها من خلال المقترحات والخطط التي يقدمها أفراد الجماعة، ما يمهد الطريق لأن تستفيد باقي الجماعات الأخرى من هذه التجربة الغنية.

جدير بالذكر أن جماعة الهدى للتعليم تأسست عام ١٤١٥هـ كتطور لجماعة تعليمية تهتم بتعليم أحكام الصلاة وبعض الأحكام العبادية الأخرى، تمتد لأكثر من ٢٥ سنة، ويتشكل معظم الكادر التعليمي والإداري لهذه الجماعة من خريجي هذه الدورات التعليمية.

وتعد الجماعة من أنشط وأوسع الجماعات التعليمية في المنطقة، حيث تستقبل سنوياً أكثر من أربع مئة طالب، وفي هذا العام بلغ عدد الطلبة المستفيدين من برنامجها الصيفي ٤٩٥ طالباً، للأعمار من السابعة وحتى الخامسة عشرة، وبلغ عدد الكادر التعليمي والإداري أكثر من ٨٠ شخصاً.

ويتضمن البرنامج الصيفي للجماعة: تعليم الفقه والأخلاق والعقيدة والسيرة والتفسير، بالإضافة إلى العديد من الأنشطة الطلابية، في مجالات: الخط والرسم والإنشاد والمسرح والرحلات الترفيهية والدوري الرياضي.

نص الكلمة : أهمية الانخراط في العمل الخيري

في البداية أعرب عن سروري وتقديري لهذا الجهد المبارك الذي تبذلونه في احتواء أبناء المجتمع وتعليمهم وإرشادهم، فهذا العمل الذي تقومون به من خلال هذه الحلقات والدورات يعد من أفضل الأعمال من حيث الثواب والأجر عند الله سبحانه، وهذا قول ليس للمجاملة أو المبالغة، وإنما هو ما تؤكّد عليه كثير من الروايات التي تعجّ بها مصادرنا

الحديثية حول فضل التعليم والإرشاد وهداية الناس.

وبخاصة أن هذا العمل ليس له عائد شخصي مصلحي على الإنسان، وإنما عائدته أخروي ديني اجتماعي، وانطلاقاً من هذه الزاوية يُعْبَط الإنسان الذي تكون لديه مثل هذه الفرص التي سنحت لكم، وخسرها كثيرون، أسأله تعالى أن يوفقكم وأن يديم البركة في أعمالكم وأرزاقكم ونشاطكم.

أعمال الخير والصالح تعود على صاحبها بالنفع، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. تفيد هذه الآية الكريمة، بأن الإنسان الذي يبذل جهده في أعمال الخير، وخدمة المصلحة العامة، سيكون انعكاس ذلك عليه بالدرجة الأولى، ولا تنحصر فائدة عطائه على الآخرين فقط، إنما هو في الأصل عطاء للذات. ويمكن تصور كيف يكون ذلك عائداً على الذات من نواحٍ ثلاث:

١. الأجر والثواب الجزيلين الجهد الذي يبذله الإنسان من أجل المصلحة العامة وخدمة الآخرين له ثواب وجزاء عظيم عند الله، وهذا ما تواترت حوله النصوص الدينية المتضافرة.

وفيما يخص التعليم الديني، لدينا روايات ونصوص كثيرة وردت تبين ما له من الفضل والثواب، ومن ذلك ما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن امرأة حضرت عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عثرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك أرايت من اكرتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة ألف دينار يثقل عليه؟، فقالت: لا. فقالت: اكرتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل عليّ.

فإذا كانت سيدتنا الزهراء عليها السلام تطمع في ثواب التعليم والهداية، فكيف لا يكون

بقية الناس العاديين حريصين على ثواب الهداية والتعليم؟! وروي عن أبي عبد الله الإمام الصادق قال: معلم الخير تستغفر له دواب الأرض، وحيتان البحر وكل صغيرة وكبيرة في أرض الله وسمائه.

ولذلك يُنقل أن الشهيد المطهري كان يوجه المعلمين في إيران بأن يتوضؤوا قبل الذهاب إلى التعليم، وأن ينوي كل معلم في وضوئه بأنه يذهب إلى عبادة الله. ذلك لأن الاهتمام بالتعليم وأداءه على طهارة وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يعد من أفضل الأعمال العبادية التي يُتقرب بها إليه سبحانه.

وعندما يقوم الإخوة المعلمون في جماعة الهدى بهداية وتعليم هؤلاء الصبية طوال هذه السنوات، فهو من أفضل الأعمال الخيرة الطيبة المباركة. وأنتم بذلك تربون جيلاً كاملاً على الانتهاء والاستقاء من ندير الإسلام، وهذا له من الأجر والثواب ما لا يعد ولا يحصى.

٢. تبلور طاقات الإنسان وقدراته الإنسان تتبلور طاقته وقدراته من خلال العطاء، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَالْعِلْمُ يَزُكُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ». اكتساب الإنسان للقدرات الذهنية والفكرية والمهارات الإدارية في التوجيه والتنسيق أمر يحتاج إلى تدريب ومران، ومن أجل ذلك تعقد الدورات لدى كبريات المعاهد ومراكز التدريب على مستوى العالم.

لذلك تكون الفترة التي يقضيها المتطوع، ويتعامل فيها مع مختلف الشرائح، فرصة جيدة تكسبه كثيراً من هذه القدرات والمهارات، ومن خلالها يصقل نفسه وينميها، ويكتشف ما لديه من مواهب وطاقات.

إن الإنسان المتطوع لعمل الخير في الشأن الاجتماعي والثقافي إذا توجه بفكره إلى هذه الأعمال يستفيد منها بشكل كبير جداً، وبذلك يكون مصداقاً عملياً للآية الكريمة: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾.

في ثقافتنا الإسلامية، يستفيد الإنسان من أي عمل بمقدار ما يقبل على هذا العمل، فالصلاة يستفيد منها الإنسان بمقدار ما يتوجه بقلبه إليها، أما في حال كانت مجرد طقوس روتينية يارسها دون توجه فعلي، فإنه لا يحصل منها على التأثير المطلوب.

وكذلك الأعمال الخيرة التي تقومون بها، إنكم تستفيدون منها بمقدار إقبالكم عليها. ولذلك فليعلم الإخوة الذين يعلمون في هذه الحلقات، أنهم في حال توجهوا للاستفادة من ممارستهم للتعليم، فإنهم يقدمون لأنفسهم فرصة للرقى والتقدم، ولنمو الطاقات والمواهب في ذواتهم.

٣. تطوير الذات من خلال الممارسة وفي هذه النقطة أودّ الإلفات إلى أمر مهم، وهو ما نشعر به من الحاجة الماسة إلى الكفاءات والقدرات القيادية، وهو أمر لا يعود لنقص في أبناء المجتمع، وإنما لأن الغالبية منهم لا يعطون لأنفسهم الفرصة في تبلور طاقاتهم وقدراتهم، ولهذا تصبح العناصر القيادية محدودة في مثل هذه المجتمعات.

الإنسان يحتاج إلى خبرة وتجربة، ولذلك تهتمّ الشركات والمؤسسات بخبرة الإنسان العملية، ويحسبون لها حساباً.

وأنتم بانتمائكم إلى هذا العمل الخير تكتسبون خبرات اجتماعية وتنظيمية من المفترض أن تستفيدوا منها في واقعكم العملي، وأرجو ألاّ تتحوّل هذه الحلقات والدور الذي تمارسونه إلى حالة رتيبة وعمل اعتيادي، بل ينبغي أن يكون هناك تفكير لتطوير أدائكم وقدراتكم وطاقاتكم.

وهذا هو الفارق الكبير بين الناس الناجحين المتقدمين، وبين أولئك العاديين. لدينا في المنطقة موظفون ومتخصصون في شتى المجالات، فهناك المعلم والمهندس والطبيب والعامل والفني، وغيرها من التخصصات والمهن.

ومما يؤسف له ان معظمهم يقضي سنواتٍ طوالٍ في عمله، إلى أن يحال على التقاعد،

دون أن يكتب وريقات حول تجربته وخبرته في مجال تخصصه، فكم من معلمي اللغة العربية في منطقتنا ألف كتابًا حول تجربته في مجال تدريس هذه المادة، وكم طبيبٍ تقاعد وأفاد من يأتي بعده ببحث حول تجربته في الطبابة، وكم من مزارع كتب حول الزراعة، وصفات بعض منتجات المنطقة؟ ولذلك أدعوكم فيما يخص نشاطكم التربوي ونطاق عملكم إلى أن يفكر كل فرد من أفراد كادر جماعة الهدى - من خلال احتكاكه بالأبناء وتدريسه لهذه الأفكار - أن يكتب عن هذه التجربة.

وأنا أنتظر - ولو من بعضكم - أن يظهر هذه التجربة على شكل دراسة حول تعليم المواد الدينية، ويشير إلى ما لديه من أفكار وتجارب ومقترحات مفيدة، أرجو أن تبادروا وتكتبوا في هذا المجال، لأنكم بذلك ستكونون السباقين.

وهذه ليست من الأمور الصعبة، لأنَّ أيًّا منكم إذا اعتصر ذهنه، وركّز فكره، يصل إلى أفكار جديدة، فالذين وصلوا هم بشر أمثالكم، ولكنهم حاولوا أن يحولوا تجربتهم إلى مادة مكتوبة يستفيد منها من يأتي بعدهم، فبعضهم قد نجح، والآخر يكفي أنه قد بادر وحاول، لذلك أرجو أن يكون لديكم الثقة بأنفسكم، فهذه المبادرات ستكون من المبادرات الجديدة، التي ستصبح مراجع تعتمد في هذه المجالات.

وأنا أَعُدُّ نفسي من المهتمين بهذه النوعية من الدراسات، وأحس بفخر واعتزاز كبيرين عندما تظهر عندنا دراسات جادة في هذه المجالات، وأن تكون هذه الدراسات من هذه المنطقة.

ركزوا وفكروا جيدًا وستطورون من أسلوب عملكم وممارستكم، يجب أن تحولوا هذه الممارسة إلى فكرة وتجربة مكتوبة، وهو أمر لا أقترح أن تقوموا به هنا فقط، بل في كل مكان تتواجدون فيه، وبخاصة في مجال عملكم وتخصصاتكم.

ومن الجيد أن تكون لديكم دراسات ميدانية تمس عملكم الأساس، وهو الاعتناء

بإعداد جيل صالح.

بحيث تكون لديكم أرقام واضحة حول أعداد الطلاب الذين التحقوا بهذه الدورات، ومن الذي تخرج منها، ومعلومات تفصيلية عن هؤلاء الطلاب حول مراحلهم الدراسية وتخصصاتهم العلمية، وتوجهاتهم في العمل الخيري، وهذا يتم عادة بالتواصل مع هذه الشريحة التي كانت في يوم من الأيام ضمن أفراد هذه الحلقات، ولذلك عليكم في البدء أن تهتموا بمسألة التواصل الدائم معهم، لتكون وسيلة جيدة لمعرفة مدى نجاح وتحقيق أهداف هذه الدورات، والأفكار التي تحاولون غرسها في نفوسهم.

فتكون لديكم إحصاءات عن عدد المتفوقين دراسياً منهم، أو من التحق منهم بدراسة العلوم الدينية، وكذلك من التحق بالعمل الاجتماعي والخيري، ومَنْ مِنْهُمْ له سيرة حسنة في المجتمع.

وهذا أمر تطبّقه أكثر الجامعات الراقية في العالم، حيث يقومون بعمل ما يشبه الرابطة للطلاب المتخرجين. إن آثار بذل الجهد التي تتحدّث عنها الآية الكريمة لا تأتي إلا بعد إقبال واعٍ على هذه الأعمال، ونية جادة لتطوير الذات من خلال تراكم الخبرات والتجارب في مثل هذه الأعمال.

أسأل الله تعالى لكم مزيداً من التطوير والتجديد والتوفيق وجزيل الثواب، إنه تعالى ولي كل ذلك، وهو أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

معطيات الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام

بدعوة من القائمين على مأتم بن زبر (المنامة: البحرين) شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الاحتفال المقام بمناسبة ميلاد الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام المهدي عليه السلام.

وقد أقيم الحفل الذي شارك فيه بالإضافة لسماحة الشيخ الصفار كل من السيد أحمد الماجد، والشاعر الأستاذ/ عدنان الحلواجي، ليلة الخميس ١٥/٨/١٤٢٨ هـ الموافق ٢٩/٨/٢٠٠٧ م.

وقد التقى سماحة الشيخ على هامش الحفل مجموعة من العلماء، منهم الدكتور حميد النجدي.

هذا وقد تحدث سماحة الشيخ الصفار عن المعطيات التي نستفيدها من إيماننا بقضية الإمام المهدي، والواجبات التي يجب أن نتحملها.

وهذا مختصر الكلمة التي ألقاها سماحته:

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم، بعث الله رجلاً من

أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً^(١).

الإمام المهدي قضية إسلامية لا يستطيع أن يتنكر لها أي مسلم يرى نفسه ملزماً بقول رسول الله ﷺ لأن الأحاديث الواردة عنه ﷺ لا تقبل الإنكار ولا تقبل التأويل في هذا المجال، ولذلك أجمع علماء الأمة إلا من شذَّ منهم على التأكيد على هذا الموضوع وأن الله يبعث في آخر الزمان من يصلح أمر الدين والأمة وينشر العدل والحق في العالم كل العلماء المسلمين في مختلف مذاهبهم ومدارسهم، حتى المدرسة السلفية قرر رموزها هذه الحقيقة، قال الشيخ ابن تيمية: (إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم)^(٢).

وتحت عنوان: (خروج المهدي حقيقة عند العلماء) ذكر المحدث السلفي المعاصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أسماء ستة عشر عالماً من كبار أئمة الحديث قد صححوا أحاديث خروج المهدي^(٣).

ونشرت مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بحثاً للشيخ يوسف البرقاوي تحت عنوان (عقيدة الأمة في المهدي المنتظر) جاء فيه:

(إن موضوع المهدي من علامات الساعة الكبرى وأشراتها العظمى التي أخبر عنها رسول الله، فأشراط الساعة الكبرى من الأمور الغيبية التي كلف الله عباده بالتصديق بها، والإيمان بمدلولها، وعقيدتنا تملي علينا وجوب الإيمان بذلك).

ونقل عن السفاريني الحنبلي قوله:

«من أشراط الساعة التي وردت فيها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار من

(١) سنن أبي داود: حديث ٤٢٨٣.

(٢) ابن تيمية الحراني: شيخ الإسلام أحمد، منهاج السنة ج ٤ ص ٢١١ الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٤ ص ٣٨ حديث ١٥٢٩.

العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر الإمام المهدي المتقدي بأقواله وأفعاله الخاتم للائمة فلا إمام بعده، كما أن النبي هو الخاتم للنبوته والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده»^(١).
وقد جمع الشيخ لطف الله الصافي في كتابه (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي من كتب الفريقين السنة والشيعه فبلغت (٦٢٧٧) حديثاً^(٢).

إذاً فالقضية ثابتة لسنا بحاجة لمناقشتها، هناك نقاش في التفاصيل على مستوى النقاش الوارد في مختلف المسائل العقائدية من كتاب التوحيد إلى الكتب الفقهية في أحكام الصلاة والوضوء.

ولكن لماذا التأكيد على الإيمان بهذه القضية والدعوة للتمسك بها؟
هناك معطيات كبيرة وعظيمة للإيمان بقضية الإمام المهدي ﷺ ستحدث عن أهم أربعة:

أولاً: روح الأمل

إحياء روح الأمل في نفس الإنسان المسلم وفي الأمة المسلمة التي تتعرض في مسيرتها للنكسات والمصاعب والعقبات والاعتداءات.

وأي اعتداء على الأمة إنما يهدف في الأصل ثقته في نفسها، العدو يريد أن يوقع الهزيمة النفسية ببث اليأس والقنوط في نفوس أبناء الأمة، وإذا ما سيطر اليأس والإحباط على النفوس فإن الأمة لا تستطيع المواجهة والمقاومة، لذلك لا بد من وجود جذوة الأمل في النفوس، الإيمان بالإمام المهدي ﷺ هو الذي يجعل جذوة الأمل متقدة دائماً في نفوس المؤمنين الذين، مع كل ما يصيبهم من عقبات ومصاعب يثقون بنصر الله تعالى، وأن

(١) البرقاوي: يوسف بن عبد الرحمن، عقيدة الأمة في المهدي المنتظر، مجلة البحوث الإسلامية عدد ٤٩ ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) الصافي: لطف الله، منتخب الأثر، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ مركز الكتاب، طهران - إيران.

العاقبة للمتقين، وأن الباطل إلى زوال وانتهاء، وأن الحق سيظهر ويتنصر.
 قضية الأمل من القضايا المهمة التي تحتاجها الأمة اليوم، فقد عانت من بث روح
 الهزيمة واليأس في النفوس، وبالخصوص بعد أن صنعت القوى الكبرى هذا الكيان
 الصهيوني المحتل لأرضنا في فلسطين وأمدوهم بالسلاح وحاول إعلامهم أن يقنعنا أن
 الصهاينة قوة لا تقهر وأن المسلمين لا يستطيعون مقاومتها ولا محاربتها، فمن أجل ذلك
 لا تستطيع الأمة إلا الركوب في قطار السلام المصطنع والتفاوض معها.
 وبالفعل فقد الكثير من أبناء الأمة الأمل وتسلسل اليأس في نفوسهم وصاروا
 يرددون: ليس لنا قدرة على حرب إسرائيل، الخيار الوحيد أن نستجيب للسلام، إسرائيل
 قدر لا بد أن نستسلم له، وعقدوا مؤتمرات سموها مؤتمرات سلام وهي في الواقع
 مؤتمرات استسلام، ولكن ثبت أن ذلك لم يكن إلا إشاعات يريدون منها تخدير الأمة
 وتضليلها لتتنزع ثقة الأمة في نفسها.

وهنا يأتي دور العقيدة بالإمام المهدي التي توقد في النفوس الأمل وقد ثبت أن
 إسرائيل قوة مزيفة، وأنها تقهر.

المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان التي كانت تحمل قلبًا عامرة بالأمل وتتطلع
 لصاحب العصر والزمان واثقة بهذا النصر العظيم هي التي وقفت في وجه الغطرسة
 الإسرائيلية.

وتوضح الحقائق بجلاء إنهم يعيشون الآن الرعب والخوف منا بعد أن زرعوها في
 نفوسنا الخوف منهم عقودًا من الزمن، ذكرت بعض الصحف أن إسرائيل الآن تريد أن
 تصنع لحكومتها خنادق في جبال القدس لا تحترقها الصواريخ استعدادًا لمواجهة قادمة
 لا محالة، إنهم الآن يعيشون الذعر والخوف ويصنعون المخابئ لقياداتهم، ونحن يجب أن
 نعيش الأمل والثبات ونتمسك به.

ثانياً: التطلع للعدل

قد تكون للظلم جولة وقد يسيطر الجور على بعض الجهات، لكن مهما كانت قدرة الظلم وقوة الجور لا بد للإنسان أن يتطلع للعدل ليوم يتخلص فيه من هذه الآفات المكبلة لحرية وإنسانيته، نحن نتطلع إلى إمام يملئ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا يستلزم أن نكون نحن أولاً مجسدين لحقيقة العدل في علاقاتنا مع زوجاتنا وأبنائنا مع إخواننا، وأقربائنا وكذلك مع الآخرين من جيران وزملاء عمل وما شابه، وأن يرفض الظلم أينما كان وممن كان وعلى من وقع، مهما كانت قوته، ومهما كان بطشه، وأن يكون في المعسكر المتطلع للعدل، فالإيمان بالإمام المهدي ﷺ يجب أن يعمر قلوبنا بالتطلع للعدل والتخندق في معسكره.

ثالثاً: الرؤية العالمية

إذا خرج الإمام المهدي ﷺ فما هو دوره؟ هل سينتصر لجماعته وطائفته أم أن له دوراً أكبر من ذلك؟

النصوص الواردة توضح وتؤكد أن للإمام ﷺ دوراً أكبر من المذهب والطائفة والجماعة والأمة، فهو المصلح الأكبر وإصلاحه سيشمل البشرية جمعاء، فهو المنقذ للعالم كله، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص: الآية ٥] إذا الإمام ﷺ عندما يأتي سيأتي بخطة إنقاذ عالمية، وهذا يعني أن المؤمنين به يجب أن يتحملوا هذه المسؤولية وينطلقون من هذه الرؤى ويعملون على هذا المستوى.

إخواني: من المؤسف أن تبقى بين المسلمين وبين هذه الرؤى هذه المسافة الكبيرة، فالرؤية العالمية ما زالت محدودة في مجتمعاتنا وفي أفكارنا، تسيطر علينا الرؤية المحلية والذاتية، لا يشغلنا ما يحدث من حولنا حتى للأقربين منا، بينما نجد المجتمعات الغربية قد تجاوزت المسألة المحلية وانطلقت للعالمية، حاملة مسؤوليات عالمية، ففي الغرب اليوم

مؤسسات تعمل على مستوى البشرية كهيئات الأمم المتحدة وأطباء بلا حدود التي تهتم بالمناطق المنكوبة المصابة بالكوارث وتبعث الأطباء للعلاج فيه، ومنظمة العفو الدولية التي تدافع عن المعتقلين في أي مكان بغض النظر عن أعراقهم وجنسياتهم وأديانهم، يجب علينا كمسلمين أن نخجل من أنفسنا ونحن نرى جمعيات ومؤسسات من اليابان وأمريكا وأوروبا تعمل على مستوى كوني، ونحن منشغلون بالحاجات الشخصية الضيقة بل بالكاد نتحمل مسؤولية قريتنا.

يجب أن نرتقي باهتماماتنا وتطلعاتنا فنحن نؤمن بمصلح عالمي سيملى الأرض عدلاً وقسطاً.

رابعاً: التوجه لأهل البيت

لقد قام كيان الإسلام علي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى جواره، وستعود هذه القوة الإسلامية وهذه النهضة على يد رجل من عتره رسول الله، وهذا ما تقوله الروايات الواردة والأحاديث.

لقد مرت قرون على الأمة عاشت في مجملها تجاهلاً وإغفالاً وإبعاداً لأهل البيت عليهم السلام وإقصاءً لمدربهم، أما الآن فالكون كله يتحدث عن أهل البيت عليهم السلام والفضاء يزدهر بأسمائهم وقضاياهم والحديث عن الملايين التي تزحف إلى كربلاء بمناسبة الخامس عشر من شعبان.

حاول الأعداء أن يجعلوا ذكر أهل البيت خاملاً، بالوقوف أمام نوره ومحاوله حجبهِ لسنين ولأجيال لكن ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٢]، بل لقد رأينا حتى من كان جافياً لهم اضطر اليوم لذكرهم وبيان أنه يحبهم ويحترمهم ولا ينكر فضلهم، وهذا يعني أن أهل البيت عليهم السلام أصبحوا حقيقة ساطعة لا مجال لإنكارها، وسيكون ظهور الإسلام والحق على يد فرد من أفراد هذه الشجرة الطيبة، جاء في الحديث عن رسول الله: المهدي من عترتي

من ولد فاطمة^(١).

أخيراً أيها المؤمنون: علينا في مثل هذه المناسبة أن نجدد العهد مع الإمام المهدي عليه السلام ومع أهل البيت عليهم السلام على أن نلتزم بنهجهم، ونتمسك بطريقهم، فالمسألة ليست ادعاء بل هي التزام.

نسأل الله أن يوفقنا للتمسك بنهجهم والسير على دربهم.

(١) مسند أبي داود. حديث ٤٢٨٤.

الشيخ الصفار مؤبنا الشاعر خزام

إننا نحتفي برجل كان يمارس حقه في التعبير عن رأيه
وعن مشاعره، مستعداً لدفع ثمن ذلك.

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في حفل (باقة وفاء) الذي أقيم لتكريم
الشاعر الفقيده عباس مهدي خزام (١٣٥٢-٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ) بكلمة تحدث
فيها عن وجوب السماح للإنسان بإبداء آرائه ومشاعره لما لذلك من إيجابيات كبيرة
يستفيد منها الفرد نفسه والمجتمع، كما أبان سماحته أن من أهم صفات الراحل أنه كان
يمارس حقه في التعبير عن رأيه وعن مشاعره، مستعداً لدفع ثمن ذلك).

جدير بالذكر أن فقرات الحفل الذي أقيم في ٨ شعبان ١٤٢٨هـ الموافق ٢١

أغسطس ٢٠٠٧م في مجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطفيف كانت كالتالي:

- كلمات: لسماحة الشيخ حسن الصفار والشاعر السيد عدنان العوامي
والإعلامي خليل الفزيع.
- قصائد: للشاعر محمد علي الناصر ومحمد الحمادي وحيدر الرضان.

• مداخلات: لسعود الفرج ونجيب الخنيزي وحسن علي الزاير.

وهذا مختصر كلمة سماحة الشيخ:

الرأي ما أنتجه فكر الإنسان وعقله والمشاعر ما تنتجه عواطف الإنسان وأحاسيسه، وهناك مرحلتان الأولى يتم فيها صناعة الرأي والشعور، والثانية هي مرحلة التعبير عنها.

صناعة الرأي تعني: أن يتجه الإنسان بفكره وعقله نحو أمر ما لكي يكون رأياً أو يصنع موقفاً فكرياً حوله، والناس يتفاوتون في الامتداد بأرائهم في الآفاق، فمنهم من يقمع فكره وعقله ولا يسمح له بالانطلاق إلا في مساحة محددة، ويرى أن باقي المناطق والمساحات محضور عليه أن يعمل فكره وعقله فيها، لذلك يتفاوت الناس في صنع الرأي، فهناك من لا يتجرأ على أن يبلور له رأياً حول قضية ما أو تقويم شخصية مثلاً، وهناك من يطلق العنان لعقله وفكره ويفكر في كل شيء يريد التفكير فيه ويسعى أن يكون حوله رأياً، والأصل أن يكون الإنسان كذلك، فإن الله تعالى قد منحه العقل لكي يفكر به وأطلق أمامه العنان لكي يفكر في كل شيء، فليس هناك أمر يحضر على الإنسان أن يفكر فيه وأن يكون حوله رأياً، بل إن أهم وأخطر قضية وهي وجود الخالق سبحانه وتعالى فإن الله تعالى يدعو الإنسان لكي يكون رأياً وعقيدة تعتمد على الدليل والبرهان يعني أن يفكر فتكون عقيدته ناتجة عن تفكير ودليل وبرهان، القرآن الكريم يخاطبنا ويطلبنا أن نتفكر في الآفاق وفي خلق الإنسان وفي أنفسنا، يقول تعالى في وصف المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١]، وهذه دعوة للتفكير في كل شيء، مع لحاظ امتلاك أدوات التفكير وصناعة الرأي.

ومثله صنع المشاعر، فقد يتصور بعض الناس أن صنع المشاعر والأحاسيس هي إفراز عفوي طبيعي لا تحتاج إلى عناية وتوجه لصنعها وبلورتها، فالإنسان يجزن في مكان

الحزن ويفرح في مكان الفرح، يحب ويكره، يتألم ويألم، وبالتالي فلا تحتاج المسألة للحديث عن صناعة المشاعر والأحاسيس، لكن وبعد التأمل يتضح أن الناس يتفاوتون في بلورة مشاعرهم وأحاسيسهم، لأن الحالة العفوية قد تخبوا سريعاً وقد لا تصل إلى درجة من النضج تنعكس من خلالها الحالة التي يعيشها الإنسان في عواطفه ومشاعره، وقد يتجه الإنسان لأي حالة من الحالات التي تمر عليه فيسمح لمشاعره وأحاسيسه أن تتبلور وأن تنمو وأن تنضج فيصنع منها صوراً رائعة لنفسه وللآخرين، إذاً فالناس يتفاوتون في صناعة الرأي والشعور، وهذه مرحلة تأتي بعدها مرحلة التعبير عن الرأي والشعور وهذه أيضاً يتفاوت الناس فيها، فقد يصنع الإنسان رأياً وقد تكون له مشاعر وأحاسيس لكن هل يعبر عن رأيه؟ هل يبوح بمشاعره وأحاسيسه؟ وهنا يتفاوت الناس وتتفاوت أوضاع المجتمعات من حيث توفير أجواء التعبير عن الرأي والشعور.

قسم كبير من الناس في مجتمعاتنا يجمع رأيه فلا يعبر عنه ولا يتحدث عن مشاعره أمام الآخرين، بل قد يضطر في بعض الأحيان أن يظهر خلافها، وهذا يرتبط بأمرين: الأول: ثقة الإنسان بنفسه وشجاعته، فلا يتردد بالتعبير عن آرائه ومشاعره، وعكسه من يسيطر عليه الخوف والشعور بالضعف فلا يتحدث عن مشاعره وآرائه، والعامل الأقوى في كل ذلك هي الأجواء المحيطة بالإنسان ومدى صلاحيتها، فهناك أجواء تشجع على التعبير عن الرأي وهناك أجواء تقمع الإنسان حتى لا يعبر عن آرائه. قرأت بحثاً حول الاستيوانات والاستفتاءات التي تجرى في المجتمع، يقول البحث: إن بعض المجتمعات عندما يسأل الإنسان عن رأيه وعن انطباعه فإنه يجيب وأنت متأكد أنه يعبر عن رأيه بالفعل، وهناك مجتمعات أخرى أنت لا تستطيع أن تثق بأن ما قاله هذا الإنسان حول هذا الموضوع يعبر فعلاً عن رأيه الحقيقي، فالكلام قد يصدر منه لرغبة أو رهبة، أو مجاملة أو مداراة.

هذه الحالة المنحرفة إذا سادت في المجتمع تتحول إلى كابوس حتى في العلاقات

العائلية فتجد الإنسان يتردد حتى في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه فضلاً عن آرائه، البعض يشعر بالعيب أن يتحدث عن حبه لزوجته أو أن يتحدث لها عن حبه لها، أو عن حبه لأولاده.

من العادات الجاهلية التي حاربها الإسلام هي هذا الجفاء العاطفي في الأسرة، فالعرب في الجاهلية كانوا يأنفون أو يعيبون على الرجل أن يبادل أهله الحب وأن يخبرها بحبه لها، لذلك جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ تخالف ذلك وتحت المجتمع المسلم أن تسود المحبة الأسرة، يقول ﷺ: قول الرجل للمرأة: إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً^(١).

وروي أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن والحسين ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم، فقال: ما عليّ أن نزع الله الرحمة منك^(٢).
إننا حينما نحتفي بشاعرنا الكبير المرحوم الاستاذ عباس مهدي خزام ﷺ فإننا نحتفي برجل كان يمارس حقه في التعبير عن رأيه وعن مشاعره، مستعداً لدفع ثمن ذلك.

ربما وجد بعض الناس أن صراحة الشاعر الراحل في بعض الأمور جارحة لهم، لكنه ومن خلال النقاش معه في الأمر يقول - كما قال لي مرة - إنني لا أجد داعياً لأن اقمع مشاعري، هذا رأيي وهذه مشاعري حول الحدث أو الشخص، فأنا إذا أعبّر عن رأيي الذي قد يغضب هذا أو يسخط ذاك، لكنني لا أستطيع أن أخفي مشاعري وآرائي رغم أنني أدفع ثمناً باهظاً في بعض الأحيان.

نحن بحاجة إلى تشجيع حرية التعبير عن الآراء والشعور لما لذلك من أثر كبير على الشخص نفسه، والذي يصبح إنساناً سوياً مرتاحاً، راضٍ عن نفسه منسجماً معها،

(١) وسائل الشيعة. ج ٢٠ ص ٢٣.

(٢) بحار الأنوار. ج ١٠١ ص ٩٢.

وبالعكس الإنسان الذي يكبت مشاعره يعيش الاضطراب والتناقض والمشاكل النفسية، إذا التعبير عن الرأي يريح الإنسان نفسياً واجتماعياً، ويعمل على صقل تجاربه العقلية والفكرية والثقافية وكذا الاجتماعية، ويصقل مشاعره وأحاسيسه، وبالتالي يكون في مستوى أعلى حينما يعبر عن آرائه أو مشاعره، كما أن لذلك تأثيراً على المجتمع ويساعد على عمل حراك ثقافي وسياسي.

للأسف الشديد الإنسان في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يعيش في دائرة كبيرة من القمع، فقمع سياسي وقمع اجتماعي وآخر ثقافي وهكذا، لذلك نجد أن الإنسان عندنا منهك من القمع يعيش في مستوى ظاهر من الضعف والتخلف.

نحن حينما نحثفي بشاعرنا الراحل ينبغي أن نمجد هذه القيمة، قيمة التعبير عن الرأي وحرية التعبير عن المشاعر، وقد يسأل سائل: هل أنت مع التعبير عن الآراء دون حدود؟ فأقول: لا بد من ضوابط وحدود، لكن ما هي حدود هذه الحدود، ففي كثير من الأحيان باسم الحدود والضوابط تنتهك وتصادر حرية التعبير والتفكير وكل فرص التعبير عن المشاعر.

إن احتفاءنا بهذا الشاعر يأتي في هذا السياق الذي نأمل أن يتمتع مجتمعنا بهذه الخصلة الطيبة، وهي السماح لأصحاب الآراء والمشاعر بإبدائها وعدم كبتها لنعيش كأفراد وكمجتمع بحالة من الهدوء والسلام والسكينة، كما أتمنى أن يهتم مجتمعنا بتكريم المبدعين وتشجيعهم لتنمو فيه المواهب والطاقات.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

رسالة الأسرة

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في مهرجان الأسرة الوطني الأول الذي أقيم يوم الخميس ٨ / ٩ / ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠٠٧ م على صالة الملك عبدالله بن عبدالعزيز بالقديح، بكلمة بعنوان: (رسالة الأسرة) أشاد في افتتاحيتها بمبادرة الإخوة المنظمين للمهرجان من حيث اهتمامهم بموضوع الأسرة وتناوله بشكل حضاري عن طريق برنامج حيوي يعالج المشكلات التي تعترض طريق بناء الأسرة، مؤكداً أنه الطريق الأفضل في عصرنا الحالي.

وجاء في كلمة سماحته:

أيها الأخوة: رسالة الأسرة تتحدّد في ثلاثة عناوين تمثل الرسالة الأهم في المجتمع

الإنساني:

توفير الراحة والاستقرار

يواجه الإنسان تحدياتٍ في حياته ينبع مصدرها من جانبين: جانب الأهواء

والشهوات التي تتنازعه ذات اليمن وذات الشمال، ومواجهة المشكلات الخارجية، من جانب آخر.

فالأسرة تمثل في هذا الصراع الكهف الآمن والحصن الذي يعطي الإنسان الأمان، ولسنا - في مقام إثبات هذه الحقيقة - بحاجة إلى أدلة وبراهين عقلية وفلسفية أو حتى نقلية، فالوجدان يثبت دور الأسرة المهم في إشباع عواطف الإنسان وفي توفير الدفء والحنان، وبخاصة في الأوقات الحساسة والصعبة.

وكما قيل، إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، فكذلك لا يدرك دور وأهمية الأسرة في إشباع العواطف وتوفير الدفء والحنان إلا من أجبرته ظروف وصروف الدهر فعاش بعيداً عن الأجواء الأسرية، فاقداً للمشاعر المغلفة بالحب والحنان، إذ يفترض في أجواء الأسرة أن يتوفر عنصرا المودة والرحمة انطلاقاً من التعبير القرآني الجميل في تصوير الحياة الزوجية الأسرية الواردة في الآية ٢١ من سورة الروم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

تنشئة الأجيال

يتربى الأبناء، وتتواصل حياة الشعوب والمجتمعات في محيط الأسرة، فهي التي تنقل إليهم الخبرات والتجارب من حيث انتهى السلف، مع إعطاء فرص الإبداع والتطوير، وافتقاد الإنسان لمحيط الأسرة يُوجد فراغاً كبيراً في شخصيته، فإن قيل إن في المؤسسات والملاجئ بديلاً لهذا المحيط، فهي غير قادرة على توفير الزخم المناسب كما وكيفاً مقابل الذي تمنحه الأسرة لأفرادها من دفاء وعطف وحنان وتوجيه سليم للمشاعر والأحاسيس.

تعزيز قيم الخير على الصعيد الاجتماعي

تزداد قيم الخير في المجتمع الذي تتوثق فيه عُرى الترابط الأسري، باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع، فكلما ازداد تماسك أفراد الأسر المكوّنة للمجتمع، وشاع بينهم الوفاق والانسجام، تعزّزت ونمت قيم الخير والصلاح في المجتمع، وكلما برزت حالة التشتت والانفلات، استشرت حالات العنف والجريمة والفساد، وهذا التناسب الطردي تؤكدُه الدراسات والتقارير ذات الشأن بهذا الجانب الاجتماعي.

ولا يكفي المعرفة النظرية لهذه العناوين، فهي إنما تتحقق بالمستوى المطلوب إذا ما جُعِلَتْ نُصَبُ أَعْيُنِ القائمين على شؤون المجتمع ومصالحه، وأما الغفلة والتجاهل فلا تؤدي إلا إلى أسرة تأخذ شكلاً ظاهرياً، فيتحوّل البيت إلى فندق يكون مقرّاً للأكل والشرب والنوم، أما المشاعر والأحاسيس والتوجهات الخيرة فمألها خارج محيط الأسرة.

الاهتمام بالأسرة

ومن هنا ينبغي الاهتمام بالأسرة بتجسيد هذه العناوين بتفعيل العوامل المساعدة التي تتلخّص في الآتي:

الأنظمة والقوانين التي تحمي الأسرة

قد يتعرّض كيان الأسرة لخطأ ما من قبل أحد أفرادها يؤدي إلى إيذاء بقية أفراد الأسرة، فلا بُدَّ - في هذه الحالة - من قوانين وضوابط تحمي المتضرّر، وهي تتمثل في الأحكام الشرعية للأسرة، فلدينا - نحن المسلمين - باب الاجتهاد مفتوح، نستنبط عن طريقه أحكاماً شرعية لما يُستجد من أوضاع، باعتبار أن الأسرة في عصرنا الحالي تواجه تحديات لم تكن مألوفة عند الأسر فيما سبق من الزمان، فالملاحظ أن الفتاوى الفقهية والرسائل العملية تتناول جانب مشكلات الأسرة من منظور تقليدي بحت، فالفقيه

يعيش في مجتمعات تضم الأسر المحافظة التي قد لا ينتشر فيها مشكلات متعددة الجوانب تحدث في محيط جغرافي يبعد عنه مسافات نائية.

والأمر الآخر المتمثل في الضوابط والقوانين، مراجعة دستور النظام القضائي في المملكة، فهو بحاجة إلى إعادة تنظيم وإضافة فيما يرتبط بحماية الأسرة.

الثقافة والوعي

مما يؤسف له أن كثيرًا من الأفراد يمارسون حياتهم الزوجية بناءً على الأعراف والتقاليد المتوارثة فيما يرتبط بالتعامل مع الزوجة أو الأولاد، فهم في وادٍ، وتعليمات وإرشادات الدين الإسلامي في وادٍ آخر، مع أنها - تلك التعليمات - مبنوثة في بطون مختلف الكتب، إلا أنها غير متاحة لكل شرائح الاجتماعية، فنحن إذاً بحاجة إلى جهود مكثفة لنشر هذه الثقافة الكفيلة بإنجاح الحياة الزوجية، فمناهجنا الدراسية ليس فيها ما يكفي، والتوجيه العام يستصحب الأعراف والموروثات التقليدية، وما يصلنا من مشكلات زوجية عبر وسائل الاتصال المختلفة يؤيد صحة ما ذهبنا إليه.

إنشاء المؤسسات الأهلية التي تهتم بموضوعات الأسرة وتعالج مشكلاتها وتقدم العلاج الوقائي للأسر كافة، فلو توفر شيء من الجهد للاهتمام بأسر المجتمع، لاستطعنا تلافي الكثير من المشكلات التي تقف عائقًا دون الوصول إلى حياة زوجية سعيدة، فحَبَّذَا لو عملنا على إيجاد مثل هذه المؤسسات في أسرع وقت ممكن، وأدعو شبابنا الواعي إلى التحرك في هذا الاتجاه، وأشيد بجهودهم وأعمالهم الإبداعية التي تحتاج منهم إلى كثير من الثبات والصمود حتى يدرك المجتمع الدور المهم الذي تقوم به، كما أدعو جميع أفراد المجتمع إلى التجاوب والتفاعل الإيجابي مع ما يقومون به من مناشط تصبُّ في سلامة المجتمع وسعادته.

الشيخ الصفار: العلاقات امتحان الإنسان الأصعب^(١)

(نهج التسامح الاجتماعي) هو عنوان المحاضرة التي ألقاها سماحة الشيخ حسن الصفار في حسينية البحارنة في الدوحة - قطر، وذلك يوم ١٥ / ٩ / ١٤٢٨ هـ.

وكانت محاور المحاضرة الثلاثة التي تناولها سماحته كالتالي:

المحور الأول: العلاقات امتحان الإنسان الأصعب، وقد تحدث سماحته فيها عن الإنسان وعلاقاته إذ لا يستطيع أي إنسان في هذه الدنيا أن يعيش بعيداً عن المجتمع ولا منعزلاً عن أبناء جنسه إذ لا غنى له عنهم، ولا بد أن يعيش معهم لأن حياته مرتبطة بهم على كل الصعد.

فعلى الصعيد النفسي مثلاً الإنسان يأنس إلى أبناء جنسه، بل قال اللغويون: إن اشتقاق اسم الإنسان جاء من الأنس لوجود الأنس بينهم أي يستأنسون ببعض، ولهذا فإن الإنسان تصيبه الكآبة ويصيبه الحزن إن عاش وحده بعيداً عن الناس، ولذلك نجد أن من أصعب العقوبات على نفس الإنسان هو ما يعرف بالسجن الانفرادي، حيث يبقى

(١) إعداد: عبد الباري الدخيل.

المسجون في مكان وحده بعيداً عن الناس، وذلك لأن الإنسان ينشد إلى الناس من بني جنسه، ويجد راحته في التعاطي معهم ولقاءهم.

وتحدث سماحة الشيخ في المحور الثاني عن (طريق النجاح في العلاقات) مشيراً إلى أن نجاح الأمة لا يكون إلا إذا كانت العلاقة بين أفرادها حسنة وكذلك بين تياراتها ومذاهبها وطوائفها وكل فعالياتها، وهذا واضح من خلال سيرة النبي ﷺ الذي وطّد العلاقة بين المسلمين وأول فعل فعله هو أن آخى بين المسلمين.

كما أن على الإنسان أن يكون فاعلاً ضد الإثارات الصادرة من الآخر، وأن يجعل لغضبه كوابح فلا يترك أعصابه تفلت لتحطم كل شيء.

وأما المحور الثالث فقد تحدث فيه سماحة الشيخ الصفار عن: سيرة الإمام الحسن ﷺ كنموذج للعلاقات الاجتماعية، وعن القوة في السيطرة على الأعصاب، مستعرضاً سماحته بعض القصص من السيرة العطرة للإمام الحسن ﷺ التي تبين ذلك.

المعرفة والتثقيف الذاتي^(١)

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: الآيات ١-٥]

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في محاضرة ألقاها في حسينية البحارنة في الدوحة - قطر، ليلة ١٨ / ٩ / ١٤٢٨ هـ عن (المعرفة والتثقيف الذاتي).
وقد جاء الحديث على محاور ثلاثة تطرق سماحة الشيخ من خلال المحور الأول عن: المعرفة مميزة الإنسان، فالإنسان كما هو معلوم ليس أكبر ولا أقوى المخلوقات، ولكنه بفضل قابلية كسب العلم والمعرفة تمايز عنها جميعها، فقد استطاع بعلمه ومعرفته تطوير احتياجاته، فقاوم الحر بتكييف الهواء، والبرد بالتدفئة، والمسافات الطويل باختراع السيارة القطار والطائرة، وهكذا عكس باقي الحيوانات التي ظلت على ما هي عليه منذ أن خلقها الله تعالى.

(١) إعداد: عبد الباري الدخيل.

وحتى هذه القابلية الناس فيها ليسوا سواء، فالبعض يستخدمها بطريقة أمثل من البعض الآخر، لهذا يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١]، فالدرجات هنا يعني تفاوت أهل العلم، حسب تفاوت مستوياتهم العلمية وحسب توجههم لكسب العلم والمعرفة.

فعن رسول الله ﷺ: أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم علماً. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قيمة كل امرئ ما يحسنه.

وفي المحور الثاني تحدث سماحته عن: كسب المعرفة، وكيف أنها فريضة، فالحديث الشريف يقول: طلب العلم فريضة، والله سبحانه أول ما خاطب نبيه، قال له: ﴿اقْرَأْ﴾، وقال أصل ديني العقل، فالإنسان مطلوب منه أن يتعلم وأن يعطي عقله مساحة للتفكير، فالعقيدة التي تنطلق من معرفة وتفكير تكون أقوى أمام الشبهات والتحديات، وبالتالي فالتساؤلات التي تطرح حول بعض القضايا العقدية أو الفقهية يجب ألا تزجج أحداً، بل يجب أن تشجع، لأنها طريق المعرفة القوي والسليم، وبدل الانزعاج يجب تقديم إجابات يقبلها العقل السليم والفطرة الصافية.

وتطرق سماحة الشيخ في المحور الثالث لبرامج التثقيف الذاتي، وأنها ليست حكراً على أحد ولا على جهة معينة، بل الجميع مدعوون، فلا يجوز أن نلقي الثقل في مسؤولية التعليم والتعلم على الدولة أو على المؤسسة الدينية من علماء ومراجع وحوزات، فكسب العلم والمعرفة يجب أن يكون همماً يشغل الجميع، والاندفاع له يجب أن يكون ذاتياً، ولا بد من جهود أهلية يبذلها الناس من أجل ذلك، فكل إنسان مسؤول عن تعليم وتثقيف نفسه وعن نشر العلم والثقافة بين أفراد المجتمع.

ورد في الحديث: «ما تصدق أحد بصدقة خير من نشر العلم».

أولوية الوحدة عند الإمام علي عليه السلام (١)

في ليلة ١٩/٩/١٤٢٨هـ تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار، عن: أولوية الوحدة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وذلك في حسينية البحارنة، الدوحة - قطر.

وقد كان حديث سماحته في المحور الأول عن تعدد الانتهات في المجتمع البشرية، وطبيعية ذلك، فكل مجتمع في من المجتمعات يتكون من تنوع في الانتهات وتنوع في الأعراق، وكذا بعض المجتمعات يوجد فيها تنوع في المذاهب والأديان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣].

إذاً علينا أن نتسع صدورنا للاختلافات الجانبية، فالتطابق في الآراء ليس مطلوباً، بل علينا أن نقبل الرأي والرأي الآخر؛ لأن البعض ينزعج من مسألة الاختلاف.

وحول السؤال: ما معنى الوحدة؟ كان محور المحور الثاني: إذ إن الوحدة على

(١) إعداد: عبد الباري الدخيل.

صعيد الأمة إنما تكون بالتأكيد على المشتركات، وعلى احترام حق الإسلام لمن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فهو مسلم له حقوق الإسلام دون النظر لأي مذهب انتمى، فالوحدة لا تكون بصهر الناس في بوتقة مذهب واحد، أو أن جهة تقسر الآخرين على ما تريد.

الوحدة هي الاحترام المتبادل

وجاء المحور الثالث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإخلاصه لوحدة الأمة. لقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) رجل الوحدة ورائدها، ففي الوقت الذي يرى نفسه صاحب الحق في الخلافة والإمامة، ويعتقد في نفسه أنه الأجدر والأحق بالخلافة وإمامة المسلمين، وقد عبّر عن ذلك، فقال: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَزِقُّنِي إِلَيَّ الطَّيْرُ»، وقد كان بإمكانه أن ينبري للدفاع عما يعتقد أنه حق له، وقد كان يعلم أن في توليه الخلافة مصلحة للأمة والرسالة أيضاً، ولكنه وجد أن هذا التصدي وهذا الموقف يضر بالمصلحة العامة في ذلك الظرف، ولذلك لم يطالب بحقه، حتى عندما جاء إليه أبو سفيان وصار يهتف: «يا بني عبد مناف فيما أبو بكر منكم؟ أين الأدلّان؟ أين المستضعفان علي والعباس؟ يا أبا حسن، ابسط يدك أبايعك فأنت الأولى بخلافة رسول الله»، زجره علي بن أبي طالب وقال: «والله ما أردت بكلامك هذا إلا فتنة وشرّاً للإسلام والمسلمين»، فلم يستجب له ولم يرحب به ولم يقع في الفخ الذي كان يريده له أعداء الأمة، وإنما أعلن: «وَوَاللَّهِ لَأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التِّيَّاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزُبْرِجِهِ».

وفي كلمة أخرى يقول: «فَصَبَرْتُ فِي الْعَيْنِ قَدَى فِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تُرَاثِي

نَهْبًا».

إن علي بن أبي طالب تحمل مسؤوليته، فكان مع الخلفاء ومع الأمة، يحضر المسجد، ويشارك في صلاة الجماعة، يُسْتَشَار، ويشير فيعطي رأيه، وينقذ الأمة، وينقذ الخلفاء في مواقف كثيرة، فكان من يُلتجأ به، ويستشار.

في مؤتمر الأمن الاجتماعي بالبحرين

بدعوة من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مملكة البحرين شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في أعمال مؤتمر «الأمن الاجتماعي.. تطلعات وتحديات» الذي انعقد برعاية رئيس مجلس الوزراء في العاصمة البحرينية المنامة بتاريخ ١٨-٢٠ شوال ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٠٧ م.

وقدم سماحة الشيخ الصفار بحثه للمؤتمر في جلسته الثالثة صباح يوم الثلاثاء ١٩ شوال الموافق ٣٠ أكتوبر تحت عنوان «المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي». وشارك في أعمال المؤتمر عدد من الشخصيات الإسلامية البارزة، منهم: مفتي الديار المصرية الدكتور الشيخ علي جمعة، ومفتي سلطنة عمان الشيخ أحمد الخليلي، وآية الله الشيخ محمد علي التسخيري أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والدكتور عصام البشير من السودان، والدكتور ناصر بن علي الخليلي أستاذ الفقه المقارن في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، والشيخ الدكتور عبد العزيز الخياط وزير سابق للأوقاف في الأردن، والدكتور الشيخ أحمد محمد هليل قاضي قضاة الأردن، واللواء

الدكتور سعد بن عبد الله العريفي من السعودية، والدكتور الشيخ فتحي يكن من لبنان، والدكتورة مريم بنت حسن آل خليفة، والدكتور خالص جلبي والدكتور محمد عمارة من مصر.. وآخرون.

وقد استقبل رئيس مجلس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة الضيوف المشاركين في مكتبه شاكرًا لهم تلبية الدعوة.

ودارت أبحاث المؤتمر حول ستة محاور، هي:

- المبادئ الإسلامية لتحقيق الأمن الاجتماعي.
 - أثر الأمن الاجتماعي في حياة الأفراد والمؤسسات (الأسرة، المدرسة، المسجد) والدول.
 - الأمن الاجتماعي من منظور الأفراد ومؤسسات المجتمع المدني والدول.
 - دور مؤسسات المجتمع المدني في إرساء الأمن الاجتماعي.
 - الآفات التي تهدد الأمن الاجتماعي، ويشمل: (الفقر والبطالة - السلوك المنحرف - المخدرات - الفوضى - عدم الالتزام بالقوانين)
 - مقومات الأمن الاجتماعي، وتشمل: الأمن الصحي والغذائي - الأمن الفكري - المشاركة في الشؤون العامة...
- وعقد سباحة الشيخ أثناء المؤتمر عدداً من اللقاءات مع أبرز الشخصيات المشاركة.

الأسرة هي المنطلق لإصلاح المجتمع^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الأربعاء ١١ / ١١ / ١٤٢٨ هـ في افتتاح مركز الأسرة السعيدة بسيهات.

وبعد أن قام سباحته بالتجول في المبنى المخصص لإدارة شؤون المركز والمكون من فصلي دراسة ومكتبة، تحدث سباحته للحاضرات بكلمة جاء فيها بعد تهنئتهم بالافتتاح والدعاء لهم بالتوفيق:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة واجبة على الأمة والمجتمع وهي تعني السياج والحصن لأخلاق واستقرار المجتمع، لأن المعروف هو السلوكيات الطيبة والمنكر هو الفساد والجريمة.

موضحاً سباحته أن: هذا العصر أصبح فيه الفساد طوفاناً عاصفاً تحركه مافيات تجارية تتاجر بالانحلال والتفسخ، ولأن الهدم أسهل فهم يخاطبون الغرائز والشهوات بغيت إفساد المجتمع، وهذا عكس ما جاءت به الشرائع السماوي التي حملت للإنسانية

(١) إعداد: عبد الباري الدخيل.

الرقبي والسمو الروحي.

محذراً سماحته من فقد الأمن والاستقرار بسبب الفساد والانحراف، فالجريمة تسلب المجتمعات راحتها، وتبث الخوف بين الناس فلا يأمن الإنسان على نفسه ولا على عرضه وماله.

ثم تساءل سماحته: نحن لا نحب بالتأكيد لا لأنفسنا ولا لأبنائنا أن ينجر فوا خلف تيارات الانحلال، إذاً كيف نساعد على تحصين مجتمعنا؟

وأجاب سماحته: الحل الوحيد هو بالتمسك بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتواصي بالصالح، فإننا إذا لم نأمر بالمعروف ولم ننهي عن المنكر فإننا بذلك نسلم أنفسنا ومجتمعنا إلى حيث الهلكة والدمار.

مؤكداً سماحة الشيخ: أن الأسرة هي المنطلق لإصلاح وصالح المجتمع، فإذا صلحت الأسرة أخرجت للمجتمع رجالاً صالحين ونساءً صالحات يبنون المجتمع ويحافظون عليه، والعكس صحيح فعندما تنفسخ الأسرة وتنفكك فإن القيم والأخلاق تنسحب ليحل محلها الانحراف والجريمة.

فضعف الحالة الأسرية والاهتزازات التي تصيبها والمشاكل التي تعصف بها والتي تعبر عن عدم الانسجام بين أفرادها هو الذي يجعل أفرادها يبحثون عن الاستقرار والأمن والحب خارج البيت.

إذا لم يبادل أفراد الأسرة بعضهم مشاعر الحب والكرامة والاحترام فإنها يصبحون فريسة لأي شيطان يريد بهم الشر والسوء.

ثم أشار سماحته إلى المجهود الذي يقوم به المخلصون من أجل إصلاح مجتمعهم لافتاً نظر الحضور إلى أن العمل الفردي لا يكفي فنحن بحاجة إلى مؤسسات ومراكز تتضافر جهودها من أجل إنشاء مجتمع صالح، فالعمل الفردي لم يعد له ذلك التأثير الذي كان في السابق.

وختم سماحة الشيخ الصفار كلمته بحث الأخوات والأخوة المسؤولين عن المركز بالعمل الدؤوب على أن يكون مركزهم نواة إصلاح يقوم بنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة في بناء الأسرة المسلمة، والتصدي لمعالجة المشكلات ومحاولة الارتقاء بثقافة الأسر، ليكون البناء قويًا وسليماً.

الشيخ الصفار يدعو أرامكو لمنع تكرار الحوادث الفادحة

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار شركة أرامكو السعودية لمضاعفة جهودها لتشديد إجراءات السلامة في جميع منشآتها النفطية، حفاظاً على أرواح العاملين فيها، وتعزيزاً لسمعتها الرائدة كشركة عملاقة ذات تاريخ عريق من الانجاز والانضباط.

وتحدث عن دور شركة أرامكو المهم في المنطقة وعلاقة أبناء المنطقة بها، منذ بداية تأسيسها، حيث يشكلون أغلبية الجيل المؤسس لأعمالها ومنشآتها.

جاء ذلك في كلمة ألقاها الشيخ الصفار مساء يوم الخميس ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧م في ختام مجلس التأين للفقيد الشاب علي عبدالله آل طلاق أحد ضحايا انفجار الحوية الذي وقع يوم الأحد ٨ ذو القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٠٧م، من أبناء قرية (حلة محيش) في محافظة القطيف.

وأكد الشيخ الصفار على الإيمان بالقضاء والقدر، فكل نفس ذائقة الموت، وأسبابه مختلفة، فهناك الكوارث الطبيعية التي يموت فيها آلاف الناس، وحوادث المرور، وضحايا الحروب، ومن تفترسهم الأمراض القاتلة، ومن يموتون موتاً طبيعياً.

ودعا للشباب الفقيه علي عبدالله آل طلاق بالمغفرة والرحمة، فهو فارق الحياة في ساحة جهاد، حيث روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله). وقدّم التعازي لوالده وأبنائه وإخوته وأسرتهم داعياً لهم أن يلهمهم الله الصبر والسلوان وأن يعظّم لهم الأجر.

ثم تناول الشيخ نقطتين مهمّتين في الشأن الاجتماعي:

الأولى: جدية الشباب في العمل، ففي البلاد فرص كبيرة وإمكانات هائلة، لكنها بحاجة إلى كفاءة وجدية، وعلى الشباب أن يتوجهوا لمشاريع العمل الحر والنشاط التجاري، وأن لا يجعلوا الوظيفة هي الخيار الوحيد، فهي أدنى الخيارات، وإنشاء مشاريع العمل الخاص هي الباب الأوسع للرزق.

وليس صحيحاً أن الأمر يتوقف على رأسمال كبير، فالفكرة الإبداعية، والكفاءة الإدارية هي أكبر رأسمال، وهناك عدد كبير من رجال الأعمال بدؤوا من الصفر، ومن المناسب أن يقرأ الشباب عن تجاربهم.

كما أن الفرصة الوظيفية الجيدة متوفرة، لكنها تحتاج إلى الكفاءة والتأهيل، فمجرد الشهادة الدراسية لا تكفي في هذا الزمن.

مضيفاً: أن أبناء المنطقة يتمتعون في الماضي بالجدية والانضباط في أدائهم العملي، لكن شيئاً من الكسل والتسرب قد تسرب إلى بعضهم الآن، بسبب الإدمان على السهر، والتوجه للهو، وقضاء الوقت في اللقاءات الشللية غير المفيدة.

الثانية: أشاد الشيخ الصفار بتعاطف أهالي قرية (حلة محيش) مع أسرة الفقيد، ودعا إلى تحويل التكاثر والتضامن الاجتماعي إلى سلوك دائم، وليس أمراً طارئاً تفرضه حالات الكوارث والمصائب، مستنهداً أبناء (حلة محيش) للسعي لتأسيس جمعية خيرية رسمية، أسوة بسائر القرى في المحافظة التي حصلت أخيراً من وزارة الشؤون الاجتماعية على تراخيص لإنشاء جمعيات خيرية مثل أم الساهك والسنايس وعنك.

في ذكرى الشهيد الصدر الثاني

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المهرجان الكبير الذي أقيم في قاعة فندق سفير بمنطقة السيدة زينب بدمشق، مساء يوم الأحد ٨ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ الموافق ١٨ / ١١ / ٢٠٠٧ م بمناسبة الذكرى السنوية التاسعة لاستشهاد الإمام السيد محمد محمد صادق الصدر (١٩٤٣-١٩٩٩ م).

وقد ألقى سماحة الشيخ الكلمة الرئيسية للمهرجان في حضور حشد من العلماء والشخصيات السياسية ووسائل الإعلام، وتناول في كلمته محورين: الأول حول أبرز سمات شخصية الشهيد الصدر الثاني، والثاني حول إغراء السلطة الذي يواجه الإسلاميين في العراق.

وفيا يلي تلخيص لأهم ما جاء في كلمة سماحته:

من أهم ما تمتاز به شخصية الشهيد السيد محمد الصدر ثلاث سمات:

السمة الأولى: العمق العلمي

حيث نشأ في أحضان عائلة علمية عريقة، فأمه بنت المرجع الأعلى في عصره الشيخ

محمد رضا آل ياسين، وأبوه وأعمامه من أفاضل العلماء، وقد انصرف للعلم في الحادية عشرة من عمره، واستمر في الدرس والتدريس والكتابة والبحث إلى اليوم الأخير من حياته، وحضر أبحاث كبار الفقهاء في الحوزة العلمية، حيث تتلمذ على يد أربعة من فطاحل العلماء في الفقه والأصول، هم السيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد روح الله الخميني والشهيد السيد محمد باقر الصدر، كما خاض تجربة الدراسة الأكاديمية في كلية الفقه في النجف الأشرف، وكان ضمن الدفعة الأولى من خريجها.

ومن يقرأ كتبه وأبحاثه يرى دقته العلمية، وقدرته الفكرية العالية، حيث يبحث المسألة التي يتناولها من مختلف الزوايا والأبعاد، ويعرض لكل الفروض والاحتمالات، ويجتهد في معالجة الإشكالات الواردة. مما يكشف عن ذهنية وقادة، وسعة أفق واطلاع. ويتجلى ذلك في أبحاثه المختلفة في الفقه والأصول والتاريخ وتفسير القرآن الكريم، وفي دراسة القضايا الخارجية التي ترتبط بالمسائل الفقهية، والتي أطلق عليها مصطلح ما وراء الفقه. وكتب حولها موسوعة رائعة بهذا العنوان في عشرة مجلدات، تضمنت أبحاثاً دقيقة في مسائل من علم الفلك والجغرافيا والطب والرياضيات والاقتصاد والاجتماع وغيرها مما يكون مورداً لانطباق أحكام شرعية.

أما موسوعته حول الإمام المهدي، فهي كما وصفها الشهيد السيد محمد باقر الصدر: (موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول المهدي عليه السلام في إحاطتها وشمولها لقضية الإمام المنتظر من كل جوانبها، وفيها من سعة الأفق، وطول النفس العلمي، واستيعاب الكثير من النكات واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة).

وحين اتجه لتفسير القرآن الكريم، مبتدئاً من السور الأخيرة فإنه يقف عند كل آية، ليعالج كل ما ورد أو يرد حولها من التساؤلات والإشكالات....

إن العمق العلمي هو من مفاخر علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين يتبوؤون

مواقعهم في الأمة من خلال قوة العلم والمعرفة، وصفات الورع والتقوى.

السمة الثانية: التفاعل الجماهيري

خلافاً لما هو سائد من انحصار دائرة انفتاح المرجع الديني على الوسط الحوزوي العلمي، فإن الشهيد الصدر الثاني حين تصدى للمرجعية انفتح على جمهور الشعب، فكان يخاطبهم ويخطب فيهم، ويتبنى آلامهم وآمالهم، ويضع المعالجات الفقهية لمشاكلهم. وكانت صلاة الجمعة التي أقامها في مسجد الكوفة، منعظاً كبيراً في العلاقة بين المرجعية والأمة، حيث كانت شعيرة دينية معطلة، فأحيها واستثمرها في تحشيد الجمهور، وبت الوعي والثقافة عبرها في صفوف جميع الطبقات الاجتماعية.

كما التفت إلى أهمية دور العشائر العراقية، التي ابتعدت عن المرجعية لإعراض المرجعية عنها، وأصبحت تدور في فلك السلطة تحت وطأة الترهيب وإغراء الترغيب، فتوجه الشهيد الصدر للانفتاح عليهم، واستقبل شيوخهم، وبعث الوكلاء إليهم، وعالج مسألة موضوع الأحكام والأعراف العشائرية، فيما أطلق عليه فقه العشائر. من ناحية أخرى، فقد اعتمد مجموعة كبيرة من الشباب الملتزمين الأكاديميين وكلاء شرعيين لمرجعيته، ولم يحصر تمثيله في العلماء وطلاب العلوم الدينية. لقد أنجز الشهيد الصدر أروع تجربة مرجعية في الانفتاح على الشعب في العراق، وصنع بذلك تحولاً مهماً في الحالة الدينية.

السمة الثالثة: المبادرة السياسية

لقد اقتنص اللحظة المناسبة، حيث كان النظام بعد هزيمته وانسحابه المهين من الكويت في موقع ضعف وانكسار، وكان الحصار الدولي يضيق الخناق على الشعب العراقي، كما أن قمع النظام للانتفاضة الشعبية قد ملأ نفوس المواطنين بالسخط والغضب، ولتنفيس هذه الحالة اتجه النظام الصدامي للتظاهر بالاهتمام بالدين، ورفع شعاراً في مقابل أمريكا وحلفائها.

ورأى الشهيد الصدر أن الفرصة سانحة لاستثمار هذا الظرف، والمبادرة لتفعيل ساحة المجتمع، وتجزير القيم والمبادئ الدينية في أوساطه، لكي تستعيد المرجعية دورها القيادي، بعدما انقطعت عن الجمهور، وتعرضت لأعنف الضربات القاتلة من قبل النظام.

وما كان يمكنه ذلك إلا بتحييد النظام، وعدم استثارته، بل إظهار الوجه الذي يطمئنه، وهذا ما أقدم عليه الشهيد الصدر، مع إدراكه لما يعنيه هذا الموقف من إثارة الشكوك حوله واتهام نزاهته في أوساط كثيرة، لكنه وطن نفسه على تحمّل الاتهامات والإهانات، مضحياً بسمعته، حيث اتهم بالعمالة للنظام وأنه مرجع السلطة، من أجل إحياء الحالة الدينية، واستعادة دور المرجعية، وإعداد الشعب العراقي لتحمل مسؤوليته تجاه الاستبداد والاستعمار.

وكان النظام يراهن على استغلال مرجعية الصدر، بينما كان الشهيد الصدر يراهن على التقاط اللحظة التاريخية، وتحقيق أهدافه المرسومة في غفلة من النظام وسيطرة الضعف عليه.

وحين اتضح للنظام فشل رهانه، وشعر بخطورة حركة الصدر على المستوى الشعبي، سارع إلى التخطيط لتصفيته واغتياله، لكن الشهيد الصدر كان مطمئناً إلى إنجازهِ العظيم، سعيداً بالثمار التي حققها، منتظراً للقاء الله، مرحّباً بالشهادة في سبيله، ليلتحق بركب الشهداء من أسلافه الطاهرين.

الإسلاميون في العراق واختبار السلطة

أصبح للإسلاميين من أبناء الشهيد الصدر في العراق دورهم السياسي البارز، حيث يحتلون أهم مواقع السلطة والحكم، من رئاسة الوزراء، ومختلف الحقايب الوزارية، وفي مجلس الشعب، وإدارة المحافظات، وسائر التشكيلات والمؤسسات الحكومية.

صحيح أن العراق تحت وطأة الاحتلال، وأن سيادته منقوصة، وساسته لا يمسون بأزمة الأمور بشكل كامل، لكن لهم مساحة من القرار، وتحت تصرفهم الكثير من إمكانيات الشعب العراقي، وبإمكانهم أن يعملوا الكثير لإنقاذ شعبهم وتقديمه. إن للسلطة إغراءً شديداً، قد يسقط فيه من نجح في امتحان قمع النظام السابق، من صمد في السجون وتحمل التعذيب والتنكيل، وعانى آلام الغربة والهجرة، قد يسقط الآن في فخ إغراء السلطة، إذا لم يتسلح بالوعي ويقظة الضمير، وإذا لم يتوفر على درجة عالية من حس المسؤولية تجاه الله والشعب.

والتاريخ يحدثنا عن كثيرين ممن فقدوا التزامهم وتقواهم حينما لاح لهم بريق السلطة، وبعد أن كانوا ينتقدون من عارضوه من الطغاة الظلمة، أصبحوا حين تسلموا السلطة أظلم وأطغى ممن عارضوه.

وفي عهد خلافة الإمام علي عليه السلام فإن عدداً ممن اختارهم كولاة على بعض الأمصار خانوا الأمانة، ونهبوا من بيت المال وأسأوا التعامل مع الناس.

إن تجربة الإسلاميين في العراق على المحك، وإن من صالح الجهات الأخرى إسقاط الثقة بهم في أوساط الشعب. وإظهارهم بمظهر اللاهثين خلف مواقع السلطة، والمتلاعبين بثروات البلاد وإمكانيات الشعب.

إنكم، أيها المسؤولون، ورثة دماء الشهداء، وشعبكم العراقي ينتظر منكم مداواة جراحه، وتعويض الحرمان الذي عاناه عقوداً طويلة من الزمن، إنه يستحق منكم الجِدَّ والاجتهاد والأمانة والإخلاص، فلا تحيّبوا ظنون شعبكم، ولا تحونوا دماء الشهيد الصدر وكل شهداء العراق من الفقهاء والعلماء والعسكريين والشباب.

نأمل أن تقدموا نموذجاً مشرقاً يفخر به الشعب العراقي ويفخر به المؤمنون في كل

مكان.

صدر للمؤلف

١. الصوم مدرسة الإيمان
الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، دار التراث الإسلامي، بيروت-لبنان.
٢. وكل أمة رسول
الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، منشورات مكتبة الإمام الصادق، الكويت.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران-الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
٣. الرسول طريق إلى القمة
الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ-١٩٧٥م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح-سلطنة عمان.
٤. الحسين ومسؤولية الثورة
الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، مطابع دار السياسة، الكويت.
الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مطابع دار السياسة-الكويت.
الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م-أمريكا.
الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م-فرنسا.
الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ-١٩٨٠م، طهران-الجمهورية الإسلامية

الإيرانية.

الطبعة السادسة: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار الحوراء، بيروت - لبنان.

الطبعة السابعة: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثامنة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

٥. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت -

لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

٦. الإمام المهدي أمل الشعوب

الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة،

مطرح - سلطنة عمان.

الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ-١٩٨٢م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام مهدي اميد ملتها)، المترجم

محمد علي مجيديان، نشر آفاق، طهران، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ.

٧. مسؤولية الشباب

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

٨. المرأة مسؤولة وموقف

الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الزهراء، بيروت - لبنان.

٩. المرأة والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٠. مسؤولة المرأة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

١١. الإمام الحسين رمز التضحية والفضاء

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مكتبة الرسول الأعظم ﷺ، مطرح -

سلطنة عمان.

الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م - الكويت.

١٢. رؤى الحياة في نهج البلاغة

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٤م، دمشق - سوريا.

الطبعة السادسة: ٢٠٠٥م، مطبعة الفرقان، النجف الأشرف - العراق.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (تصوير زندكي در نهج البلاغة)،

المترجم لطيف رشدي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، انتشارات قدس، قم.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الطاجيكية تحت عنوان (aЙxIII Ҳаҷаһ Мӯсо Саффор)

، طبعة قم ٢٠٠٥م، الناشر فاضل.

١٣. حياة الأئمة والتاريخ المزيف

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

١٤. رمضان برنامج رسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة، لندن - بريطانيا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: الكويت.

الطبعة الرابعة: طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الخامسة: ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

١٥. قراءة في فكر الإمام الخميني

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، باريس - فرنسا.

١٦. أعلننا الولاء بالدم

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

- الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
١٧. بصائر وهدي
- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
١٨. السجن أحب إليّ
- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
١٩. الشعب يتحدّى السجون
- الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
٢٠. الثورة والإرهاب
- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
٢١. كيف نتحدّى الطغاة
- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
٢٢. رمضان وقضايا الثورة
- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
٢٣. النضال على جبهة الثقافة والفكر
- الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
٢٤. فلنحطم الأغلال
- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار البداية، القاهرة - مصر.
٢٥. الجماهير والثورة
- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
٢٦. خطر السُّقوط
- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٧. النفس منطقة الخطر

- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مركز الجواد للطباعة، الأحساء - السعودية.
- الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة الفرقان، النجف الأشرف - العراق.
- ترجم إلى لغة الأوردو، قام بترجمته سيد عباس موسوي، الطبعة الأولى: يناير ٢٠٠٤ في ١٢٦ صفحة من قبل جامعة الكوثر (إسلام آباد - باكستان).
- ترجم إلى اللغة السواحيلية بعنوان (NAFSI MAHALI PA HATARI)، كينيا ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- صدر الكتاب بعنوان: (ونهى النفس عن الهوى)، عن دار الصفوة، بيروت - لبنان.

٢٨. القلب حرم الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٩. لكي لا نحتقر أنفسنا

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٠. رمضان دعوة إلى ضيافة الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣١. فئات العمل الرسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٢. عن المثقفين وعطلة الصيف

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٣. رسالة المجالس الحسينية

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٤. الأناية وحب الذات

الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٥. معرفة النفس

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

٣٦. التغيير الثقافي أولاً

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

٣٧. كيف نقهر الخوف

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مركز الشباب المسلم، أميركا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الطبعة الرابعة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (غلبه بر خوف).

٣٨. كيف نقاوم الإعلام المضاد

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الشهيد للثقافة والإعلام.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (رويار وبي تبليغاتي)، المترجم

سعيد خاكرند، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، نشر بقيق، طهران.

٣٩. الثائر والسجن (دراسة في حياة الإمام الكاظم عليه السلام)

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار البصائر.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

٤٠. يوم البقيع

الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الجمعية الجعفرية، استراليا.

٤١. مختصر الطفل بين الوراثة والتربية

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.

٤٢. الشيخ علي البلادي القديحي

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، بيروت - لبنان.

٤٣. التعددية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب ساحة الشيخ حسن الصفار، القطيف - السعودية.

الطبعة الرابعة: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت - لبنان.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (چندگونگی و آزادی در إسلام)، ترجمة حميد رضا آذير، نشر بقيع.

٤٤. المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب (عليها السلام)

الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار البيان العربي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الثقليين، بيروت - لبنان.

الطبعة الرابعة: ٢٠٠٧م، دار التآخي، دمشق - سوريا.

الطبعة الخامسة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، دار الفردوس، بيروت - لبنان.

٤٥. الوطن والمواطنة: الحقوق والواجبات

الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

٤٦. التنوع والتعايش

الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الساقى، لندن - بريطانيا.

الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م، دار التآخي، دمشق - سوريا.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة الفرقان، النجف الأشرف - العراق.

٤٧. التطلع للوحدة وواقع التجزئة في العالم الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان.

٤٨. علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

٤٩. الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات
الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد، بيروت - لبنان.
٥٠. الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح
الأليمة
الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
٥١. العمل والفاعلية طريق التقدم
الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي، بيروت - لبنان.
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.
٥٢. شهر رمضان والانفتاح على الذات
الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.
الطبعة الرابعة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.
٥٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول)
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار العارف للمطبوعات - بيروت، أطيف
للنشر والتوزيع - القطيف - السعودية.
٥٤. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني)
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
٥٥. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث)
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ - دار الواحة، بيروت -

لبنان.

٥٦. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع)

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.

٥٧. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الخامس)

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، أطيف

للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٨. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السادس)

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٥٩. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السابع)

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٦٠. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثامن)

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٦١. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد التاسع)

بين يديك

٦٢. السلم الاجتماعي - مقوماته وحمايته

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الساقى، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

٦٣. التسامح وثقافة الاختلاف- رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت - لبنان.

٦٤. الإمام المهدي وبشائر الأمل

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت - لبنان.

٦٥. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة،

بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة،

بيروت - لبنان.

٦٦. كيف نقهر الوسواس

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

٦٧. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣ م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤ م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧ م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، أطراف

للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٦٨. إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤ م، دار التآخي، دمشق - سوريا.

٦٩. الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، هيئة محمد الأمين ﷺ، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، مؤسسة عاشوراء، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٧٠. رؤية حول السجال المذهبي

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار، القطيف - السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٧١. بناء الشخصية ومواجهة التحديات

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٧٢. عن اللقاء الوطني للحوار الفكري

(الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١٥ - ١٨/٤/١٤٢٤ هـ الموافق ١٥ - ١٨/٦/٢٠٠٣ م)

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة، بيروت - لبنان.

٧٣. الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، دمشق - سوريا.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام علي (ع) وراه برابري)، ترجمة محمد رضا ضيايي.

٧٤. الحوار والانفتاح على الآخر

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م دار التآخي، بيروت - لبنان.

٧٥. السلفيون والشيعنة نحو علاقة أفضل

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الواحة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت

- لبنان.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، أطيف

للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٧٦. فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي، بيروت - لبنان.

٧٧. النادي الرياضي والمجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م، مطبعة الفرقان، النجف الأشرف - العراق.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار الصفاة، بيروت - لبنان.

■ تمت ترجمته إلى اللغة السواحيلية بعنوان: (KILABU YA MICHEZO)

(NA JAMII)، كينيا، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٨. الزواج أغراضه وأحكامه

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتب ساحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف - السعودية.

٧٩. السياسة النبوية ودولة اللاعنفة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، أطراف للنشر
والتوزيع، القطيف - السعودية.

٨٠. العمل التطوعي في خدمة المجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع آفان، سيهات - السعودية.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت -
لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

٨١. كيف نقرأ الأخر؟

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان.

٨٢. الحضور في زمن الغيبة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، البحرين.
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مطبعة الفرقان، النجف - العراق.

٨٣. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

٨٤. سلسلة (قوانين السعادة الزوجية وأبجديات الحب)

- الحب الحقيقي (الزواج أحكامه وأغراضه).
- قوانين الزواج من الألف إلى الياء (من عقد الزواج إلى ليلة الزفاف).

- مملكة الحب (الحقوق الزوجية).
 - الخطوات الذكية لاختيار النصف الجميل (اختيار الزوج).
 - تزوج وكن سعيداً (قرار الزواج).
 - صناعة المودة (العلاقات الزوجية).
 - البوابة الذهبية (عقد الزواج).
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م، مركز الياة للتنمية الفكرية، دمشق - سوريا.

٨٥. الاستقرار السياسي والاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان.

٨٦. الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

٨٧. الإمام الحسين الشخصية والقضية

- الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار، القطيف - السعودية.
- الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار، القطيف - السعودية.

٨٨. المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن

الصفار أجزاها الأستاذ عبدالعزيز قاسم.

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٨٩. الشباب وتطلعات المستقبل

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٩٠. الأوقاف وتطوير الاستفادة منها

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م - أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٩١. الإمام علي وقضايا الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م - أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، دار الصفاة، بيروت - لبنان.

٩٢. الحوار المذهبي والمسار الصحيح (محاضرة الشيخ حسن الصفار وحفل

تكريمه في اثينية الشيخ عبدالمقصود خوجة)

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨ م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، أطراف

للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية

٩٣. الحسين في وجدان الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، مكتب ساحة الشيخ حسن الصفار،

القطيف، السعودية.

٩٤. المؤسسات الأهلية حماية الأمن الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

٩٥. الأحادية الفكرية في الساحة الدينية

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان.

٩٦. المشكل الطائفي والمسؤولية الوطنية

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - مؤسسة

الانتشار العربي، بيروت - لبنان.

الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - مؤسسة

الانتشار العربي، بيروت - لبنان.

٩٧. الجمعة شخصية المجتمع الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

الطبعة الثالثة: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، المركز العالمي للعلوم والثقافة الإسلامية

- طهران.

٩٨. حضور المسجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٩٩. الانفتاح بين المصالح والهواجس

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

١٠٠. صلاة الجماعة مظهر الوحدة والتآلف

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مركز الناقد الثقافي - دمشق.

١٠١. الإصلاح الديني والسياسي - حوارات مع سماحة الشيخ حسن الصفار -

الجزء الأول

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف، دار

الصفوة، بيروت - لبنان.

١٠٢. الإصلاح الديني والسياسي - حوارات مع سماحة الشيخ حسن الصفار -

الجزء الثاني

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف، دار

الصفوة، بيروت - لبنان.

١٠٣. صلاة الجماعة بحث فقهي اجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان.

١٠٤. الطائفية بين السياسة والدين

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، المركز العربي الثقافي - الدار البيضاء -

المغرب.

١٠٥. من أعظم شعائر الدين صلاة الجماعة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مطابع الرجاء - الخبر - السعودية.

١٠٦. شجاعة التعبير عن الرأي (محمد جواد معنية أنموذجاً)

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطيف

للنشر والتوزيع، القطيف.

الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطيف

للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

١٠٧. إضاءات من سيرة أهل البيت عليهم السلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

الفهرس

٧	تقديم
١٣	تقديم
١٧	أول الحديث
٢٥	التعايش المذهبي ورؤية السيد السيستاني
٣٧	صلاة الجمعة
٤٩	تجديد الأمل في مسيرة الوحدة والتقارب
٥٥	أحكام صلاة الجمعة
٦٧	غرور القوة
٧٧	منافذ المحاولات الخارجية لإثارة الفتن الطائفية
٨٧	المخالفات المرورية إلقاء بالنفس في التهلكة
٩٩	يوم الجمعة سيّد الأيام
١١١	التاريخ للعبرة أم للفتنة؟

- ١١٧ افضلية الزهراء وحياتها العائلية ..
- ١٢٣ الجمعة شخصية المجتمع الإسلامي ..
- ١٣٩ الجمعة والاستثمار الروحي ..
- ١٥١ الارتقاء باهتمامات المرأة ..
- ١٦١ إحياء التضامن الإسلامي ..
- ١٧٥ التنمية الإنسانية في عهد الإمام علي عليه السلام ..
- ١٨٩ الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح ..
- ٢٠٧ الإمام علي عليه السلام ووحدة الأمة ..
- ٢٢٥ الجمعة والتواصل الاجتماعي ..
- ٢٤١ الحالة الدينية والنقد البناء ..
- ٢٤٧ المؤسسات الأهلية قوة المجتمع ..
- ٢٥٥ الأمن الاجتماعي مسؤولية الدولة والمجتمع ..
- ٢٦٥ رعاية الصحة الأخلاقية للمجتمع ..
- ٢٧٥ ضرورة الماسسة والنظام في الحالة الدينية ..
- ٢٨٣ تصاعد وتيرة الانحرافات السلوكية والأخلاقية في المجتمع ..
- ٢٨٩ التوافق الصعب في المجتمعات العربية ..
- ٢٩٧ إسرائيل من صراع الحدود إلى صراع الوجود ..
- ٣٠٣ الاحتفاء باليوم العالمي لحقوق الإنسان ..
- ٣١٥ خطورة العنف العائلي والاهتمام بالنظافة ..
- ٣٢١ النظافة والجمال قيمة دينية ..
- ٣٣٣ الموضوعية في مناقشة قضية الإمامة ..
- ٣٤١ الجمعة يوم الأناقة والزينة ..

كُتَابَات

- ٣٥٥ تصريح لسماحة الشيخ حسن الصفار في أعقاب العدوان على موقعه
- ٣٥٧ إليات التقارب أم الجدل المذهبي؟
- ٣٦٣ لا ولن تقبل مرجعاً تكفيرياً
- ٣٦٩ تصريح للشيخ الصفار حول الإثارات الطائفية
- ٣٧٣ إشادة وتقدير بجهود ”مركز البيت السعيد“
- ٣٧٥ تقديم للموسوعة الشرعية المهدوية
- ٣٧٩ مبادرة لانطلاق الحوار بين السلفيين والشيعة
- ٣٨٣ تقديم لكتاب على خطى الزهراء

متابعات

- ٣٨٩ الشيخ الصفار لرويترز: الشيعة موالون لوطنهم وليس لإيران
- ٣٩٣ الشيخ الصفار: الفتنة بين السنة والشيعة هدف إسرائيلي
- ٣٩٧ الشيخ الصفار: إذا لم تبادر الأنظمة للمساواة بين المواطنين
- ٣٩٩ الشيخ الصفار: لا تستجيبوا للمتطرفين
- ٤٠٣ هل يمكن إضعاف مفهوم الولاء والبراء
- ٤٠٩ نحتاج لنشر ثقافة التسامح فليس كل مخالف جاحداً
- ٤١٥ الشيخ الصفار يدعو القيادات السياسية في مؤتمر القمة العربية
- ٤١٧ الشيخ الصفار: اللجوء إلى تخريب المواقع الإلكترونية دليل إفلاس
- ٤١٩ الشيخ الصفار : أبو السعود كان آملاً واعدأ لخدمة الدين والمجتمع
- ٤٢١ الشيخ الصفار: ناقشنا «ميثاق شرف» تضمن وقف الإساءات المتبادلة
- ٤٢٥ الشيخ الصفار يستقبل «نزاركو» بطل دورة كافل اليتيم بتاروت

- ٤٢٧ الحرب في العراق ليست حرباً مذهبية أو طائفية.....
- ٤٣٥ الشيخ الصفار يؤكد على تعزيز الانطباعات الإيجابية عن الإسلام
- ٤٣٧ الشيخ الصفار؛ وجود أخطاء لا يبرر التراجع عن حوار الوحدة
- ٤٣٩ في منتدى الخليج الاول للتسامح
- ٤٥٣ الشيخ الصفار يشارك النادي الادبي احتفالية اليوم الوطني
- ٤٥٥ الشيخ الصفار يفتتح اجتماع جماعة الخط العربي بالقطيف

ندوات وخطابات

- ٤٦١ عاشوراء من أيام الله
- ٤٧٣ حب أهل البيت ﷺ في نفوس المسلمين
- ٤٩١ الإمام الحسين ونهجه في الدعوة والحوار
- ٥٠٥ الإمام الحسين وحركته السلمية
- ٥١٩ التنافس الإيجابي وتقدم المجتمع
- ٥٣١ التواصل الاجتماعي
- ٥٤٧ التأثير المتبادل بين القيادة الدينية والجمهور
- ٥٦٥ الإمام الحسين ﷺ مدرسة العطاء
- ٥٨٧ الانفتاح على الشباب
- ٦٠٥ رسالة عاشوراء
- ٦٢٩ الصراعات والتزام الاخلاق
- ٦٤١ الإمام الحسين مدرسة الاخلاق
- ٦٥٥ العلاقات الزوجية وظاهرة العنف
- ٦٧٥ موسم المحرم والخطاب الطائفي

- ٦٨٣ الشيخ الصفار مشاركاً في أربعين الشيخ الجمري
- ٦٨٥ الشيخ الصفار مؤبناً الخطيب العدناني
- ٦٨٩ مواجهة الفتنة المذهبية
- ٦٩٧ نبي الالفة والمحبة
- ٧٠١ الاحساء: الشيخ الصفار بين حفاوة «الشهارين» وصفاء «القارة»
- ٧٠٥ الشيخ الصفار في جلسة حوار مع أهالي القارة
- ٧١٣ المؤتمر الدولي العشرون للوحدة الإسلامية
- ٧١٩ كلمة الشيخ الصفار في افتتاح الجلسة العلمية الثانية
- ٧٢٣ الشيخ الصفار مشاركاً في مهرجان النجمة المحمدية بدمشق
- ٧٣١ الشيخ الصفار في مهني القطيف: ثقافة حب العمل تصنع الحضارة
- ٧٣٧ الشيخ الصفار يشيد بمآثر الشيخ التويجري ويقدم لابنائه العزاء
- ٧٣٩ الشيخ الصفار في أسبوع زين الدين الثقافي: تكريم العلماء
- ٧٤٣ الشيخ الصفار: أدعو للاهتمام بالداخل الاجتماعي
- ٧٤٧ الاحساء: الصفار والخباز في أحلى ليالي الرميلة
- ٧٥١ الشيخ الصفار مؤبناً السيد علي الشَّخص: كان حرَّ التفكير
- ٧٦١ أخلاقيات الصراع في نهج البلاغة
- ٧٧٩ الحوار القرآني مع سماحة الشيخ حسن موسى الصفار
- ٧٨٧ تحويل التجربة العملية للمؤسسات الدينية في المنطقة
- ٧٩٥ معطيات الإيمان بالإمام المهدي ﷺ
- ٨٠٣ الشيخ الصفار مؤبناً الشاعر خزام
- ٨٠٩ رسالة الأسرة
- ٨١٣ الشيخ الصفار: العلاقات امتحان الإنسان الأصعب

- ٨١٥ المعرفة والتثقيف الذاتي ..
- ٨١٧ أولوية الوحدة عند الإمام علي عليه السلام ..
- ٨٢١ في مؤتمر الامن الاجتماعي بالبحرين ..
- ٨٢٣ الاسرة هي المنطلق لإصلاح المجتمع ..
- ٨٢٧ الشيخ الصفار يدعو أرامكو لمنع تكرار الحوادث الفادحة ..
- ٨٢٩ في ذكرى الشهيد الصدر الثاني ..
- ٨٣٥ صدر للمؤلف ..